المستقبل العربي

١٩٨٥/٢ (٧٢)

تطور الوعي القومي في المغرب العربي :

- الاصول التاريخية للتعريب / محمد حسن
- التراث والتنمية العربية / جلال امين
- الاحزاب السياسية / عفيف البوني
- افريقيا والصهيونية / حلمي الزعبي
- خمسينية ابي القاسم الشابي / لميعة عباس عمارة
- دور القضية الفلسطينية / الهادي التيمومي
- الوحدة اليمنية / خالد القاسمي
- علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي (ندوة) / سعد الدين ابراهيم - عبد الباسط عبد المعطي - فؤاد الخوري - اسحق القطب
- بلاد شنقيط (موريتانيا) / احمد ولد الحسن

يصدرها "مركز دراسات الوحدة العربية"

المستقبل العربي

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي

يصدرها

مركز دراسات الوحدة العربية

(تأسس بموجب علم وخبر رقم ٨٧ / ١ د لعام ١٩٧٥)

- مركز متخصص في العمل الفكري المتجه رئيسياً نحو مسائل الوحدة العربية .
- يهدف الى ايصال نداء الوحدة للجماهير العربية والاوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها .
- يعنى بدراسة الواقع العربي كخلفية للحالة الوحدوية المنشودة .
- لا يفرض شروطاً مسبقة على مساهمة المثقفين في نشاطاته سوى قناعتهم بالوحدة العربية .
- لا يتخذ اية مواقف سياسية مباشرة ولا يساهم في النشاط السياسي .
- لا يرتبط بأي حكومة ولا يتبنى اي نظام ولا يدخل في محاور او تحالفات .

المراسلات :

باسم **المستقبل العربي**
بناية « سادات تاور » ص . ب ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان .
تلفون : ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً : مرعربي ـ بيروت ـ تلكس Marabi 23114LE

الاشتراك السنوي :

ـ المؤسسات والهيئات في اقطار الوطن العربي وسائر الدول الاجنبية : ٩٠ دولاراً امريكياً .
ـ الافراد : لبنان ١٢٠ ل.ل.
بقية اقطار الوطن العربي ٥٠ دولاراً امريكياً .
خارج الوطن العربي ٧٠ دولاراً امريكياً .
تدفع اشتراكات الافراد مقدماً .
(١) امّا بشيك لأمر المركز مباشرة مسحوب على احد المصارف الاجنبية .
(٢) او بتحويل الى العنوان التالي : حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم ١١٠٩ بالدولار،
بنك بيروت للتجارة (Banque Beyrouth pour le Commerce) ـ فرع الحمرا ـ
ص . ب ١١٠٢١٦ بيروت ـ لبنان ـ تلكس : BECOBA 21457LE

المستقبل العربي

وعي الوحدة العربية
وحدة الوعي العربي

السنة السابعة | العدد الثاني والسبعون | شباط (فبراير) ١٩٨٥

المحتويـــات

□ التراث والتنمية العربية ..... د. جلال احمد امين ٤

□ الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً ..... خالد محمد القاسمي ٢٣

□ القارة الافريقية واولويتها في السياسة الخارجية الصهيونية ..... حلمي عبد الكريم الزعبي ٣٧

□ في خمسينية الشاعر ابي القاسم الشابي(١٩٠٩- ١٩٣٤ م) ... لميعة عباس عمارة ٦٠

تطور الوعي القومي في المغرب العربي

■ الاصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي ..... محمد حسن ٦٣

■ الوعي القومي العربي والاحزاب السياسية في المغرب العربي ..... د. عفيف البوني ٧٩

■ دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي القومي العربي في المغرب العربي (مثال تونس) ..... د. الهادي التيمومي ٩٣

■ مظاهر الوعي القومي عند مثقفي بلاد شنقيط في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ..... احمد ولد الحسن ١١١

نـدوة

□ علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي ..... د. سعد الدين ابراهيم ١٢٤

د. عبد الباسط عبد المعطي

د. فؤاد اسحق الخوري

تحرير: د. اسحق القطب

كتب

□ مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: من الصراع المحتوم... الى التسوية المستحيلة (حسن نافعة) ..... د. مجدي حماد ١٣٥

□ الثروة المعدنية العربية: امكانات التنمية في اطار وحدوي (محمد رضا محرم) ..... د. محمد رضوان خولي ١٥٠

مؤتمرات

□ ندوة «المجتمع العربي.. الى اين؟» ..... قيس خزعل جواد ١٥٤

* موجز يوميات الوحدة العربية ١٦٠

* ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٦٧

* الملف الاحصائي:

(٥٤) احصاءات الاتصال في الوطن العربي ١٧٦

آراء الكتّاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات
يتبناها «مركز دراسات الوحدة العربية» او «المستقبل العربي»

المدير المسؤول: وديع عون

التراث والتنميـــة العـربية

د. جلال احمد امين

استاذ الاقتصاد بالجامعة الامريكية في القاهـرة. صـدر لـه عـن مـركـز دراسـات الـوحـدة العـربيـة كتـاب «المشـرق العـربي والغـرب».

«... ولا يختلف الامر كثيراً عن محاولة حمل السمك على التنفس في الهواء، بحجة ان جميع الحيوانات العليا تتنفس في الهواء. فالسمك يموت حيث تحيا ذوات الثدي».

غوستاف لوبون: **حضارة العرب**

١ ـ فيمَ الشكوى من التنمية العربية؟

من الصعب ان تجد، خارج الاقتصاديين الرسميين، من لا يجهر بالشكوى من نمط التنمية العربية، بل وحتى في دوائر منفذي السياسة الاقتصادية، كثيراً ما تجد من يردد الشكوى نفسها، وان كان يقرنها عادة بالقول بصعوبة الخروج من المأزق. إن الاهداف التي يعلنها الجميع هي دائماً: رفع معدل النمو، وتصحيح الاختلال في هيكل الانتاج والعمالة، وتحسين توزيع الدخل، وتحقيق مزيد من التكامل الاقتصادي العربي. ولكن ليس هناك بلد عربي واحد يستطيع ان يزعم انه خلال ربع القرن الماضي او اكثر، قد حقق تقدماً يذكر في اي مجال من هذه المجالات، باستثناء نجاح بلدان النفط وبعض البلدان غير النفطية في رفع معدل النمو خلال السبعينات، اما الاختلال في الهيكل الاقتصادي وفي توزيع الدخل فانه لم يصحح بل ازداد سوءاً في معظم الاحوال. ولم يكن الاقتصاد العربي في اي وقت من الاوقات اكثر اعتماداً على الخارج مما هو اليوم: سواء في الحصول على الغذاء او السلع الصناعية أو رأس المال او التكنولوجيا. ولم تكن اقتصاديات الاقطار العربية اكثر تشتتاً وبعداً عن التكامل في اي وقت من الاوقات منذ قرنين على الاقل، مما هي اليوم.

والذين ينظرون الى التنمية نظرة اوسع تتجاوز المفهوم الاقتصادي، لديهم اسباب اخرى للشكوى. فإذا اعتبرنا ان التنمية ليست مجرد «تكاثر» في السلع والخدمات، بل تحسين نمط الحياة، كان لدينا اكثر من سبب للقول بفشل التنمية العربية. فالعلاقات الاجتماعية داخل كل بلد عربي اكثر توتراً مما كانت منذ ربع قرن، والحياة السياسية اكثر زيفاً، وكرامة الفرد العربي اكثر تعرضاً للامتهان

من الحُكام ومن وسائل الاعلام ومن الاجنبي على السواء. والعواصم العربية، وإن كان قد ازداد حجمها، اصبحت اكثر قبحاً وضجيجاً وتلوثاً. والعلاقات بين الاقطار العربية او بينها وبين الدول المجاورة اكثر توتراً. وحملت اقطار عربية السلاح لتحارب اقطاراً عربية اخرى او اسلامية، واشتدت ضراوة الحروب الاهلية، وتخلى اكبر قطر عربي عن دوره في قيادة الحركة القومية، وانهمك الناس في مشروعاتهم الفردية لرفع مستوى الاستهلاك او الانتقال من طبقة لأخرى، منصرفين عن الاهتمام بالقضايا السياسية والقومية. والموارد الاقتصادية الآيلة للنضوب يزداد تصديرها لاستيراد أسلحة تستخدم في خدمة الاجنبي، او لتمويل مشروعات تحكم اختيارها حاجة الاجنبي الى البيع اكثر من حاجة العرب الى الشراء. والقروض تعقد لتصريف سلع الاجنبي لا لبناء قدرة العرب الانتاجية. والامتيازات تمنح للشركات الدولية لا وفقاً لمقدار مساهمتها في بناء الاقتصاد، بل بحسب شطارة هذه الشركات وقدرتها على ممارسة الضغط السياسي. والهجرة بين بلد عربي وآخر تحكمها قرارات فردية منبتّة الصلة بتصور مستقبل الاقتصاد او المجتمع العربي، والتحويلات الناجمة عن الهجرة يحكم استخدامها القرارات الفردية نفسها. والتعليم يعامل لا على أنه اساس للنهضة ولكن كوسيلة لتجنب الحرج السياسي للحكومات القائمة... الخ.

٢ ـ التيـارات الاصلاحيـة الثلاثـة

ليس ثمة شك في وجود علاقة وثيقة بين فشل التنمية العربية وبين تلك الحيوية التي سرت منذ اواخر الستينات في الدعوة الى التمسك بالتراث والعودة الى الجذور. فعبر المائة عام الماضية كانت دعوة «التراثيين»، أيّاً كان منحاهم، استجابة للفشل في تحقيق الاهداف الوطنية. كانت دعوة جمال الدين الافغاني ورشيد رضا رد فعل لذل الاحتلال، وكانت حركة الاخوان المسلمين منذ العشرينات، وحتى ثورة ١٩٥٢، رد فعل لفشل الحركة الوطنية في تحقيق استقلال سياسي واقتصادي حقيقي وصد العدوان الصهيوني. ثم جاءت الصحوة الجديدة للحركات الاسلامية والتراثيين كرد فعل لفشل المشروع الناصري في صد الغزوة الاستعمارية الجديدة التي تسربت تحت شعار «الانفتاح الاقتصادي».

لم يكن التراثيون بالطبع وحدهم في الميدان قط، فقد كان هناك دائماً رد فعل يكاد ان يكون النقيض التام للعودة الى السلف. كان هناك دائماً من يقول ان تعثر مشروع النهضة العربية او الاسلامية يعود الى التخلف عن اللحاق بالغرب، وأن الحل ليس في رفض أسس الحضارة الاوروبية بل في المزيد من الاخذ عنها. كانت دعوة الشيخ محمد عبده في الاساس دعوة الى تطويع التراث لمتطلبات الحضارة الحديثة، وكان من اصطلح على تسميتهم «بالرواد» من تلاميذ محمد عبده، من لطفي السيد الى طه حسين وعلي عبد الرازق والعقاد وأحمد أمين، هم في الاساس دُعاة لهذا التطويع، مع استعداد متفاوت في الدرجة، ولكنه مدهش في جرأته، للتضحية بما يقطع به ظاهر النصوص.

كان التيار الماركسي، الذي بدأ يشتد عوده في الاربعينات، هو في الاساس فرع من فروع التيار العلماني الذي بدأه لطفي السيد، لا يختلف عنه إلّا في انه كان يستوحي مصدراً آخر من مصادر الفكر الغربي بتأكيده على قضية الصراع الطبقي، وفي استهانته بالتراث الى حد التجاهل، ولكنه كان في ما عدا هذا يتفق مع دعاة الاصلاح من العلمانيين من ان تحقيق الاستقلال الحقيقي واستكمال النهضة لا يكون الا باقتفاء خطوات النهضة الاوروبية.

كان من ملامح التجربة الناصرية خلال العقد الذي شهد أوج انتصارها (منذ تأميم قناة

السويس في ١٩٥٦ الى الهزيمة العسكرية في ١٩٦٧) نجاحها المذهل في تجميد الصراع بين هذه التيارات الثلاثة: العلماني الليبرالي، والعلماني الماركسي، والتراثي او السلفي. وليس من الصعب تفسير هذا النجاح الذي احرزته الناصرية. لقد تبنّى عبد الناصر بلا شك قضية المصلحين العلمانيين، ولكنه حاول، وبدرجة عالية من النجاح، ألاّ يفجر صراعاً مباشراً مع التيار الديني. كان انتصار عبد الناصر على السلفيين يجري في معارك صغيرة متتالية، دون اصطدام شامل بهم، على غير مسلك كمال اتاتورك مثلاً، كما كان احترامه الشكلي للدين واستعداده لتمييز تجربته عن تجارب الاشتراكية الماركسية، بتسميتها «الاشتراكية العربية» حيناً، وبالحديث عن القيم الروحية حيناً آخر، عاملاً مساعداً على كبت او تأجيل صراعه مع السلفيين. في الوقت نفسه نجح عبد الناصر في تأجيل الصراع مع التيار الماركسي، بتبنّيه كثير من شعاراته، والاستعانة بكثير من رجاله، وبتطبيق ما اعتبره كثير من الماركسيين سيراً في الاتجاه الصّحيح يتطلب فقط مزيداً من القوة وبعض التصحيح.

كانت الحقبة الناصرية اذن حقبة تأجيل الصراع بين التيارات الاصلاحية الثلاثة. وقد توفرت لتجربة عبد الناصر مبررات كافية لهذا التأجيل، أهمها على الاطلاق ما حققته التجربة من انتصارات حقيقية في تحقيق التنمية التي تتوفر لها درجة عالية من الاستقلال، اضطر الجميع كارهين او بطيب خاطر، الى الاعتراف بها. لم يكن نجاح عبد الناصر في صد الضغط الاستعماري وفي دعم الاتجاه القومي العربي وفي رفع معدلات التصنيع وتقريب الفوارق بين الطبقات، مما لا يمكن لأحد إنكاره أياً كان موقفه الايديولوجي. أليس كل هذا مما يطلبه طلاب النهضة من العلمانيين الليبراليين والماركسيين والتراثيين على السواء؟، واذا كان عبد الناصر قد ضحّى بالديمقراطية السياسية ألم يكن من الممكن ان يشفع له في ذلك نجاحه الباهر في كل هذه الجبهات؟ كان من الممكن اذن تأجيل قضية الديمقراطية، العزيزة على الليبراليين، وقضية التطبيق الكامل للاشتراكية، العزيزة على الماركسيين، وقضية تطبيق الشريعة الاسلامية، العزيزة على السلفيين، طالما بدت التجربة الناصرية حيّة ومستمرة، فاذا لم يطق البعض الصبر على تأجيل اي من القضايا الثلاث، كان من السهل عزله عن الحياة السياسية عزلاً تاماً.

كان انكسار التجربة الناصرية اذن، في ١٩٦٧، ثم انحسارها منذ بداية السبعينات، كفيلاً بتفجير الصراع من جديد، وظهرت التيارات الاصلاحية الثلاثة مرة اخرى على السطح، مستمدة حيوية جديدة من عدة امور. كانت سنوات الكبت الطويلة في ظل الناصرية احد هذه العوامل، ولكن كان أهم من ذلك فشل السبعينات الذريع في كل مجال من المجالات التي حقق فيها عبد الناصر انتصاراته. لقد كان من المفهوم الصبر على الديكتاتورية في ظل سياسة تثير الاعتزاز الوطني ازاء الاجنبي، وتبني الاقتصاد وتقرب بين الطبقات، ففيم الصبر عليها اذا فقد كل ذلك؟، وكان من المفهوم الصبر على تجربة تحاول «بناء الاشتراكية من دون اشتراكيين» طالما كان التقدم الذي يحرزه الفلاحون وطوائف واسعة من العمال حقيقياً؛ ولكن فيم الصبر على تجربة تعيد الامتيازات الطبقية نفسها التي قامت ثورة ١٩٥٢ للقضاء عليها؟ بل كان من المفهوم ان يكبت التراثيون غيظهم في ظل نجاح باهر لتجربة عبد الناصر العلمانية، فعبد الناصر وإن لم يكن مخلصاً للتراث، لم يكن على اية حال بائعاً لوطنه. فكيف يكون الصبر على تجربة هي النقيض التام للتمسك بقيم التراث والوطن على السواء؟

إن الصراع الفكري الذي نشهده اليوم بين التيارات الثلاثة ليس اذن الا امتداداً لصراع قديم لم تكن سنوات الناصرية الا انقطاعاً مؤقتاً فيه. والقضية التي تطرحها الاتجاهات الثلاثة هي قضية واحدة، رغم اختلاف اللغة التي يتكلم بها كل طرف. والسبب الاساسي في احتدام الصراع من جديد هو

الفشل الكامل الذي اسفرت عنه تجربة السبعينات في مواجهة القضايا الوطنية والقومية الرئيسية كافة.

ولكن مصر والعرب والعالم ليست هي مصر والعرب والعالم قبل ظهور الناصرية، ومن الطبيعي ان تنعكس هذه التطورات على موقف التيارات الثلاثة.

فالعلمانيون الليبراليون اكتسبوا قوة جديدة اكبر بكثير مما كان لديهم في مطلع الخمسينات، فهم من ناحية لم يعودوا يعانون مما كانوا يعانون منه في الخمسينات من السجل غير الناصع لتطبيق الديمقراطية البرلمانية منذ الاستقلال، وقد بعدت هذه التجربة عن الذاكرة، بل واكتسبت بعض البريق بعد انكسار الناصرية. وهم قد يكتسبون قوة من الزعم بأن فشل التجربة الناصرية كان راجعاً الى غياب الديمقراطية، ومن التقدم التكنولوجي والاقتصادي المذهل الذي حققه الغرب الرأسمالي بعد الحرب، ومن انفتاح المعسكر الاشتراكي نفسه على الاقتصاد الرأسمالي، ومن تأييد شرائح متزايدة من السكان الذين سمح لهم ارتفاع معدل النمو وتدفق ايرادات النفط والهجرة إلى اقطاره، بتغيير نمط تطلعاتهم الى ما لا يتعدى «اللحاق بمستوى المعيشة في الغرب».

والسلفيون والتراثيون اكتسبوا بدورهم قوة جديدة من انكسار التجربة الناصرية، ومن الزعم بأن هذا الانكسار كان نتيجة لعلمانية عبد الناصر وتنكره لقواعد الدين، ومن الزعم ايضاً بأننا جربنا كلاً من الرأسمالية والاشتراكية فباءت كل منهما بالفشل فلم يبق الا الرجوع للتراث. كما اكتسبوا القوة، لم تكن في حسبانهم، من اقتران التقدم التكنولوجي والاقتصادي في الغرب برد فعل غاية في القوة يطرح على التساؤل الحضارة الغربية برمتها، ويشكك في جدوى النمو على النمط الغربي، وكفر شرائح متزايدة من الشباب الغربي نفسه بحضارة الاستهلاك، واتجاه أعداد متزايدة منهم الى التمسك بقيم وتقاليد كان يظن ان الحضارة الغربية قد لفظتها الى الابد، واتجاه الفكر الغربي الى فقدان الثقة بتفوقه وتفوق نمط الحياة الغربية على افكار الحياة في الحضارات الاخرى وأنماطها.

اكتسب التراثيون قوة جديدة ايضاً من ان الانفتاح الجديد على الغرب منذ انكسار الناصرية كانت ملامحه الثقافية والنفسية أشد ضراوة من ملامحه السياسية والاقتصادية، فاذا بالهجمة الجديدة تحتاج لرد فعل من النوع نفسه. إذ لم تعد التنمية الاقتصادية ولا زيادة القدرة العسكرية بكافية لرد الاعتداء النفسي او الثقافي، وأصبح الامر يحتاج لمواجهة تعصب ثقافي بتعصب ثقافي. لا عجب اذن من تلك الظاهرة الجديدة على الاتجاه السلفي، وهي نجاحه في اكتساب عناصر كان المألوف ان تنضم الى الاتجاه العلماني بحكم ثقافتها وتمرسها بالحياة الغربية، فاتجهت على العكس الى مناصرة التراثيين.

واكتسب التراثيون ايضاً انصاراً جدداً من بين شرائح اجتماعية تعرضت لتحول سريع في مستوى دخلها ونمط حياتها بسبب النمو الاقتصادي نفسه وانتشار التعليم في الستينات والسبعينات، وكان رد فعلها الطبيعي لهذا التحول ان تزداد تمسكاً بالقيم الدينية بدلاً من ان تتحول عنها، إما تمسكاً بأصول ثابتة في مواجهة رياح التطور السريع، او حماية لنفسها من تيارات جديدة لا تفهمها ولا تطمئن اليها. كانت الثورة الايرانية عاملاً مساعداً بلا شك، ولكن نجاح الثورة الايرانية يحتاج هو نفسه الى تفسير قد لا يخرج عن العوامل التي سبق ذكرها.

على العكس من ذلك خرج التيار الماركسي من تجربة الناصرية، ومن تطورات الثلاثين عاماً

الماضية، العربية والدولية، بجراح لم ينته بعد من تضميدها. فعلى الرغم من ان الماركسيين لم يتبنّوا الناصرية قط كممثل كامل للاشتراكية الماركسية، فانهم كلما مر الزمن على التجربة الناصرية ازدادوا حماساً لها وأسفاً على انحسارها، وازداد اتجاه غير الماركسيين الى التسوية بين الناصرية والاشتراكية. كان من الطبيعي اذن ان ينسحب جزء كبير من هزائم الناصرية على الاتجاه الماركسي. ولكن التيار الماركسي عانى ايضاً من معظم ما أفاد الليبراليين والسلفيين على السواء. فانفتاح المعسكر الاشتراكي، بما في ذلك الصين، على الغرب الرأسمالي، لم يكن بالقطع ورقة رابحة في يد الفكر الماركسي. وما تولّد عن أموال النفط من نمو النهم الاستهلاكي وانفتاح باب الهجرة امام الساخطين في الاقطار العربية ذات فائض العمالة فرّج كروباً لم يكن يُظَنّ ان يفرجها غير الاشتراكية.

أصاب الماركسية ايضاً ما أصاب مختلف الايديولوجيات الراديكالية من وهن نتيجة للثورة التكنولوجية. فأياً كان رأينا في الزعم بأننا نعيش في عصر «نهاية الايديولوجيات»، فإن هذا الزعم يحتوي على عنصر من الحقيقة لا يمكن انكاره. من الممكن بالطبع القول بأن اي موقف، حتى اذا كان يرفض الايديولوجيات هو نفسه موقف ايديولوجي. ولكن من الصعب انكار ان للتكنولوجيا الحديثة من المتطلبات السياسية والاقتصادية ما يجعل المطالبة بالاستقلال الاقتصادي او التنمية المعتمدة على الذات اكثر صعوبة منها في أي وقت مضى. ويجعل المفاهيم التقليدية عن الاستغلال الاقتصادي والصراع الطبقي اكثر تعرضاً للشك. بل ان الماركسية قد اصبحت اكثر تعرضاً من اي وقت مضى، لأنه ينظر اليها على انها بنت الحضارة الغربية، للشكوك وأوجه التجريح نفسها التي تتعرض لها هذه الحضارة برمّتها. فمع مرور الزمن على التجارب الاشتراكية واتجاهها اكثر فأكثر الى التنازل عن «خصوصيتها» في مقابل اكتساب المعرفة الفنية الغربية، وأنماط الاستهلاك والسلوك الشائعة في الغرب، اصبح مثقفو العالم الثالث أقل استعداداً للتمييز الصارم بين «الغرب الرأسمالي» و«الشرق الاشتراكي»، وشاع التمييز، على العكس بين «الشمال والجنوب»، وأصبح من الصعب اكثر فأكثر ألّا تنسحب الانتقادات الموجهة «لحضارة الاستهلاك» او «للمادية الغربية» على المعسكر الاشتراكي ايضاً.

٣ ـ التيارات الاصلاحية الثلاثة ونمـــط التنميـــة العربيـــة

هذه الاتجاهات الثلاثة تمثل، فيما يبدو لي، الاتجاهات الفكرية الاساسية المتنافسة في حلبة الفكر الاصلاحي العربي في الوقت الحاضر، ولكل منها موقفه المتميز من قضية التنمية او النهضة.

فالعلمانيون الليبراليون، اذا استبعدنا منهم اولئك الذين يعبرون عن مصالح ذاتية اكثر مما يعبرون عن فكر اصلاحي، يرون المشكلة في الاساس في تخلف العرب تخلفاً رهيباً عن انجازات الغرب الرأسمالي: في مستوى الدخل والاستهلاك، في التكنولوجيا المطبقة والتنظيم، في نظم الحكم والحريات المتاحة، بل وأيضاً في قواعد السلوك وأنماط التفكير. ليس هناك، في نظر هؤلاء، من مشكلات العرب ما لا يحلّه العلم، والموقف العقلاني، والتكنولوجيا المتقدمة

والعلمانيون الماركسيون ليسوا أقل من العلمانيين الليبراليين حماساً للعلم والتكنولوجيا المتقدمة والموقف العقلاني، ولكنهم يميزون تمييزاً صارماً بين الغرب الرأسمالي و«الغرب» الاشتراكي، ويرون ان السؤال هو عمّن يوضع العلم والتكنولوجيا في خدمته: الاقلية ام الغالبية. ويرون المشكلة في تبعية العرب للغرب الرأسمالي، وخضوع مواردهم للاستغلال الخارجي بمعونة حفنة مستفيدة في الداخل، والحل في

كسر التبعية وممارسة العرب لارادتهم السياسية والاقتصادية المستقلة لمصلحة عامة الناس، ووضع العلم والتكنولوجيا في خدمتهم.

والتراثيون والسلفيون يرون المشكلة في تخلي العرب والمسلمين عن أصول الدين وقواعده، التي هي صالحة للتطبيق اليوم كما كانت دائماً، وفي اتباعهم لفكر مستورد غريب عنهم لا يحقق الخلاص لا في الدنيا ولا في الآخرة، وفي استبدالهم سحر التكنولوجيا الغربية او الماركسية المادية بأوامر الله ونواهيه، وأن الحل هو اقرب للمسلمين مما يتصورون حيث يكمن في التطبيق الصحيح للشريعة.

والتيارات الثلاثة يبادل كل منها الآخَرَيْن بالرفض والاستخفاف. فالعلماني الليبرالي يسخر من اصرار الماركسي على فكرة التبعية والدعوة الى الاستقلال الاقتصادي في عالم لم يعد فيه مجال لاستقلال أمة عن اخرى، ويتهمه باستبدال تبعيته لمعسكر بتبعيته لآخر، ويرفض التضحية بالحريات في سبيل أمل مزعوم في تحقيق المساواة بين من هم بطبيعتهم غير متساوين، كما يرفض الزعم بأن الدولة أكفأ في تعظيم الدخل من الافراد المحكومين بمصالحهم الذاتية.

والعلماني الماركسي يسخر من احتقار الليبرالي للعامة وعزله للأهداف الاقتصادية عن الهدف الاجتماعي، ومن زعم الليبرالي ان التنمية السريعة كفيلة بعموم النفع على الجميع، ويفضل نمواً اكثر بطـأً اذا احسن توزيع ثمراته، ويصـر علـى التمسك بهدف الاستقلال حتى في ظل اكثر الظروف صعوبة، ويتهم الليبرالي بأنه مجرد بوق لمصالح الرأسمالية الدولية التي لا تبغي لنا تقدماً او نهضة، وتشيع بين شعوب الدول الفقيرة انماطاً من السلوك والثقافة هي الثمرة الفاسدة لحضارة رأسمالية آخذة في الانحلال.

والتراثي او السلفي يرى في العلماني الليبرالي والماركسي وجهين لعملة واحدة رديئة. فالاثنان يضخمان هدف التنمية الاقتصادية على حساب الخلاص الروحي، وكلاهما من ثمار حضارة مادية تنكرت للدين الذي لا سعادة للانسان إلّا به، وهما يبحثان عن حلول نبتت في ارض غير ارضنا ولا تخاطب حاجاتنا ولا تتفق وتقاليدنا. فاذا كان في جعبة الليبرالي او الماركسي شيء صالح فهو في تراثنا ايضاً، فلا حاجة بنا الى استلهام مصدر غيره، ولكن في تراثنا كذلك ما تخلو منه او تعاديه الرأسمالية والاشتراكية، ويهيىء لنا سبيل النهضة.

ولكن العلماني الليبرالي والماركسي يبادلان التراثي او السلفي استخفافاً باستخفاف، وإن كانا مع اشتداد عود الحركة السلفية يحاولان تجنب غضب العامة فلا يفصحان دائماً عن حقيقة شعورهما ازاءها. إذ كيف يستقيم، في نظرهما، التمسك بالتراث والدعوة الى التنمية او النهضة؟ إن التراث والتنمية لا يجتمعان، فالتراث قديم ميّت والتنمية هي التجديد. التمسك بالتراث تغنٍّ بأمجاد الماضي والتنمية تخطيط للمستقبل. وهو موقف ميتافيزيقي، والنهضة الحديثة ليس لها اساس إلّا العلم. التمسك بالتراث يؤكد على ما نحوزه ولا يحوزه الآخرون، ومطلب التنمية او النهضة يؤكد على ما نفتقر اليه مما في حوزة الآخرين. والتراث يتكلم عن حاجات روحية قد لا تهم إلا الاقلية المترفة التي اشبعت حاجاتها المادية الاساسية، والتنمية تثير مشكلة الحاجات العاجلة لدى الغالبية من المحرومين. التراثيون يستخفون بمنتجات التكنولوجيا الحديثة، والتنمية قد لا تكون اكثر كثيراً من تطبيق هذه التكنولوجيا الحديثة؛ وهم يتكلمون عن خصوصية موهومة في مواجهة تراث عالمي هو ميراث الانسانية كلها، وعن تقاليد وقيم ثابتة وهي تخضع كأي شيء آخر للتطور مع تغير الظروف الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية.

ما هو المخرج من هذا المأزق؟ أين يكمن الامل في ان يرى اصحاب كل موقف اوجه القوة الحقيقية في كل من الموقفين الآخرَين، وأن يعترف كل منهم بنقاط ضعفه؟

٤ ـ كلنـا تراثيـون ميتافيزيقيون

دعونا نحاول في البداية ان نحمل اصحاب كل من هذه المواقف على الاعتراف بأنهم، شأنهم شأن غيرهم، تراثيون وميتافيزيقيون حتى العظام. لن نجد صعوبة بالطبع في حفز السلفيين على ذلك، فهم يحملون لواء «التراث» ويجدون في ميتافيزيقيتهم مصدر اعتزاز وفخر وليس سبباً للاعتذار. ولكن ليس هذا حال الموقفين الآخرين.

فكل من العلماني الليبرالي والعلماني الماركسي يزعم انه يقدم لنا افكاراً علمية هي ميراث الناس جميعاً، ساهمت في بنائه الانسانية كلها على مراحل تطورها، ولا تحمل بصمات ثقافة او حضارة بعينها اكثر مما تحمل بصمات غيرها. فميراث العلماني الليبرالي او الماركسي هو اذن ميراث مجرد عن خصائص أمة بعينها او نوازعها او طموحاتها، (او هكذا قالوا)، وهو ميراثنا كما هو ميراث غيرنا. انه ثمرة تقدم العقل البشري، صادف ان ساهمت فيه اوروبا بأكبر نصيب، ولكنه ليس بسبب ذلك تراث اوروبا وحدها بالمعنى نفسه الذي نعتبر به الشعر العربي او المعمار الاسلامي مثلاً تراثاً عربياً او اسلامياً. هذا التراث الانساني متاح أمامنا، علينا ان ننهل منه من دون تردد او تعصب، فهو مجرد عن ظروف الزمان والمكان. وقد ساهم العرب على اية حال فيه بنصيب، فلا معنى للتوجس، او التردد في الافادة، منه.

والذي يدعو العلماني الليبرالي او الماركسي الى الاخذ عنه والاستزادة منه ليس هو على اي حال آداب الغرب او فنونه او قيمه او انماط سلوكه، فهذه بالفعل قد تحمل بصمات الثقافة التي نشأت في ظلها، وانما الذي يدعـوان إليه هو النتاج العلمي الطبيعي او الاجتماعي، وهو نتاج محايد مجرد من الاحكام القيمية والميتافيزيقية، ومن ثم يصلح للعربي او المسلم صلاحيته للأوروبي او الامريكي. ليس هناك اذن في نظر العلماني الليبرالي غير علم طبيعي واحد وتكنولوجيا واحدة، الاحدث منهما يجبّ الاقدم ويلغيه، كما انه ليس هناك في نظر العلماني الماركسي غير علم اجتماع واحد، يحدد قوانين تطور المجتمعات المتقدم والمتخلف منها على السواء.

وفي رأيي ان اصحاب الموقف العلماني بشقيه قد غالَوْا في ادعاء العلمية والموضوعية والعمومية الى درجة الشطط. إن من السهل انتقاد الماركسيين المتعصبين من الزاوية نفسها التي يوجهون هم اتهامهم منها الى السلفيين المتزمتين، وان نلفت النظر الى الشبه بين تقديس اولئك للنصوص الماركسية والتراث الماركسي وترديدهم للكليشيهات الماركسية المحفوظة، وبين تقديس السلفيين لتـراثهم ونصوصهم. ولكن الامر لا يقتصر على مجرد الالتزام الحرفي بالنصوص وفقدان الروح النقدية في معاملة التراث، بل يتعدى ذلك الى امكان وصف كثير من المواقف الماركسية بالميتافيزيقية، بمعنى الالتجاء الى اصدار الاحكام الغيبية او القيمية التي لا يمكن الجزم بصحتها او خطئها بالرجوع الى الواقع.

إن من الممكن الزعم مثلاً بأن الفلسفة المادية الماركسية هي على قدم المساواة مع الموقف الديني من حيث اعتماد كل منهما على موقف ميتافيزيقي مسبق من قضية اسبقية المادة على الفكر او الفكر على المادة. ومن الممكن ايضاً الزعم بأن كثيراً من الافكار الفلسفية الماركسية عن التناقض وحتمية الصراع والتطور الكمّي والكيفي، وإن كانت تقدم نظرة خصبة ومثيرة الى العالم والتاريخ، فهي لا تزيد عن كونها

نظرة خاصة الى الواقع ليس هناك اي سند علمي لها، وقد تكون اقرب الى الشعر منها الى العلم. والماركسية وإن كانت قد قدمت خدمة جليلة بتأكيدها على اهمية العامل الاقتصادي في التاريخ رددت تحيزاتها الخاصة وهي تقسم التاريخ الى مراحل حتمية، او هي تحاول فرض مفهوم جامد للاستغلال والقهر على كل مراحل التاريخ السابقة او اللاحقة. لا نريد ان نغمط الماركسية فضلها في كل هذه المجالات، ولكننا نريد فقط ان نؤكد على أنها، سواء في الفلسفة او التاريخ او الاقتصاد، قد التزمت بأحكام قيمية مسبقة صادرة عن موقف اخلاقي او سياسي قد نشاركها فيه او لا نشاركها، ولكننا لا يمكن الزعم بأنه جاء نتيجةً حتمية لاستقرار صارم للواقع. للماركسية اذن ألف سبب للتردد قبل ان توجه سخريتها الى السلفيين والتراثيين والميتافيزيقيين، فهي بدورها سلفية وتراثية وميتافيزيقية، وسر جاذبيتها ليس هو بالضبط التزامها الصارم بالروح العلمية بل موقفها الاخلاقي والسياسي المناصر للغالبية من بسطاء الناس.

إن من الممكن توجيه الانتقاد نفسه الى العلماني الليبرالي على الرغم من زهوه المفرط بتخلصه من غيبيات الدين والماركسية على السواء. ففي مجال «العلوم» الاجتماعية والانسانية يحق للمرء ان يتساءل عن مدى نجاح التراث الغربي في التخلص من الاحكام المسبقة التي لا سند لها من العلم، وعمّا إذا كان يدأب على تقديم ثمرات أحكامه وقيمه النابعة من ثقافة الغرب الخاصة ونظرته الخاصة الى الله والانسان والطبيعة، وكأنها ثمرات تقدم الفكر الانساني المجرَّد. على اي اساس من العلم مثلاً يستند الفصل الذي أجراه ميكيافيللي بين السياسة والاخلاق، او التقليد الديمقراطي الغربي في اعتبار الناس جميعاً متساوين بالطبيعة، وأن للفرد الواحد صوتاً واحداً بصرف النظر عن دخله او مركزه الاجتماعي، او أن حق الملكية الفردية لا يجوز المساس به، او ان حق الفرد في استهلاك ما يشاء لا يجوز تقييده، وأن حق المنتج في تكييف رغبات المستهلكين لا يجوز تقييده ايضاً؟ وعلى اي اساس من العلم يستند تبني الدولة لهدف تعظيم معدل النمو، او انتاج الطائرة الاسرع من الصوت، او غزو الفضاء قبل سد بعض الحاجات الاساسية؟ وما هو الاساس العلمي للاعتقاد بأن التكنولوجيا الحديثة كفيلة بحل المشكلات الناجمة عن التكنولوجيا القديمة وأن تاريخ الانسان هو تاريخ التقدم البشري وأن كل مرحلة تاريخية هي بالضرورة «اعلى» من سابقتها، وأنه كلما ازدادت درجة اليقين في التنبؤ بالمستقبل ازدادت سعادة الانسان، وأنه كلما اتسع نطاق حرية الاختيار المتاحة للفرد ازدادت رفاهيته؟ على اي اساس من العلم ايضاً تستند فلسفة التربية الغربية القائمة على اتاحة اكبر قدر من الحرية للطفل في التعبير عن اهوائه، وتنمية روح الاستقلال لديه، او اعتبار زيادة ساعات الفراغ الموجهة لممارسة النشاط الرياضي او حتى لمجرد تشجيعه، اكثر تحقيقاً للرفاهية بالضرورة من القيام بنشاط انتاجي؟ او اعتبار النفع المادي المتولد عن تطبيق التكنولوجيا الحديثة اكبر، بالضرورة، من اي خسارة اجتماعية او نفسية قد تترتب عليه؟ ان من الممكن مضاعفة هذه الامثلة الى ما لا نهاية للتدليل على ان ما يقدم الينا على انه من ثمرات التقدم العلمي او من سمات مرحلة «اعلى» من التطور لا يزيد في كثير من الاحيان على ان يكون تعبيرات عن مواقف اخلاقية او قيمية او ميتافيزيقية ليس لها ادنى صلة بالعلم. ولكن المفتونين بحضارة الغرب يصرون مع ذلك على نقل كل ذلك باسم نقل «العلم الغربي والتكنولوجيا الغربية»، وهم بهذا لا ينقلون ثمرات التقدم البشري بل تراثاً خاصاً جداً لثقافة بعينها. انهم لا يضحّون بالتراث من اجل العلم، وانما فقط يستبدلون تراثاً بتراث.

إن العلمانيين الليبراليين والماركسيين يسخرون من التراثي السلفي عندما يدعو الى تطبيق الشريعة، فيزعمون بضرورة فصل الدين عن الدولة. ولكنهم هم لم يفعلوا ذلك قط. فمن يستطيع الزعم

ان الدولة التي تحمل لواء الماركسية تخلت عن سيطرة الغيبيات الماركسية على الدولة: سياسة وقوانين وثقافة؟ والليبرالية الغربية ليست اسعد حظاً وإن كانت اكثر ادعاء، فتقديس العلم والتكنولوجيا المتقدمة قد تحول في الدول الليبرالية الى دين وميتافيزيقيا، لها كهنتها وطقوسها التي يقبلها الناس كبديهيات ولا يسمح لأحد، او لا يسمح احد لنفسه، بالخروج عليها. فتوليد الطاقة النووية يغضّ البصر عن كل اخطاره في سبيل مغانمه المادية، والبطالة تهون في سبيل مضاعفة الانتاج، وما لا يمكن قياسه وحسابه يخضع لقياس صوري في حساب المنافع والنفقات لكي تعطى بركة العلم لمشروعات يراد ـ بناء على حكم مسبق، ومصالح خاصة ـ تنفيذها. وشعوذة المحللين النفسيين تغتفر باسم العلم، وتقحم الرياضيات على علوم قديمة وحديثة لإضفاء صفة القدسية على بحوث بالغة التفاهة، وتبدد ملايين الجنيهات او الدولارات لتمويل بحوث تدّعي القدرة على التنبؤ بالمستقبل وهي تنتسب الى اعمال التنجيم بأكثر مما تنتسب الى العلم، والآثار الجانبية للأدوية وأخطار التلوث تُتَحمَّل تحت شعار الامل في مزيد من الاحكام والسيطرة على المستقبل، والعلوم الطبيعية تفرض على التلاميذ في المدارس على حساب الآداب والانسانيات باسم التقدم العلمي. وتطرح كل هذه القضايا في ديمقراطية صورية (أو لا تطرح على الاطلاق) بينما الاحكام صادرة مقدماً، وكل وسائل الاعلام مكرسة لترسيخ الاعتقاد بصحتها.

إن من حق التراثي السلفي ان يرد على من يدعوه الى فصل الدين عن الدولة بأن على الآخرين، ان استطاعوا، ان يفصلوا دولتهم ايضاً عن ديانتهم الجديدة، وأن ديانتهم ليست بأفضل من ديانتنا.

إن ما اذهب اليه من القول بأننا «كلنا تراثيون وميتافيزيقيون»، بما في ذلك الزاعمون بالموضوعية المطلقة للعلم الغربي وحياد التكنولوجيا وعلمية الماركسية، ليس القصد منه «تحقير» الجميع، بل هو دعوة الى الاعتراف بأن التمسك بالتراث، اي تراث، والالتزام بموقف ميتافيزيقي، اياً كان نوعه، هو موقف انساني لا مفر منه، وأنه قدر كل منا المحتوم، ولا يجوز لنا التشدق بعكس ذلك.

«إن الناس يمكن ان يعبدوا الحيوانات، او الاشجار، او الاصنام، او الذهب، او الحجر، او إلٰهاً غيرَ مرئيّ، او قديساً زاهداً او زعيماً داهية. انهم قد يعبدون اسلافهم او أمتهم او طبقتهم او حزبهم. قد يعبدون المال او النجاح. وديانتهم قد تؤدي الى اشاعة المحبة بينهم وقد تقضي عليها، قد تؤدي بهم الى الخنوع والخضوع او الى التضامن والتعاضد. قد تؤدي الى تنمية قدرتهم على التفكير الرشيد او تشلّها. وقد يكون الناس على وعي بأنهم مؤمنون بعقيدة تنتمي الى ما وراء الواقع المحسوس ولكنهم قد يظنون ان لا ديانة لهم، ويفسرون هذا الشعور بالولاء والانتماء والانصياع لما يظنونه أهدافاً دنيوية، كالسلطة او المال او النجاح، على انه مجرد انكباب على ما هو عملي وملائم ونافع. إن المسألة ليست مسألة: دين او لا دين؟ بل اي نوع من الدين؟ أهو دين يشجع على النمو الانساني واطلاق عقال القدرات التي يمتاز بها الانسان وحده، ام يشل هذا النمو ويقف في سبيله»[1].

هكذا يكتب بحق ايريك فروم، وهو يقدم لنا ايضاً التفسير الشيق التالي لحتمية الميتافيزيقيا، وان لم يكن يسميها هذا الاسم: «... ان الجنس البشري يمكن تحديد نشأته بتلك المرحلة من مراحل التطور التي بلغت عندها النزعات الفطرية حدها الادنى وبلغ تطور المخ حده الاقصى. إن هذه التركيبة من حد ادنى من النزعات الفطرية وحد أقصى من تطور المخ، لم تحدث قط في مراحل التطور السابقة، وشكل ظهورها، من الناحية البيولوجية، ظاهرة جديدة كل الجدة. وقد أدى هذا الافتقار الى القدرة على التصرف بدافع الغرائز مع امتلاك القدرة، في الوقت نفسه، على الوعي بالذات، وعلى التفكير والتخيّل... الى احتياج الجنس البشري من اجل استمرار بقائه الى أن يكون له «مركز توجه» او «موضوعاً

---

(١) Erich Fromm, *To Have or to Be* (London: Abacus, 1979), p. 135.

للولاء». فبدون «خريطة» للعالم الطبيعي والاجتماعي الذي نعيش فيه، او صورة للعالم يتحدد مركزنا فيها، وذات بناء محدد ومتسق، يصاب الناس بالاضطراب التام، ويفقدون القدرة على التصرف تصرفات متسقة وذات هدف، اذ من دون مثل هذه «الخريطة» لا يمكن لأحد ان يحدد اتجاهه، او ان يعثر على نقطة ثابتة تسمح له بتنظيم وترتيب كل انطباعاته التي تفد اليه من العالم الخارجي. إن العالم لا يكتسب معنى بالنسبة لنا، ولا يمكن ان نشعر بأن افكارنا عنه يقينية، إلّا من خلال اجماع من حولنا. قد تكون هذه «الخريطة» خاطئة، ولكنها تحقق بالرغم من ذلك وظيفتها النفسية. على ان هذه «الخريطة» لم يحدث قط أن كانت خاطئة تماماً ولا صائبة تماماً. لقد كانت دائماً خطوة تقريبية فقط ولكن بدرجة كافية، لتفسير ما يحيط بنا من ظواهر وتضمن لنا استمرارنا في الحياة... إن الحقيقة الملفتة للنظر هي انه ليس هناك من ثقافة culture خلت من «مركز التوجه» هذا الذي نتحدث عنه، وهذا القول صحيح ايضاً بالنسبة للأفراد. إنك كثيراً ما تجد من الافراد من يزعم انه ليس لديه مثل هذا التصور الشامل للحياة او العالم، ومن تعتقدون انهم يتصرفون ازاء كل ظاهرة او حادثة من حوادث الحياة، حالة بحالة، على النحو الذي يهديهم اليه عقلهم. ولكن من السهل ان نبيّن ان هؤلاء انما فقط يأخذون فلسفتهم في الحياة كبديهية من البديهيات، لأنها في نظرهم ليست إلّا «المنطق السليم» وحده، وهم لا يعون ولا يدركون ان كل افكارهم انما تستند في الحقيقة الى اساس مشترك وشائع في مجتمعهم له «مركز توجه» واحد. إن هؤلاء الاشخاص تجدهم اذا ووجهوا بنظرة الى الحياة مخالفة تماماً لنظرتهم، يصفونها بأنها «جنونية» او «لا عقلانية» او «طفولية»، بينما يعتبرون أنفسهم انهم لم يفكروا إلا بالمنطق...»[٢].

٥ ـ كلنـا ايضاً مقلّدون

ليس في تبني موقف ميتافيزيقي اذن ما يستوجب الاعتذار. وانما الذي يستوجب الاعتذار هو أننا كلنا، فضلاً عن ذلك، مقلّدون. وهنا ايضاً نجد ان التهمة الموجهة الى السلفيين هي تهمة ظالمة، لا لأنهم لا يستحقونها ولكن لأن الذين يوجهونها اليهم هم ايضاً مقلّدون وسلفيون، وإن كان «السلف الصالح» في حالة هؤلاء كلهم من الاوروبيين.

إن معاملة الماركسيين للنصوص الاساسية في الماركسية لا تحتاج الى افاضة، حتى ولو كانت هذه النصوص غاية في الركاكة او الغموض او عدم الملاءمة للسياق الذي تستخدم فيه. والقدسية التي يضفيها الماركسيون على زعمائهم لا تقل عن تلك التي يضفيها المسمّون بالسلفيين على الانبياء والصحابة. وأية محاولة للخروج على قواعد الماركسية الاساسية تعامل معاملة البدع والضلالات. وزعمُ السلفيين بملاءمة نصوصهم لكل زمان ومكان، ومحاولة اعطاء النصوص معاني تخالف مخالفة صريحة لظاهرها، يقابله زعم مماثل من جانب الماركسيين. والماركسية تبدو في كتابات الماركسيين، كما يقول سارتر: «وكأن كلامهم يعيد اختراعها في كتاباته، واذا بالماركسية هي هي لا تزيد حرفاً»[٣].

ولكن التقليد الاعمى لا يقتصر بأي حال على العلمانيين من الماركسيين. فأتباع العلمانية الليبرالية، وان كانوا اكثر جرأة في تعاملهم مع نصوص مفكري اليونان او عصر النهضة او عصر التنوير او اقطاب الفكر الغربي الحديث، يقدمون كل ذلك الينا على انه صالح لنا بمقدار صلاحيته لأهله وعصره. والعصور الوسيطة او المظلمة في نظر اوروبا تصبح لدينا ايضاً عصوراً وسيطة او مظلمة مع اننا لا نعرف عصراً اكثر ضياء منها ولا نعرف بالضبط ما الذي تتوسطه من تاريخنا. وعصور التنوير والنهضة لدينا تحسب بدايتها من بداية اتصالنا بالغرب، ويقدَّر كتّابنا ومصلحونا او يخسف قَدْرهم

---

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٣) Jean Paul Sartre, *The Problem of Method*, trans. from the French with an introduction by Hazel E. Barnes (London: Methuen, 1963), pp. 50 - 51.

بمقدار تشربهم بحضارة الغرب. وما يعتبره الغرب دراً ادبية وفنية، ليس فقط لبراعة فنه وانما ايضاً لاتفاقه مع تقاليد الحضارة التي نشأ فيها وأذواقها، نطالب نحن ايضاً باعتباره دراً ادبية وفنية مع تضاربه الصارخ مع مزاجنا ونمط حياتنا، ونطالب بتغيير مزاجنا وأذواقنا نفسها حتى نستسيغ هذه الدرر. وتقسيم الاقتصاديين وعلماء الاجتماع للتطور الاقتصادي او الاجتماعي الى مراحل طبقاً لما حدث في الغرب، يصلح تقسيماً لنمونا الاقتصادي والاجتماعي ايضاً. وما يمكن قياسه في الغرب يتعين علينا محاولة قياسه في مجتمعاتنا ايضاً مهما كان ذلك مستعصياً. والآلات ووسائل الانتاج وسبل المواصلات وانماط السلع وأحجام المدن التي نشأت استجابة لحاجات الغرب الخاصة في لحظات تاريخية معينة تنقل الينا، دون وعي بمدى حاجتنا اليها او ملاءمتها للبيئة التي نعيش فيها. فاذا لم يكن هذا هو التقليد الاعمى فماذا يكون؟ وأين من هذا دعوة السلفيين الى اتباع السنّة او اقتفاء اثر الصحابة إلا ان هؤلاء يقرون بسلفيتهم ويعتزون بدعوتهم الى التقليد حيث يزعم الآخرون بأنهم «عصريون» يستوحون حاجات العصر ومتطلباته، في حين ان ما يسمونه بحاجات العصر وتطلعاته قد فرض هو نفسه عليهم كما فرضت عليهم اساليب الوفاء بها.

فاذا كنا جميعاً حقاً تراثيين وميتافيزيقيين ومقلّدين، فمن أين تأتي احدنا الجرأة ان يرمي الآخرين بحجر؟ انما يحق ذلك فقط لصاحب الفكر المبدع، الذي يستلهم حاجات وطنه وعصره، كما يحددها ابناء هذا الوطن في هذا العصر، ويدين بالولاء للميتافيزيقيا، او نظام القيم والمعتقدات، التي يدين بالولاء لها ابناء قومه، ولكنه لا يستقي من تراثه ولا من تراث الآخرين إلّا ما كان مساعداً على نهضة أمته.

اذا كان الامر كذلك فاننا مضطرون للاعتراف بأنه لا يبدو لنا اي تيار من التيارات الاصلاحية الثلاثة المطروحة على ساحة الفكر العربي اليوم جديراً بهذا الوصف. فالعلماني الليبرالي الذي يتصور انه يدعو «للمعاصرة» ويستجيب لحاجات العصر لا يسمح لخياله قط بأن يتصور حاجات وأساليب لاشباعها تختلف عمّا تفتق عنه خيال الغرب وتجربته، سواء تعلق ذلك بأساليب الحكم او نمط التنمية او انماط السلوك والعلاقات الاجتماعية. والعلماني الماركسي لا يختلف في الحقيقة عنه إلّا في موقفه من قضية توزيع الدخل وملكية وسائل الانتاج، ومن ثم يبدو عاجزاً بدوره عن تصور نمط مختلف للتنمية. وكأن اقصى مُناه ان يكرر العرب تجربة الغرب في تحقيق نهضة صناعية من دون ان تقترن بظلم في التوزيع. وكلاهما ينظر الى نظام القيم والمعتقدات الذي تتبنّاه شعوبهم إما على أنه معوق للنهضة او على انه من الاثريات الجديرة بالعرض في المتاحف.

أما التيار السلفي او التراثي، فانه وإن كان مرشحاً للابداع اكثر من غيره، بحكم ثقته بتراث أمته واعتزازه به ونفوره الطبيعي من تقليد الاجنبي، فإنه يبدو لنا وكأنه يضيع فرصته الذهبية في تحقيق هذا الابداع.

فالغالبية العظمى من دُعاة التمسك بالتراث في الوقت الحاضر يفهمون التراث فهماً يكاد ان يكون النقيض التام للمفهوم الضروري لإحداث النهضة. فهم تارة يحاولون ان يقحموا على التراث معاني عصرية هو بريء منها، فيسيئون اليه اذ يظنون انهم يحسنون به. إذ انه اذا صح ان قيمة التراث هي في مجاراته للاشتراكية او الليبرالية، او في تنبؤاته بمنجزات العلم الحديث، او في سبقه لهذه النظرية الغربية او تلك، فلماذا اضاعة الوقت في حديث مجمل مبهم، حيث يوجد البحث المفصل الدقيق في التراث الغربي الحديث؟ وهم تارة يصرّون على ان كل ما صلح به الماضي لا بد من ان يصلح به ايضاً

الحاضر والمستقبل، ناسين ان هذا يصح فقط طالما ظل التراث قوة مؤثرة في حياة الناس ومنظماً لقواعدها، يتطور فهمهم له مع تطور انماط حياتهم وسلوكهم، فلا يمثل هذا التطور خروجاً على التراث بل اثراء مستمراً له. فما بالك وقد حدث ذلك الانقطاع الرهيب بين العرب والمسلمين وبين تراثهم، ووضعوه هم في المتاحف حتى قبل ان تجبرهم موجات التغريب على ذلك؟ ان هذا الانقطاع الطويل بين حياة العرب الواقعية وبين تراثهم لا بد من ان يكون له ثمن، لا يتمثل في طرحه والاستغناء عنه كما يزعم العلمانيون، وانما في ضرورة البحث عن صيغة عبقرية، من النوع الذي حاوله الشيخ محمد عبده، تحاول وصل ما انقطع من دون ان تتجاهل مشكلات العصر، ولكن ايضاً من دون ان تتنكر للتراث او تستخف به.

إن هذين الموقفين الساذجين اللذين يتخذهما كثير من السلفيين: محاولة اسباغ معان عصرية على التراث لا يحتملها ولا تحتمله، او محاولة تجاهل مشكلات العصر تجاهلاً تاماً والتظاهر بعدم وجودها، هما اللذان جلبا على السلفي، هذا الاستخفاف وسوء الظن من جانب العلمانيين. فهو بهذا يبدو لهم لا كطالب نهضة، وانما كمعوق لها، لا تستحثه الرغبة في انتشال العرب او المسلمين مما هم فيه من تردٍّ وسوء حال، بقدر ما يحكمه حماس عاطفي لفترة ذهبية من التاريخ، يهيء له الولاء لها راحة نفسية وخلاصاً فردياً.

٦ ـ معنى التراث لطالبي النهضة

فطالب التنمية او النهضة او الإبداع لا ينظر الى التراث كنهاية المطاف بل كنقطة للبداية. كما كان هذا التراث نفسه نقطة بداية رائعة لبناء حضارة إبّان نهضتهم الاولى، وكما كان تراث الاوروبيين نقطة بداية لعصر النهضة الاوروبية، وكما يحاول الصينيون اليوم استلهام تراثهم لبناء نهضتهم الجديدة. ولو اعتبر العرب في القرون الخمسة الاولى التالية للهجرة، عصر الرسول والصحابة نهاية المطاف ونهاية الكمال في تنظيم امور دولتهم، ما شيدوا مدينة ولا طوروا علوماً ولا ابتدعوا فلسفة ولا بنوا معماراً. ولكنهم ايضاً لم يدشنوا حضارتهم الجديدة بالوقوف لإعلان استخفافهم بالماضي والحاجة الى تعطيل التراث او الخروج عليه. فلو فعلوا، كما يفعل ـ بنا العلمانيون اليوم، لعجزوا ايضاً، كعجزنا، عن تشييد مدينة وبناء حضارة. وانما كان القرآن وتراث النبي والصحابة نقطة بداية لكل علومهم وفلسفاتهم وآدابهم. فاذا كانوا قد اخذوا عن الآخرين واستقوْا منهم بعض علومهم، فانهم لم يسمحوا لأنفسهم قط بأن يشككوا في صلاحية التراث لاستيعاب كل ذلك.

وطالب التنمية او النهضة لا ينظر الى التراث وكأنه يشمل الدين وحده، ولا الاسلام وحده، اذ ان معنى التراث لطالب النهضة يجب ان يتحدد وفقاً لنوع الخطر الذي يهدد هذه النهضة ويعوق تحققها. والذي يتعرض للتهديد اليوم ليس هو بالضبط ما كان يتعرض للتهديد ايام الحروب الصليبية مثلاً، بل هو جماع مقومات هذه الامة وثقافتها وقيمها، والدين ليس الا واحداً من هذه المقومات وان كان اهم ينبوع من ينابيعها. والقبطي المصري، والمسيحي اللبناني، يتعرضان للتهديد نفسه الذي يتعرض له المسلم، وقد دخل الاسلام في تشكيل ثقافة كل منهما وقيمه بما لا يقل عن دوره في تشكيل ثقافة المسلم وقيمه. ليس هذا الموقف مجرد موقف توفيقي يحاول جمع الصفوف وتعبئة الجهد من الجميع، ولكنه محاولة لحماية التيار التراثي من الوقوع في عزلة قاتلة ومن التعصب والتقوقع داخل الذات، كما انه محاولة لحماية قيم اصيلة تتجاوز نطاق الدين ولكنها تمثل ايضاً عناصر اساسية في ثقافتنا القومية. فإذا قيل إن التعصب هو نفسه شرط من شروط النهضة، ومحاولة ارضاء الجميع لا بد من ان تنتهي بميوعة الهدف واهدار القضية، اجبت بأن حضارة العرب إبّان ازدهارها استطاعت ان تقدم هذه

الصيغة المثلى التي تجمع بين التعصب والتسامح، وانها فتحت صدرها لمساهمات رفيعة من اشخاص من مختلف الاديان والملل، ولم يفتّ هذا في عضد الحضارة العربية بل زادها ثراء، كما انه لم يضعف من تعصب المسلم لدينه وتسليمه بصحته.

وطالب التنمية او النهضة ليس بحاجة الى الزعم بأن تراثه هو اسمى تراث عرفته البشرية، وأنه في كل ميدان من الميادين قد تفوّق على غيره. فالاعتزاز بالنفس ليس من شروطه الاعتقاد بأنك اسمى الناس جميعاً، ولكنه يشترط فقط اعتزازك باختلافك عن الآخرين والاعتقاد بحقك في هذا الاختلاف. فاعتقاد العلماني الساذج بتفوق الآداب والفنون الغربية على الآداب والفنون العربية او الاسلامية، وبتفوق أنماط السلوك الغربية على انماط سلوكنا، يقابله اعتقاد السلفي الساذج بأن العكس دائماً هو الصحيح. فيزعم مثلاً ان تراثنا يحقق التوازن الامثل بين المادية والروحانية، او ان ديمقراطيتنا هي الديمقراطية المثلى، او ان عدالتنا الاجتماعية ارقى اصناف العدالة. إن مثل هذا القول لا هو صحيح بالضرورة ولا نحن بحاجة اليه. وانما نحتاج الى التمسك باختياراتنا القيمية ليس لأنها افضل الاختيارات لأي شعب وفي اي عصر، بل لمجرد انها اختياراتنا نحن اكثر اتفاقاً مع واقعنا او طباعنا.

إن نظرة طالب النهضة الى التراث تتطلب الا يعتبر كل الدين «تراثاً». الاسلام بالطبع هو من تراثي كمسلم، ولكن ليس كل ما طرأ على الاسلام من تطور عبر تاريخه الطويل ومن مختلف الاقطار والثقافات، هو من تراثنا كأمة. إن تاريخ امي وأبي هو جزء من تراثي وتكويني العقلي والنفسي، ولكن لا احد يحق له مطالبتي بأن أدخل كل تجارب أمي وأبي في مكونات مستقبلي. إن التراث المطلوب التمسك به كنقطة انطلاق للمستقبل ليس هو القواعد القانونية المنظمة لسلوك الناس، بل ولا القواعد الاخلاقية التي تتطور مع الزمن وتختلف من بيئة لأخرى، وإنما هو الثابت من القيم التي انبثقت عنها هذه القواعد، والتي استعصى على الزمن وتطوُّر الظروف تغييرها. فأنا اخون تراث ابي وأمي اذا تنكرت للغتي القومية مثلاً، ولكن لا أخونه اذا صرفت النظر عن بعض انماط سلوكهما وعاداتهما. إن التراث المطلوب التمسك به لإحداث النهضة هو فقط ذلك الجزء الحي من التاريخ الذي ما زال يدخل في تكويننا النفسي والخلقي، ومن ثم يتجاوز التراث الديني ولا يشمله كله.

ليس من المفيد اذن طرح قضية الموقف من التراث على انها قضية اختيار بين «الوافد والموروث». فالوافد في فترة ما قد يكون الآن من تراثي، وان كان اصلاً من تراث غيري، وليس كل ما خلّفه له الماضي جزءاً من «تراثي»، وان كان اصلاً من تراث اجدادي، بل القضية هي قضية الاختيار بين التقليد والابداع. والتقليد مرفوض سواء كان للوافد او الموروث، وان كان الابداع لا يمكن ان ينطلق الا من التراث.

٧ ـ لماذا كان احترام التراث شرطاً لابتداع نمط جديد للتنمية؟

إن لديّ سببين على الاقل للاعتقاد بأن احترام التراث شرط من شروط الابداع. الاول يكاد ان يكون بديهياً. فالتراث بالمعنى الذي حاولنا تحديده، حيث لا يشير الى الماضي برمته ولا يستبعد الحاضر برمته، لا يزيد كثيراً او يقل كثيراً عن جماع مقومات شخصية الامة التي تحاول النهوض. ومن ثم فانّ احترام الامة لتراثها هو احترامها لذاتها، والاستخفاف بالتراث هو الاستخفاف بالنفس. والأمة التي لا تكف عن تحقير ذاتها في مقارنة مستمرة بالآخرين، شأنها في ذلك شأن الفرد، لا يمكن في احسن الاحوال الا ان تكون «مقلداً كفواً» ولكنها تفقد قدرتها على الابداع.

«... ان هذا الميل في النفس الى انكار الانسان لماضيه واعترافه بأن آباءه كانوا سافلين، وانه هو يريد ان يبرأ منهم، لا يصدر الا عن الفسل الخسيس، الوضيع النفس، او عن الذي يشعر انه في وسط قومه دنيء الاصل، فيسعى هو في انكار اصل امته بأسرها، لأنه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الاصالة، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية التي جعلت في كل امة ميلاً طبيعياً للاحتفاظ بمقوماتها ومشخّصاتها من لغة وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك إلا ما ثبت ضرره»(٤).

ويقول شكيب ارسلان ايضاً:

«لماذا ترى اعظم شبان اليهود رقياً عصرياً يجاهدون في إحياء اللغة العبرية التي لا يعرف مبدأ تاريخها لتوغلها في القدم، ولا يقال عنهم انهم رجعيون ومتأخرون وقهقريون؟... (وهم) اشد الناس اخذاً بمبادىء العلم الحديث والحضارة العصرية... كل قوم يعتصمون بدينهم ومقومات ملّتهم ومشخصات قومهم الموروثة ولا ينبذون بهذه الالقاب الا المسلمين!... جميع هؤلاء الخلائق تعلموا وتقدموا وترقوْا وعلوْا وطاروا في السماء، والمسيحي منهم باق على انجيله وتقاليده الكنسية، واليهودي باق على وثنه وأرزه المقدس، وكل حزب فرح بما لديه، وهذا المسلم المسكين يستحيل ان يترقى الا اذا رمى بقرآنه وعقيدته وماخذه ومتاركه ومنازعه ومشاربه ولباسه وفراشه وطعامه وشرابه وأدبه وطربه... وهؤلاء اليابانيون هم وثنيون... فلا كانت الوثنية سبب تأخرهم الماضي ولا هي سبب تقدمهم الحاضر. واعتقاد عامتهم في وجود حصان مقدس يركبه الاله فلان لم يقف حائلاً دون تقدمهم... ليست الدبابات والطيارات والرشاشات هي التي تبعث العزائم وتوقد نيران الحمية في صفوف البشر، بل الحمية والعزيمة والنجدة هي التي تأتي بالطيارات والدبابات ...»(٥).

وأما السبب الثاني فهو ان من الخطأ الفادح التهوين من اثر الاستخفاف بالاشكال او الطقوس وطرق التعبير بدعوى ان المهم هو «المضمون» او «المحتوى»، فالتضحية بالشكل كثيراً ما تؤدي الى التضحية بالمضمون وتقليد الشكل كثيراً ما ينتهي الى تقليد المضمون. فالادعاء بأن المهم هو مضمون العلم وليس اللغة التي يكتب او يدرس بها، ادعاء غير صحيح، لأن التضحية باللّغة القومية في التعبير يؤدي في النهاية الى التضحية بطريقة كاملة في التفكير ونظرة عامة للحياة، ويطرح من الاسئلة ما لم يكن ليطرح، ويضيّع من القضايا ما كان ليضيع. والادعاء بأن الزيّ ليس الا مجرد شكل من اشكال اتقاء آثار الجو، والمعمار ليس الا اسلوباً من اساليب السكن، والسيارة ليست الا وسيلة من وسائل الانتقال، والتلفزيون ليس الا وسيلة للاتصال، وان من الممكن ان نستعير كل ذلك من الغرب مع الاحتفاظ بحريتنا في التعبير عن النفس، هذا الادعاء مرفوض من اساسه لأن الوسيلة هي نفسها جزء من المضمون، «ونوع الوسيط يحدد نوع الرسالة التي يحملها». ان من المستحيل ان تنقل آداب المائدة الغربية دون ان يتغير نوع الطعام الذي تتناوله بل والعلاقات الدائرة بين متناوليه، والسيارة الخاصة تحتم شكلاً من اشكال المدن والعلاقات الاجتماعية، والتلفزيون يفرض علينا نمطاً كاملاً من انماط الحياة. إن التخلي عن الطقوس التي قد لا يبدو لها اي مبرر «عقلاني»، ينتهي بالتخلي عن الشخصية الذاتية، ونقل طقوس الآخرين ينتهي بنقل افكارهم ويشل القدرة على ابتداع افكار جديدة.

٨ ـ كيف يكون التراث مصدراً للابداع؟

اذا كان هذا صحيحاً، فإن من الخطأ ايضاً الاعتقاد بأن استلهام التراث من اجل الابداع معناه ترديد **المضمون** الذي احتواه التراث القديم. فالتمسك بالتراث من اجل الابداع لا يجب ابداً ان يفهم

---

(٤) شكيب ارسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥)، ص ٨٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ٧٩، ٩٨ ـ ٩٩ و ١٣٠ ـ ١٣١.

على انه استبدال نظرية عربية قديمة بنظرية غربية حديثة لمجرد ان تلك غربية وهذه من التراث. فالبحث عن نظرية في القيمة او الاستغلال او النمو الاقتصادي عند ابن خلدون مثلاً، بهدف إحلالها محل نظريات الاقتصاديين الغربيين عمل عقيم لا نفع فيه، لا لأن ابن خلدون كان اقل منهم عبقرية، ولكن لأن احترام التراث لا يجب ان يعني ابداً «تفضيل» نظريات عربية لمجرد انها عربية بصرف النظر عن مدى شمولها، او دقتها في وصف او تحليل الواقع. فمضمون النظريات ليس هو بالضبط «التراث» الذي نتكلم عنه، وانما يتعلق التراث «بالشكل» او «الاسلوب» اكثر مما يتعلق بالمضمون. ومن الخطأ، مع ذلك، التقليل من شأن هذا «الشكل» او «الاسلوب»، فهو يشمل كل البدايات الميتافيزيقية لأي بحث، وهو يشمل نوع الافتراضات والمسلّمات التي يستند اليها اي علم، ويشمل نوع الاسئلة المطروحة لا نوع الاجابة عليها. حينما نقول اذن بأن التراث هو المصدر الوحيد للابداع فانما نقصد بذلك انك لا تستطيع تقديم اجابة جديدة حقاً الا اذا التزمت بموقف ميتافيزيقي مختلف، او غيّرت الافتراضات والمسلمّات التي تصدر عنها، او طرحت اسئلة لم تطرح من قبل.

إن من المستحيل على الاقتصادي العربي مثلاً، ان يلتزم بميتافيزيقا علم الاقتصاد الغربي، ومقدماته ومسلّماته وأسئلته نفسها، ثم يحاول ان يقدم اجابات جديدة او حلاً مبدعاً. إن تحديد المشكلة الاقتصادية مثلاً، على انها مشكلة «ندرة»، او مشكلة التوفيق بين الموارد المحدودة والحاجات غير المحدودة، على النحو الذي حددها به الاقتصادي الغربي، لا بد من ان يفضي الى مختلف النماذج التي يستخدمها الاقتصادي الغربي في تحليله. والابتداء باعتبار العمل الانساني «عنصراً من عناصر الانتاج»، على قدم المساواة مع الطبيعة ورأس المال، كما يفعل الاقتصادي الغربي (وهي بدورها بداية ميتافيزيقية)، لا بد من ان يفضي الى نظريات الاجور والانتاجية الحديثة وتوزيع الدخل الغربية نفسها. إن قواعد المنطق والتفكير الانساني هي في الاساس واحدة، مما يجعل الإبداع مع الانطلاق من نقطة بداية واحدة مستحيلاً، وانما يكون الابداع مع الانطلاق من نقطة بداية مختلفة تماماً. والتراث هو المنبع الوحيد الذي يمكن ان يمدّنا بتلك البدايات.

والملفت للنظر ان كثيرين ممن يستسخفون التمسك بالتراث انما يصدرون عن الخطأ نفسه الذي يقع فيه كثيرون من التراثيين، اذ يتصور كل من الفريقين ان التراث مطالب بتقديم اجابات صحيحة على الاسئلة نفسها. فتقرأ مثلاً لمن يبحث عن نظرية العرض والطلب عند ابن خلدون فإن لم يجدها حَكَم بعجز التراث عن مسايرة العصر، وان وجدها حكم بصلاحية التراث وكفاءته. وكل من الموقفين لا بد من ان ينتهي بالتقليد العقيم والاستسلام للنظرية الغربية السائدة. وانما يكون البحث الذي يستهدف الابداع حقاً، بالغوص في مقوّمات التراث ومسلّماته وما يعامله التراث كبديهيات، والكشف عمّا لا يزال من ذلك حياً في حياتنا المعاصرة ونمط تفكيرنا، بعد تخليصه من مسلّمات الفكر الغربي وبديهياته التي لم تفرض علينا الا بالقوة.

٩ ـ التراث والإبداع في نمط التنمية

قد نسأل اذن: ما هي تلك المسلَّمات التي قد نستمدها من التراث مما يتعلق بنمط التنمية وقد يساعدنا استلهامه على التخلص من مجرد تكرار نمط التنمية الغربية؟ لا استطيع الزعم بأن معرفتي القاصرة بالتراث تكفي للاجابة على هذا السؤال، ولكني استطيع الزعم بأن ادراكنا للطبيعة التحكمية او الذاتية لكثير من المسلّمات الكامنة وراء فكر الغرب في التنمية كفيل بأن يجعل البحث في تراثنا عن مسلّمات مغايرة او مناقضة، بحثاً واعداً بامكانيات لا حد لها للابداع.

من الذي يستطيع ان ينكر مثلاً ان الفكر الغربي في التنمية قد غالى مغالاة شديدة في عزل الظاهرة الاقتصادية عن بقية الظواهر الاجتماعية وفي تصور امكانية الوصول الى حل «للمشكلة الاقتصادية» مع بقاء الظروف «الخارجية» اي الخارجة عن الاقتصاد، على ما هي عليه؟ بل من الذي يستطيع ان يجزم ان نشوء علم الاقتصاد نفسه كعلم مستقل يتناول المشاكل المترتبة على الندرة، كان يمثل بالضرورة تقدماً في الفكر الانساني؟ ان تقسيم الرفاهية الانسانية الى اجزاء، يتناول علم الاقتصاد جزءاً واحداً منها، تعمل التنمية الاقتصادية على تعظيمه، وافتراض ان تعظيم هذا الجزء لا يقلل بالضرورة من الرفاهية الانسانية بوجه عام، هو موقف غربي محض، قد ننجح او لا ننجح في اكتشاف اصوله في الاسس الثقافية او النفسية للحضارة التي نشأ فيها، ولكنه قد يكون موقفاً غريباً على نظرة العربي او المسلم لعلاقة الانسان بالطبيعة، او الى العمل، او الى مركز الفرد في المجتمع او علاقة الفرد بربه. فاذا سمحنا لخيالنا ان يتصور فكراً اقتصادياً عربياً بدأ من ابن خلدون مثلاً، وليس من آدم سميث، فهل يمكن ان نتوقع ان تكون الاسئلة التي تطرح على طالب الاقتصاد العربي اليوم هي نفسها التي تطرح على طالب الاقتصاد الغربي او العربي المتتلمذ على يديه؟ قد يقال ان غلبة النزعة الدينية والفكر الغيبي ليس حكراً على العربي او المسلم، بل سادت اوروبا ايضاً في العصور الوسطى، وان نجاح آدم سميث في عزل الظاهرة الاقتصادية عن اعتبارات الدين والاخلاق هو نجاح للفكر البشري بأسره، على العرب ان يتتلمذوا عليه كما تتلمذ الاوروبيون اللاحقون، وان عبقرية ابن خلدون نفسه انما تتمثل في سبره مساحة شاسعة نحو اخضاع الظاهرة الاقتصادية والاجتماعية للتحليل المتجرد من احكام الدين والاخلاق، وهو نفس ما فعله ابن رشد في الفلسفة، ومن ثم كان لا بد من ان يصل تلاميذ ابن خلدون وابن رشد، لو اقتفوا أثرهما، لنفس ما وصل اليه تلاميذ آدم سميث وديكارت. ولكن هذا القول ليس الا نتيجة حكم مسبق، سبق ان شككنا في صحته، مؤداه ان تطور التاريخ الاوروبي يعكس تطور البشرية بأسرها، وانه اذا كان التفكير الديني مجرد مرحلة من مراحل التطور في اوروبا فلا بد من ان يكون كذلك في اي جزء آخر من العالم، وانه اذا كانت النهضة الاوروبية قد تنكرت للدين وطرحته جانباً، فإن النهضة العربية لا بد من ان تفعل مثلها. بل ان المرء لتساوره شكوك حقيقية في أنّ دأب المستشرقين على تمجيد ابن خلدون او ابن رشد او اعلاء شأن المعتزلة على سواهم، ودأبنا نحن على مسايرتهم في هذا التمجيد قد لا يكون له من سبب الا ما يوجد بين منهج هؤلاء المفكرين العرب ومنهج الفكر الغربي من اتفاق. وان علينا مراعاة اشدّ الحذر في تصنيف مفكرينا وترتيب بعضهم فوق بعض تبعاً لما تمليه تحيزات الفكر الغربي.

تكلمت عن اتجاه الفكر الغربي الى عزل الظاهرة الاقتصادية عن غيرها من الظواهر الاجتماعية، وميله الى اعتبار الرفاهية الانسانية قابلة للتجزئة، وامكانية تعظيم ما يسميه «بالرفاهية الاقتصادية» دون المساس بالرفاهية الانسانية بوجه عام. ألا يستتبع كل ذلك ما نشكو منه من مغالاة الفكر الغربي في التنمية في الاهتمام بتعظيم معدل النمو الاقتصادي، والاتجاه المَرَضي الى قياس مستوى الرفاهية بمستوى الاستهلاك واعتبار العمل الانساني «مشقة» او «منفعة سالبة» تحسب ضمن النفقات وتطرح قيمتها من قيمة السلع المنتجة، واعتبار «الفراغ من العمل» كسباً محضاً يضاف الى مجموع الرفاهية الاقتصادية لولا صعوبة حسابه؟ أليست هذه البدايات الميتافيزيقية نفسها هي المسؤولة عن تقديس الفكر الليبرالي للملكية الفردية، وللتكنولوجيا المتقدمة، واعتبار بديهيته من البديهيات ان اي تقدم تكنولوجي **ممكن** لا بد من ان يكون بالضرورة **مرغوباً فيه**؟ بل ألا يجوز ان تكون البدايات الميتافيزيقية نفسها هي المسؤولة عن الاهمية المبالغ فيها التي يعلقها الفكر الماركسي على القضاء على الملكية الفردية

وكأنها هي الصورة الوحيدة للقهر، وعلى نظام توزيع الدخل وكأن المساواة بين الناس في استهلاك السلع والخدمات هي الشرط الوحيد لتحقيق العدل؟

أهو من المستحيل حقاً ان يكون في تراثنا الفكري والخلقي والنفسي بدايات ومسلّمات وبديهيات مختلفة تماماً؟ أمن المفروض علينا حقاً ان نقبل صاغرين القول بأن قيم «الانفتاح الاقتصادي» هي قيم الانسان الطبيعية في اي مكان، وان مؤشرات الاسعار والنفقات، وحافز تعظيم الدخل، يستجيب لها «الانسان» بطبعه بصرف النظر عن الثقافة التي ينتسب اليها، وان الانسان يهاجر «بطبعه» الى حيث يجد اكبر دخل ممكن، وان استقلال الابن او البنت عن اسرتهما من اجل السعي الى تحقيق اكبر دخل ممكن هو نزعة طبيعية عندنا كما هي عندهم؟ أمن المفروض علينا حقاً ان نعتقد ان الاسرة الصغيرة هي بالضرورة اكثر رفاهية من الاسرة الاكبر، وأن انجح السبل لرفع مستوى معيشة البلاد المكتظة بالسكان هي التخلص من هؤلاء السكان ابتداء، ان لم يكن بتحديد النسل فبالهجرة؟

يقول لنا بعض مفكري التنمية المحدثين في الغرب: ربما نكون قد اخطأنا حقاً بتعليق اهمية مبالغ فيها على تعظيم معدل النمو، وفي افتراض ان التنمية في العالم الثالث لا بد من ان تكون صورة مكررة للتنمية الاوروبية، وفي تقسيم مراحل النمو الاقتصادي في العالم الثالث طبقاً لمراحل النمو في الغرب. إن من المهم الآن للعالم الثالث ان يشرع في تنمية مستقلة، تعنى بتوزيع الدخل عنايتها بتنظيم معدل النمو، وتركز على اشباع الحاجات الاساسية بدلاً من التركيز على زيادة الدخل الاجمالي، وتختار التكنولوجيا الاكثر ملاءمة لنسب عناصر الانتاج المتوفرة لديها. ولكن الطريف ان الذين يقولون ذلك نادراً ما يذهبون الى حد التشكيك في نمط التنمية الغربية نفسه كمعيار للنهضة. فالتنمية المستقلة عند غالبيتهم تعني الاستقلال من تعبئة الموارد، فيستخدم رأس المال المحلي بدلاً من القروض والهبات، والعمل الوطني بدلاً من الخبرة الاجنبية، والمواد الاولية المنتجة محلياً بدلاً من المستوردة، او الاستقلال في اختيار واستنباط التكنولوجيا الملائمة، او الاستقلال في ملكية او ادارة المشروعات. ولكنهم نادراً ما يشككون في طبيعة السلع والخدمات المنتجة. فالسلع والخدمات المطلوبة هي نفس ما تفتق عنه خيال الغرب، المهم الآن هو فقط ان تنتجها بنفسك، وبالموارد المتاحة لك، وأن تتملكها او تدير انتاجها بنفسك. فاذا تطرقوا الى توزيع الدخل، فان المساواة المطلوبة هي ان يكون باستطاعة الجميع، دون تمييز، ان يحصلوا على التليفزيونات او السيارات الخاصة. واذا قالوا باشباع الحاجات الاساسية فهي بدورها نفس الحاجات المادية الاساسية: المأكل والملبس والمأوى والتعليم ووسائل المواصلات. وكل هذا بديع ولكنه غير كاف، بل انه احياناً يبدو لي وكأنه آخر طُعم خرج من جعبة الفكر الاقتصادي الغربي لاصطيادنا.

لا يمكن بالطبع ان يخرج من الفكر الغربي في التنمية ما هو اكثر تسامحاً وتعاطفاً من ذلك، كما لا يمكن ان نتوقع اكثر من ذلك من المفكرين الاقتصاديين في دول امريكا اللاتينية الذين حملوا اكثر من غيرهم لواء التنمية المستقلة، فهم ينتسبون في الاساس الى الجذور الثقافية والفكرية نفسها التي ولّدت الثقافة الاوروبية. إن قرارات Gunder Frankو Furtado او Sunkel او Hymerاو حتى سمير امين تترك لدينا شعوراً كبيراً بالارتياح، ولكنه ارتياح مشوب بالقلق من ان هناك شيئاً خطيراً ناقصاً. فصورة المجتمع المنشود التي يمكن ان تتولد عن فكرهم النقدي لنمط التنمية في العالم الثالث هي صورة المجتمع الغربي بعد التعديل نفسها. وكلهم يقبلون في ثنايا سطورهم فكرة ان التطور الانساني يسير في خط اساسي واحد، وأن كارثة التنمية في العالم الثالث ليست بالضبط من انها تتّبع النمط نفسه وانما في واقعة الاستغلال. والاستغلال لديهم لا زال يفهم بمعنى مادي محض ولا يمتد ليشمل مختلف صور القهر النفسي او الفكري. نعم، انهم قد يتطرقون الى نقد الغزو الثقافي، ولكن الغزو الثقافي لديهم هو في

الاساس، غزو الثقافة «الرأسمالية»، وكأن كل ما يعيب هذا الغزو الثقافي هو مرة اخرى ما يشوبه او يتولد عنه من استغلال مادي، «وتبادل غير متكافيء» و «اقتطاع من فائض القيمة». نحن لا نزعم، ولا يمكن ان نزعم، أنَّ اية حضارة جديدة تقوم على استلهام التراث لا يمكن ان تتسم بدورها باستغلال ماديّ كريه، او تفتح الباب واسعاً لسيطرة طبقة اخرى، ومن ثم فنقد التنمية الرأسمالية لا بد من ان يكوّن جزءاً اساسياً من موقف اي عربي يستهدف النهضـة. ولكننا نزعم ان هذا ليس بكاف، وان التركيز عليه قد يحرم العربي من فرصته الحقيقية للابداع. وليس العالم الثالث، على اية حال، بخالٍ من بعض التجارب التي تبنت او تزعم انها تبنت ما يسمى بالتنمية المستقلة دون ان يتفتق ذلك عن تجربة يمكن ان تثير الخيال او الحماس.

لقد بدأت هذه الدراسة بالحديث عن اسباب الشكوى من نمط التنمية العربية، ولا اجد الآن طريقة للجمع بينها الا القول بأنها كلها ليست الا الثمار الخبيثة لتغريب قبيح لنمط الحياة، شرعت فيه امة مسلوبة العزيمة والارادة فراحت تقلد دون وعي كل ما اسفرت عنه تجربة اوروبا من نتائج.

إن اطلاق وصف التنمية على ما حدث وما زال يحدث للاقتصاد والمجتمع العربي لهو وصف اقرب الى السخرية منه الى وصف الواقع، يراد بإطلاقه تسكين الناس وتخديرهم حتى يتمكن الجرّاح الغربي من اتمام مهمته. الدخل يبدو وكأنه يتعاظم، والسلع تتكاثر، والمدن تتضخم، والمدارس تتضاعف، والكباري العلوية والانفاق السفلية تبنى وتحفر، والناس تتدافع في الطرقات والشوارع والمواصلات العامة وكأنها ذاهبة او عائدة من اعمالها، والسفن تأتي بالبضائع وتذهب بغيرها، والناس تهاجر وتأتي بالسلع، والامر يبدو وكأن تنمية تحدث، والذي يحدث في الواقع ليس اكثر من عبث الاجنبي بأمة لا تدري ما تصنع.

فالعرب يبيعون رأسمالهم من النفط ويسمون ثمنه دخلاً قومياً، او يقتضون رسوماً على ما وهبه الله او الاجداد لهم، كقناة السويس والاهرامات وأبي الهول، ويحسبونها في عداد الناتج القومي. ويبيعون الطاعة للأجنبي مقابل الهبات، ويعقدون القروض لبناء الكباري العلوية لكي تمر عليه سياراته، او لشراء الاسلحة منه ليقاتلوا بها اعداءه، ويعلّمون ابناءهم لغة الاجنبي ليخدموا في بنوكه وشركاته، او يصدّروهم للخارج ليشتروا بثمنهم اجهزة تعرض فضائح الاجنبي وجرائمه وسخافاته. فاذا قلت لهم: حذار، ان هذه التنمية معيبة ومشؤومة، قالوا لك: ما عليك، ان لدينا خطة خمسية سوف نتدارك بها الامر. واذا بالمخططين يجتمعون لمناقشة ما اذا كان معدل النمو المستهدف يجب ان يكون ٧ بالمائة او ٧,٥ بالمائة. فأي امل يمكن ان يساورنا في ان يؤدي الاستمرار في تبني المنطلقات والمسلّمات نفسها الى وضع افضل مما نحن فيه؟ انما يكمن الامل في طرح كل مسلّمات التنمية الغربية وبديهياتها للمساءلة والشك، ولن نجد ما يمكن ان نستلهمه في ذلك الا التراث.

١٠ ـ مـن أيــن نبــدأ؟

لا بد مع ذلك من الانتقال من الكلام المجرد الى الحديث عن الواقع. فنحن لا نبدأ من الصفر: نحن لا نبني اول مصنع او اول مدرسة او نخط اول شارع. لقد خضع نمونا الاقتصادي والاجتماعي للتغريب لمدة تزيد على قرن ونصف من الزمان، وانقطع تطورنا المتصل بالتراث لعدة قرون. ونحن لن نهدم المصانع لنبدأ من جديد، ولن نغلق المدارس لنبدأ مرة اخرى من الازهر والكتاتيب. ولا نستطيع ان نعيد المرأة العربية من جديد الى المنزل او نخرجها من الجامعات. إن انقطاعنا عن التراث لعدة قرون لا بد، كما سبق ان قلت، من ان يكون له ثمن. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى نحن لا نعيش في جزيرة

منعزلة عن العالم، ولا نستطيع ان نأمر الغرب او الشرق الجاثم على ابداننا وعقولنا بأن يحزم امتعته ويمضي فيمضي. نحن، بعبارة اخرى، نحمل تركة ثقيلة من التغريب والخضوع. والكلام الجميل عن التراث، مهما كانت صحته، لا يمكن ان نحوله الى واقع بمجرد ترديده.

من أين اذن تكون نقطة البداية؟ من أشّد الخطأ ان نتصور ان نقطة البداية تكون بتعديل القوانين. فالذي يتصور ذلك يتصور، خاطئاً، ان الناس جاهزون لاستقبال التراث، وان سنوات التغريب الطويلة لم تفلح في تغيير شيء فيهم، وان حماس الناس للتراث وتمسكهم الصادق به يعني انهم لم يفتنوا بأي شيء من منتجات الحضارة الغربية، وأن عقولهم ونمط تفكيرهم لم تتأثر قط بطرق التفكير المعارضة والمحقرة للتراث. إن علينا الاعتراف بأنه اذا كان مقدراً لنا تحقيق اي درجة من النجاح في احياء التراث واستلهامه في تحديد نمط التنمية، فإن هذا لا يتعلق بجيلي وجيلك بل بجيل ابنائنا وأحفادنا. إني اتكلم عن التراث وأنا لا اعرفه حق المعرفة، وأنت تتكلم عن الهوية وقد خضعت هويتك للمسخ والتشويه. وانما ينعقد الامل في جيل جديد يعرف التراث حق المعرفة ويمارس حقه في التصدي لأي مسخ او تشويه جديد.

ومن ثم فإني لا أستطيع ان أتصور نقطة للبداية اصلح من نظام التعليم، فالتعليم يتعلق اساساً بالمستقبل. واذا كان جيلي او جيل آبائي لم يستطع الفرار فإن اجيالاً جديدة تنتظر منا ان نحاول على الاقل ان نفتح لهم باب الخلاص. والحديث عن علاقة التعليم بالتراث ونمط التنمية المأمول حديث لا ينتهي، ولكن يكفي ان نعترف بأن نمط التعليم الذي يخضع له ابناؤنا الآن ليس فقط نمطاً غريباً عن التراث، بل انه يخونه وينقضه، وان المطلوب من نمط التعليم الجديد تخريج شباب يعتز بدينه ولغته وعاداته، وان يغرس فيهم عادات التفكير المتفقة مع قيم التراث، ويمكّنهم من الغوص في التراث وإحيائه.

واذا كان هناك اي امل في الخلاص من قبضة الأجنبي علينا، فقد يكون ذلك في ميدان التعليم اكثر منه في اي ميدان آخر. فالاجنبي لحسن الحظ قصير النظر، متسرع في تحصيل الغنائم. فلنحاول ان نستغل موطن ضعفه، ونشتغل في ميدانه، وإن كان لا يخلو من مراقبته، فإنه من اقل الميادين خضوعاً لسيطرته. إني لا استهين بالمعركة التي لا بد من خوضها من اجل اعادة تشكيل عقلية الطفل العربي او المسلم، ولكني ارى فيها اكثر المعارك حظاً في احتمال النجاح.

إن النجاح او الفشل في معركة التنمية الاقتصادية، كما يبدو لي مرهون بالنجاح او الفشل في ميدان بعيد الصلة عن الاقتصاد. ذلك ان العلة في اقتصادييننا ومخططينا ليست عجزهم عن فهم النظريات الاقتصادية او عن حسن تطبيقها، وانما هي علة في النفوس وشلل في الإرادة □

الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً

خالد محمد القاسمي

عضو في اتحاد كتاب وادباء
الامـارات العربيـة المتحدة.

اولاً: الموقع ـ الواقع السياسي لليمن الموحد

تعود الأهمية الاستراتيجية لليمن بإطلالها على الضفة الشرقية لمضيق باب المندب الذي يتحكم بحركة النقل والتجارة البحرية ويصل آسيا بأوروبا عبر المحيط الهندي فالبحر الأحمر نافذاً الى البحر المتوسط عبر قناة السويس، وبعد الاكتشافات النفطية في المنطقة ازدادت أهمية باب المندب نتيجة لمرور ناقلات النفط عبره الى الدول الغربية[1].

تبلغ مساحة شطري اليمن ٥٣٣ ألف كلم٢، منها ٣٣٣ ألف كلم٢ يشغلها الشطر الجنوبي، في حين يصل عدد السكان الى عشرة ملايين نسمة منهم ٧,٥ مليون نسمة في الشطر الشمالي ومليونان اثنان في الشطر الجنوبي، ويوجد في الخارج اكثر من مليون يمني يعملون في بلدان النفط العربية.

كانت اليمن منذ الأزل دولة واحدة، وعندما خضعت للحكم العثماني في القرن السادس عشر، لم تكن السلطة العثمانية تشمل كل البلاد وانحصرت في العاصمة صنعاء، لكن في عام ١٨٣٩ وقعت عدن وحضرموت في قبضة الاستعمار البريطاني بينما بقيت صنعاء تحت الحكم العثماني، وبذلك تمزقت البلاد ولأول مرة[2]. وبعد الحرب العالمية الاولى ونتيجة لهزيمة الدولة العثمانية وتخليها عمّا كانت تسيطر عليه، تشكلت المملكة المتوكلية في اليمن وعاصمتها صنعاء، وبقيت البلاد تعيش في عزلة عن العالم، وتعاني التخلف الشديد الذي أوقعها فيه حكم الأئمة لها، إلى أن وقعت ثورة أيلول / سبتمبر ١٩٦٢ والتي أعلن بعدها قيام الجمهورية برئاسة المشير عبد الله السلاّل، فبدأت الجمهورية العربية اليمنية في مسايرة التطور الحضاري والتقدم العالمي. وفي حزيران / يونيو ١٩٧٤ قام ابراهيم الحمدي بانقلاب أبيض وأقصى القاضي عبد الرحمن الإرياني عن الحكم لتخليص البلاد من الصراعات

(١) حسن احمد ابو طالب، **الصراع بين شطري اليمن** (القاهرة: مطابع الاهرام، ١٩٧٩)، ص ١١ ـ ١٢.
(٢) لمزيد من التفاصيل،انظر: خالد محمد القاسمي، «الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً،»(دراسة غير منشورة).

والخلافات التي كانت قائمة بين الإرياني وعبد الله الأحمر رئيس المجلس الاستشاري. وحصل تقدم ملموس خلال فترة حكم الحمدي، لكنه كان يواجه معارضة من شيوخ القبائل التي أراد الحد من سيطرتها ونفوذها في البلاد. وفي عام ١٩٧٧ اغتيل ابراهيم الحمدي قبل توجهه بيوم واحد الى عدن لبحث مشروع الوحدة، ولم يتم معرفة هوية الطرف الذي نفّذ الاغتيال، فتولى الرئاسة بعده احمد الغشمي الذي لم يستمر سوى ثمانية شهور إذ قُتل بفعل انفجار طرد كان يحمله مبعوث الرئيس اليمني الجنوبي سالم ربيع علي، وتولى المقدم علي عبد الله صالح رئاسة الجمهورية بعد انتخابه. ويحرص الرئيس الجديد على بناء الجبهة الداخلية وإجراء انتخابات عامة في البلاد ولأول مرة؛ كما اعلن عن الميثاق الوطني لتنظيم امور البلاد، وكان قد عرض على الشعب للاستفتاء واجراء انتخابات في منتصف كانون الثاني / يناير ١٩٨٢، ويعتبر الميثاق الوثيقة الرسمية لتسيير أمور الجمهورية. كما أصدر علي عبد الله صالح قراراً بالسماح للمشير عبد الله السلّال والقاضي عبد الرحمن الارياني بالعودة الى البلاد[٣].

وفي الشطر الجنوبي اختلف سير الأحداث السياسية اختلافاً جذرياً، إذ خاضت الجبهة القومية الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني وتوجت نضالها بإعلان الاستقلال في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٧، وتولى الرئاسة قحطان الشعبي، لكن في حزيران / يونيو ١٩٦٩ تسلم الرئاسة سالم ربيع علي بعد ما عُرف بالحركة التصحيحية، واستمر في الحكم الى ان جرى إعدامه في حزيران / يونيو ١٩٧٨ بعد صراع على السلطة مع عبد الفتاح اسماعيل(*) واتهامه بتدبير حادث مقتل رئيس اليمن الشمالي احمد الغشمي. وفي تموز / يوليو انتخب مجلس الشعب الأعلى عبد الفتاح اسماعيل رئيساً للبلاد، وأعلن بعد ذلك تشكيل الحزب الاشتراكي اليمني ليحل محل الجبهة القومية، كما أُجريت في نهاية ١٩٧٨ اول انتخابات شعبية في البلاد[٤].

لم يستمر عبد الفتاح اسماعيل في الحكم طويلاً إذ جرى عزله في نيسان / ابريل ١٩٨٠ وتولى الرئاسة علي ناصر محمد الذي كان يشغل منصب رئاسة الوزراء، ويعتبر هذا التحول انتصاراً للخطّ المعتدل ضد التيار المتشدد والمؤيد للاتحاد السوفياتي بقوة. واتبع الرئيس الجديد سياسة أكثر مرونة مع جيران بلاده وقام بعدة زيارات الى بلدان الخليج واقطار عربية أخرى بهدف تمتين علاقات اليمن بهذه الاقطار[٥].

ثانياً: مباحثات الوحدة اليمنية منذ ١٩٧٢ حتى ١٩٨٤

مهما يكن من عوامل الالتقاء بين القطرين في الشمال والجنوب تحتم ضرورة عودتهما يمناً واحداً، فإن الواقع يقول: إن الاوضاع السياسية التي سبقت الاستقلال لكل منهما وطريقة حصوله على

---

(٣) «شطر اليمن والطريق نحو الوحدة،» **التقرير السياسي لجريدة الخليج**، العدد ٩ (نيسان / ابريل ١٩٨٢)، ص ٢٢.

(*) ذكرت جريدة السفير اللبنانية بتاريخ ١٩ / ١٢ / ١٩٨٤ نقلاً عن مصادر يمنية موثوقة بأن الرئيس اليمني الديمقراطي السابق عبد الفتاح اسماعيل سيعود الى عدن في نهاية الشهر الجاري بعد ان انتُخب سكرتيراً للدائرة العامة في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني (المحرر).

(٤) القاسمي، «الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً،».

(٥) «شطر اليمن والطريق نحو الوحدة،».

الاستقلال ثم ما أنجزه كل منهما منذ ثورة ايلول / سبتمبر ١٩٦٢ واستقلال الشطر الجنوبي في ١٩٦٧ قد أوجدت اختلافات واسعة بين طبيعة النظامين ودرجة التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في كل منهما[٦]. فبرغم وجود حوالى سبع سنوات كفارق بين تخلّص الشمال من حكم الإمامة وبين تخلّص الجنوب من الاستعمار البريطاني، فقد عجز الشمال حتى الآن من التخلص من القبلية الشديدة التي تعيق الى حدٍ بعيد عمليات التحديث والتطوير هناك. أما في الجنوب فمهما تكن اختلافات وجهات النظر مع النهج السياسي هناك، إلّا ان ما أُنجز على طريق التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والتطوير والتحديث لا يمكن انكاره، فالقبيلة في الجنوب ليس لها تأثير مثيلتها في الشمال، والبناء الاقتصادي في الجنوب متقدم في خطواته عنه في الشمال، والسلطة المركزية في الجنوب تحكم بحزب سياسي وتبسط سيطرتها بشكل كامل على ارجاء البلاد كافة، في حين ما زالت السلطة في الشمال غير قادرة على خلق التنظيم السياسي الذي يدعم وجودها في البلاد ويحميها من تقلبات الاوضاع القبلية.

وقد حالت هذه الاختلافات، فترة من الوقت، دون تقارب النظامين، وجرت صدامات مسلحة بين شطري الوطن الواحد في عامي ١٩٧٢، ١٩٧٩. ولوقف الصدامات الاولى التقى وزراء الخارجية العرب في اجتماع تحت سقف الجامعة العربية انتهى بتوقيع اتفاق القاهرة الذي أكّد على الوحدة بين البلدين، ثم اتفاق طرابلس الذي أكّد على اقامة دولة واحدة بسلطات موحدة وعلم واحد وعاصمة واحدة. أما صدامات عام ١٩٧٩ فقد كان للكويت دور كبير في وضع حد لها ودعوة القيادتين الى مائدة المفاوضات، فيما بعد حيث اتفقتا على اقامة دولة الوحدة الجمهورية الوطنية الديمقراطية.

غير ان الخطوات العملية تجاه اقامة الوحدة اليمنية كانت تتلكأ لعوامل عديدة لعلّ في مقدمتها:

- حذر الشمال من النظام السياسي والاجتماعي في الجنوب.
- تغلب عوامل الايديولوجية على عوامل الممارسة السياسية في الجنوب في الفترة السابقة على القيادة الحالية واصرارها على ضرورة تغيير الاوضاع في الشمال حتى يمكن اقامة الوحدة مع الجنوب.
- تصاعد حركة المقاومة المسلحة للجبهة الوطنية في بعض المناطق الجبلية في الشمال.

وقد أدت حالة التردّي العربي وتزايد المطامع الخارجية في البلدان العربية وعمليات الالتفاف حول الأنظمة التقدمية المستقلة في الوطن العربي الى التنازل عن بعض التحفظات لدى الطرفين والايمان بوجود يمن واحد قوي مستقل وديمقراطي هو الضمانة الوحيدة لأمن الشطرين وسلامتهما[٧].

١ - اتفاق قعطبة ١٥ شباط / فبراير ١٩٧٧

في ١٥ شباط / فبراير ١٩٧٧ التقى الرئيسان اليمنيان المقدم ابراهيم الحمدي الرئيس اليمني السابق للشطر الشمالي والرئيس السابق ايضاً سالم ربيع علي في مطار على حدود البلدين حيث اتفقا على تشكيل مجلس تنسيق برئاستهما، الّا ان التوقيع على الاتفاق تأجل بسبب اغتيال المقدم الحمدي في ١١ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٧ وقبل ان يتوجه الى عاصمة الشطر الجنوبي لتوقيعه بيوم واحد[٨].

---

(٦) «عامان مع انشاء المجلس اليمني الاعلى،» **الانباء** (الكويت)، ٣ / ١٢ / ١٩٨٣.

(٧) احمد ابراهيم الابراشي، «الوحدة بعد الحرب بين صنعاء وعدن،» **السياسة الدولية** (القاهرة)، السنة ٩، العدد ٣١ (كانون الثاني / يناير ١٩٧٣)، ص ١٣١ - ١٣٦.

(٨) محمد علي الشهاري، «اتفاق قعطبة،» **روز اليوسف** (القاهرة)، (٢٨ شباط / فبراير ١٩٧٧).

٢ ـ قمة الكويت ٢٠ آذار / مارس ١٩٧٩

وفي ٢٠ آذار / مارس ١٩٧٩ التقى الرئيسان علي عبد الله صالح الرئيس اليمني الشمالي، والرئيس الجنوبي السابق عبد الفتاح اسماعيل حيث أكّدا على ضرورة اتمام الترتيبات والاجراءات اللازمة لإعلان الجمهورية اليمنية الشعبية والتي تنصهر فيها الدولتان في دولة واحدة تكون عاصمتها صنعاء[٩]. وفي ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر من العام نفسه التقى الرئيسان علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد حيث اصدرا بياناً عرف باسم ـ بيان الكويت ـ اكد تصميم الشعبين على اقامة الوحدة اليمنية وتذليل كل العقبات التي تحول دون اتمامها، وشدد البيان على خطوات مبرمجة تضمن استمرار الوحدة وتحميها من الانتكاس، وتضمن ضوابط العمل الوحدوي عبر خطوات تزيد في «توسيع آفاق التعاون والتنسيق بين الشطرين في جميع المجالات لتحقيق المصلحة العليا للشعب اليمني في اعادة توحيد اليمن العربي ارضاً وشعباً»[١٠].

وقام الرئيس اليمني الجنوبي علي ناصر محمد بزيارة لليمن الشمالي في كانون الثاني / يناير ١٩٨٠ وصدر بيان أكد الجانبان فيه على ضرورة توحيد الشطرين لتمكين الشعب اليمني من النهوض الاقتصادي والاجتماعي، على ان تبدأ اولاً عمليات اقامة المشروعات المشتركة وتوسيع التعاون الاقتصادي والاعلامي والتربوي والثقافي بين الشطرين، وتشكلت لجان مشتركة بغرض انجاز هذه الامور. وفي كانون الثاني / يناير ١٩٨١ قام الشيخ جابر الاحمد الصباح امير الكويت بزيارة لعاصمتي الشطرين «عدن وصنعاء» أكدت المباحثات على عوامل الوحدة بين الشطرين.

٣ ـ تطور مباحثات الوحدة اليمنيـة

أعلن في صنعاء في الثالث من كانون الاول / ديسمبر ١٩٨١ عن اتفاق شطري اليمن على تشكيل هيئات وحدوية كتتويج لسلسلة من الاجتماعات بين رئيسي البلدين على رأس لجان متخصصة. ومن بين هذه اللجان المجلس اليمني ويضم رئيسي الشطرين، ويقوم بمتابعة سير الاتفاقيات الوحدوية والاشراف على اعمال اللجان المتخصصة بهذا الامر وما ترفعه اليه من تقارير والمصادقة على ما تتوصل اليه، واصدار التعليمات اللازمة لتنفيذها[١١]. وقد نص الاتفاق على تشكيل سكرتارية للمجلس اليمني يكون لها مكتب في كل من عدن وصنعاء. واتفقا على ان يجتمع المجلس اليمني بصفة دورية كل ستة اشهر، او كلما كان ذلك ضرورياً، على ان يعقد اجتماعاته بشكل دوري في عاصمتي الشطرين. اما اللجنة الوزارية التي اتفقا على تشكيلها هي الاخرى، فتضم رئيسي وزراء البلدين او من ينوب عنهما، اضافة الى وزيري الخارجية، ووزيري الداخلية، ووزيري التنمية، ووزيري التربية والتعليم الى جانب رئيسي الاركان في القوات المسلحة للشطرين وتحددت اختصاصات ومهام اللجنة الوزارية بما يلي:

- التنسيق بين خطط التنمية في الشطرين، اقتصادياً واجتماعياً.
- تقديم الدراسات والتقارير والاقتراحات التي تدعم وحدة الشطرين الى المجلس اليمني.
- الاشراف على تنفيذ اتفاق ١٣ حزيران / يونيو ١٩٨٠ او الموقع عليه من قبل رئيسي الشطرين.

---

(٩) «قمة يمنية في الخليج،» **الخليج** (الامارات)، ٢٣ / ١١ / ١٩٨١.
(١٠)«بدء جولة جديدة من مباحثات الوحدة بين شطري اليمن،» **الفجر** (الامارات)، ١١ / ٦ / ١٩٨٠.
(١١) «مشروع الوحدة النهائي بين شطري اليمن،» **الخليج**، ١٠ / ٨ / ١٩٨١.

واتفق على ان تجتمع اللجنة كل ثلاثة اشهر، او كلما دعت الضرورة، في عاصمتي البلدين بالتناوب، وتضمن الاتفاق بنوداً خاصة بالتنسيق الاقتصادي تنص على اعداد الخرائط الجيولوجية والقيام بعمليات التنقيب والبحث عن مصادر المياه والمعادن، ودراسة الجدوى الاقتصادية للمشروعات الزراعية والصناعية المشتركة وتوحيد برامج الابحاث والتجارب وسبل الارشاد الزراعي وأجهزته ودراسة انشاء جهاز مشترك لتسويق المحاصيل الزراعية بين الشطرين، وتنفيذ الطرق التي تربط بين الشطرين وبناء المستوصفات المشتركة والقضاء على الاوبئة واقامة المدارس المشتركة وضمان انتقال مواطني الشطرين بالبطاقة الشخصية من شطر لآخر[١٢].

اما على مستوى الممارسة السياسية الخارجية فقد اتفق على توحيد موقف الشطرين نهجاً وممارسة تجاه القضايا العربية وخاصة القضية الفلسطينية، والتصدي لاتفاقيات كامب ديفيد، وتدعيم وحدة لبنان وعروبته، ومساندة اقطار المواجهة مع العدو الصهيوني، والوقوف ضد سياسة زرع القواعد العسكرية والتدخلات الاجنبية، والاشراف على تنفيذ المشاريع، ومساندة سياسة الانفراج الدولي والتعايش السلمي ودعم حركة عدم الانحياز[١٣].

وبدأت اللجنة الوزارية المشتركة اجتماعات لها في عدن في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢ لبحث انشاء مشروعات اقتصادية مشتركة، ودعم التبادل التجاري بين الشطرين، واتخاذ مزيد من الخطوات التي تؤدي الى تحقيق الوحدة بينهما.

وقررت اللجنة في ختام اجتماعاتها تشكيل نقاط مرور مشتركة من رجال أمن الحدود في البلدين، ووضع تشريع موحد ينظم اعمال الشركات المساهمة، ووضع نظام مالي ومحاسبي موحد وهيكل للأجور والمرتبات، وتشكيل لجنة رباعية تتولى مراجعة حسابات الشركة وتقويم مركزها المالي. وأكدت اللجنة على ضرورة اعطاء السلع ذات المنشأ اليمني الافضلية في التسويق والغاء جميع الرسوم المفروضة عليها، بخلاف جملة من القرارات والتوصيات في المجالات السياسية والثقافية والتربوية.

وفي كانون الثاني / يناير ١٩٨٢ اعلن في عدن عن اتفاق الشطرين على مشروع دستور يرمي الى دمجهما في دولة واحدة، ونص الدستور على ان الاسلام دين الدولة، وصنعاء عاصمتها الموحدة واسمها «جمهورية اليمن المتحدة». وعرض مشروع الدستور على المجلسين التنفيذي والتشريعي في البلدين تمهيداً لابرامه والاعلان عنه رسمياً وتنفيذه. كما ينص الدستور على فترة انتقالية قبل اقامة الدولة الموحدة. ووقع الشطران في كانون الثاني / يناير ١٩٨٢ كذلك على اتفاق هيئة مشتركة تقوم بإعداد خرائط جيولوجية موحدة يمولها الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي. وجرت اجتماعات للجنتي الشؤون الخارجية والشؤون الداخلية في الشطرين في اواخر تموز / يوليو ١٩٨٣، وأسفرت اجتماعات اللجنة الاولى عن الاتفاق على هيكل تنظيمي لوزارة الخارجية في الدولة اليمنية الموحدة، وأسفرت اجتماعات اللجنة الاخرى عن خطوات مماثلة لإقامة وزارة داخلية واحدة[١٤].

وفي الفترة من ١٥ ـ ٢٠ آب/ اغسطس ١٩٨٣عقدت في صنعاء اجتماعات الدورة الاولى للمجلس

---

(١٢) جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، مجلس الوزراء، دائرة الاعلام، **على طريق الوحدة اليمنية** (عدن، ١٩٨٠)، ص ٨٥.

(١٣) «صنعاء خارجية مشتركة ليمن موحد،» **القبس** (الكويت)، ١ / ٨ / ١٩٨٣.

(١٤) «عامان مع انشاء المجلس اليمني الاعلى،».

اليمني الاعلى برئاسة كل من الرئيسين علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد وبحضور وفدي الشطرين، وبحثت في اجتماعات هذه الدورة الموضوعات المقدمة من سكرتارية[١٥] المجلس اليمني ونتائج اعمال اللجان المشتركة ومنها اللجنة الدستورية التي انجزت مشروع دستور الوحدة. وفي الفترة من ١٥ ـ ١٧ شباط / فبراير ١٩٨٤عقدت في عدن اجتماعات الدورة الثانية للمجلس اليمني الاعلى برئاسة كل من الرئيسين علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد، واطلع الرئيسان في هذا الاجتماع على التقرير المقدم من سكرتارية المجلس والذي احتوى على ما تم انجازه منذ انعقاد الدورة الاولى في مختلف مجالات التنسيق والتعاون بين الشطرين سواء من خلال اللجان المشتركة او من خلال التعاون المباشر بين المؤسسات والوزارات والاجهزة[١٦] المركزية الاخرى في الشطرين، وصادق المجلس على التوصيات التي قدمتها السكرتارية في تقريرها وكلفها بمتابعة التنفيذ، كما استعرضا الوضع العربي الراهن في ضوء التطورات الاخيرة التي شهدتها الساحة العربية والوضع الدولي وخاصة ما يهم شطري اليمن.

وفي الفترة من ٦ ـ ٨ آب / اغسطس ١٩٨٤ عقدت اللجنة الوزارية المشتركة لشطري اليمن اجتماعاتها للدورة الثانية في عدن برئاسة علي ناصر محمد رئيس الشطر الجنوبي وعبد العزيز عبد الغني رئيس مجلس الوزراء في الشطر الشمالي، وتمخض الاجتماع باستعراض اللجنة للنشاطات الوحدوية ومستوى التنسيق والتعاون بين الشطرين، ودرست اللجنة الوزارية امكانية اقامة عدد من المشاريع الاقتصادية المشتركة بين الشطرين وأعطت توجيهاتها للجهات المختصة للبدء بإعداد الدراسات في هذا الشأن ليمكن وضعها موضع التنفيذ، كما اتخذت جملة من القرارات والتوصيات الهادفة الى تطوير مجالات التعاون والتنسيق وتحسين اداء وآفاق تطور عمل المؤسسات اليمنية المشتركة[١٧].

وبعد هذه الاتفاقيات والاجتماعات التي دامت اثني عشر عاماً قد يكون التساؤل الذي يُطرح هو لماذا تسير خطوات توحيد الشطرين بشكل بطيء؟ هل هذا الامر مقصود خوفاً من التسرع الذي قد يحمل معه شهادة دفن الدولة الموحدة كما حدث في تجارب عربية سابقة؟ ام ان اجراءات توحيد الشطرين خاضعة لاجراءات مدروسة ومتأنية وذلك لتوحيد البنيات الاساسية قبل اعلان الوحدة. لعلّنا نجد بعض الاجابة عن هذا التساؤل من خلال استعراضنا التالي لمعوقات الوحدة اليمنية.

ثالثاً: معوقات الوحدة اليمنية

تعترض مسيرة الوحدة اليمنية عدة عقبات تعيق العملية الوحدوية بين شطري اليمن؛ وبعض هذه العقبات والخلافات داخلية تخصّ البلدين، وبعضها دولية وأخرى عربية.

١ ـ اختلاف النظم السياسية بين الشطرين

يضع المراقب لتطور مسألة الوحدة اختلاف النظم السياسية بين الشطرين في الصف الاول من العقبات، إذ ادت عملية التحرير المسلح للشطر الجنوبي الى قيام نظام ثوري، يتخذ من النظرية العلمية

---

(١٥) «بيان شطري اليمن المشترك،» **الخليج**، ٢١ / ٨ / ١٩٨٣.
(١٦) «المجلس اليمني الاعلى يختتم اعمال دورته الثانية،» **١٤ اكتوبر** (اليمن)، ١٩ / ٢ / ١٩٨٤.
(١٧) «البلاغ الصحفي الصادر عن سكرتارية المجلس اليمني الاعلى،» **صوت العمال** (اليمن)، ٩ / ٨ / ١٩٨٤.

الاشتراكية طريقاً ونهجاً اقتصادياً وسياسياً بينما ما زال الشطر الشمالي يتبع سيراً محافظاً نوعاً ما، رغم التخلص من حكم الأئمة[١٨] المنغلق عام ١٩٦٢، لكنّ المسؤولين اليمنيين لا يعتبرون هذا الاختلاف في النظم السياسية للشطرين عائقاً حقيقياً امام الوحدة، إذ يقول احدهم ان اليمن الديمقراطية ليست دولة اشتراكية تماماً وأن الجمهورية العربية اليمنية ليست دولة على النقيض تماماً[١٩].

وفي نظرنا ان وجود نظامين متباينين الى الحد الذي يجعل من احدهما نقيضاً للآخر يعنى ـ فيما يعنى ـ وجود مهام متباينة تحكم مسيرة النظامين وتتحكم فيهما، مجسدة طبيعة السلطة هنا وهناك، والاعتراف باختلاف المهام، لا يؤدي بالضرورة الى تجزئة النضال، وانشغال من هم في الجنوب بقضايا الجنوب، ومن هم في الشمال بقضايا الشمال. ولسنا في الواقع، على خلاف مع هذا المنطق من الناحية المبدئية، فمما لا شك فيه ان مهمة الثوريين اليمنيين متداخلة، وهمومهم واحدة، وأي محاولة لاقتصار هذه المهمة على شطر دون آخر، وهي محاولة من السلبية بمكان ومن ثم محكوم عليها بالفشل. إلا ان هذا الموقف المبدئي او الموقف الوحدوي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما هو واقع وموجود وأي محاولة لتجاهل ما هو واقع وموجود محكوم عليها هي الاخرى بالفشل. فالبعد الوحدوي في المسألة وهو في حدود الواجب لا يجب ان يحجب عنا البعد السياسي فيها، فالمكان على اساس البعد السياسي ، ليس مكاناً موحداً، والحركة حسب المكان المعين محكومة بقوانين موضوعية، تضع هي، لا نحن ، الحدود الفاصلة بين مهمة الثوريين في هذا الشطر او ذاك[٢٠].

٢ ـ التخلف الاقتصادي واختلاف انظمته

يعتبر شطرا اليمن من الدول المتخلفة اقتصادياً حيث يعتمدان على القطاع الخارجي: المعونات، القروض، تحويلات المغتربين، الواردات من السلع من الخارج. واعتمادهما على القروض والمساعدات الخارجية مما يجعل من تفجير الوضع على الحدود وسيلة للحصول على المساعدات والمعونات الخارجية، خاصة من السعودية بالنسبة للشطر الشمالي، ومحاولة من اليمن الجنوبي لفك الحصار والتراجع عن قرار مجلس جامعة الدول العربية في تموز / يوليو ١٩٧٨ بمقاطعته سياسياً واقتصادياً بسبب دوره في اغتيال المقدم الغشمي رئيس الشطر الشمالي[٢١].

اما بالنسبة للنظام الاقتصادي فإننا نراه في الشمال اقرب الى النظام الحر بالرغم من ان القطاع العام ما زال هو العنصر الرئيسي، في حين ان النظام الاقتصادي في الشطر الجنوبي هو نظام الاشتراكية العلمية الذي يجعل القطاع العام هو الاول، ويسمح بنشاط محدود للقطاع الخاص[٢٢]. وهكذا نرى ان الشطرين متباينين تبايناً تاماً في الهيكل الاقتصادي، ويقفان على طرفي نقيض مما يشكّل عقبة في طريق الوحدة اليمنية.

---

(١٨) «شطر اليمن والطريق نحو الوحدة،» ص ٢٤.

(١٩)مقابلة مع المسؤولين اليمنيين في الامارات في الفترة من ١٥ / ٣ ـ ٣٠ / ٤ / ١٩٨٤.

(٢٠) زكي بركات، **في سبيل الوعي العلمي** (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٠)، ص ٢٠.

(٢١) عبد الحميد الموافي، «الوحدة اليمنية بين تخلف قبلي في الشمال وتنظيمات ماركسية في الجنوب،» **القبس** (الكويت)، ٣٠ / ٥ / ١٩٨٠.

(٢٢) حديث مختار من مقابلة اجريتها مع الدكتور عبد الكريم الارياني، رئيس المناطق المتضررة من الزلازل في الشطر الشمالي بتاريخ ١٣ / ٣ / ١٩٨٤.

٣ ـ الظاهـرة القبليـة

يعتبر اليمنيون المعضلة الحقيقية امام الوحدة اليمنية هي معارضة بعض القوى الداخلية للوحدة، إذ تعارض القوى العشائرية ورجال القبائل في الشطر الشمالي عملية الوحدة وبكل قوة، خوفاً على مصالحها ونفوذها الذي تخشى ضياعه بعد تشكيل دولة مركزية واحدة. وقد اشار الرئيس علي عبد الله صالح الى هذه المعارضة في نيسان / ابريل ١٩٧٩ وتحدث عن ارسالهم رسائل يحذرونه فيها من مشروع الوحدة. ويتزعم هذه القوى الشيخ عبد الله الاحمر زعيم قبائل حاشد، وهو يرأس كذلك الجبهة التي ترفض التقارب مع الشطر الجنوبي او مع الجبهة الديمقراطية المعارضة في الشطر الشمالي وتعارض هذه القوى كذلك اقامة حكومة مركزية قوية لأنها ستطيح بنفوذهم، وقد طالبوا في آذار / مارس ١٩٨٢ بتشكيل جيش شعبي من رجال قبائلهم لمحاربة الجبهة الوطنية وتصعيد المواجهة مع اليمن الديمقراطي[٢٣].

٤ ـ الصـــدام المسلـــح

إن اللجوء الى استخدام العنف والصدام المسلح بين الشطرين عند اختلافهما بدلاً من اللجوء الى الحوار الديمقراطي عرف طريقه الى اليمن، ووقع اول صدام مسلح على نطاق واسع بين الطرفين في ايلول / سبتمبر ١٩٧٢. وبعد استبدال محسن العيني رئيس الوزراء في الشطر الشمالي ـ وهو ذو توجه وحدوي ـ في كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٢ بالقاضي عبد الرحمن الحجري غير المتحمس للوحدة، توترت العلاقات بين الشطرين ووقعت مصادمات مسلحة حدودية عنيفة في ايار / مايو ١٩٧٣. وفي شباط / فبراير ١٩٧٩ وقع صدام عنيف آخر بين الطرفين خلّف وراءه عدداً غير قليل من القتلى والجرحى، لكن الجامعة العربية تدخلت وأوقفت اطلاق النار بينهما، وأعادت فتح الحدود بين الشطرين.

وأدت عملية اغتيال الرئيس الشمالي احمد الغشمي في حزيران / يونيو ١٩٧٨ الى قطع العلاقات بين الشطرين لاتهام الرئيس اليمني الجنوبي سالم ربيع علي بأنه وراء العملية، وقامت الجامعة العربية بتجميد العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع اليمن الديمقراطي وأوقفت عنها المساعدات الاقتصادية. وبالرغم من اعدام سالم ربيع علي لم يتم الغاء ذلك وعودة العلاقات بين البلدين إلّا بعد عقد المؤتمر الاستثنائي في الكويت على مستوى وزراء الخارجية العرب الذي أزال الاجواء المكهربة بين الشطرين[٢٤].

٥ ـ القيادات والمعارضات السياسية

يشكّل وجود جبهات معارضة لكل نظام تحظى بتأييد الطرف الآخر، عائقاً ايضاً لمسيرة الوحدة بين الشطرين، ففي الشطر الشمالي تعارض الجبهة الوطنية الديمقراطية بزعامة سلطان احمد عمر النظام القائم فيها، وتخوض الجبهة حرباً مسلحة ضد الحكومة، وقد تشكلت الجبهة في شباط / فبراير

---

(٢٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: القاسمي، «الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً،»؛ **السياسة** (الكويت)، ١٦ / ١ / ١٩٨١، و**الخليج**، ١٣ / ٦ / ١٩٨٠.

(٢٤) عبد الحميد الموافي، «دوافع الوحدة وبواعث الصدام بين شطري اليمن،» **السياسة الدولية**، السنة ١٥، العدد ٥٧ (تموز / يوليو ١٩٧٩)، ص ٨٧ ـ ٩٢.

١٩٧٦، ويشترك فيها ستة احزاب «حزب الطليعة الشعبية، الحزب الديمقراطي الثوري، اتحاد الشعب الديمقراطي، حزب البعث (سوريا)، حزب العمل، والمقاومون الثوريون». وتطالب الجبهة بالاشتراك في الحكم والعمل على تحقيق الوحدة اليمنية، ودخلت في صدامات عديدة مع الحكومة، خاصة في محافظة إب، واشتدت المعارك بينهما في آذار / مارس ١٩٨١ لكنهاانتهت بوقف اطلاق النار في تموز / يوليو من العام نفسه. ويشارك رجال القبائل الحكومة في حربها ضد الجبهة. وبالرغم من دخول الجبهة في حوار مع الحكومة واتفاقهما على عدة امور ومطالب، فقد عادت الحرب واشتعلت بينهما. وقامت منظمة التحرير الفلسطينية بمحاولات لوقف اطلاق النار. وفي ١٨ نيسان / ابريل ١٩٨٠ تقدمت الجبهة بمذكرة لاحلال السلام تؤكد فيها استعدادها لنبذ العنف والاعمال المسلحة، وطالبت الحكومة بسحب قواتها المسلحة الى ثكناتها والتوقف عن اعمال الاغتيالات والاعتقالات ووقف التعبئة المعنوية والمادية للحرب وتوفير اجواء السلام والأمن في ظل الاستقلال والسيادة الوطنية الديمقراطية القائمة على اساس حرية العمل السياسي والنقابي، والمؤسسات الدستورية المنتخبة انتخاباً حراً ومباشراً من قبل جماهير الشعب[٢٥].

اما في اليمن الديمقراطية فقد تشكلت مؤخراً في القاهرة الجبهة الوطنية اليمنية الجنوبية بزعامة عبد القوي مكاوي ولكن هذه الجبهة ضعيفة جداً قياساً الى جبهة المعارضة في اليمن الشمالية، ولا تخرج عن كونها معارضة سياسية في الخارج للنظام في اليمن الديمقراطية[٢٦].

رابعاً: المواقف الاقليمية والدولية

١ ـ المواقف الاقليمية

بالرغم من اسهام كل الاقطار العربية تقريباً في الوصول الى قرار وقف اطلاق النار بين شطري اليمن. والتمهيد الى عقد لقاء القمة بين رئيسي البلدين فإن مواقف البلدان العربية خاصة تلك المجاورة لشطري اليمن قد تباينت من الحماس والتأييد الى التحفظ والترقب. وفي هذا الصدد نشير الى:

أ ـ الموقف الكويتي وبلدان الخليج: ويعود حماسها لتأييد اتفاق الوحدة بين رئيسي اليمن الى عدة اسباب منها:

(١) ان مؤتمر القمة بين رئيسي اليمن قد عقد على ارضها.

(٢) ان مبادرتها بوقف اطلاق النار تمت بمشاورة بلدان الخليج.

(٣) ان نجاح مباحثات الوحدة يؤكد رؤية الكويت الخاصة بضرورة مد العلاقات مع اليمن الجنوبي لمنع عزلته وبالتالي إجهاض كل محاولاته في التطرف، وقد ترجمت الكويت وبلدان الخليج هذا التأييد الحماسي، بالاتفاق فيما بينها لتخصيص ميزانية من كل منها من اجل دعم المشروعات الانمائية

---

(٢٥) مصطفى عبود، «قضايا وهواجس الوحدة اليمنية،» **الرأي العام** (الكويت)، ٢٦ / ١١ / ١٩٨٣.
(٢٦) هشام طالب، «الرأي العام تسأل عبد القوي مكاوي،» **الرأي العام** (الكويت)، ٧ / ٤ / ١٩٨٠.

لشطري اليمن حتى يتم اعلان الوحدة بينهما وبعد ذلك يتم التنسيق مع اليمن الموحد بالنسبة للمساعدات والقروض طويلة الاجل[٢٧].

ويمكن النظر الى هذه المبادرة على انها تشكل استجابة خليجية لمطالب اليمن الشمالي بأن تتم تسوية النزاع في اطار بلدان الخليج تطلعاً للحصول على المساعدات والقروض لمواجهة المشكلات والظروف الاقتصادية المتدهورة الى حد كبير، وفي الوقت نفسه محاولة من اليمن الشمالي لايجاد مصدر آخر له وزنه للاعتماد عليه اقتصادياً، الى جانب السعودية، لموازنة تأثيرها الملموس على التطور في اليمن الشمالي. كما ان اليمن الجنوبي يرحب بذلك ايضاً بالنظر الى الفوائد الاقتصادية من جهة، ولأنه خطوة ملحوظة على طريق دعم علاقاته ببلدان الخليج والتي ظلت تتخذ موقف التحفظ من النظام في الجنوب طوال الفترة الماضية، ومن جهة، فإنه من المحتمل ان تكون الكويت وبلدان الخليج تنظر الى هذه الخطوة كمحاولة للتأثير في توجهات اليمن الجنوبي على ضوء رغبة النظام في توثيق علاقاته مع بلدان المنطقة.

ب ـ الموقف السعودي: جاء الموقف السعودي تجاه مشروع الوحدة اليمنية، على عكس ما هو متوقع من التأييد، ويعود التحفظ السعودي الى أمرين:

(١) ان نجاح الوحدة اليمنية من شأنه ان يضع العقبات امام النفوذ السعودي التقليدي في الشطر الشمالي من اليمن.

(٢) ان قيام دولة يمنية موحدة سوف يؤدي ـ وفق الادراك السعودي ـ الى انتهاء دور اليمن الشمالي كعازل بين السعودية وبين اتجاهات العنف التي تجاهد الاسرة الحاكمة لوقاية البلاد منها.

ولهذا، وبتأثير من التحفظ السعودي تجاه مشروع الوحدة، فإن احتمالات ان يخفف النظام الجنوبي من تشدّده، احتمالات قائمة وكبيرة ليحقق عدة اهداف في وقت واحد:

ـ ان يتمكن من كسب تأييد الدول المختلفة للوحدة اليمنية.

ـ ان يتيح الفرصة لنفسه للتغلب على المعارضين والمتخوفين من الوحدة خاصة الشمال اليمني.

ـ ان يطمئن السعودية بأن دولة الوحدة القادمة سوف تكون عنصر امن واستقرار في المنطقة.

٢ ـ المواقف الدولية

أ ـ الاتحاد السوفياتي

كعادتها لم تفصح الدبلوماسية السوفياتية، عن الموقف السوفياتي تجاه محاولة الوحدة اليمنية الاخيرة، وظلت في اطار الترقب والانتظار وهنا يواجَه الاتحاد السوفياتي بأحد احتمالين:

(١) ان يتقلص دوره في المنطقة، إذ يحتمل ان يقلل اليمن الموحد من ارتباطاته مع الاتحاد السوفياتي كتعبير عن حسن النية من قبل الشطر الجنوبي ازاء البلدان العربية وكسباً لتأييدها، وبذلك

---

(٢٧) عبد الحميد الموافي، «النزاع بين شطري اليمن ومؤتمر الجامعة العربية بالكويت،» **السياسة الدولية**، السنة ١٥ ، العدد ٥٦ (نيسان / ابريل ١٩٧٩)، ص ١٦٤ ـ ١٦٧.

يفقد دوره الحالي في اليمن الجنوبي. وهذا التخوف دفع بالمسؤولين في اليمن الجنوبي لزيارة الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الشرقية لشرح وجهة نظر الجنوب في علاقات اليمن الموحد الدولية[٢٨].

(٢) ان يتمكن اليمن الجنوبي من لعب دور اكبر في التأثير على التوجهات الخارجية لدولة اليمن الموحد وبذلك تزداد القاعدة الجغرافية للدور السوفياتي في هذا الجزء من الشرق الاوسط وهو ما يأمله السوفيات[٢٩].

ب ـ الولايات المتحدة: أدى توقيع اتفاقية الوحدة الى وجود تناقض بين «الامل» الذي دفع بالولايات المتحدة الى ارسال صفقة عاجلة من الاسلحة تقدر بـ ٤٠٠ مليون دولار دون انتظار موافقة الكونغرس، وبين نتائج الصدام بين دولتي اليمن. ذلك ان الولايات المتحدة توقعت من جراء ارسالها لهذه الصفقة ان تجد لنفسها موطىء قدم في اليمن الشمالي لمواجهة النفوذ السوفياتي المتزايد في المنطقة سواء في الجزيرة العربية المتمثل في اليمن الجنوبي، او على الشاطىء الآخر من البحر الاحمر الممثل في النظام الاثيوبي، وهو الامل الذي لا يتوافق مع اتفاقية الوحدة من ناحية، ومن ناحية اخرى تلك التصريحات التي قال بها المسؤولون في اليمن الشمالي ومعارضتهم لاستغلال القوى الكبرى للخلافات مع النظام في الجنوب، وهو ما اثار دهشة الامريكيين وجعل موقفهم يأخذ طابع الرفض والاستنكار والقلق على مصير الاسلحة الامريكية التي تم تزويد اليمن بها، كما دلت على ذلك معالجة الصحف الامريكية لاتفاقية الوحدة باعتبارها حدثاً غير جاد، لا قيمة له، والمبالغة في قوة المعارضة اليمنية في الشمال، ولتسريب معلومات عن احتمالات سقوط نظام علي عبد الله صالح[٣٠].

وبعد هذه العوامل التي تقف دون تقريب وجهتي نظر الشمال والجنوب، ما هو مصير الوحدة اليمنية ومستقبلها؟

خامساً: نظرة مستقبلية للوحدة اليمنية

من مجمل قضايا الخلاف بين نظامي اليمن، تقف قضية الوحدة اليمنية باعتبارها المحور الرئيسي للصراع بين النظامين للأسباب الآتية:

١ ـ ان هناك اعترافاً من قبل النظامين بضرورة الوحدة مع اختلاف وسيلة بلوغ ذلك الهدف المشترك، والتنافس حول بلوغ ذلك الهدف هو نقطة التناقض الرئيسية.

٢ ـ ان اعتراف النظامين بأهمية الوحدة اليمنية يواكبه اصرار كل منهما بعدم التخلي عن انجازاته الداخلية او قسط منها في سبيل التقارب مع النظام الآخر.

٣ ـ ان محاولتي الصدام المسلح بين الشطرين (١٩٧٢، ١٩٧٩) انتهتا بإعلان اتفاق للوحدة اليمنية.

---

(٢٨) ابو طالب، **الصراع بين شطري اليمن**، ص ٩٤.

(٢٩) حسين آغا، احمد سامح الخالدي وقاسم جعفر، **شؤون عربية**، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، ٥ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ لندن: مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، ١٩٨٢)، ص ٦٧.

(٣٠) حسين آغا، احمد سامح الخالدي وقاسم جعفر، **قضايا الخليج العربي**، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، ١٠ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ لندن: مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، ١٩٨٢)، ص ١٠٧ ـ ١١٠.

٤ ـ ان القادة الذين دعَوْا الى التقارب مع الشطر الآخر، تعرضوا إما لانقلاب «مثل ما حدث في الشطر الجنوبي حيث أُطيح بالرئيس سالم ربيع علي وذلك في حزيران / يونيو ١٩٦٨ او تعرضوا لحوادث اغتيال سياسي «مثل المقدم الحمدي وخلفه الغشمي في الشطر الشمالي من اليمن»، وأخيراً محاولة اغتيال فاشلة استهدفت الرئيسين علي عبد الله صالح وعبد الفتاح اسماعيل بعد الاتفاق الاخير للوحدة في آذار / مارس ١٩٧٩[٣١].

٥ ـ ان الصدام المسلح بين الطرفين لم يتعدَّ مناطق الحدود المشتركة، وكان دائماً مقدمة لجهود وساطة عربية لحصر الأحداث في اضيق نطاق جغرافي وإنهاء آثار التراشق العسكري بين الطرفين.

إن قضية الوحدة اليمنية تثير أكثر من تساؤل حول المضمون الحقيقي لعملية الوحدة وكيفية قيام اليمن الموحد جغرافياً، وماهية طبيعته الاقتصادية وفلسفته السياسية، وأخيراً مؤسساته الداخلية وهياكله السياسية الشعبية والرسمية. وكل هذه التساؤلات وما يتفرع عنها من جزئيات اخرى، تدفع بكلا النظامين الى وضع الشروط المسبقة ـ معلنة وغير معلنة ـ لقبول صيغة دولة اليمن الموحد، وهي الشروط التي تأخذ من الحفاظ على الفلسفة الداخلية ركيزة اساسية، بل وجعلها الاطار الأوحد لدولة اليمن الموحد والذي على النظام في الشطر الآخر قبوله، بما يعنيه ذلك عملياً من ضرورة تخلّيه عن فلسفته الخاصة الداخلية والخارجية. ويثير ذلك التساؤل حول امكانية تحقيق الوحدة اليمنية.

والاجابة عن هذا التساؤل رهن بحدوث تحولات حقيقية ملموسة في احد النظامين بما يؤدي الى التقارب الفعلي مع النظام في الشطر الآخر وتلك التحولات مرهونة بدورها بحدوث تغير في النخبة السياسية الحاكمة في احد النظامين.

ولا يعد تغيّر النخبة السياسية الحاكمة وبروز قيادة جديدة وحدَهُ امراً كافياً لتسهيل تحقيق الوحدة اليمنية، بل ان ذلك مرتبط بالآتي:

ـ موقف النظام الآخر من هذه القيادة الجديدة ومدى قبوله بها وبالتالي الدخول معها في حوار وحدوي.

ـ طبيعة فلسفة هذه القيادة الجديدة ومدى تقاربها مع فلسفة الشطر الآخر، وبالتالي مدى نجاحها في تضييق الفجوة الاجتماعية القائمة بين الشطرين.

ـ قدرتها على تقديم التنازلات في سبيل قبول رؤية النظام الآخر. ومعنى ذلك حدوث احد امرين:

(١) ان تبرز قيادة جديدة في اليمن الديمقراطية تكون على خلاف كامل مع توجهات النخبة اليسارية الحاكمة، وتكون اقرب الى توجهات النظام الحاكم في الشمال؛ (٢) او ان تبرز قيادة في اليمن الشمالية تقبل بفلسفة النظام في الشطر الجنوبي.

إن القضية الرئيسية التي يجب ان تُولى الاهتمام في مضمون الوحدة اليمنية هي قضية اتساق البناء الاجتماعي وهياكله الاقتصادية وقيمه الثقافية كخطوة ضرورية لانجاح اي تجربة وحدوية بين

---

(٣١) اعلنت جريدة **النهار** اللبنانية عن هذه المؤامرة بتاريخ ١ / ٥ / ١٩٧٩، وأوضحت ان لقاء الرئيسين قد تأجل بسبب اكتشاف هذه المؤامرة، وفي ١٧ / ٥ / ١٩٧٩ نفى الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الشطر الشمالي وجود هذه المؤامرة ولكنه لم يفسر تأجيل لقائه بالرئيس عبد الفتاح اسماعيل.

شطري اليمن بما يؤدي الى انتهاء الصراع اليمني[٣٢].

ولا شكّ ان الوحدة اليمنية حال وقوعها ستفتح الطريق امام توحيد الجزيرة العربية انطلاقاً من القول بأن «وحدة اليمن دافع نحو تحقيق وحدة الخليج والجزيرة». ويقول في ذلك د. الاصبحي وزير خارجية الشطر الشمالي «ان هذا القول ينطلق من مقولة وحقيقة تاريخية ان اصل العرب هم اليمنيون وأن اليمن هي اصل العرب الاول، وعلى هذا الاساس لا يكون بعيداً أن يكون مثل هذا القول متحقق بفعل وجود وحدة يمنية»[٣٣].

اما بالنسبة الى المستقبل فمن المؤكد ان هناك من الاهداف والحقائق المشتركة التي تحتم قيام دولة يمنية واحدة، فالبَلدان تكمن مصلحتهما في معاداة الاستعمار واتباع سياسة عدم الانحياز والابتعاد عن صراع القوى الكبرى، كما أنهما أحوج ما يكونان الى بناء الاقتصاد المستقل الذي يوفّر فرص العمل والعدالة للمواطنين؛ والبَلدان بحاجة الى تخطيط مشترك يمكّنهما من استثمار مواردهما وتنويعها ليصبحا معاً وزناً اقتصادياً وسط بلدان المنطقة التي تتمتع بثروات نفطية ومالية هائلة، وهما معا بحاجة الى قوة مشتركة توفر الامن والسلامة لحدودهما وتحمي الموقع الممتاز الذي يشغلانه كي لا تصبح الممرات المائية الاستراتيجية التي تقع ضمن حدودهما مرتعاً للأساطيل الكبرى. هذا اضافة الى حاجة الشطرين الى التخلص من الميراث القبلي الثقيل الذي يعيق نمو أحدهما وازدهاره، إن لم يكن مؤثراً على الاثنين معاً، بكل ما يمثله هذا الميراث من تخلف فكري وحضاري[٣٤].

بيد أن هذه القضايا المشتركة التي تحتم وحدة الشطرين بحاجة الى خطوات محسوبة، بحيث يلزم مراجعة كل خطوة للأمام بخطوتين للخلف للمراجعة والتأمل والوثب من جديد، فأي فشل وحدوي جديد قد يؤصل الاحباط الذي اصيبت به الجماهير من جراء فشل التجارب السابقة، كما قد يكون سبباً في تهديد استقلال هذا الشطر او ذاك ويجعله مطمعاً للقوى المعادية[٣٥].

وهكذا فإن الأُمنية بتحقيق الوحدة اليمنية شعور صادق موجود لدى الشعب في الشطرين وبين معظم المسؤولين في الشطرين، وبين الرئيسين علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد؛ الا ان نوعية الوحدة المنشودة ما زالت العقبة امام تحقيق الامنية نفسها، وما الايديولوجية واختلافها إلا مثل مبسّط على مشقة طريق الوحدة. فالتفكير الاقتصادي في الشمال «اقتصادنا اليمني ليس هو الاقتصاد الماركسي القائم على اساس امتلاك الدولة لوسائل الانتاج»، حسب قول الرئيس علي عبد الله صالح، بينما الاقتصاد في الجنوب مبنيّ الى حد كبير على اساس الايديولوجية الماركسية التي يتبناها الجنوب، فالتنازلات مطلوبة من السلطتين، والمرونة المتوفرة الآن من الجانبين ضرورية وأساسية ليس فقط في هذه الفترة بالذات، بل بالأخص في الخطوات القادمة الاكثر دقة وتعقيداً، وإلّا يبقى حوار الوحدة مجرد حوار آخر تلتهمه السنواتُ ليلتهم بدوره أمنية الشعب اليمني في الشطرين[٣٦].

ويقول د. حسن الظاهر «ان اليمن الموحد ستزداد أهميته الاستراتيجية اكثر، إذ ليس مجموع اهميتي الشطرين في حالة استمرار التجزئة المصطنعة هو نفسه مساوياً لأهمية البلدين فرادى. فدولة الوحدة بإمكاناتها البشرية

---

(٣٢) لمزيد من التفاصيل، انظر: القاسمي، «الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً».
(٣٣) مقابلة اجريتها مع الدكتور الاصبحي، وزير خارجية الشطر الشمالي بتاريخ ١٧ / ٤ / ١٩٨٤.
(٣٤) استنتاجات من عدة مقابلات قمت بها مع المسؤولين اليمنيين في الامارات بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٨٤.
(٣٥) فتحي شريف، «محاولة لفك رموز القضية اليمنية،» **السياسة**، ٥ / ١ / ١٩٨١.
(٣٦) راغدة درغام، «لا معارضة في الشمال ولا سوفيات في الجنوب،» **الحوادث**، (٤ شباط / فبراير ١٩٨٣).

والمادية ستلعب دوراً اكثر حيوية مما هو عليه الآن، وتفسير ذلك ان اليمن الموحد سيصبح إحدى القوى المهمة في مجتمع المحيط الهندي من ناحية، ومن ناحية اخرى فإن اليمن الموحّد سيصير المتحكم الوحيد في باب المندب»[٣٧].

خاتمـــة

إن الشعب اليمني يؤمن بالوحدة ايماناً مطلقاً للخلاص من التخلف، لأنها تمنحه القوة والثقل المادي والمعنوي، ورغم اصطدام الشطرين في معارك حدودية اكثر من مرة فإنهما بعد هذه الصدامات يبديان تحمساً اكبر للوحدة ويوقعان اتفاقات بتوحيد الشطرين. ويمكن القول انه رغم بطء عملية الوحدة بين الشطرين فإن لجان الوحدة حقّقت تقدماً ملموساً في هذا المضمار، خصوصاً بعد الفراغ من إعداد مشروع الدستور. ولا تعتبر العقبات التي تعترض وحدة الشطرين من النوع الذي يستعصي حلّه، فمن خلال الحوار الديمقراطي يمكن حلّ كل الخلافات وازالة هذه العثرات، والضغط على العناصر غير الوحدوية لتغيير مواقفها هذه، واقناعها بأية وسيلة ان مصلحة الوطن فوق مصلحة اي فئة معينة، وكلّما جاءت الخطوات الاندماجية او الوحدوية من البنية الاساسية «التحتية» كان هذا ضمان نجاح لها، حيث يتم اولاً التقريب بين اوجه النشاطات الاساسية كافة: اقتصادية، ثقافية، تعليمية، دفاعية، دستورية سياسية خارجية، بمعنى ان لا تأتي الوحدة من قمة هرم السلطة السياسية، بل يجب ان تأتي من القاعدة وبالتدريج. ومن هذه المستويات الدّنيا تمتد شيئاً فشيئاً، وفي النهاية يصبح دمج او توحيد القيادة السياسية امراً يسيراً لأنه يرتكز على تلك الأسس التحتية الثابتة والراسخة، وهذا هو المنهج الصحيح. وأمامنا التجارب الوحدوية العربية التي جاءت من القمة حيث لم يقدَّر لها النجاح، فهل تكون الوحدة اليمنية رائدة التجربة العربية الصحيحة؟ هذا املنا ونترك الاجابة لمستقبل قريب □

صدر حديثاً عـــن

مركز دراسات الوحدة العربية

الثروة المعدنية العربية

إمكانات التنمية في إطار وحدوي

الدكتور محمد رضا محرم

(٣٧) حسن الظاهر، «السياسة الخارجية اليمنية والميثاق،» **المستقبل العربي**، السنة ٧، العدد ٦٥ (تموز / يوليو ١٩٨٤).

القارة الافريقية وأولويتها في السياسة الخارجية الصهيونية

حلمي عبد الكريم الزعبي

مركز الدراسات الفلسطينية ـ بغداد.

ـ ١ ـ

في البيان الوزاري الذي عرضه رئيس وزراء العدو على الكنيست في منتصف شهر ايلول / سبتمبر عام ١٩٨٤، لنيل الثقة على أساسه، ركّز على اهمية استئناف العلاقات مع الاقطار الافريقية. وأكد كذلك على ان حكومته التي تعطي هذه المسألة الاولوية ستسعى من أجل اعادة علاقاتها مع جميع الاقطار الافريقية، وليس مع زائير وليبريا فقط. ويأتي هذا التصريح في وقت تكثّف فيه الديبلوماسية الصهيونية من نشاطاتها واتصالاتها تحقيقاً لهذا الهدف، ومن اجل حث مزيد من الاقطار الافريقية على حذو حذو زائير وليبريا اللتين اعادتا علاقاتهما مع تل ابيب.

وليس من شك في ان العودة الى القارة الافريقية، من الابواب الامامية الواسعة وتجاوز مرحلة الاتصالات عبر النافذة، كان ولا يزال يشكل هدفاً رئيساً توجه الديبلوماسية الصهيونية خطواتها باتجاهه سعياً وراء تحقيقه وبلوغه. فالعدو الصهيوني ظل، ومنذ قطع هذه العلاقات على مرحلتين ـ الاولى ١٩٦٧، ثم عام ١٩٧٣ ـ يبذل الجهود ويستنجد بأصدقائه في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا من اجل اعادة هذه العلاقات.

وقد بدأت الجهود عام ١٩٧٦ ودخلت منعطفاً خطيراً بعد زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧، وما تمخضت عنه من اتفاقيات ومعاهدات كاتفاقيات كامب ديفيد. وهكذا فقد استمدت هذه الجهود الصهيونية للعودة الى الاقطار الافريقية قوتها وزخمها من تلك الاتفاقيات التي ادت الى خروج مصر من ساحة الصراع ضد العدو الصهيوني وتطبيع العلاقات معه. وكانت النتيجة ان بعض الزعماء الافارقة الذين كانوا ينتظرون مثل هذا «الضوء الاخضر» تجاوبوا مع الجهود الصهيونية، وأن البعض الآخر اخذ يفكر في ان يحذو حذو اولئك الرؤساء الذين استأنفوا علاقاتهم مع تل ابيب وسمحوا للنشاط الصهيوني، بمختلف اوجهه وأشكاله، بالعودة الى اقطارهم بشكل مكثف.

ـ ٢ ـ

وفي ضوء ما تقدم فإنه لا بد من طرح عدة تساؤلات، على جانب من الاهمية: لماذا هذا التركيز

الصهيوني على القارة الافريقية؟ لماذا يصر العدو الصهيوني على العودة الى القارة عبر انشطة عديدة وقنوات متعددة وبشكل ابعد وأخطر مما حدث في الماضي؟ ثم لماذا يتخذ من القارة الافريقية هدفاً لسياسته الخارجية ويضعها في موضع الصدارة من اهتماماته وعلاقاته الدولية؟ لا شك ان الاجابة عن هذه التساؤلات جميعها تقتضينا ان نعود الى نقطة الانطلاق في هذا الاهتمام. ونقطة الانطلاق هذه تستدعي الخوض في تفاصيل السياسة الخارجية الصهيونية وعلاقات الكيان الصهيوني الدولية والدوائر التي رسمها في نطاق تلك السياسة والاولويات التي تحددت على هديها.

حين أُقحم الكيان الصهيوني على الارض العربية في فلسطين، وزُرع فيها كجسد غريب مقطوع الجذور عن المنطقة، لم تكن تربطه بالعالم سوى علاقات في اضيق الحدود اقتصرت على العالم الغربي الذي انشأ هذا الكيان وتكفله بالرعاية والعناية وكذلك علاقات محدودة مع بعض دول اوروبا الشرقية.

وترتب على هذا الوضع عزلة احاطت بالكيان الصهيوني احاطة السوار بالمعصم جراء لفظ المنطقة لهذا الوجود الغريب وفرض الحصار والمقاطعة عليه ومن حوله. ولقد ظل هذا الكيان يعاني هذه العزلة على الرغم من قبوله عضواً في الامم المتحدة واعتراف عدد لا بأس به من الدول الاعضاء في المنظمة الدولية بكيانه وخاصة الاوروبية والولايات المتحدة وكندا ودول اوروبا الشرقية وبعض دول امريكا اللاتينية التي كانت تقع ضمن مناطق النفوذ الامريكية، وبعض الدول الآسيوية التي لم يتجاوز عددها ثلاث دول هي تركيا وايران وبورما.

كانت حكومة الكيان الصهيوني تحاول تلمّس التأييد الدولي خارج الدائرتين الامريكية والاوروبية اللتين ضمنتا لها الرعاية المستمرة والدعم المادي والسياسي والمعنوي والإسناد العسكريّ. وكان المسؤولون عن هذا الكيان يشعرون ان كيانهم ظل يفتقد الشرعية طالما ان اطراف المجتمع الدولي لم تعترف به بشكل كامل وتتعامل معه على اكثر من صعيد. وكان هؤلاء يتوخّون إقامة علاقات مع دول في قارات اخرى وخاصة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية.

يكاد يجمع المهتمون بدراسة السياسة الخارجية للكيان الصهيوني منذ مطلع الخمسينات على تناول هذا الاهتمام بالقارات الثلاث بالتحليل ليتوصلوا الى نتائج حاسمة في هذا الشأن.

وانطلاقاً من ذلك يمكن القول إن سلطات الكيان الصهيوني اعتبرت القارات الثلاث ميداناً مهماً للنشاط المتعدد الوجوه الذي لا يقتصر على مجرد العلاقات الديبلوماسية، ومسرحاً مهماً يمكن ان يؤدي فيه الكيان الصهيوني ادواراً اقتصادية وسياسية وعسكرية يتعذر تأديتها في قارات اخرى.

وقد ارتبط هذا التصور بعديد من المعايير والاعتبارات يمكن تحديدها كالتالي:

ـ **معيار اقتصادي** ينتهي الى اعتبار هذه القارات التي تتضمَّن اقطاراً متخلفة وغير مصنعة، وإنه لهذا يمكن استثمار هذا التخلف لغزوها اقتصادياً واجتياح اسواقها والاستئثار بمواردها الطبيعية. وعليه فإنّ مدّ النشاط الاقتصادي اليها يساعد إسرائيل على الفكاك من إحكام المقاطعة الاقتصادية العربية والتخفيف من تأثيراتها على مجمل الوضع الاقتصادي الاسرائيلي. ويقول ابا ايبن في محاضرة له في كلية الدفاع الوطني في سنة ١٩٦٤: «ان مستقبل اسرائيل الاقتصادي سيعتمد الى حد كبير على نشاطها الاقتصادي في الدول النامية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية، وهذا بدوره، يفرض عليها تطوير شبكة علاقاتها مع هذه الدول. ويمضي ابا ايبن قائلاً: «ان هذه القارات الثلاث ستظل دوماً بحاجة الى الدول المتقدمة

تكنولوجياً، والتي تمتلك وفرة من الخبراء كما انها ستظل بحاجة الى المنتجات الصناعية لهذه الدول»[١].

ـ **معيار سياسي** ينتهي الى ضرورة السعي للتقارب مع الدول النامية حديثة الاستقلال في القارات الثلاث تلمساً للحصول على تأييدها وكذلك اعترافها باسرائيل كدولة مستقلة ذات سيادة وكيان شرق أوسطي لا يمكن تجاهله.

هذا من ناحية، ومن الناحية الثانية العمل بشتى الوسائل لاستمالة هذه الدول الى جانبها على الصعيد الدولي وتأييدها في المحافل الدولية واذا تعذر فتحييدها على الاقل، وهذا ما عبر عنه ايضاً ابا ايبن بعد عودته من جولة في افريقيا عام ١٩٦٩ حين قال: «سنعمل على ايصال علم اسرائيل الى مئات العواصم، ونعمل على خلق وجود دولي لاسرائيل في جميع قارات العالم»[٢]. معنى ذلك ان الكيان الصهيوني اراد اصطياد عصفورين بحجر:

١ ـ كسب التأييد الدولي لنفسه.

٢ ـ حجب هذا التأييد عن العرب في صراعهم السياسي ضد الكيان الصهيوني.

ويأتي تركيز الكيان الصهيوني على القارات الثلاث او الدول النامية من الناحية السياسية ايضاً نتيجة لادراك قادة الكيان الصهيوني للدور الفاعل والمؤثر لدول القارات الثلاث في المحافل الدولية وامتلاكها لأكبر عدد من الاصوات في الامم المتحدة.

هذا كله دفع شاريت، وزير خارجية الكيان الصهيوني الى التشديد على ضرورة نسج شبكة من العلاقات مع اقطار القارت الثلاث «لحاجة اسرائيل المتزايدة الى التأييد الدولي وتأكيد وجودها في المحافل الدولية»[٣].

ـ **معيار استراتيجي**: ينتهي الى اعطاء ما يسمى بأمن الكيان الصهيوني والمصلحة القومية بعداً اقليمياً ودولياً وربطه بشبكة من العلاقات مع اقطار هذه القارات الثلاث انطلاقاً من ادراك الاهمية الاستراتيجية لهذه الاقطار الناشئة عن الموقع الجغرافي بالنسبة له. والمصلحة القومية متمثلة في فكرة الامن كما فهمها قادة الكيان الصهيوني تشمل بداهة «كل العوامل التي تضمن استمرار وجود هذا الكيان وتطوره وانماء قوته الدولية في مواجهة القوى المعادية، اي العرب»[٤].

وهكذا، فإن نسج علاقات بين هذا الكيان والدوائر الثلاث في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لا تعدو أن تكون من وجهة نظر اولئك القادة عاملاً من عوامل القوة في المجال الدولي خاصة إذا كانت هذه العلاقات تتجاوز الاطر التقليدية وتمتد الى مختلف النواحي وعلى الاخص النشاط الاقتصادي الذي راح يشكل، منذ الخمسينات، هدفاً مباشراً من اهداف الدول الامبريالية، وعلى اساس انه يشكل بدوره اداة نفوذ وسيطرة.

إن اعطاء الكيان الصهيوني للمعيار الاستراتيجي بعداً دولياً نتج عن الادراك بأن الصراع العربي ـ الصهيوني لا يمكن ان يقتصر على ساحة «الشرق الاوسط» وانم يمتد الى ساحات اخرى، وان الوصول الى هذه القارات يحقق مزايا استراتيجية من الدرجة الاولى.

---

(١) «وزارة الدفاع الاسرائيلية،» **سكيرا حودشيت** (Sekirah Hodshit) ، عدد ٣ (تموز / يوليو ١٩٦٤).

(٢) **هآرتس** (Ha-arets) ، ٦ / ١ / ١٩٧٢.

(٣) دافيد كوهين، **كتاب اسرائيل والعالم الآفرو آسيوي** ([د. م.]: دار عام عوفيد، ١٩٦٣)، ص ٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨١.

وقد انعكس ذلك في سلسلة من التصريحات التي صدرت عن قادة العدو، نخصّ منها بالذكر ما قاله ليفي اشكول «كانت اسرائيل تتوخى، من سعيها الى انشاء علاقات مع دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية، البحث عن الامن وضمان وجودها ودعم مركزها الدولي بما يحققه ذلك من مزايا استراتيجية تنعكس ايجابياً على امنها القومي»[٥].

ـ **معيار جغرافي**: ينتهي الى اعتبار الاقطار الآسيوية والافريقية قريبة من حيث موقعها الجغرافي من الكيان الصهيوني قياساً بالمسافة بينه وبين الولايات المتحدة. من هنا كان بعض هؤلاء المسؤولين، وخاصة موشيه شاريت، رئيس وزراء العدو ووزير الخارجية في النصف الاول من الخمسينات، يتطلع الى خلق علاقات لكيانه بالدوائر الآسيوية وأمريكا اللاتينية، ومع افريقيا التي كانت لا تزال تخضع للهيمنة الاستعمارية الفرنسية والبريطانية.

ومن هنا استقرّ رأي شاريت ـ وبعد احتدام جدل صاخب مع دافيد بن غوريون رئيس حكومة الكيان الصهيوني آنذاك، وبعد عودته عام ١٩٥٥ لتولي رئاسة الوزارة الصهيونية ـ على البدء باتصالات مع الهند والصين وكوريا وما سمّي بفيتنام الجنوبية في ذلك الوقت انطلاقاً من مقولته «بأن اسرائيل التي كتب لها ان تقوم في آسيا يتعين عليها ان تكون جزءاً من هذا العالم، وعلى علاقة قوية بشعوب الشرق، وإن كانت قد نشأت على ارضية ثقافية وايديولوجية غربية وقامت بفضل دعم الغرب واسناده»[٦].

هذا بالنسبة لآسيا. أما بالنسبة لافريقيا فثمة ملاحظة جديرة بالتنويه هنا، وتتمثل في ان الكيان الصهيوني لم يكن يرتبط، حتى النصف الثاني من الخمسينات إلا بعلاقات في اضيق الحدود مع افريقيا مثل علاقاته مع ليبريا حيث كانت ثالث دولة تعترف بالكيان الصهيوني عند قيامه في سنة ١٩٤٨ وسمحت بفتح قنصلية له في منروفيا سنة ١٩٥٤[٧].

ـ ٣ ـ

اما البلد الافريقي الذي نشأت علاقات وطيدة معه سبقت قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ فهو جنوب افريقيا. ومعروف انه نشأت بين العنصريّين البيض والحركة الصهيونية علاقات وطيدة قبل اقامة الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨. فقبل انشاء هذا الكيان أبدت سلطات جنوب افريقيا العنصرية التي كانت عضواً في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) نظرة ايجابية حيال المشروع الصهيوني ومنحته التأييد. وليس ادل على ذلك من ان رئيس حكومة جنوب افريقيا العنصرية (كرستيان سماتس)، الذي ظل في الحكم في جنوب افريقيا حتى عام ١٩٤٨ كان يعتبر صديقاً حميماً للصهيونية، ولم يضنّ بدعمه ومساعدته للصهيونية ولزعمائها امثال وايزمان وجبوتنسكي[٨].

وبعد اقامة الكيان عام ١٩٤٨ اتخذت هذه العلاقة بعداً ايديولوجياً على اثر هزيمة الحزب الموحد الموالي لبريطانيا بزعامة سماتس في الانتخابات وفوز الحزب القومي بزعامة الدكتور دنيائيل ميلين. كان هذا الحزب يمثل اتجاه ما يسمى بالأمة الافريقية، وهو اتجاه متعصّب مندفع، يعكس بجلاء الافكار والمفاهيم التي كانت تسيطر على المستوطنين الاوروبيين الذين هم في الاصل ينتمون الى المستوطنين

---

(٥) **دافار** (لسان حال الهستدروت)، ٢٤ / ٣ / ١٩٦٦.

(٦) كوهين، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٧) حمد سليمان المشوخي، **التغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا** (الاسكندرية: دار الجامعات المصرية، ١٩٧٢)، ص ٣٣٨.

(٨) «وزارة الدفاع الاسرائيلية،» **سكيرا حودشيت**، عدد ١ (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠).

الهولنديين، الذين وصلوا الى جنوب افريقيا في القرن السابع عشر.

لقد ارتبط هذا الحزب، من ناحية ايديولوجية وغيرها، بعلاقات مع الحركة الصهيونية سَداها الأفكار العنصرية المتطابقة ولُحمتها الايمان بسموّ الجنس الابيض، وبفكرة الشعب المختار، وبالمنطلقات العنصرية الاخرى التي تعتبر العرب والافارقة وكل الشعوب النامية على انها شعوب من السُّقاة والحطابين[٩]. وكانت فكرة الاختلاف بين الابيض والملون، كما اراد الرب حسب زعمهم تشكل اساساً فكرياً لسياسة التطور المستقل. وبصدد موقف العنصريين البيض المتعاطف مع الصهاينة، تجدر الاشارة الى ان هذا الموقف له جذوره الدينية فالافريكان من البوير والمستوطنين الآخرين، اتخذوا من التوراة كتاباً وحيداً يتلونه واعتبروه مصدر حكمة وإلهام ودليلاً على الحياة اليومية كما انهم نظروا الى ما يسمى «بشعب اسرائيل» على انه شعب شقيق لهم نظراً لما هو قائم من تشابه بينهما في الظروف، ففي التاريخ القديم تاه اليهود في صحراء سيناء، وفي التاريخ الحديث تاه هؤلاء في الصحراء الافريقية، كما اعتبر هؤلاء انفسهم مثل اليهود شعب الله المختار واعتبروا جنوب افريقيا ارض الميعاد[١٠]. ثمة قواسم مشتركة بين العنصريين البيض في جنوب افريقيا والعنصريين الصهاينة في فلسطين تتمثل في التالي:

- تطابق في الايديولوجية العنصرية والمعتقدات.

- تطابق في الاوضاع من حيث اغتصاب ارض الغير واضطهاد اصحابها.

- تطابق في الممارسة العدوانية ضد الاقطار المجاورة. هذا في الماضي؛ أمّا في الحاضر فلقد نزع هؤلاء العنصريون الى تذكير حلفائهم الصهاينة بالمصير المشترك الذي يجمعهم، فالعنصريون البيض يواجهون قارة بكاملها تقف ضد عنصريتهم وتدعم نضال الافارقة اصحاب الوطن الشرعيين في جنوب افريقيا من اجل التحرر والتخلص من ابشع نظام عرفته البشرية، والصهاينة يواجهون امة عربية ترفض هذا الجسم الغريب الذي أُقحم على جزء من وطنها.

وقد تجسدت هذه العلاقة الوطيدة بين العنصريِّين في جنوب افريقيا والصهاينة في زيارة رئيس حكومة البيض دنيائيل ميلين للكيان الصهيوني في مطلع الخمسينات، وأسهمت تلك الزيارة في توطيد العلاقات الشاملة بين تل ابيب وجوهانسبورغ، وأصبح العنصريون البيض أقوى حليف للصهاينة بعد الولايات المتحدة.

- ٤ -

وتطورت هذه العلاقات في الخمسينات بشكل مطَّرد وعلى مختلف الصعد ولم تظهر مشاكل خاصة، بل على العكس كان هناك تطابق في المواقف والافكار، والتقاء في المصالح؛ الامر الذي ساعد على تعزيز هذه العلاقات. وفي منتصف الخمسينات بدأت تلوح نهاية عصر الاستعمار في افريقيا عندما اخذت بعض هذه الاقطار تنال استقلالها. في هذه الفترة، اي في النصف الثاني من الخمسينات - بدأ يتبلور داخل الكيان الصهيوني ما يعرف بالاتجاه الافريقي في السياسة الخارجية الصهيونية. ولا شك ان هذا الاتجاه الداعي الى اقامة علاقات مع الاقطار الافريقية كان يتزعمه موشي شاريت وزير

---

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه.

الخارجية في ذلك الوقت. كان هذا الاتجاه يبدو لأول وهلة أنه متناقض مع علاقات الكيان الصهيوني بالعنصريين البيض في جنوب افريقيا[١١]. ولم ينشأ هذا الاتجاه، الذي جاء نتيجة اهتمام بالدائرة الافريقية عن فراغ، وانما نشأ لمواجهة نتائج مؤتمر باندونغ الذي عقد عام ١٩٥٥، والذي برز فيه دور مصر بقيادة عبد الناصر ومشاركة حركات التحرر الافريقية بالاضافة الى دول آسيوية ابرزها الهند واندونيسيا. كان هذا الاتجاه ينطلق في اهتمامه بافريقيا عن ادراك لخطورة قيام كتلة آسيوية افريقية يلعب العرب من خلالها دوراً دولياً مهماً.

وكان لرفض عضوية الكيان الصهيوني في المؤتمر وعدم اعتباره دولة آسيوية او افريقية دور مهم في العودة للتأكيد على ضرورة الاهتمام، من قبله، بالكتلة الأفرو- آسيوية لما لها من وزن في المجالات الدولية. وكانت القرارات التي اعتمدها المؤتمر والمؤيدة لحق الشعب الفلسطيني قد أثارت قلقاً لدى دوائر تل ابيب ودفعها الى اعادة النظر في سياستها الخارجية ازاء آسيا وافريقيا بشكل عام وإزاء افريقيا بشكل خاص[١٢].

اما العامل التالي فقد تمثل في الظروف التي افرزها العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وخاصة في فتح مضايق تيران امام الملاحة الصهيونية في البحر الاحمر. وقد ادى ذلك الى فتح بوابة ثانية امام الكيان الصهيوني لا تقل عن البوابة الاولى المتمثلة في البحر الابيض المتوسط.

ومن هنا فقد ارتبط الاهتمام بإفريقيا بمعيار اقتصادي يضاف الى المعيار السياسي والاستراتيجي والجغرافي. وقد عبّر هذا الاهتمام عن نفسه في الكثير من المواقف والتصريحات التي صدرت عن زعماء الكيان الصهيوني، ومنهم بن غوريون الذي عاد الى تولي مقاليد السلطة في اواخر عام ١٩٥٥ بعد تفجر فضيحة لاڤون. فماذا قال بن غوريون الذي كان يعارض شاريت في الانفتاح على العالم الأفرو آسيوي بالشكل الذي خطط له شاريت؟ «ان افريقيا اصبحت بعد تأمين حرية الملاحة في مضيق ايلات تحتل الاولوية في علاقات اسرائيل الدولية، لأن هذه العلاقات ستحقق نتائج غاية في الاهمية لكلا الجانبين»[١٣].

من ناحية أخرى كان قد اوضح شاريت اسباب هذا الاهتمام بقوله: «ان افريقيا تشكل من وجهة نظرنا ميداناً مهماً لا ينبغي ان نسمح بنشوء فراغ فيه بعد حصول اقطارها على الاستقلال لأن ملء هذا الفراغ من قبل قوى غير صديقة سيعتبر نكسة لنا». ويضيف شاريت: «ان اهتمامنا بافريقيا نابع ايضاً من روابط تاريخية بعضها يعود الى الماضي السحيق وبعضها يعود الى مطلع هذا القرن، حيث عرضت بعض اقطار افريقيا ـ كينيا ـ على الحركة الصهيونية لتكون وطناً قومياً ينفذ فيه مشروع الانبعاث القومي»[١٤]. ولكن لا يحتاج المرء الى كبير عناء لكي يكتشف ان الروابط التاريخية ليست هي العامل الحاسم وراء هذا الاهتمام وانما كان هذا الاهتمام جزءاً من مخطط يستهدف القارة الافريقية ومواجهتها بسلاح التغلغل. وكان المخططون الصهاينة الذين ركزوا على الدائرة الافريقية في سياستهم الخارجية يتصورون ان افريقيا تشكل الحلقة الاسهل للاختراق والميدان الارحب للتغلغل والاجتياح.

---

(١١) كوهين، **كتاب اسرائيل والعالم الآفرو آسيوي**، ص ٨٩.

(١٢) عواطف عبد الرحمن، **اسرائيل وافريقيا، ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، ١٩٧٤)، ص ٢٥.

(١٣) كوهين، المصدر نفسه، ص ٩٢.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٨٧.

كانت افـريقيـا ولا تزال تعتبـر احـدى القـارات المهمة التي تتركز فيها المصالح الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية للدول الغربية. ولما كان الكيان الصهيوني قد خُلق اصلاً ليكون اداة لحماية هذه المصالح والدفاع عنها ويكون واجهة لأصحاب تلك المصالح من دول الغرب الاستعماري، فإنه لأمر طبيعي ان تتركز انظاره على تلك القارة، ليحل محل الاستعمار الغربي حين يجلو مضطراً عن القارة، حفاظاً على مصالحه، التي تتشابك وتترابط عضوياً مع مصالح الاستعمار الغربي. كما لا ينبغي ان ننسى ان الكيان الصهيوني كان ينشد «مجالاً حيوياً» في الدائرة الافريقية مثلما كان ينشدها في علاقاته مع الدائرة الآسيوية وامريكا اللاتينية. فافريقيا تختزن في باطن ارضها مجموعة هائلة من المعادن والمناجم والمواد الخام ومصادر الطاقة، وهي غنية بالثروة الحيوانية؛ بالاضافة الى أنها تشكل ميداناً للاستثمارات المهمة التي تحقق الفوائد والارباح الطائلة، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي المتميز، وأهمية خطوط المواصلات البحرية والجوية.

كان واضعو السياسة الخارجية الصهيونية يدركون ايضاً انه لا بد من احتلال مواقع مؤثرة في هذه القارة المهمة من النواحي الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية، لأن ذلك من شأنه ان يحقق فوائد كبيرة لهذا الكيان وعلى مختلف الصعد. وكان البحث عن المصالح المتنوعة، الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، الدافع الاساسي وراء هذا الاهتمام، وهذه حقيقة أكدها موشيه شاريت نفسه حين قال: «ان الدول الغربية الصديقة يمكنها ان توفر لنا المساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، ولكنها لا تستطيع ان توفر لنا مجالات حيوية لصادراتنا ومنتجاتنا. نحن نحتاج الى الاسواق، ونحتاج الى من يقف معنا في الامم المتحدة في مواجهة اعدائنا الذين يحاولون ان ينكروا وجودنا، ونحتاج الى ان تكون لنا خطوط مواصلات بحرية وجوية ومع دول لا تبعد عنا كثيراً»[١٥].

ـ ٥ ـ

وثمة حقيقة، في هذا الشأن لا بد من الاشارة اليها، وهي ان القارة الافريقية اعتبرت في المنظور الصهيوني ـ وربما اكثر من آسيا وامريكا اللاتينية ـ القارة الافضل للتعامل السياسي والاقتصادي والاستراتيجي، والاجدى نفعاً. ويمكن ان نعزو ذلك الى عدة عوامل هي:

اولاً: عامل سياسي ـ حيث كانت السلطات الصهيونية تسعى الى كسب التأييد الدولي لكيانها واضفاء صفة الشرعية عليه منذ عام ١٩٤٨ عن طريق تطوير شبكة من العلاقات الدولية في دوائر خارج اوروبا وامريكا وخاصة في افريقيا وآسيا. وقد بدأ الاهتمام بالدائرة الافريقية يتزايد بعد مؤتمر باندونغ ١٩٥٥، والعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦.

وهكذا، وعندما اخذت الدول الافريقية تنال استقلالها وتنضم الى المجتمع الدولي ممثلة في الامم المتحدة ومؤسساتها بدأ راسمو السياسة الخارجية في الكيان الصهيوني يفكرون في الخروج من العزلة عن طريق اقتحام دوائر دولية جديدة ومنها الدائرة الافريقية، كان هؤلاء يضعون نصب اعينهم تحقيق عدة اهداف:

ـ تحطيم طوق العزلة الذي يُحيط بكيانهم واختراق اسوارها عن طريق انشاء علاقات مع افريقيا التي اعتبرت من الوجهة السياسية ذات شأن كبير. فلقد كان واضعو السياسة الخارجية الصهيونية

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

يدركون انه ينتظر القارة وزن كبير في المحافل الدولية لكثرة عددها، مما سيشكل بالتالي كتلة مؤثرة في الامم المتحدة.

ـ كان كسب التأييد الدولي لموقف الكيان الصهيوني أو ما يترتب على ذلك من ضرورة توسيع شبكة علاقاته السياسية وخاصة مع الدول التي تقع خارج العالم الغربي الذي اصبح تأييده مضموناً. ومثل هذا التأييد يمثل، مسألة غاية في الاهمية تتعلق بدعم مركزه وسمعته دولياً، وهكذا فإن السلطات الصهيونية سعت لكسب التأييد الدولي الذي تسعى إليه. من هنا جاء تصريح ابا ايبن وزير الخارجية الصهيوني الاسبق: «كانت اسرائيل في مسيس الحاجة الى انشاء علاقات مع افريقيا، علاقات تعطي ثماراً سياسية تضمن منح اصوات التأييد لاسرائيل على المسرح الدولي. لم يكن يكفي ان تعتمد اسرائيل على الفيتو الامريكي والبريطاني والفرنسي في مجلس الامن، الذي يعتبر الهيئة التنفيذية للمنظمة الدولية. كنا نحتاج الى اصوات عشرات الدول الاخرى لكي نحول دون تدهور مركزنا وعزلتنا في الجمعية العامة للامم المتحدة التي هي بمثابة برلمان للشعوب»[١٦].

بالاضافة الى ذلك، كانت افريقيا ولا تزال تمثل جبهة الصراع العربي ـ الصهيوني وميداناً للمواجهة السياسية، نظراً للموقع الجغرافي للعديد من الدول التي تجاور المنطقة العربية وخاصة جنوب الصحراء[١٧]. ويذكر مردخاي كرؤين في هذا المجال: «انه ثمة مميزات واضحة لسعي اسرائيل من اجل كسب الاصدقاء في الكتلة الافرو آسيوية المتزايدة الاهمية فبسعيها ذاك تتمكن من كسر طوق العزلة الاقتصادية والسياسية التي تعاني منها في الشرق الاوسط»[١٨].

بدأ الكيان الصهيوني يركز على علاقاته الدولية ويعمل على توسيعها من خلال محاولة اقتحام دوائر دولية اخرى ومن بينها افريقيا. وكان يضع نصب عينيه هدفاً آخر الا وهو ممارسة الضغط على العرب من خلال تطوير علاقاته مع اقطار افريقيا من اجل حملهم على الاعتراف بوجوده وكيانه، وكذلك ضمان ما يسمى بأمنه وتأكيد وجوده[١٩]. ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكره في هذا الصدد (بنيامين اكسَين) عميد جامعة حيفا، استاذ العلوم السياسية السابق في الجامعة العبرية. فقد قال: «ان نقطة الارتكاز في سياسة اسرائيل الخارجية يجب ان تكون ضمان وجود اسرائيل في الاسرة الدولية»[٢٠].

ومجمل القول هو ان الكيان الصهيوني كان ينشد ما يلي:

ـ اعترافاً دولياً اوسع وتأييداً عالمياً اشمل لكيانه في المحافل الدولية دعماً لوجوده وكيانه الذي نشأ وسط ظروف غير عادية وغير طبيعية تختلف عن ظروف نشوء الكيانات السياسية الاخرى.

ـ ضرب الحصار العربي المفروض من حوله واسقاط تأثيراته من خلال شبكة من العلاقات مع الكتلة الافرو آسيوية وعلى وجه خاص دول افريقيا.

ـ تبوؤ كانة دولية تفوق، في اهميتها، الرقعة الجغرافية التي يحتلها هذا الكيان والتي تمثل جزيرة وسط بحر معادٍ.

---

(١٦) **مدينا وحمشال وحيسيم بنلوميم** (Medina Mimshal Virhasim Binleumiyim) ، المجلد ١٢، العدد ٢ (١٩٦٦).

(١٧) المشوخي، **التغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا**، ص ٣٣٨ و٣٣٩.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) عبد الرحمن، **اسرائيل وافريقيا، ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣**، ص ٢٩.

(٢٠) المشوخي، المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

ـ دق اسفين بين اقطار الوطن العربي والاقطار الافريقية والحيلولة دون قيام تلاحم عربي افريقي يقوم على أسس النضال المشترك والمصير والتاريخ والمصالح التي تفرضها عوامل طبيعية مثل وقوع دول افريقية واخرى عربية على امتداد ضفتي النيل فضلاً عن جغرافية الحدود المشتركة مع اقطار الوطن العربي... الخ.

ـ ضمان امن اسرائيل: إن تطوير شبكة من العلاقات الخارجية سيؤدي حتماً الى ضمان هذا الامن وتأمينه، وأن عامل الامن يمكن ان يتحقق اذا ما نشأت بين تل ابيب ودول العالم مثل هذه العلاقات. وهذا ما اكده بن غوريون الذي كان شغوفاً بالتنظير للأمن حين قال «إن الامن يجب ان يكون النقطة المحورية التي تتحرك حولها السياسة الاسرائيلية وإن ضمان امن اسرائيل يقف في طليعة اهداف سياستها الخارجية»[٢١].

ثانياً: لعبت التطورات الاقتصادية داخل الكيان الصهيوني في ضوء المساعدات التكنولوجية التي اغدقها الغرب على هذا الكيان والتعويضات الالمانية دوراً خطيراً في بلورة نزعة صهيونية للبحث عن وسيلة للفكاك من المقاطعة العربية من خلال البحث عن اسواق قريبة ومجالات لنشاط اقتصادي واسع ومصدر لاستيراد المواد الخام. وأدت سيطرة الكيان الصهيوني على مضايق تيران وفتحها امام الملاحة الصهيونية الى زيادة الاهتمام بالتجارة الافريقية باعتبارها اقرب القارات وأكثرها اهمية من الناحية الاقتصادية.

والحقيقة ان الكيان الصهيوني، وبعد انشاء ميناء ايلات على البحر الاحمر اعتبر النفاذ الى القارة الافريقية عبر الرئة الثانية، التي يتنفس منها وهي البحر الاحمر، مسألة غاية في الاهمية وبالتالي، فان القارة الافريقية حظيت بأفضلية عالية في سياسة الكيان الصهيوني في بحثه عن مزايا سياسية واستراتيجية واقتصادية. هذه حقيقة اكّدها رئيس وزراء الكيان الصهيوني الاسبق دافيد بن غوريون حين قال بمناسبة افتتاح ميناء ايلات وبدء تسيير الخط البحري مع اقطار شرق افريقيا: «ان العلاقات مع افريقيا تحتل المرتبة الاولى في علاقات اسرائيل الخارجية مع العالم نظراً لقرب موقعها الجغرافي، ولما تكتنزه هذه القارة من مواد خام تحتاج اليها، ولما تشكله من سوق ضخمة نحتاجها لتصريف منتجاتنا، ومجالاً لممارسة نشاط في مختلف الميادين، ونقل تجاربنا في مجالات الزراعة وإحياء القفار وإعمار المناطق الصحراوية الى تلك الاقطار»[٢٢].

وخلاصة ما ينبغي قوله هنا ان الكيان الصهيوني كان يعتبر افريقيا «مجالاً حيوياً» بالنسبة لتطلعاته الاقتصادية. وهذا مردّه الى عوامل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

ـ الفكاك من المقاطعة الاقتصادية العربية التي كانت تؤثر ابلغ تأثير على الوضع الاقتصادي الصهيوني واختراق هذا الحصار عن طريق الوصول الى اسواق خارج المنطقة العربية ومصادر المواد الخام.

ـ اعتبرت القارة الافريقية من الناحية الاقتصادية، وما يتوفر منها من ثروات، بمثابة ميدان كسب على المدى الطويل، خاصة وأن الاسواق فيها تعتبر من اهم اسواق الاستهلاك العالمي[٢٣]، وضمان هذه الأسواق يعني التخفيف من حرمان الكيان الصهيوني من الاسواق العربية القريبة ويؤدي كذلك الى دعم وجوده الاقتصادي والسياسي.

---

(٢١) عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٢٢) **معاريف**، ١١ / ١٠ / ١٩٦٢.
(٢٣) المشوخي، **التغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا**، ص ٢٤٢.

ـ الحصول على المواد الاولية المطلوبة للصناعة الاسرائيلية وخاصة المعدنية والنباتية التي تتوفر بغزارة وبأثمان بخسة نسبياً والتي يسهل نقلها الى الكيان الصهيوني من مصادرها الأولية.

ـ تأمين مجال عمل لشركاته ومؤسساته وفائض الخبرات المتوفرة لديه التي تتركز في العديد من القطاعات وخاصة الزراعة والطب والخدمات لجني الأموال من وراء ذلك[٢٤].

ـ التطلع الى تحويل الكيان الصهيوني الى مركز صناعي متقدم يعتمد التكنولوجيا المتطورة وسط بيئة متخلفة.

ولم يكن بوسع الكيان الصهيوني تحقيق اهدافه الاقتصادية في القارة الافريقية من دون اللجوء الى وسيلة، وكانت هذه الوسيلة هي تقديم المساعدات وما يسمى بالخبرات او ما يصفه اشكول وزير المالية الصهيوني في عام ١٩٦٥ ثم رئيس وزراء حكومة تل ابيب بعد ذلك «بالثمن» الذي كان يتعين على كيانه ان يدفعه لقاء إنجاح خطة التغلغل الاقتصادي والسياسي في افريقيا. وهكذا راح الكيان الصهيوني، ومنذ عام ١٩٥٨، ومع بداية موجة حصول الدول الافريقية على استقلالها يتقدم الى تلك الدول حديثة التحرر والاستقلال عارضاً عليها المساعدات الاقتصادية والفنية والاجتماعية مدركاً حاجة هذه الدول الى مثل هذه المساعدات وغيرها من المعونات بدعوى العمل على انمائها وتطوير مستوى العيش فيها.

ووجدت هذه الوسيلة استجابة لدى هذه الدول خاصة وأن الصهاينة راحوا يلجأون الى اساليب ظاهرها الرقة وقوة الاقناع لتبعد عنهم الشكوك. إنها وسيلة التخدير لإيقاع الفريسة، وتتمثل في تقديم المساعدات وإرسال الخبراء والمستشارين تحت ستار تطوير اوضاع تلك الاقطار، وغير ذلك من الامور التي ربما بدت لتلك الدول عملاً ودياً بينما كانت في ضمير الصهاينة انغام الموسيقى المخدِّرة من اجل تحقيق نوع من السيطرة الاقتصادية في القارة لكونها تشكل سوقاً ذات طاقات كامنة كبيرة للصادرات الصهيونية وسوقاً للمواد الخام كما أكّد ذلك زعماء العدو بدءاً بموشي شاريت وبن غوريون ومروراً بليفي اشكول وغولدا مائير، واخيراً وليس آخراً، شارون وكمحي[٢٥].

وبالفعل، اسهمت هذه المساعدات بمختلف اشكالها في تمهيد الطريق امام التغلغل الصهيوني في القارة الافريقية وتمكين النشاط الاقتصادي الصهيوني والسياسي والاجتماعي والعسكري والنقابي من التغلغل في اكثر من ثلاثين قطراً افريقيا.

ـ ٧ ـ

ثالثاً: لتحقيق مزايا استراتيجية ادرك الكيان الصهيوني خطورة الحصار العربي الذي يحيط به، وأهمية الفكاك من هذا الحصار،وكان يدرك، في الوقت ذاته، ان افريقيا، او بعض اقطارها، تشكل قوة استراتيجية مهمة. من هنا يتضح سعي الكيان الصهيوني الى استغلال وجوده في القارة الافريقية لتحقيق مزايا استراتيجية، وكان العدو ينشد هذه المزايا في الاقطار المحيطة بالوطن العربي مثل تشاد واثيوبيا واوغندا وكينيا نظراً لما تتمتع به هذه الاقطار من مواقع استراتيجية. وكما اشرنا آنفاً فقد اعتبر المخططون الصهاينة افريقيا جهة حليفة للصراع ضد العرب، وشددوا على اهمية

---

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) **معاريف**، ١٠ / ٣ / ١٩٨٣.

استغلالها لتحقيق مزايا استراتيجية. واعتمد هؤلاء في تركيزهم على اهمية افريقيا، على حقيقة كون العديد من الاقطار العربية محاطاً بحزام من الدول الافريقية في جنوب الصحراء. وتصور الصهاينة انه يمكن استخدام هذه الاقطار، اذا ما طوروا علاقاتهم بها لتبلغ مرحلة التحالف، كمصدر لتهديد عدة اقطار عربية مثل مصر والسودان وليبيا والجزائر والمغرب، ويوضح الجنرال حاييم لاسكوف، رئيس الاركان العامة الاسبق لجيش العدو الصهيوني ذلك حين يقول: «ان نجاح اسرائيل في تطوير علاقاتها مع الدول الافريقية وخاصة في غرب افريقيا وتلك التي تقع جنوب الصحراء والمتاخمة للدول العربية سيحقق لإسرائيل مكاسب استراتيجية كبيرة. ومثل هذه المكاسب ستساعد اسرائيل على تلافي نقاط الضعف الاستراتيجي المتمثلة في احاطتها بطوق عربي محكم والوصول الى الظهر العربي المكشوف من ميدان لا يتوقعه العرب»[٢٦].

ولم يكن البحث عن هذه المزايا منعزلاً في يوم من الايام عن الخطط الصهيونية الموجهة ضد الوطن العربي. لقد اشار الكثير من المخططين الاستراتيجيين الصهاينة الى اهمية الاستفادة من المزايا الاستراتيجية الافريقية لمواجهة ما سمّوه بسور العداء العربي.

وأكد بن غوريون في كتاباته عن الصلة في علاقات الكيان الصهيوني ببعض الدول الافريقية وبين ما سمّاه بالمستلزمات والمصالح الأمنية الاسرائيلية. وأورد امثلة محددة عن أهمية ذلك، مشيراً الى الحلف غير المكتوب، الذي نشأ مع اثيوبيا في اواخر الخمسينات والذي عُرف بحلف نصف المحيط، وكان يضم بالاضافة الى ذلك، ايران وتركيا[٢٧]. وقد اشار بعض قادة العدو، امثال اشكول وغولدا مائير الى الجانب الآخر للأهمية الاستراتيجية. لقد أوضحا في معرض تحليلهما للعلاقات الصهيونية الاثيوبية ان اثيوبيا وضعت تحت تصرف الكيان الصهيوني قواعد بحرية بدعوى حماية حرية الملاحة في البحر الاحمر[٢٨].

- ٨ -

ويمكن ان نشخّص اعتبارات اخرى ادخلتها السلطات الصهيونية ضمن حساباتها وهي تتخذ قرارها بالتوجه الى القارة الافريقية عبر العديد من الوسائل انطلاقاً من ان هذه الاعتبارات تعتبر عوامل مساعدة تخدم هذا التوجه وتدفع به نحو بلوغ اهدافه وغاياته، وأهم هذه الظروف هي:

الظروف السياسية: ليس ثمة شك في ان دوائر الكيان الصهيوني كانت قد استوعبت الأوضاع السياسية في القارة الافريقية والتي كانت نتاجاً لتركة الاستعمار الذي حرص على ترتيب هذه الاوضاع بما يتناسب وتطلعاته في بقاء هذه الاقطار مشدودة إليه. ولقد اعتبرت هذه الدوائر ان الميراث الاستعماري الذي خلفته الدول التي استعمرت افريقيا يمكن ان يساعد في اقتحام القارة. ولم يكن هذا الميراث ينحصر في مجال دون آخر وانما شمل ايضاً المفاهيم والافكار التي سيطرت على القيادات السياسية التي تؤلف السلطة في اقطار افريقيا، لهذا فقد حرص الكيان الصهيوني على الاستفادة من اعتناق معظم هذه القيادات للمفاهيم الغربية اللاتينية والانكلوسكسونية اثناء تحصيلهم الدراسي في

---

(٢٦) «البعد الدولي للامن الاسرائيلي،» محاضرة أُلقيت في كلية القيادة والاركان، **بمحانية** (Bamahaneh)، (٢٤ آذار / مارس ١٩٦٠).

(٢٧) **سكيرا حودشيت**، عدد ١ (شباط / فبراير ١٩٨٢).

(٢٨) **هموالم هزيه**، ٢٠ / ٨ / ١٩٦٩.

الجامعات الغربية، واصرار هذه القيادات على تطبيق هذه المفاهيم والقيم في مجتمعاتهم[٢٩].

يضاف الى ذلك ان الدوائر الصهيونية كانت تدرك اهمية العلاقات التي نشأت بين القيادات الصهيونية في الاحزاب العمالية مثل الماباي ونقابة العمال العامة الهستدروت ومنظمات اخرى مع احزاب وقيادات افريقية.

وكان من الطبيعي ان تشكل هذه العلاقات ارضية صالحة للانطلاق الصهيوني الى الاقطار الافريقية، يتضح ذلك مما صرح به بنحاس لاڤون سكرتير الهستدروت السابق والذي شغل ايضاً منصب وزير الدفاع وكان أحد القيادات البارزة في حزب الماباي.

يقول لاڤون: «عندما اتجهنا الى افريقيا، لم نكتشف قارة جديدة، ولم نتعامل مع اوضاع غريبة عنا، كانت لنا علاقات حميمة مع قيادات سياسية وعمالية وثقافية في غانا والسنغال واثيوبيا ودول افريقية عديدة»[٣٠].

وقد ساعدت الظروف الفكرية السائدة في الاقطار الافريقية على تكوين انطباع لدى القيادات الافريقية على اختلافها، من ان الكيان الصهيوني يشكل منارة في الشرق ونموذجاً يُحتذى به في مجالات التنمية والإعمار[٣١]. وهكذا فإن الكيان الصهيوني تمكّن، بفضل ذلك، من اكتساب ثقة القيادات السياسية والافريقية ورضاها، مما ادى، في فترة وجيزة، الى انطلاق هذ الكيان الى افريقيا لتنفيذ مخططه بنجاح ملحوظ[٣٢].

الاوضاع الاقتصادية: استأثرت الاوضاع الاقتصادية التي سيطرت على القارة الافريقية في تلك الفترة باهتمام كبير من قبل الكيان الصهيوني

كان محور هذا الاهتمام يتمثل في ان القارة تعاني من تخلف اقتصادي هائل وأن اقتصاد القارة بدائي ومتخلف، وأن الزراعة هي عصب هذا الاقتصاد، وأنه لا وجود لصناعات متطورة، وعلى هذا الاساس تصور أن بمقدوره التقدم الى الاقطار الافريقية ككيان أصاب قسطاً كبيراً من التطور والتقدم التكنولوجي والصناعي بحيث يؤهله لأن يلعب دوراً مهماً في عملية اعادة تشكيل الاقتصاديات الافريقية. وبالفعل بدأت العروض الصهيونية تقدم بسخاء الى الدول الافريقية مصحوبة بدعاية عن «تفوق صهيوني في مختلف المجالات وعن تجربة صهيونية فريدة يمكن ان تساهم في عملية التنمية في افريقيا»، اذا ما فتحت القارة الافريقية ابوابها امام السيل العارم من الخبراء الذين سيكرسون خدمتهم وحياتهم للتطوير الزراعي والصناعي في القارة والمساهمة في تطوير مجالات الحياة الاخرى وخاصة الثقافية والتعاونية والاجتماعية. ولم يقتصر الامر على تقديم العروض، بل ابدى الكيان الصهيوني الاستعداد لارسال مئات الخبراء واستقبال مئات الطلبة الافارقة لتلقي التدريب والتأهيل في الكيان الصهيوني في المجالات الزراعية والاجتماعية. ولم يكن من الصعب معرفة الدوافع التي تكمن وراء هذه العروض، وعروض اخرى بتقديم المساعدات المالية والقروض. تلك كانت الوسيلة التي اعتُمدت للوصول الى ابعد

---

(٢٩) عبد الملك عودة، **اسرائيل وافريقيا: دراسة في العلاقات الدولية، محاضرات ألقاها عبد الملك عودة على طلبة قسم فلسطين** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٤)، ص ٣٧.

(٣٠) **دافار**، ٢٤ / ٢ / ١٩٦٠.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) عبد الرحمن، **اسرائيل وافريقيا، ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣**، ص ١٧.

نقطة في أفريقيا. والوسيلة، كما ذكرنا، هي الخبير الزراعي او الاجتماعي او في مجالات: البناء، والري، والطرق، والشبيبة الطلائعية المحاربة (الناحال)، والدولار الذي يقدمه هذا الكيان بعد ان يحصل عليه من الخزينة الامريكية ومن الحركة الصهيونية.

ومما يجب عدم تجاهله ان الاعلام الغربي بالَغ كثيراً في الترويج للتجربة الصهيونية «الرائدة» في فلسطين، والمعجزة الاقتصادية والثقافية والصناعية والاجتماعية التي تحققت في ظل الكيان الصهيوني. وهذه الدعاية احدثت ولا شك اثراً وتأثيراً على الافارقة فتصوروا أن بوسعهم الاستفادة من هذه التجربة عن طريق نقلها الى اقطارهم او محاكاتها عن طريق استدعاء «الخبراء» والخبرة الصهيونية الى القارة.

وهكذا تولدت لدى الدوائر الصهيونية الحاكمة القناعة بأن الاقطار الافريقية، وبدواعي الحرص على انتشال اقتصادها من وهدة التخلف والتدهور، ستجد في «اسرائيل» ضالتها المنشودة وسترحّب بـ«اليد الاسرائيلية» وهي تمتد لمساعدة الافارقة من اجل معالجة اوضاعهم الاقتصادية!

وقد عبّر عن ذلك أوضح تعبير أستاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا البروفسور بنيامين اكسين ، وبطريقة تنم عن الغطرسة حين قال: «ان الدول الافريقية حين فتحت ابوابها امام الدور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الاسرائيلي فانها فعلت ذلك ليس حباً في سواد عيون اسرائيل، وانما لاقتناعها بأن اسرائيل تشكل نموذجاً متميزاً يمكن ان يُحتذى، وانها قادرة على مساعدة هذه الاقطار في مجال رفع مستوى الحياة فيها وتطوير اوضاعها المختلفة»[٣٣].

الظروف الاجتماعية السائدة في افريقيا: وقصارى القول في شأن هذه الظروف ان الاستعمار الفرنسي والبريطاني الذي تحكّم في اقطار القارة، قد فرض على شعوبها ظروفاً غاية في الصعوبة والتعقيد على الصعيد الاجتماعي، تمثلت في التخلف والجهل والمرض والعلاقات القبلية. وانطلاقاً من هذا الواقع كانت تقديرات العدو لهذا الوضع توحي بأن الكيان الصهيوني يمكن ان يستثمر هذه الاوضاع في محاولة للتغلغل في القارة الافريقية. واكثر من ذلك تصور أن الحكومات الافريقية ستضطر الى الاستعانة به بعد رحيل قوات الاستعمار الفرنسي والبريطاني من اجل المساعدة في حل هذه المشاكل. من هنا يأتي قول ابا ايبـن، وزير خارجية العدو الاسبق، ومندوب الكيان الصهيوني في الامم المتحدة في الستينات: ان الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في افريقيا والتي تشكل تركة ثقيلة لا تستطيع الحكومات الافريقية تجاهلها، خدمت اسرائيل وساعدتها، الى حد كبير، في تبـؤ مكانة خاصة في القارة اثارت حفيظة الدول الكبرى والصغرى»[٣٤].

الظروف الثقافية: إن محاولة تأمل الواقع الثقافي في القارة الافريقية، بعد انجاز الاستقلال يقودنا الى اكتشاف حقيقة مذهلة. فلقد ظلت الثقافة الاستعمارية هي المهيمنة على الحياة الثقافية الافريقية، وتؤثر على كل انماط الحياة الافريقية. ولا غرو أن يشكل التأثير الثقافي الاوروبي بكل ابعاده ومصالحه قاعدة سهلة لانطلاق النشاط الصهيوني والغزو الصهيوني للقارة الافريقية، وهذا ما اكدته محافل العدو وهي تتحدث عن تشابه الارضية الثقافية لكل من الكيان الصهيوني وبعض الدول الافريقية.

---

(٣٣) **يديعوت احرونوت**، ٧ / ١١ / ١٩٦١.

(٣٤) محاضرة لأبا ايبان في المعهد الهندسي في تل ابيب نقلاً عن: **دافار**، ١٢ / ٤ / ١٩٦٢.

وفي هذا الصدد يقول فيلدمان، وهو باحث صهيوني في الشؤون الافريقية: لقد أدت السيطرة الاوروبية على القارة الافريقية الى إحداث تأثير حاسم على البنية القومية للمجتمعات الافريقية وعلى الاتجاهات الثقافية. ومما لا يحتاج الى بيان أن اسرائيل تشكل في نهاية المطاف كياناً ثقافياً واجتماعياً اوروبياً. وهذا يعني ان الركائز الثقافية الاوروبية في افريقيا ظلت قائمة، وأنها افادت اسرائيل، وسهلت مهمة دخولها الى افريقيا عبر الانشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية»[٣٥].

اهتمام الحركة الصهيونية بالقارة الافريقية: بدأت الحركة الصهيونية ومنذ بداية تأسيسها تهتم بالقارة الافريقية عندما اخذت تجول في ذهن مؤسسها هرتزل فكرة انشاء الوطن القومي في شرق افريقيا وبالتحديد في اوغندا وكينيا. وكانت المنظمة الصهيونية قد فكرت فعلاً في خطة لإقامة مثل هذا الوطن، وذلك كحلّ لمشكلة يهود روسيا بعد تعرضهم للاضطهاد وخاصة في كييف. وقد تأكدت هذه الحقيقة من خلال الكتاب الموسوم «صهيون في افريقيا» الذي صدر عام ١٩٦٨ عن صحيفة «جويش فايبلشين سوسيتي». فلقد ازاح المؤلف الستار عن ان تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانية حث هرتزل على توجيه جهود الحركة الصهيونية الى شرق افريقيا لإقامة استيطان يهودي هناك[٣٦]. وفي خطاب وجهه في ٣٠ ايار / مايو ١٩٠٣ الى احد زعماء الحركة الصهيونية هوليوبولد جرينبرغ قال تشمبرلين «إنني ارى ان المكان الملائم للاستيطان اليهودي يقع بين نيروبي وهضبة ماواي على طول الخط الحديدي في هضبة كينيا الخصبة»[٣٧].

وبالفعل فلقد جرت مفاوضات بين وزارة المستعمرات البريطانية والحركة الصهيونية من خلال ممثلها جرينبرغ استمرت عدة شهور. وكان جرينبرغ يرسل الى هرتزل تقارير اولاً بأول عن سير المفاوضات بعد ان رسخت خطة اوغندا في ذهنه وأخذ يهضمها رغم معارضته التي ظهرت في مؤتمر (جاركوف) لهذا المشروع والتي قادها «يوسي اشكين» ثم «حاييم وايزمان».

ولعلّ ما يؤكد ذلك نص الرسالة التي تلقاها جرينبرغ من المدير العام لوزارة الخارجية البريطانية في ١٤ آب / اغسطس ١٩٠٣ وجاء فيها:

«أطلع تشمبرلين، وزير المستعمرات، وزيرَ الخارجية اللورد لانس دوان على الرسالة التي بعثتُ بها والخاصة بموضوع صيغة الاتفاق الذي اقترحه تيودور هرتزل كأساس للاتفاق بين حكومة جلالة الملك والحركة الصهيونية بخصوص الاستيطان اليهودي في شرق افريقيا. وقد طلب مني اللورد ان ابلغكم بأنه درس الخطة من جميع النواحي وأن حكومة جلالة الملك تنظر بعين الاهتمام الى اي خطة او مشروع يؤديان، في نهاية المطاف، الى تحسين وضع اليهود وتخفيف آلامهم. وعلم الوزير بأن الحركة الصهيونية تنوي ارسال بعثة خاصة الى شرق افريقيا لدراسة الوضع على الطبيعة، وللتأكد من وجود ارضٍ صالحة للاستيطان اليهودي في تلك المنطقة. ويود وزير الخارجية وحكومة جلالة الملك ان يؤكدا استعدادهما لتقديم جميع التسهيلات الممكنة لهذه البعثة لإنجاح مهمتها وبلورة فكرة عن هذا الموضوع لطرحه على المؤتمر الصهيوني في اجتماعه القادم. كما تود حكومة جلالة الملك ان تعرب عن استعدادها للمساهمة في نفقات إقامة الاستيطان»[٣٨].

وهكذا استمرت الاتصالات بين الجانبين بهدف وضع خطة اقامة «وطن قومي لليهود» في اوغندا

---

(٣٥) «وزارة الدفاع الصهيونية،» **سكيرا حودشيت**، عدد ١٠ (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٠).
(٣٦) **معاريف**، ٣١ / ٣ / ١٩٧١.
(٣٧) المصدر نفسه.
(٣٨) المصدر نفسه.

والتي كانت تشمل ايضاً كينيا، الى ان قرر المؤتمر الصهيوني السادس الذي عقد في بازل ١٩٠٣ رفض مشروع اوغندا، وعلى الرغم من ذلك فإن عناصر داخل الحركة الصهيونية ظلت تؤكد فكرة اقامة دولة يهودية في الهضبة الافريقية، الهضبة في اوغندا. وقاد هذا الاتجاه دان جفول في لندن وإيلي عيزير في القدس، وحتى داخل فلسطين نفسها انبرى تيّار بين اليهود هناك اخذ يردد عبارات مثل «لماذا لم نسمع نصيحة هرتزل بالذهاب لاستيطان اوغندا»[٣٩]. واكثر من ذلك، فإن مجموعات من اليهود اخذت تهاجر من بريطانيا الى كينيا في مطلع هذا القرن وتقيم استيطاناً يهودياً محدوداً في اقليم مومباسا وهضبة ماسين جيشوا سنة ١٩١٠ بعد ان زارت المنطقة بعثة من المجلس التنفيذي للحركة الصهيونية سنة ١٩٠٥ بعد عدة اشهر من وفاة هرتزل.

من هنا يتضح ان القارة الافريقية لم تكن في منأى عن الاطماع الصهيونية شأنها في ذلك شأن اقطار الوطن العربي.

المجموعات اليهودية: كانت المجموعات اليهودية التي تنتشر في بعض الاقطار الافريقية تشكل نقطة ارتكاز مهمة بالنسبة الى مخطط التغلغل الصهيوني وكانت هذه الجماعات قد وصلت الى جنوب افريقيا مع المستوطنين الاوروبيين وشاركتهم عملية نهب ثروات هذا القطر، بينما وصلت مجموعات اخرى الى كينيا ضمن مخطط بريطاني صهيوني مشترك استهدف تحويل هذا البلد الافريقي الى «وطن قومي لليهود» ووصلت المجموعات الاخرى خلال فترة الاستعمار الفرنسي والبريطاني. واستطاعت هذه الجماعات اليهودية ان تبلغ مراكز اقتصادية واجتماعية ذات شأن كبير مما اتاح لها ن تلعب دوراً في الحياة الافريقية[٤٠]. ولا حاجة الى تأكيد العلاقة بين الجماعات اليهودية أينما وجدت وبين الكيان الصهيوني، فتلك بديهـة اكدها زعماء الكيان الصهيوني. فهذه الجماعات كانت ولا تزال تشكل الحلف المخلص للكيان الصهيوني وتعمل من اجله وتسعى الى تحقيق مصالحه حتى وإن تعارضت مع مصالح الاقطار التي تعيش فيها.

ويقول الدكتور يسرائيل ايلداد، احد زعماء منظمة ليحي الارهابية: «ان الجماعات اليهودية في المنفى هي حليفنا الصادق الصدوق، وهي اهم لنا من كل الحلفاء الاغيار بما فيهم واشنطن ولندن وباريس وكل عواصم العالم الحر، فهذه هي عدة اسرائيل وذخرها وسندها وهي التي تضع مصالح اسرائيل، التي تشكل الملاذ والمأوى في المقام الاول»[٤١].

وانطلاقاً من ذلك، يمكن ان نفسر اهمية هذه الجماعات بالنسبة للكيان الصهيوني وهو يتطلع الى إنفاذ وجوده الى القارة وامكانية الاستفادة منها في تحقيق هذا الهدف. وهكذا شكلت هذه الظروف نقطة الارتكاز بالنسبة لخطة التحرك الصهيوني الى افريقيا والتي تمت وفقاً لبرنامج مدروس ومتفق عليه مع الدول الاستعمارية. إنها الخطة التي مكّنت الكيان الصهيوني بمضيّ الوقت من تحقيق مراحل خطيرة على طريق التغلغل في افريقيا. ولا تزال هذه الظروف تفعل فعلها القوي والحاسم بالنسبة للمخطط الصهيوني الجديد للعودة الى افريقيا بعد ما حدث عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ حين اقدمت غالبية الدول

---

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) «شؤون اسرائيلية،» **مجلة مركز الدراسات الفلسطينية** (بغداد)، العدد ٦٥ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٣).

(٤١) **يديعوت احرونوت**، ٢٦ / ٣ / ١٩٨٤.

الافريقية على قطع علاقاتها الديبلوماسية مع الكيان الصهيوني. إن الكيان الصهيوني، وانطلاقاً من حرصه على اتمام مخططه الذي تأثر بسبب قطع تلك العلاقات، يبذل منذ ١٩٧٨ نشاطاً محموماً لاستئناف علاقاته الديبلوماسية مع الاقطار التي قطعت تلك العلاقات. ولقد بدأت هذه الجهود تعطي ثمارها بسبب الظروف السياسية الدولية والاقليمية الجديدة بعد ان قررت زائير وليبريا وجمهورية افريقيا الوسطى استئناف هذه العلاقات واحتمال ان تحذو دول افريقية اخرى حذو هذه الدول، ولكن، يتعيّن بادىء ذي بدء ان نحلّل اسباب ودوافع التحرك الصهيوني الجديد للعودة الى افريقيا.

- ٩ -

ثمة حقيقة في هذا الصدد وهي ان الكيان الصهيوني **مهتم بالعودة الى افريقيا والتغلغل في اقطارها** وخاصة في الاقطار التي يمكن ان تسهل هذا التغلغل. ولكن بكثافة اكبر وحجم اوسع معتقداً أن ذلك يمكن ان يجنبه اخفاقات كتلك التي مُني بها في تجربته السابقة في افريقيا.

من هنا يمكن ان نفسّر لجوء عدة جهات وأوساط داخل الكيان الصهيوني الى اخضاع هذه المسألة للدرس والتحليل والخروج بتوصيات واستنتاجات حول التحرك الصهيوني نحو القارة. وجملة المعطيات التي توفرت عن تلك النتائج تكشف لنا عن اتجاهات ثلاث تبلورت داخل الكيان الصهيوني هي:

الاتجاه الاول[٤٢]: ويذهب الى المطالبة بطَرقْ كل باب في افريقيا من اجل العودة الى الاقطار الافريقية التي قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع تل ابيب، وتركيز النشاط فيها بشكل مكثف، وعلى مختلف الصعد، وينطلق انصار هذا الاتجاه في حرصهم على مد النشاط الصهيوني الى كل بقعة في القارة الافريقية، من نظرة تجارية قوامها ان فائض الانتاج في الكيان الصهيوني وحاجة هذا الكيان الى المواد الاولية يستدعيان ذلك. وبالفعل فإن اصحاب هذا الاتجاه، وهم اصحاب الرساميل وارباب الصناعات، والمتنفذين في بعض الاحزاب كحزب الاحرار وحزب العمل، يرون في غزو القارة الافريقية نوعاً من الصراع من اجل تأمين الاسواق في الخارج والبحث عن مشترين ومستهلكين. وهكذا تبدو الدوافع الاقتصادية وكأنها المحرك الرئيسي للنشاط الصهيوني المتجدد في القارة. ومن افكار - جدعون فات - وزير التجارة والصناعة السابق في الكيان الصهيوني، والمعبّر عن هذا الاتجاه، والتي كان يرددها تأييداً لموقفه ما يقطع بأن الدوافع الاقتصادية تشكل واقعاً لا سبيل الى إنكاره.

لقد أكد، وفي اكثر من مرة، ان الكيان الصهيوني يحتاج الى افريقيا، الى ثرواتها والى اسواقها، وذلك لعاملين اساسيين:

- انه يحتاج الى افريقيا لوفرة المواد الاولية الرخيصة فيها والتي لا يستطيع الكيان الصهيوني ان يطوِّر صناعة من دونها، انه يحتاج الى ماس زائير وجمهورية افريقيا الوسطى؛ ويحتاج الى الحديد الخام في ليبريا وسيراليون؛ ويحتاج الى الكاكاو والمطاط والقطن والجوت في كينيا وزائير وتنزانيا؛ ويحتاج الى الشاي في كينيا وملاوي وموزمبيق؛ ويحتاج الى فول الصويا والفول السوداني من السنغال؛ ويحتاج الى الالمنيوم والبوكسيت والقصدير من سيراليون وغينيا وجيانا وزائير؛ ويحتاج الى الاخشاب من غابات القارة؛ والى اللحوم من كينيا واوغندا.

---

(٤٢) دراسة صادرة عن: معهد دراسات الشرق الاوسط وافريقيا (شيلواح)، سلسلة رقم ١٢، ١٩٨٢.

ويذهب اصحاب هذا الاتجاه الى اكثر من هذا المدى. فهم يقولون ان مئات المصانع التي تعمل في الكيان الصهيوني لا يمكن ان تعمل من دون توفير هذه المواد الخام. ومن اهم هذه المصانع، مصانع اطارات السيارات (ايليانس) وشمشون وجنرال في رامات غان والخضيرة، ومصانع الحديد والصلب في خليج حيفا، ومصانع الزيوت (شيمين) في بتاح تكفا ومصانع الشيكولاتة والكاكاو (إيليت) ولي دي في رامات غان، ومصانع الورق في الخضيرة، ومصانع الالمنيوم في عكا، ومصانع صقل الماس في رامات غان، ومصانع النسيج في بيسان وحيفا والعفولة.

ـ الحاجة الى الاسواق الافريقية المستهلكة للمنتجات، يرى هذا الاتجاه ان العودة الى الاقطار الافريقية بأكملها سيعيد فتح اسواق ضخمة امام الصناعات والصادرات الصهيونية، وفي تصور هذا الاتجاه بأن افريقيا، وعلى الرغم من انها لا تستوعب الا نسبة ١٠ بالمائة من الصادرات الصهيونية فانها ستتحول في المستقبل الى طاقة استهلاكية كبيرة[٤٣]. ويقول هؤلاء ان المنتجات الاسرائيلية يمكنها ان تنافس في الاسواق الافريقية اية منتجات اخرى، ولكنها لا تستطيع منافستها في الاسواق الاخرى. وهكذا فان هذا الاتجاه ينطلق من استنتاج مؤداه ان القارة الافريقية ستبقى تمثل الفرصة الرئيسة من اجل زيادة الصادرات وتحسين ميزان المدفوعات الذي بلغ العجز فيه حوالى خمسة مليارات دولار سنة ١٩٨٣[٤٤]. ومن الواضح ان هذا الاتجاه لا يريد التفريط بافريقيا. فالبلدان الافريقية تشكل مجالاً حيوياً بالنسبة للنشاط الاقتصادي. ويقول (دان بيتر) الذي شغل مركزاً اعلامياً بارزاً في حكومة رابين وبيغين، «ليس من المبالغة القول ان ازدهار اسرائيل الاقتصادي وانتعاش صناعتهاسيعتمدان على وجودها في افريقيا»[٤٥]. وهذا التقويم متأثر، الى حد بعيد بالنظرة التجارية والبحث عن الاسواق لغزوها واكتساحها.

الاتجاه الثاني: يذهب اصحاب هذا الاتجاه الى تركيز الجهود على بعض الدول الافريقية المهمة التي تتمتع بمركز استراتيجي واقتصادي وسياسي مرموق، واستناداً الى ما يقوله هؤلاء فان السعي الى تأمين وجود صهيوني في هذه الاقطار، وحتى النشاط الاقتصادي، هو سعي ايضاً الى تحقيق مزايا سياسية واستراتيجية. اي ان هؤلاء ينادون بسياسة صهيونية في بعض الاقطار الافريقية قوامها تحقيق اهداف ومواقع نفوذ خارج الحدود اياً كانت الوسائل. وبصريح العبارة فإن هؤلاء يفضّلون تركيز النشاط الاقتصادي على الاقطار المهمة في افريقيا بحيث تتوفر فيها المزايا التالية:

ـ ان تشكل هذه الاقطار سوقاً لتصدير الانتاج الصهيوني اليها، ومزرعة لاستيراد المواد الاولية، ومجالاً حيوياً لنشاط الشركات الصهيونية.

ـ ان تكون هذه الاقطار ذات منحى موال للغرب، لأن ذلك سيجعلها تتخذ مواقف داعمة للكيان الصهيوني اكثر اندفاعاً وقوة، أي ان تتبنى خطاً سياسياً مؤيداً للغرب ومناهضاً للعرب وللدول الحليفة لهم. من هنا جاء اختياره لزائير وكينيا وساحل العاج ونيجيريا وجمهورية افريقيا الوسطى وليبريا واوغندا وعدد آخر من اقطار غرب اوروبا.

ـ ان تتمتع هذه الاقطار بمواقع جغرافية واستراتيجية، بحيث يمكن ان يؤدي الوجود الصهيوني فيها الى العودة بمنافع استراتيجية على الكيان الصهيوني. اما كيف تتحقق هذه المزايا فبتطوير

---

(٤٣) **رباعون لكلكلاه** (Riv'on Le-Khalkhalah) ، عدد ٢ (اب / اغسطس ١٩٨٣).
(٤٤) **نشرة رصد الاذاعة العبرية** (بغداد)، العدد ٣٥٠.
(٤٥) **سكيرا حودشيت**، عدد ٩ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨١).

العلاقات بين هذه الاقطار وبين تل ابيب، الى مستوى الحلف المرتبط بالولايات المتحدة.

ويمثل هذا الاتجاه دافيد ليفي نائب رئيس وزراء العدو، وموشي ارينز وزير الحرب السابق وشارون والجنرال ابراهام طمير رئيس شعبة التخطيط الاستراتيجي. وهكذا يتضح ان السياسة الصهيونية عرفت، حتى الآن، اتجاهين التقيا على غزو افريقيا ولكنهما اختلفا على ترتيب اولويات هذا الغزو.

وهذا الاتجاه ورغم عدم اغفاله للعامل الاقتصادي، الا انه ينادي بضرورة الالتجاء الى تحقيق المزايا السياسية والاستراتيجية بالدرجة الاولى بينما يضع انصار الاتجاه الاول النشاط الاقتصادي والمزايا الاقتصادية في المقدمة وبالدرجة الاولى ثم تليها في الاهمية المزايا الاخرى. ولكن مع ذلك فان الهدف النهائي للاتجاهين هو الاخضاع السياسي للاقطار الافريقية اياً كانت الوسيلة المستخدمة من قبل الطرفين.

وقد عبّر (اوري لوبراني)، السفير الصهيوني السابق في اثيوبيا، عن هذا الاتجاه وأفكاره واهدافه. فقد قال: «ان المزايا الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية يجب ان تكون لها الاولوية في سعينا الى تركيز جهودنا العسكرية والسياسية والاقتصادية في الاقطار الافريقية المهمة.» وأضاف «ان من الافضل بالنسبة الى اسرائيل، ان تعود الى نصف عدد الاقطار الافريقية التي كانت تنشط بها سابقاً اذا كان ذلك يضمن لها مزايا سياسية واستراتيجية واقتصادية»[٤٦].

الاتجاه الثالث: يرى ضرورة خلق توازن في العلاقات بين الكيان الصهيوني وجنوب افريقيا من جهة وبينه وبين الاقطار الافريقية التي تنتمي الى ما يسمى بالعالم الحر، التي تنحو منحى غربياً صرفاً.

وهذا الاتجاه يتزعمه اسحاق شامير، رئيس وزراء العدو السابق، واقطاب زعماء حركة حيروت، الذين تربطهم بالعنصريين البيض، في جنوب افريقيا، قواسم ايديولوجية عنصرية وعدوانية مشتركة. ولا يخفي هذا الاتجاه كراهيته للشعوب الافريقية، وتضامنه مع العنصريين البيض في جنوب افريقيا. ويفضل بعض اطراف هذا الاتجاه ان يكون لعلاقات تل ابيب بجوهانسبورغ الافضلية على ما عداها حتى مع وجود علاقات للكيان الصهيوني مع بعد الدول الافريقية.

ويمكننا ان نذهب الى ان الاتجاه الاول والثاني هما الاتجاهان الرئيسيان، ولكن هذا لا يعني ان زعماء هذين الاتجاهين لا يلتقون مع الاتجاه الثالث بالنسبة للعلاقات مع جنوب افريقيا[٤٧].

- ١٠ -

قد يبدو ان ثمة تعارضاً بين الاتجاهات الصهيونية حيال النشاط في القارة الافريقية. وتجدر الاشارة الى ان الدراسات وتقديرات الموقف التي وضعها خبراء صهاينة متخصصون في شؤون القارة اسهمت في بلورة هذه الاتجاهات. ومن الواضح ان الجميع متفقون على العودة الى افريقيا كقارة او بعض اقطارها وعدم ترك فراغ هناك دون اشغاله من قبل الكيان الصهيوني.

ويمكن القول، مرة اخرى، ان هذه المسألة اخذت تُناقش منذ اليوم الاول لقطع العلاقات الديبلوماسية.

---

(٤٦) **يديعوت احرونوت**، ١١ / ٥ / ١٩٨١، ملحق.

(٤٧) مركز الدراسات الفلسطينية (بغداد)، **الارشيف العبري**.

كان الكيان الصهيوني قد وضع في حساباته ان المرحلة الجديدة من العلاقات بينه وبين الدول الافريقية، التي تشكل المدخل للعودة، وعلى الاخص التي اختارها لتكون اول من يعيد العلاقات الديبلوماسية معها في شرق وغرب القارة تتطلب المزيد من التعاون الاقتصادي والفني والسياسي والعسكري. وكانت تل ابيب تتطلع ـ كما اشارت دراسة اعدها مركز دراسات الشرق الاوسط وافريقيا ـ شيلواح ـ الى اعتماد برامج للمساعدات المالية والفنية والعسكرية تكون اكثر فاعلية من البرامج السابقة[٤٨]. هذا بالطبع الى جانب استئناف العلاقات الديبلوماسية الكاملة كي تشكل قناة اتصال رئيسية مع الاقطار الافريقية المذكورة. ويبدو أن اعتماد هذه البرامج، في ضوء الدروس المستنبطة من الدراسات، نجم عن تصور لدى الزعماء الصهاينة بأن الدولار والخبرة والمستشارين هي الأدوات الفعالة والناجعة لإعادة النفوذ الصهيوني الى القارة وإنجاح خطة التغلغل.

ولا غرو ان تكون الخطة الصهيونية التالية، بعد الدراسة والاستنتاج، وبلورة الاتجاهات والمواقف، هي تحديد اساليب العمل لاستخدامها في الاقطار الافريقية من اجل العودة، من الابواب الواسعة، ووفقاً لبعض ما تسرب من المصادر الصهيونية، فإن اساليب العمل التي اعتمدتها تل ابيب، يمكن ان نتمثلها في الآتي:

ـ **تمثيل ديبلوماسي على مستوى رفيع**: خطّط الكيان الصهيوني لأن يكون التمثيل الديبلوماسي، مع الدول الافريقية التي يستأنف العلاقات معها، على مستوى السفراء المقيمين. وقد اكّدت وزارة خارجية العدو، وعلى لسان مديرها العام السابق (شلومو افنيري) على ذلك بالفعل. فقد قال: «ان اسرائيل ستقيم سفارة في كل بلد افريقي تُعاد العلاقات الديبلوماسية معه، وانها ستختار سفيراً مقيماً تتوفر فيه كل اسباب ومؤهلات العمل في القارة الافريقية»[٤٩].

وفي هذا السياق ايضاً، قال دافيد كمحي، مدير عام وزارة خارجية الكيان الصهيوني فيما بعد: «إن انشاء شبكة كثيفة من العلاقات الديبلوماسية سيكون جزءاً من النشاط السياسي المتعدد الجوانب الذي سيمارس في الاقطار الافريقية»[٥٠]. واضاف: «انه من الضروري ان تنشأ علاقات شخصية حميمة مع زعماء تلك الاقطار والزعامات المرشحة لتولي مقاليد الأمور في المستقبل، وكذلك مع الحركات والنقابات والاحزاب». وقال: «ان مثل هذه العلاقات ستكون بمثابة دعامة يستحيل معها تصفية الوجود الاسرائيلي بسهولة»[٥١].

ـ **المساعدات الاقتصادية**: لم يتخل الكيان الصهيوني، رغم ما حدث له في القارة الافريقية عن اعتماد اسلوب المساعدات الاقتصادية كأداة للعودة الى الاقطار الافريقية وترسيخ اقدام تل ابيب فيها. وليس من شك أن هذه السلطات، وعلى الرغم من المصاعب الاقتصادية الجمّة، تدرك خطورة الدور الذي يمكن ان تؤديه هذه المساعدات في خلق مراكز النفوذ في القارة.

ويندرج في اطار هذه المساعدات، المساعدات الفنية مثل: العون الفني، وارسال المئات من المستوطنين، الذين يطلق عليهم اسم الخبراء والفنيين. ولا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته المساعدات الفنية في خلق ارضية التأكيد للكيان الصهيوني في افريقيا وكسب المواقع بواسطة الخبراء الصهاينة

---

(٤٨) دراسة صادرة عن: معهد دراسات الشرق الاوسط وافريقيا (شيلواح)، سلسلة رقم ٢٢.
(٤٩) **يديعوت احرونوت**، ٢١ / ٩ / ١٩٧٩.
(٥٠) **عل همشمار**، ٢٠ / ٦ / ١٩٨٢.
(٥١) المصدر نفسه.

الذين انتشروا في كل بقاع افريقيا وبواسطة آلاف الافريقيين، الذين درسوا في المعاهد الصهيونية وتعرضوا لعملية «غسل دماغ» بواسطة المحاضرات التي تتحدث عن تجربة صهيونية فريدة.

ـ **المساعدات العسكرية**: حققت المساعدات العسكرية، والتعاون في المجال العسكري بين الكيان الصهيوني ومعظم الدول الافريقية في الماضي، نتائج لا يستهان بها. فلقد تمكن الكيان الصهيوني عن طريق هذه المساعدات ان يتغلغل في بعض الجيوش الافريقية عندما اتيحت له فرصة تدريب بعض الجيوش وتنظيمها وتجهيزها بالاسلحة. وعلى هذا فإنه لبديهي ان يعود الكيان الصهيوني الى اختيار هذا الاسلوب لكي يعود ويتغلغل في صفوف الجيوش الافريقية هذه المرة بتصميم اقوى ووسائل انجع بحيث يتعذر في المستقبل، التخلص بسهولة من التأثير الصهيوني على هذه الجيوش.

ويستَشف من خلال ما تسرب عن الخطة الصهيونية للتغلغل في الجيوش الافريقية التابعة للدول التي قد تستعين بالمساعدات من الكيان الصهيوني تقوم على عدة عناصر هي:

ـ ارسال المستشارين والخبراء العسكريين بأعداد كبيرة الى اية دولة افريقية تستعين بالكيان الصهيوني في المجال العسكري بدعوى الاشراف على تدريب هذه الجيوش وتنظيمها، وبلورة عقائدها القتالية. وبهذه الطريقة يمكن التغلغل في صفوف الجيوش الافريقية وكسب الانصار والموالين، الذين يمكن الاستعانة بهم في إحداث الانقلابات عند الضرورة

ـ توسيع حجم تصدير الاسلحة الى بعض الدول الافريقية من اجل تعزيز النشاط الصهيوني في القارة مستخدماً امدادات الاسلحة كأداة لتعزيز النفوذ الصهيوني في افريقيا. فالكيان الصهيوني يمكنه، حسب تلك المصادر، تلبية الكثير من احتياجات هذه الجيوش من الاسلحة كالاسلحة الخفيفة والمتوسطة من مدافع وطائرات نقل وصواريخ واجهزة الرادار والاتصال[٥٢].

ـ تنظيم دورات لضباط افارقة ويبدو ان سلطات الكيان الصهيوني استفادت من دروس الماضي وتجاربه فيما يتعلق بأهمية هذا العامل. فمن المعروف ان تل ابيب كانت تحرص في الماضي على تنظيم دورات عسكرية في الكيان الصهيوني ينتمي اليها ضباط من الجيوش الافريقية. وبهذه الوسيلة استطاعت ان تكسب ثقة هؤلاء الضباط، وان تجعل منهم موالين لها، امثال موبوتو وغيره. ومن هنا جاء تأكيد الاوساط العسكرية الصهيونية على اهمية تنظيم مثل هذه الدورات لاستقبال ضباط من الاقطار الافريقية التي تعيد علاقاتها مع تل ابيب سواء في الكيان الصهيوني، او في الاقطار الافريقية نفسها.

ـ إحداث الانقلابات فقد توقف المخططون الصهاينة، الذين انكبّوا على وضع خطة التغلغل الصهيوني، كثيراً عند دراسة الوضع الافريقي من كل جوانبه وتشخيص الوسائل والاساليب الكفيلة بإنجاح الخطة. وقد خرج هؤلاء بنتيجة مؤداها انه لا بد من اللجوء الى اسلوب إحداث الانقلابات الموالية للكيان الصهيوني في بعض الاقطار الافريقية، التي تقرر النشاط فيها. وقد اشترط أن يعتمد هذا الاسلوب في حالة اخفاق الاساليب الاخرى، مثل المساعدات الاقتصادية والمساعدات العسكرية وأساليب الرشوة.

وقد أيّد عدد من المخططين في الشؤون الاستراتيجية اعتماد هذا الاسلوب وبينهم جنرال الاحتياط اهرون ياريف، والبروفسور تسفران نداف ومناحيم افيم ويهوشفاط هيركابي[٥٣]. ولتعزيز

---

(٥٢) **هآرتس**، ١٥ / ٧ / ١٩٧٩.

(٥٣) **سكيرا حودشيت**، العدد ٩ (ايلول / سبتمبر ١٩٧٥).

مصداقية وجهة نظرهم وتأكيدها أورد هؤلاء مثالاً على نجاعة هذا الاسلوب في تأمين الوجود الصهيوني وتكريسه في احد الاقطار الافريقية. وهذا المثال يتجسد قي نظام موبوتو الذي اوصله الصهاينة الى سدة الحكم. فقد اماط هؤلاء اللثام عن ان الحكومة الاسرائيلية هي التي جاءت بموبوتو الى السلطة. واشاروا الى ان موبوتو ظل حليفاً وموالياً لاسرائيل بسبب هذه الحقيقة ونتيجة لها فقط.

وأيد كاتب صهيوني آخر استخدام هذا الاسلوب في زائير ودولتين افريقيتين أُخريين لم يذكرهما بالاسم. ومما قاله حرفياً في هذا الصدد: «لو كان العالم يعرف كيف ساعدت اسرائيل موبوتو على تولي مقاليد السلطة في زائير لأوصدت جميع ابواب افريقيا امام النشاط الاسرائيلي خوفاً من استخدام الاسلوب الاسرائيلي في اقطار افريقية اخرى في اللحظة المناسبة»(٥٤).

وفي ضوء ذلك، ليس من المستبعد ان يستخدم هذا الاسلوب في العديد من الاقطار الافريقية، التي حددها العدوّ هدفاً للتغلغل المستمر. وقصارى القول، في شأن المخطط الصهيوني للنفاذ الى اقطار افريقيا انها تستهدف تحقيق سيطرة وسطوة في اخطر المجالات وأكثرها حساسية وأهمية، وهي:

ـ الهيمنة على الاقتصاد في الاقطار الافريقية، عن طريق المساعدات التي تقدم على شكل قروض او منح لإرهاق هذه الدول تحت وطأة الديون. وكذلك عن طريق تنفيذ المشاريع والأنشطة الأخرى بواسطة الشركات والمؤسسات الصهيونية. وطبيعي ان يؤدي ذلك الى السيطرة على المرافق الحيوية كمرافق المياه والمواصلات والكهرباء وقطاع التشييد.

ـ السيطرة على الجيوش الافريقيـة من خلال صفقات الاسلحة والاشراف على تدريب هذه الجيوش والإشراف على تخريج القادة والضباط، ثم بث المستشارين والخبراء بين صفوفها.

ـ النفوذ السياسي الواسع، الذي يتحقق من خلال شبكة العلاقات الديبلوماسية والزيارات ثم خطب ودّ القيادات والحركات السياسيّة والنقابية ومحاولة التغلغل في صفوفها.

وهكذا، فإنّ السلطات الصهيونية حين وضعت خطتها المدروسة بشكل جيد، نسقت بين أساليبها المختلفة، التي ستستثمر من اجل انجاح الخطة، وربطت بينها وبين العوامل الخارجية، التي تُجيَّر لخدمة خطة التحرك نحو افريقيا.

ـ ١١ ـ

وهكذا **بدأ التحرك الصهيوني نحو القارة الافريقية يتخذ ابعاداً جديدة بعد اتفاقيات كمب ديفيد**. وقد استطاع هذا التحرك ان يحقق عدة نتائج سياسية واقتصادية وعسكرية يمكن تلخيصها فيما يلي(٥٥):

سياسياً: (١) استئناف العلاقات بين العدو وكل من زائير وليبريا واحتمال استئنافها مع دول اخرى؛ (٢) افتتاح اثني عشر مكتباً لرعاية المصالح في العديد من الاقطار الافريقية والتي تتولى مهمات البعثات الديبلوماسية نفسها؛ (٣) بدء مرحلة مهمة من الاتصالات المباشرة مع الاقطار الافريقية عن طريق تبادل الزيارات.

---

(٥٤) **حوتيم**، ٢٨ / ٢ / ١٩٨٣.

(٥٥) «شؤون فلسطينية،» **مجلة مركز الدراسات الفلسطينية** (بغداد)، العدد ٦٩ (كانون الثاني / يناير ١٩٨٤).

اقتصادياً: (١) زيادة حجم الصادرات الصهيونية الى الاقطار الافريقية حيث بلغ اكثر من (٢٣٠) مليون دولار عام ١٩٨٣؛ (٢) نشاط الشركات الصهيونية المختلفة في اكثر من ١٦ دولة افريقية وحصولها على عقود تزيد قيمتها على ١,٧٥ مليار دولار وعلى الاخص في نيجيريا؛ (٣) عودة الخبراء الصهاينة للعمل في اكثر من ٢٠ دولة افريقية.

عسكرياً: (١) تزويد عدة جيوش افريقية بالأسلحة المصنوعة داخل الكيان الصهيوني، وخاصة زائير وليبريا وجمهورية افريقيا الوسطى وكينيا وساحل العاج وتشاد وتوغو؛ (٢) ارسال مئات الخبراء العسكريين لتدريب عدة جيوش افريقية، حيث يوجد في زائير وحدها اكثر من ٦٠٠ خبير يرأسهم ضابط برتبة بريغادير[٥٦]؛ (٣) استقبال ضباط وأفراد من جيوش بعض الاقطار الافريقية لتلقي التدريب في المعاهد العسكرية الصهيونية حيث يوجد (١٨) طياراً من سيسكاي محمية جنوب افريقيا؛ (٤) محاولة الحصول على مواقع عسكرية من خلال اختراق بعض الجيوش، بل والتوصل الى اتفاقيات للتعاون الاستراتيجي مع بعض الاقطار الافريقية مثل زائير.

لم يعد من المقبول ابداً، التغاضي عن المخطط الصهيوني، الذي تناولنا جوانبه وأبعاده بالدَّرس والتحليل، والذي هو على جانب كبير من الخطورة ليس بالنسبة للاقطار الافريقية، وانما بالنسبة للوطن العربي ايضاً.

إن خطر التغلغل الصهيوني في القارة، والوصول الى مواقع صدارة سياسية واقتصادية واستراتيجية، يشكل تهديداً للأمن القومي العربي، وهذا التهديد الذي يشار إليه صراحة يتمثل في جملة من العوامل:

ـ ان الكيان الصهيوني يتوخى من وراء احتلال تلك المواقع والحصول على مراكز نفوذ في القارة خلق دوائر متحالفة معه في القارة، ومعادية للعرب ومصالحهم في افريقيا؛ فتكثيف الوجود الصهيوني في القارة على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والاستراتيجية يرمي الى تحقيق هذه الغاية. وليس التحالف مع نظام موبوتو إلّا مقدمة لخلق مثل هذه الدائرة على غرار حلف نصف الدائرة الذي تبلور في عهد بن غوريون، رئيس وزراء العدو وضم اثيوبيا وايران وتركيا.

ـ إن العدو الصهيوني يسعى الى تحقيق مواطىء قدم عند مداخل البحر الاحمر وعلى المحيط الهندي عن طريق تعزيز وجوده في كينيا، ودول افريقية اخرى، بدعوى تأمين الملاحة في البحر الاحمر، فالبحر الاحمر يعتبر، من وجهة نظره، شرياناً رئيسياً تتدفق من خلاله الصادرات الصهيونية المتجهة الى افريقية واليابان وجنوب شرقي آسيا وتايوان وسنغافورة ونيبال وكوريا الجنوبية وبورما. ويعني ذلك، من وجهة نظر العدو، اخضاع هذا البحر للهيمنة الصهيونية ونزع صفته العربية، اي «اعتباره بحيرة عربية» لأن سواحله الشرقية والغربية تقع ضمن الوطن العربي. وهذا ما أكّدته دراسة اعدها البروفسور بنحاس مئير الباحث في الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ابيب.

يقول مئير: «إن اسرائيل لا يمكنها، تحت اي ظرف من الظروف، السماح بأن يتحول البحر الاحمر الى بحيرة عربية، وأنها لا بد من أن تتخذ كل الاجراءات الكفيلة بمواجهة اي تدهور قد يعيق الملاحة الاسرائيلية في هذا البحر». واضاف: «ان اسرائيل تعتبر البحر الاحمر من أحد أهم الممرات التي توصلها مع دول العالم، وشرياناً حيوياً يتوقف عليه

---

(٥٦) **معاريف**، ٢٧ / ٢ / ١٩٨٤.

ازدهارها ونموها، وثروة استراتيجية لا يجوز السماح بضياعها او استغلالها من قبل الاعداء»[٥٧].

ومن خلال مضمون تلك الدراسة، يتضح ان العدو اعتبر ان السيطرة على البحر الاحمر هي مسألة تدخل في صميم وصلب ما يسمى بالامن القومي الصهيوني، كما يتضح ان العدوّ لن يتردد في تهديد البلدان العربية اذا ما حاولت ان تتخذ اية اجراءات لحماية امنها وسلامتها اللذين يكفلهما لها القانون الدولي. وانطلاقاً من ذلك يمكننا ان نفسر الحشود العسكرية الهائلة في المدخل الشمالي للبحر الاحمر، ثم في إعداد اسطول من الزوارق الحاملة للصواريخ وبعض السفن الحاملة لطائرات الهيليكوبتر لاستخدامها ضد البلدان العربية والسيطرة على البحر الاحمر طولاً وعرضاً.

- يسعى العدو الى السيطرة على مواطىء قدم ليس في دول شرقي افريقيا والدول الافريقية المحيطة بالبحر الاحمر، وانما في دول اخرى متاخمة للاقطار العربية مثل تشاد ونيجيريا والنيجر وجمهورية افريقيا الوسطى والسنغال. واوغندا. والهدف الواضح من وراء ذلك هو توسيع الدائرة المعادية للعرب لكي تحيط بأقطار الوطن العربي المتاخمة لافريقيا في مشرقه ومغربه.

- ان العدو يستهدف الإضرار بالعلاقات العربية الافريقية، ليحقق بذلك هدفه في تعزيز مركزه الدولي على حساب العلاقات العربية مع الاقطار الاخرى.

ويقول البروفسور (اسحاق شيحور) الباحث في مركز الدراسات الافرو آسيوية في الجامعة العبرية: «ان الهدف الجوهري، الذي يجب السعي الى تحقيقه من خلال سعينا لترميم العلاقات مع افريقيا هو اضعاف علاقات تلك الاقطار مع العالم العربي». واضاف: «ان اضعاف العلاقات الافريقية - العربية سيقضي على اكبر منافس للوجود الاسرائيلي في القارة، وإلى تفرّد اسرائيل بالنشاط في هذه القارة»[٥٨].

واضح اذن ان العدو الصهيوني يضع في مقدمة اهتماماته الإضرار بالمصالح القومية للوطن العربي في افريقيا، وتعريض الأمن القومي للأمة العربية للخطر. ومهما يكن من امر ما يقال عن النشاط الصهيوني في افريقيا فإن هذه القارة تشكل مركز اهتمام ديبلوماسي واستراتيجي واقتصادي بالنسبة للعدوّ مما يعني، في نهاية الامر، العمل على اضعاف الوجود العربي فيها حتى يضمن الديمومة لنشاطه ووجوده. وقصارى القول في شأن ما تقدم أن التحرك الصهيوني للسيطرة على افريقيا لا بد من ان يواجه بتحرك عربي مضاد يضع نصب عينيه إحباط هذا التحرك او محاولة حصره في اضيق دائرة □

---

(٥٧) **سكيرا حودشيت**، العدد ٣ (آذار / مارس ١٩٨٣).
(٥٨) **سكيرا حودشيت**، العدد ١٠ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٣).

في خمسينية الشاعر ابي القاسم الشابي(*)
(١٩٠٩ ـ ١٩٣٤م)

لميعة عباس عمارة

شاعرة من العراق.

تفاجىء تونس العالم مثلما تفاجئه الطبيعة بخوارقها التي لا تتكرر الا بمئات السنين، فبعد مجيء ابن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٥م) بحوالى ستة قرون ولد ابو القاسم الشابي.

أثار هذا الشاعر الشاب خضة في محيط الفكر العربي، مع ان عصره كان عصر عمالقة الشعر والادب في البلاد العربية، ونوابغ العلم في اوروبا وامريكا: بداية القرن العشرين، أثارها مسرعاً ومضى، كما فعل رامبو في الشعر الفرنسي، وترك وراءه جدلاً لا يهدأ، ودراسات تتنامى.

صدر ديوان الشابي بعد موته، لم يستطع ان يطبعه لأسباب من المؤكد انها كانت مادّية، ولكنه استطاع ان ينقّح ويختار من شعره ما يرضى عنه كناقد قاسٍ ويرتب قصائده ويؤرخها، اي انه أبقى عملاً سهلاً لمن بعده. هذا الديوان الذي طبع عام ١٩٥٥ المتأخر جداً بعد موت صاحبه والمسمى «اغاني الحياة» كان موضع إعجاب لا تونس وحدها ولا المغرب العربي المتلهف لشاعر كبير يولد فيه، بل كان موضع إعجاب الطبقة المثقفة من شعراء وادباء ومفكري البلاد العربية، اذكر انني سمعت الثناء الكبير على شعر هذا الشاعر من نازك الملائكة وكانت آنذاك مديرة مكتبة دار المعلمات في بغداد ومدرّسة للغة العربية هناك وقد درّست قصائد الشاعر ونقلت لطالباتها إعجابها به.

وكالعادة حين يُذكر جورج جرداق حينما يسمع الناس ام كلثوم وهي تغني «هذه ليلتي» مهملين اعظم ما كتبه عن علي او جاهلين له، وكما تشفع لنزار قباني لدى شرطة دولة عربية اغنية «ايظن» لنجاة الصغيرة في ليلة نسي فيها اوراقه الثبوتية.. طارت شهرة ابي القاسم الشابي حين لُحنت له قصيدة «اذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر»، واكتفى الكثيرون بهذا (القدر). والعرب بخاصة حريصون على ذكر محاسن موتاهم، يفيقون فجأة على صوت الضمير الحي فيقيمون التأبينات الباذخة لمن كان يتمنى لو ان المبلغ المرصد لبناء قبره استلفه في حياته مثل الرصافي وبدر شاكر السياب وكثيرين. هبَّ الدارسون لشعر وحياة الشابي (اكثر من ٨٠ مؤلفاً ـ عدا الاعمال المتأخرة عن إحصائية دار الكتب

(*) بتوصية من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الالكسو) تقرر ان تكون سنة ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ سنة الشاعر ابي القاسم الشابي. وبالمناسبة فإني اشكر السيد رشيد الذوادي المستشار القانوني في السفارة التونسية بالقاهرة لارساله بعض المراجع عن الشابي مما ساعدني في بحثي القصير عنه.

الوطنية في تونس ـ عدا المقالات التي ترتفع عن ٢٨٥ مقالاً..) واستغرق جمع هذه البيليوغرافيا جهود خمسة اشهر من سبعة اشخاص[١]. وعكفت الاديبة الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي على ترجمة ديوانه (كله او مختارات منه لا ادري) الى الانكليزية، وترجمه الى الفرنسية عبد العزيز قاسم، وقام الصديق الصبور ابو القاسم محمد كرّو بإحصاء شامل لكل من كتب عن الشاعر في ٣٥٠ صفحة.

هذا الشاعر الثائر الموهوب حقاً هل يدعم شهرته موته المفاجىء وهو في الخامسة والعشرين، ملتحقاً بركب الشعراء الشباب الخالدين: طرفة بن العبد، مايكوفسكي، بتوفي (شاعر المجر العظيم)، كيتس، شلي، رامبو.. وآخرين ممن عاشوا قليلاً وتحدوا كثيراً تحت شعار الحب والحرية، الوطن والمرأة، التمرّد على جمود العصر، والبحث عن الجديد المدهش؟

هل موت النابغة المبكر من اسباب شهرته حتى بات الكثير من رومانسيي الشباب يحلمون بموت مأساوي وهم اصحاء؟ من المؤكد ان هذا الظن خاطىء، فالعظيم يولد عظيماً مثل نهر الفرات جبار مهاب من منبعه في قمة ارارات، ولو امتد العمر بهؤلاء المبدعين الشباب لأغنوا العالم بنضج تجربتهم ـ عدا رامبو الذي تنكّر للشعر ورفض حتى ذكره امامه بعد سن التاسعة عشر ـ فليس كل يتيم نبي، وليس المرض والفقر حوافز ابداع بل منهكات، ولا يجوز ان نرد سطوع الموهبة لمعوّقاتها واقساها الموت.

لا بد ان نسلّم أن الموهبة قدرة في الذكاء ممنوحة لصاحبها مخلوقة معه، والمنضج لهذه الموهبة هو الثقافة، وكانت الثقافة ميّسرة في بيت الشابي.. مكتبة عامرة ووالد مثقف (حقوقي)، على ان القليل من الجمر كاف لاشعال حريق. قرأ الشابي بالعربية وكان حزيناً متحسراً ان لا يقرأ روائع الادب الفرنسي بلغته الاصلية ويكتفي بالمترجم. من هذا المتيسر القليل المترجم استمد الشابي ضراوة النقد للشعر العربي وكره الجمود في الادب المتحجر حوله، مال الى قراءة شعراء المهجر فاختصر تجربتهم في شعره، ولكنه لم يقتنع بكفاءة تجديدهم، اتصل بجماعة ابولو بمصر ونشر في مجلتهم. وكانت موجة رومانسية حاولت خلق جديد ولكنه كان وليداً جديداً مُقمّطاً بقماط جدّه.

هل أُمهل ابو القاسم ليقول الكلمة التي يتحفز لقولها والعمل الذي يضرب به وجه الماضي؟ لا.

بدأ ناقداً رافضاً، في محاضرته (الخيال الشعري عند العرب) سنة ١٩٢٩ رفض المضمون، وتلك خطوة اولى، حيث حمل على منطلقات الشعر عند العرب ونظرتهم الى الطبيعة والمرأة تلك النظرة التي تتجمد عند المحسوسات و «لا تفهم من المرأة الاّ انها جسد يُشتهى ومتعة..» ويسأل «هل وجدتم بين نوابغ الشعر واحداً يقول في المرأة مثل ما يقول لامرتين؟»[٢].

اقول تلك خطوة اولى.. التمرد على المضمون ومحاولة ملء القصيدة بأفكار وتأملات اعمق واشمل مما سبقه العرب اليه، وهذا يبدو واضحاً في ديوان ابي القاسم فكل قصيدة تحمل فلسفته ونظرته للحياة والسياسة والجمال والامل... الخ. الا ان كل هذه المضامين الغنية معبأة بقوارير جاهزة مثل رف الصيدلية، القصائد كلها تأخذ شكل الرباعيات، او القصيدة الموحدة المنظومة بخيط واحد، والشاعر لم يستقر بعد، ولو صدر له ديوان ثان لاختلف الشكل والمضمون عما ألف عصره، في ظني ان حسم الموت لتجربة ابي القاسم كان قطعاً لمنهج تجديد مثير في الشعر العربي، لأن بشارات هذا القادم تُنبىء بمجيئه؛ رفض ونقد حاد للقوالب الجامدة. تلخيص مضامين وافكار شمولية انسانية كونية في الشعر، انتقاء انيق للفظ يفضي حتماً الى استنباط نسق جديد، كان ـ لو امهله الموت ـ هو المجدد الاول في بحور الشعر وشكل القصيدة، لأنه القلق الذي لا يرضى بالاستقرار، وقدرته فيما أنتجه من شعر تؤهله لخلق

---

(١) مجلة **الحياة الثقافية** (تونس)، السنة ٩، العدد ٣٣ (١٩٨٤).

(٢) مجلة **الفكر** (تونس)، السنة ٣٠، العدد ٢ (نوفمبر ١٩٨٤) (عدد خاص بخمسينية الشابي).

الجديد. (أعلم ان هذا الرأي هو رأي لا واقعي ولا علمي يشفع لي في اطلاقه شفافية الشعراء ورؤيتهم ما كان يمكن ان يكون).

وبعد... كثيرون كثيرون من يعددون محاسن الشابي، فهل عرفوا مساوءه؟ ذلك الغبار الذي يتركه الحصان العربي الاصيل ـ بحيث يقال لا يُشق له غبار ـ الغبار الذي حجب الرؤية عن اسماء كثيرة من شعراء تونس والمغرب، ظل هو العملاق، هو الاشهر، هو الاعظم.. ثم ماذا؟ اتمنى الّا يكون الشاعر الكبير ـ الشابي ـ مثل حجر كبير في طريق شعراء المغرب ونصيبهم من الشهرة والمجد.

في ذكرى ابي القاسم الشابيّ

عقمتْ دهراً صحاريها، وحنّتْ..
عطشتْ دهراً شواطيها، تمنّتْ..
قطّرتْ زيتونَها كلُّ البساتين، وصلّتْ
كَبّرتْ كلُّ المنائر
فاستجابَ اللهُ في عليائهِ
طلعَ الفجرُ من المغرب، بشرىٰ
أنجبتْ تونسُ شاعر.

غُصُنٌ أثقَلَهُ الوعدُ، تدلّىٰ
قمرٌ هالتُهُ المجدُ، تجلّىٰ
أيُّها العجلانُ.....
هل ينفعُ لو ناديتُ: مهلا؟
يا أبا القاسمِ
هل مُتَّ
وفي كلِّ مكانٍ أنتَ حاضر؟

نَشأَتْ محنيَّةٌ زنبقةُ الراعي النضيرة
مثلَ قلبِ الشاعرِ المضنىٰ
وما اوجَعَ أن يعرفَ إنسانٌ مصيره!
أفرغتْ قارورةُ المسكِ شذاها
أم تُراها
لو حباها القدرُ القاسي أمانا
أذهلتْ كلَّ البصائر؟

لِمَ قلبُ الشاعرِ المعصوبُ بالأشواكِ
نذرا؟
سقماً يختارُ، أو يختارُ فقرا
ليس إلّا؟

مَن سوى الشاعرِ بالنعمةِ أحرىٰ؟
أفمَن يُلبسُ هذا الكونَ سِحراً
يتعرّىٰ؟
زادُهُ زادُ المسافر؟

تونسَ البيضاءَ
يا زُرقَ الشبابيكِ
وانفاسَ البخور
أنتِ يا سيدةَ البحرِ الربيعيّةَ
يا أختاً لصيدونَ وصورِ
أنتِ يا أمَّ أبي القاسمِ
والشابيُّ يكفيكِ فخارا
فيكِ أحبابي
ولا أدري ضيوفٌ أم أسارىٰ؟
خيمةٌ تسكنُها الوحشةُ قلبي
وهمومي لا تُهاجر.

ظلَّ أحبابي يُغنّونَ
وغنّيتُ «إذا الشعبُ..»
وظلَّ الشعبُ هَمّي
أبطأتْ «لا بُدَّ أن.....»
أسرعَ في خاصرتي سيفُ ابنِ عمّي..
قلتُ بل «خلّوا نصالي للعِدا..
أهدِرَ دمّي
في فمي حِبرٌ
من الحكمة ان تُطوىٰ الدفاتر.

لميعة عباس عمارة

الاصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي

محمد حسن

قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ تونس.

مقدمـــة

لم تكن «اللغة» البربرية قادرة على الوقوف امام لغة العرب الفاتحين، فقد كانت لغة شفويّة اكثر منها كتابية، ولم تتخطّ في مستوى الكتابة المراحل الاوليّة من نشأتها، مما يفسّر قلّة النصوص التي وصلت الينا بالبربرية وانحصارها في بعض النقوش المكتوبة التي وردت احياناً بلغتين، سواء البربرية والفينيقية او البربرية واللاتينية. وقد عجز العلماء عن حل رموز هذه اللغة. وطبيعي الاّ يحصل تكافؤ بين هذه اللغة المقسّمة الى عدة لهجات وبين اللغة العربية وهي في اوج فتوّتها، وكان الحسم النهائي لصالح اللغة العربية حتى ان المعارضة البربرية اعتنقت المذهب الخارجي كأيديولوجية مناهضة للسلطة القائمة، لكنها أقبلت على تعلم اللغة العربية كلغة للقرآن وللشريعة الاسلامية.

وهكـذا فقد أصبحت اللغة العربية في كثير من المناطق المغربية لغة الثقافة والتعامل الخارجي خاصة مع غير البربر، بينما بقيت البربرية مستعملة داخل مجموعات «الامازيغن» وخاصة داخل المنازل، حيث حافظت المرأة اكثر من الرجل على هذه اللغة بحكم قلة اتصالها بالعالم الخارجي، وما ينجم عن ذلك من صبغـة محـافظة، والى الآن فقد بقيت المرأة في جزيرة جربة مثلاً اكثر استعمالاً لهذه اللغة من الرجل. وعرفت بلاد المغرب طويلاً هذه الثنائية اللغوية وما زالت بعض المناطق تعرف هذه الازدواجية في عصرنا الحالي، بل انها اصبحت مع الفترة الاستعمارية الاوروبية تعددية لغوية، من بربرية وعربية «عامية» وفصحى وفرنسية او ايطالية.

وفي حقيقة الامر فإن هذه الازدواجية لا تعني المنافسة، بل التكامل بين لغة شفوية وهي البربرية واخرى مكتوبة وهي العربية، مما يفسر هذا التعايش السلمي بين حضارتين ومدى تأثير العربية في بلاد المغرب. كما انه لا يعقل من ناحية اخرى ان يقع التعريب في هذه الرقعة من العالم دون ان يتأثر باللغة المحلية وبالرصيد اللغوي السابق، فكان ان تسربت عدة الفاظ بربرية ولاتينية الى العربية في بلاد المغرب ونذكـر على سبيـل المثال لا الحصر اسماء بعض النباتات والاشجار (تازلا ـ تازعة ـ ازمور...) وبعض الاعلام (جندوز ـ امزوار ـ أمازيغ ـ عمروس...)[1].

(١) انظر: الشماخي، **كتاب السير**، تحقيق محمد حسن، ج ٣، ص ٥١٢ ـ ٥١٥. (نسخة بالمكتبة الوطنية)

وقد كان من نتائج هذا التعريب استعمال تراكيب وتعابير جديدة وصيغ بربرية غريبة عن اللغة العربية وكذلك اللحن فيها لأن بعض المخارج الصوتية مثل العين لا تنطق بالبربرية فيتحول: ابا عبد الله الى بادلة، و«ابا عمر» الى بامر... ولا غرابة ان نرى اللحن في النطق واللكنة وعدم سلاسة الكلام التي تفرّق العربي عن غيره، كل هذه الخصائص اكثر تفشياً في المناطق التي توجد فيها نسبة كبيرة من البربر.

على ان اللغات البربرية رغم جذورها السامية بعيدة كل البعد عن العربية، ولم تساهم في سرعة عملية التعريب في بلاد المغرب، وذلك خلافاً للعراق والشام حيث ساعدت القرابة الموجودة بين العربية وبقية اللغات العروبية (السامية) من بابلية وسريانية وآرامية على سرعة التعريب. ولا ندري مدى الدور الذي لعبته **اللغة الفينيقية** في تعريب افريقية والمغرب، وقد قيل الكثير عن مدى دور هذه اللغة العروبية في تسهيل المهمة للعرب نظراً لاستمرار بقاء هذه اللغة بعد انقراض السلطة السياسية للبونيقيين وتخريب قرطاج سنة ١٤٦ ق. م، ولا يستبعد ان تواصل استعمالها حتى قدوم العرب، وقد ذكرت المصادر القديمة ان بعض جهات نوميديا بقيت تتكلم اللغة البونيقية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بل ان اهل الشرق في القرن العاشر الميلادي كانوا يتراطنون بكلام «ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي ولا يعرفه غيرهم»[٢]. ومن يدري لعل هذه اللغة الغريبة هي البونيقية، سيما وان السرت كانت من المراكز الاساسية لهؤلاء الملاحين الساميين. ومهما يكن من امر فإن العربية عند وصولها الى افريقية وجدت امامها لغة اخرى تصدت لها وتنافست معها، انها **اللغة اللاتينية**. فكيف وقع هذا التفاعل بين اللغتين؟

لم يؤدِّ وجود اللغتين على الساحة نفسها الى ثنائية لغوية كما هو الشأن بالنسبة للبربرية والعربية، وذلك لسبب واضح وهو ان اللغة اللاتينية ليست اللغة الوطنية للبربر، ولم تؤد الى ذوبان الشخصية الوطنية التي سعت دائماً الى التخلص من الهيمنة الخارجية. ولم تكن عملية «الرومنة» سوى «نمَر من ورق» حيث لم تشمل الا الفئات العليا المتعاملة مع الرومان. ومن الطبيعي ان يزول هذا الصرح الهش بسرعة امام التفاعل الايجابي الذي وقع بين العروبة والاسلام من جهة والبربر من جهة اخرى، ونشير هنا الى بعض التفسيرات الخرقاء التي التجأت اليها المدرسة التاريخية الاستعمارية، فتحدثت عن ازمة ضمير وخطأ ندم عليه البربر... الخ[٣]. والحقيقة انها كانت ظاهرة تاريخية طبيعية تفسرها عوامل موضوعية عدة.

على ان اندثار اللغة الرومانية وقع بطريقة تدريجية اذ استمر التخاطب بها حتى اواخر القرن الاول سواء في الادارة او في ضرب النقود. وقد عثر على دينار ضرب في عهد موسى بن نصير (٧٨ ـ ٩٦ هـ/ ٦٩٧ ـ ٧١٤ م) نقش عليه بالاحرف اللاتينية «بسم الله الرحمن الرحيم، لا اله الا الله لا شريك له، ضرب هذا الدينار بافريقية موسى بن (فيليوس) نصير». ولم **تتعرب الادارة والسكة** نهائياً بعد تعريب عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) لها، وبهذا اصبحت هذه اللغة رسمية لا في المشرق فقط وانما كذلك في بلاد المغرب، مما يفسر إقبال البربر والافارقة والروم على تعلّمها لغايات متعددة، منها رفع مكانتهم الاجتماعية والمشاركة في العمل السياسي والاداري وتقليد الفئات العليا الارستقراطية العربية التي حرصت على استعمال اللغة الفصحى كظاهرة تمايز اجتماعي، بينما استعمل المستعربون وبقية العرب اللغة العامية وتمكنوا احياناً من اتقان اللغة العربية، لكن نطقهم تشوبه اللكنة.

وابتداء من تلك الفترة التي وقع فيها نشر الخط العربي وتعريب اللسان في المدن الكبرى، ما انفكت

---

(٢) ابو عبيد البكري، **المسالك والممالك** (الجزائر، ١٩١١)، ص ٩.

(٣) انظر: W. Marçais, «Arabisation des villes,» *Annales de l'Institut d'études Orientales* [A.I.E.O.], (1938), pp. 1-2.

اللغة اللاتينية والجاليات المسيحية تضمحل حتى صارت استثناء انحصر في بعض المناطق المنقطعة عن المركز الثقافي للمسيحية، وهو الامبراطورية البيزنطية، مما جعل هذه الاقليات تصاب باختناق بطيء لكنه قاتل. وكانت فترة المخاض طويلة، وبقيت **مظاهر الاستمرار** والتواصل عديدة اذ استمر استعمال اللغة «الرومانية» (Le parler Roman) في شمال افريقيا حتى القرن الثاني عشر. وقد وردت اشارات عديدة في النصوص العربية تتحدث عن هذه المجموعات التي اطلق عليها تسميات عديدة مترادفة مثل الافارق (او الافارقة) والروم والاعاجم والرومان والمولّدين [٤]. وقد ذكرت النصوص هؤلاء الافارقة في اغلب جهات البلاد، وخاصة في جهة طرابلس وقابس ونفزاوة والجريد وقفصة والقيروان والساحل ومجانة (غرب القيروان) والوطن القبلي وتونس وباجة. كما ذكروا في واحات الزاب وباغاي وطبنة ومقرة وتاهرت وتلمسان وفاس وغيرها[٥].

وبقيت بعض الجيوب التي تتكلم اللغة اللاتينية المحلية حتى القرن الثاني عشر، وعلى سبيل المثال نذكر قفصة التي قال عنها الادريسي: «واهلها متبربرون واكثرهم يتكلم باللسان اللاتيني ـ الافريقي»[٦]، بل ان هذه الجاليات المسيحية استمر وجودها بحاضرة القيروان حتى تلك الفترة[٧]. وقد جاء في كتاب البرزالي «ان نساء النصارى (بتونس) يستترن كالمسلمات غالباً من غير علامة، ومنهن من يلتزم زي النصارى»[٨]، ولا ندري في الحقيقة هل ان الامر متعلق بالنصارى من اصل افريقي قديم ام بالجاليات التجارية الاوروبية المستقرة في تونس وقتئذٍ. هذا وان دراسة الاعلام والمواقع القديمة من خلال المصنفات العربية تفسر ظاهرة الاستمرارية اللغوية، وقد قمنا بابراز الاصول اللغوية القديمة لهذه الاسماء المستعملة في العصر الاسلامي من خلال دراستنا لكتاب سير الشماخي، واستنتجنا مدى اهمية هذا الرصيد اللغوي القديم في تعريب بلاد المغرب[٩].

وبدون شك فإن هذه الرواسب الثقافية الاصلية سواء أكانت بربرية او فينيقية او لاتينية أثّرت في عملية التعريب وأدت الى بروز خصوصيات لغوية مميزة ولهجات محلية في بلاد المغرب مختلفة عن لهجات بقية الامصار الاخرى. تلك هي العوامل الاساسية التي ساعدت على نشر اللغة العربية في بلاد المغرب. فكيف وقعت هذه الحركة وما هو المسار الذي اتبعته؟

اولاً: نحو تعريب المدن والارياف المغـــربية خلال القرون الخمسـة الاولى للهجـرة

١ ـ المثاقفة الجينيالوجية والحضارية

من الطبيعي ان تخلق هذه الوضعية الجديدة علاقات ثقافية غير متكافئة بين العرب والبربر، وذلك في خط مواز للعلاقات الاجتماعية بين الشعبين. فقد احتكرت الارستقراطية العربية الثروة والسلطتين

---

(٤) انظر: Tadeusz Lewicki, «Une Langue Romane oubliée de l'Afrique du Nord,» *Rocznik Orientalistyczny*, vol. 17 (1951-1952), pp. 415-418.

(٥) انظر التفاصيل في: المصدر نفسه، ص ٤٢٦ ـ ٤٣٢.

(٦) ابـو عبدالله محمد الادريسي، **جزيرة العرب من نزهة المشتاق وملحق به ما جاء في [روض الفرح وانس المهج]**، تحقيق ابراهيم شوكة (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٧١)، ص ١٠٤.

(٧) A. Mahjoubi, W. Salomonson et A. Ennabli, *La Necropole Romaine de Raqqada* (Tunis, 1970 et 1973), tomes 1 et 2.

(٨) محمد الطالبي، **دراسات في تاريخ افريقية** (تونس، ١٩٨٢)، ص ٩٥.

(٩) الشماخي، **كتاب السير**، ج ٣، ص ٥١١ ـ ٥١٥.

العسكرية والسياسية، واستقرت تدريجياً في الامصار وغيرها من المدن المغربية القديمة. وسعت هذه الاقلية العربية من موقعها القيادي الى ربط علاقات مع المغاربة ومد الجسور الاولى عن طريق المصاهرة والاختلاط، على ان نظرة العرب الى البربر لا يمكن ان تخرج عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية السائدة، حيث كانت صورة لها تحمل في طياتها شحنة من الافكار المسبقة، مع انها لا تخلو من محاولة لتجاوز الصراعات الماضية وتعريب الاهالي، وبالتالي فإن الجدلية الاساسية التي تفسر موقف العرب هي المحافظة على موقعهم الاجتماعي والسياسي من ناحية والحرص على تعريب البربر من ناحية اخرى.

أ ـ تعريب النسب

يبدو هذا الامر جلياً في الروايات المتعلقة بنسب البربر والمتداولة من طرف الكتّاب العرب، فقد ذكر ابن عبدالحيكم منذ القرن الثالث الهجري ان اصل البربر من فلسطين، «وكان ملكهم جالوت، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين الى المغرب»[١٠]. وهكذا فإن زناتة ومغيلة ولواتة وهوارة ونفوسة هي قبائل سامية، لكنها من درجة ثانية اذ انها كانت من الجبابرة الذين قاتلهم داود وطردهم من فلسطين. وأضاف البلاذري الى هذه الرواية عنصراً ثانياً يتعلق بنسبهم المذكور لكنه ينفيه بطريقة قطعية قائلاً: «هم يزعمون انهم ولد بر بن قيس وما جعل الله لقيس ولداً يقال له بر»[١١].

لم يكن الربط بين القبائل البربرية والعرب جماعياً فحسب، وانما سعى العرب الى ربط القبائل الكبرى والمتحالفة معهم بنسب عربي، وذلك منذ القرن الثالث الهجري، فذكر اليعقوبي ان بطون لواتة «يقولون إنهم من ولد لواتة بن بر بن قيس عيلان، وبعضهم يقول انهم قوم من لخم كان اولهم من اهل الشام فنقلوا الى هذه الديار، وبعضهم يقول انهم من الروم»[١٢]. كما ذكر انتساب مزاتة الى العرب منذ القرن الثالث فقال ان في مدينة السرت قوماً مسلمين من مزاتة ينتسبون الى اليمن[١٣]. وكذلك ارتبطت هوارة بأصل عربي فزعمت انها من اصل يمني لكنها جهلت انسابها[١٤]. ومهما يكن من امر فإن القاسم المشترك بين هذه الروايات الثلاث الخاصة بلواتة ومزاتة وهوارة هو: اولاً: وجود هذه القبائل الثلاث في حيز جغرافي واحد وهو المغرب الادنى، وخاصة على طول الشريط الساحلي الرابط بين القيروان والمشرق، مما يفسر بداية تعريب هذه القبائل منذ زمن مبكر. ثانياً: ان شك اليعقوبي في صحة الروايات الثلاث لدليل على ان هذه العملية الحضارية ما زالت في بداية طريقها لم تكتمل بعد، وان هذه القبائل لم تفرط في لسانها البربري ولا في خصوصياتها الثقافية نهائياً لصالح العروبة الحضارية. وهكذا فإن مسألة التعريب الجينيالوجي للقبائل البربرية قد قامت بقفزة نوعية خاصة بعد القرن الحادي عشر، مع قدوم بني هلال وبني سليم الى المغرب. وهذا الادريسي يحدثنا عن هذه الظاهرة الجديدة في القرن الثاني عشر قائلاً: «وكان ملكهم جالوت بن خريس بن جانا وهو ابو زناتة المغرب، وجانا هو ابن لوا بن بر بن قيس بن الياس بن مضر... وصنهاجة ولمطة اخوان لأب واحد وام واحدة. وابوهما لمط بن زعزاع من اولاد حمير... وهوّار ايضاً اخ لصنهاج ولمط من ام. وابوه المسور بن المثنى بن كلاع بن ايمن بن سعيد بن حمير وانما قيل له هوّار لكلمة تقولها فسمي بها هوارا، وذلك ان قبائل العرب نزلت على قبائل البربر، فنقلوهم الى السنتهم بطول المجاورة حتى صاروا جنساً واحداً»[١٥].

---

(١٠) عبد الرحمن بن عبدالله (ابن عبد الحيكم)، **فتوح افريقية والاندلس**، حققه وقدم له عبدالله انيس الطباع (بيروت: مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٦٤)، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(١١) ابو العباس احمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان** (ليدن، ١٨٦٦)، ص ٢٦٦، انظر ايضاً: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** (ليبزيغ، ١٨٦٦)، ج ١، ص ٥٤١.

(١٢) اليعقوبي، **البلدان**، تحقيق محمد صادق بحر العلوم (النجف: مطبعة الحيدرية، ١٩٥٧)، ص ٩٧.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(١٥) الادريسي، **جزيرة العرب من نزهة المشتاق وملحق به ما جاء في [روض الفرح وانس المهج]**، ص٥٧ ـ ٥٨.

ماذا نستنتج؟ نلاحظ ان هذا التعريب الجينيالوجي قد اصبح اكثر شمولية في القرن الثاني عشر، ولم يعد مقتصراً على بعض القبائل فحسب، وانما خص اهم القبائل الكبرى وخاصة زناتة وهوارة وصنهاجة ولمطة... الخ. ولم تكتف هذه الروايات بالبحث عن اصل عربي فقط، وانما سعت ايضاً الى اشتقاق اسماء القبائل البربرية من افعال عربية، فزعمت ان هوارة من تهور وان سبتة من سبت. كما تم في هذه الفترة تعريب بعض اسماء القبائل البربرية، فوقع ذكر قبيلة حمزة من زناتة حول تيجس(١٦). كل هذه الدلالات تمكننا من ان نقيس مدى المثاقفة ووقعها على شجرة الانساب البربرية. ولا يخفى علينا خلفيات هذه العملية التاريخية التي تطورت نحو التعقيد والشمولية، فقد قال ابن خلدون ان «المغلوب مولع دائماً ابداً بتقليد الغالب»، وبالتالي فإن البربر الذين ارتبطوا بالعرب عن طريق ظاهرة الولاء، قد نزعوا الى هضم الثقافة العربية بكل جوانبها، وعلى وجه الخصوص الجانب الجينيالوجي الذي يمنحهم شرعية المشاركة في الحياة السياسية والصعود في السلم الاجتماعي وشرف الانتساب. وبهذا يخرجهم من مأزق الشعور بالنقص والاحتقار. ولنا مثال معّبر عن هذه الوضعية. فكم كانت فرحة البهلول بن راشد كبيرة حين علم انه من اصل عربي. قال الفقيه القيرواني (١٢٨ ـ ١٨٣هـ) بهذه المناسبة: «اني كنت خائفاً ان اكون من البربر لما جاء فيهم من الحديث، فسألت عن اصلي من يعرفه، فأخبرت اني لست من البربر، فاتخذت لذلك هذا الطعام شكراً لله اذ لم اكن من البربر»(١٧). ومهما كانت الاسباب، فإن هذه المثاقفة اصبحت من الاهمية بمكان في القرن الثاني عشر، الى درجة انقلاب الصورة التاريخية الحقيقية بالنسبة لقبيلة زناتة التي احتلت المرتبة الاولى في الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد المغرب وخاصة بعد انتشار الظعن وتغلّب اهل العزّ من المنتجعين بالمراعي على المستضعفين من الفلاحين(١٨). ووقع تناسب وتماثل بين النمط المعيشي لزناتة وعرب الهلالية، مما يفسر التطابق في النسب بين القبيلتين من جهة والمفارقة بين زناتة وغيرها من القبائل البربرية، مثل مصمودة، من جهة اخرى، قال الادريسي ملخصاً هذه الوضعية: «وزناتة في اول نسبهم عرب صرح، وانما تبربروا بالمجاورة والمحالفة للبرابر من المصامدة»(١٩).

ولم يتمكن ابن خلدون من التخلص من هذه الاساطير المعبرة، فقدم فرضيات متعددة تتعلق بأصلهم، فقال «ان البرانس من نسل مازيغ بن كنعان والبتر بنو بر بن قيس»(٢٠). وبهذا وقع ايجاد تناسب بين القبائل البربرية المستقرة واصلها الحميري المتحضر من ناحية، وبين البتر الرحل واصلها المضري البدوي. وفي كلتا الحالتين فإن هذه النظرة تنم عن محاولة ادماج وهضم للقبائل البربرية وذلك في اطار الانتساب الى العروبة.

ب ـ التعريب الحضاري: الوجه والقفا

وتوجد دلالات اخرى على محاولة التعريب الحضاري، فقد وقع تعريب الجذعين الاساسيين للبربر

---

(١٦) البكري، **المسالك والممالك**، ص ٦٣.

(١٧) ابو اليزيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الاسيدي الدباغ، **معالم الايمان في معرفة اهل القيروان**، اكمله وعلّق عليه ابو الفضل ابو القاسم بن عيسى ابن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح، سلسلة من تراثنا العلمي، ١، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٨)، ج ١، ص ٢٧٣.

(١٨) ابو زيد عبد الرحمن بن محمد [ابن خلدون]، **تاريخ ابن خلدون**، ٧ ج (القاهرة: مطبعة بولاق١٢٨٤هـ)، ج ٦، ص ١٧٥.

(١٩) الادريسي، **جزيرة العرب من نزهة المشتاق وملحق به ما جاء في [روض الفرح وانس المهج]**، ص ٨٨، وحسب ابن عذارى، **البيان المغرب في اطباء الاندلس والمغرب**، ٤ ج (بيروت: دارالثقافة، ١٩٤٣)، ج ١، ص ٢٠٠، فانهم ابناء بر بن قيس بن الياس بن مضر.

(٢٠) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج ٦، ص ١٧٥ ـ ١٧٩. كمّا وربط ياقوت الرومي الحموي، في: **معجم البلدان** (ليسبيك، ٧٣/ ١٨٦٦)، ج ١ (٢)، ص ٥٤١، نسب كتامة وصنهاجة بافر يقس بن قيس بن صيفي، ومعلوم ان هاتين القبيلتين لعبتا دوراً سياسياً مهماً اثناء الفترة الفاطمية والصنهاجية.

فعـربت كلمة «بروس (Birros) » الاغريقية، وتعني الثياب الطويلة، واطلقت على القبائل المرتدية بهذه الصورة، واصبح اللفظ العربي بتر يطلق على اصحاب اللباس الابتر والقصير، وهكذا جاءت هذه المفارقة بين البرانس والبتر وفقاً لرؤية العرب لهم عند دخولهم بلاد المغرب. ووقع ربط اسم البلاد الافريقية باسم وهمي وهو افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة، وقد غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس، ونلمس في هذه الدلالة محاولة لتعريب البلاد وربطها بالمشرق، علاوة على محاولة لتبربر الوجود الاسلامي بوجود عربي قديم.

وصفوة القول ان هذه الروايات سعت منذ زمن مبكر الى استيعاب البربر في الحظيرة العربية، وذلك في اطار السيطرة السياسية والاقتصادية على البلاد. على ان حرصهم على ابقاء العرب في المراكز القيادية والبربر في درجة ثانية، ونظراً للمقاومة العنيفة التي اظهرها البربر لكل المحاولات الاحتوائية، فإن هؤلاء «البربر العرب» كانوا من صنف خاص، وقد جاء قفا هذه الصورة على لسان ابن حوقل، فقال انهم يبذلون اولادهم لأضيافهم[٢١].

اما ابن خلدون فقد ذكر ان البربر هم «جذام الارض»[٢٢]، وأنهم تسموا كذلك، لأن لغتهم امتازت بالرطانة والبربرة، اي اللغو واكثار الكلام بدون فائدة، مما يفسر رفض اللغة البربرية داخل هذه المحاولة الاستيعابية للبربر[٢٣]. وتصل هذه النظرة السلبية الى الحضارة البربرية اقصاها مع ياقوت الحموي الذي جاء على لسانه ان «البربر اجفى خلق الله واكثرهم طيشاً وأسرعهم الى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط. بل ان آدم تبرأ من انتسابهم اليه»:

رأيت آدم في نومي فقلت له ... أبا البريـة ان الناس قد حكمـوا
ان البرابر نسـل منك قـال ان ... حـواء طالقة ان كـان ما زعمـوا

ولم يتـورع العرب من انتحال الاحاديث النبوية لهذا الغرض، فجاءت شعارات سياسية تخدم مصالحهم، منها ما ذكره محمد بن احمد الهمذاني ان أنس بن مالك جاء الى النبي ومعه وصيف، فلما علم النبي انه بربري، قال: «يا انس بعه ولو بدينار»، وعلل ذلك بأن البربر «امة بعث الله اليهم نبياً فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمـه». وفي حديث آخـر: يروى عن النبي انـه قال «ما تحت أديم السماء ولا على الارض خلق أشر من البربر»[٢٤]. وباختصار فإن هذه الرؤية الحضارية تمتاز بعدة خصوصيات منها:

- انعكاس الجدلية بين التوسع العربي والمقاومة البربرية على المستوى الثقافي.
- نسبية هذه المواقف نظراً لتطورها عمودياً وافقياً.
- تصور خارجي ومنظور عربي للاشياء.

فما هو اذن موقف البربر من عدم تكافؤ العلاقات الثقافية بينهم وبين العرب؟

ج ـ رد فعل البربر: مثاقفة دفاعية

ان ما ذكرناه من اهمية مقاومة البربر لاشكال الذوبان والمثاقفة يأتي رداً وجيهاً على مزاعم بعض المستشرقين الذين ينعتون المغاربة بسلبية مواقفهم وعجزهم عن التصدي للغزاة بدعوى انه قد توالت

---

(٢١) ابن حوقل، **صورة الارض** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤)، ص ٩٣.
(٢٢) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج ٦، ص ١٨٥.
(٢٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٣١.
(٢٤) الحموي، **معجم البلدان**، ج ١ (٢)، ص ٥٤١ ـ ٥٤٣.

عليهم حضارات متعددة، فكانوا كل مرة يتقبلونها ويتفاعلون معها دون تحريك ولا رد فعل ايجابي(٢٥). ان هذه النظرة السطحية للتاريخ تصل في وقاحتها الى حد نعت شعب كامل «بالعجز العرقي» والقول بوجود سلالات متقدمة مثل الاغريق والرومان وشعوب اوروبا الغربية. وتنتهي الى مجموعة من الاستنتاجات اللاتاريخية مثل عجز البربر عن تكوين دول واقامة حضارات وثقافات متطورة وانتاج اعلام بارزة، وبالتالي عجز هذه الثقافة «المتخلفة» عن التصدي للثقافات الغازية من فينيقية ورومانية وفرنسية وانصراف البربر الى الكتابة باللغات الغازية، مما يفسر شرعية الرومنة في القديم والفرنسة في الحاضر(٢٦).

بدون شك، فإن هذه المنهجية التاريخية مرفوضة من الاساس، لأنها جاءت لخدمة اغراض امبريالية واضحة، مما جعلها تخضع الحقائق التاريخية اليها، واستقراؤنا للتاريخ يبين لنا خلاف ذلك.

لم يقف البربر، وخاصة الخوارج منهم، موقف اللامبالاة ازاء هذه الهجمة الحضارية المنظمة من طرف السلطة المركزية في المغرب، ومن ورائها الارستقراطية العربية الحاكمة. وعلاوة على المقاومة العسكرية التي ذكرناها سابقاً، فقد استعمل البربر السلاح الحضاري نفسه لمحاربة العرب وقارعوهم بالحجج نفسها ووقع انتحال احاديث نبوية لهذا الغرض.

فقد ذكر ابو زكرياء يحيى بن ابي بكر الوارجلاني مجموعة من الاحاديث التي تمجد البربر وترجع لهم قيمتهم الحقيقية ودورهم التاريخي(٢٧). قال: «آثرت عائشة ام المؤمنين رجلاً بربرياً على غيره من الانصار والمهاجرين وعللت ذلك بما قاله جبريل لمحمد، وهو وصيته له «بتقوى الله والبربر» لأنهم قوم يحيون دين الله بعد ان يموت ويجددونه بعد ان يبلى...». اما الحديث الثاني فإنه ذكر عن طريق شخصية اسلامية اخرى لا تقل اهمية عن عائشة، وهي عمر بن الخطاب، قال النبي: «لأنبئنك يا عمر فإن الله سيفتح للاسلام باباً من المغرب، قوم يعز الله بهم الاسلام ويذل بهم الكفر، اهل خشية وبصائر يموتون على ما ابصروا ليست لهم مدائن يسكنونها ولا حصون يتحصنون بها ولا اسواق يتبايعون فيها». ونلاحظ هنا تمجيداً حضارياً خاصة للبدو من البربر الذين اعتنقوا في معظمهم الخارجية، كما ورد في سياق هذا الخبر تمجيد لنسبهم، فهم ابناء بر بن قيس، لم يخرج من البلاد لأنه من الجبابرة الذين قاتلوا داود، وانما لأنه «قاتل اخوته ذات يوم، فخرج الى البراري، فكثر بها نسله وولده، وكانت العرب تقول تبربروا اي كثروا»، وبهذا اضفت هذه الرواية تفسيراً مختلفاً على كلمة البربر.

كما أورد حديثاً آخر رفعه الى ابن مسعود يمجد فيه البربر قال: «ان آخر حجة حجها قام خطيباً فقال: يا اهل مكة اوصيكم بتقوى الله والبربر، فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب»... وباختصار، فإن البربر قد امتازوا بعلو نسبهم وصحة اسلامهم وكرمهم وشجاعتهم ودفاعهم عن الحق. وقد وردت هذه الخصال على لسان عائشة التي قالت: «البربر يقرون الضيف ويضربون بالسيف ويلجمون الملوك لجام الخيل اللجم».

٢ ـ التمازج البشري وتعريب المدن

أ ـ في افريقية والمغرب الاوسط

كانت القيروان بحق «ام القرى» التي انطلقت منها حركة التعريب اللغوي والثقافي في بلاد المغرب، وقد تعدى اشعاعها الثقافي افريقية ليصل الى المغرب الاقصى والاندلس وصقلية، مما جعل الوفود ترحل اليها من هذه الاماكن النائية طلباً للمعرفة. ومما سهل عملية المثاقفة بهذه المدن هو حضور العامل

---

(٢٥) Marçais, «Arabisation des villes,» pp. 16-17.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١ ـ ٨.

(٢٧) انظر هذه الاحاديث في: يحيى بن ابي بكر ابو زكريا، **كتاب سير الائمة واخبارهم**، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي (الجزائر: المكتبة الوطنية، ١٩٧٩)، ص ٥٠ ـ ٥٣.

البشري بها، وإن كان معظم العرب استقروا في القيروان، فإن مجموعات منهم قد تفرقت في بقية المدن والرباطات والحصون وخاصة في المواقع الاستراتيجية الموجودة على طول الطريق الرابطة بين المشرق والمغرب، وكذلك في مناطق الثغور الحربية على طول حدود افريقية، في بلاد نوميديا القديمة.

فسكنت بعض الجاليات العربية في ارباض برقة وتوالد الجند هناك حتى صار لهم الاولاد والاعقاب[٢٨]. وحرص العرب على المحافظة على مدينة طرابلس التي تربط المشرق بالمغرب، فاستقرت بها حامية عسكرية مهمة لمنع قبائل هوارة ونفوسة وزناتة من الاستيلاء عليها. اما استقرار قبيلتين من العرب سهميون وحضرميون في بودان[٢٩]،واستقرار جاليات من اهل البصرة والكوفة وخراسان في مدينة زوريلة وسط صحراء فزان[٣٠]، فإنه يخضع، بدون شك، لمتطلبات تجارة الذهب والرقيق في بلاد السودان الاوسط والغربي، مما ادى الى مثاقفة تجاوزت حدود هذه الواحات ووصلت الى بلاد السودان التي تم اسلامها ونشر اللغة العربية فيها عن طريق التجار الاباضيين خاصة[٣١]. وشمل هذا التمازج البشري مدينة قابس، فكان اهلها اخلاطاً من القبائل العربية والسكان الاصليين من بربر وافارقة[٣٢]. كما استقرت فروع من ربيعة في مجانة وقوم من قريش وقضاعة في سطفورة[٣٣]، وقوم من قريش في منستير عثمان بين القيروان وباجة[٣٤]، وجند من بني هاشم القدم في باجة[٣٥]... الخ. وقد اشار اليعقوبي في كل هذه المواقع الى اختلاط الجند العربي بالسكان الاصليين من بربر وافارقة وهو امر ينتج عنه حتماً تعريب حضاري لهذه المدن.

هذا وقد شملت ظاهرة التمازج بقية مدن افريقية مثل سوسة وصفاقس والمنستير والوطن القبلي وبنزرت وتونس، وهي كلها مدن قديمة سبقت نشأتها الفتح العربي. وكانت هذه العملية الحضارية اقل شأناً في مدن غرب افريقية والمغرب الاوسط والاقصى، وقد وجدت بها مدن مستحدثة مثل المسيلة في العهد الفاطمي وتاهرت من طرف عبدالرحمن بن رستم في القرن الثاني الهجري، وفاس من طرف الادارسة وكذلك سجلماسة. كما استقرت جاليات عربية في المدن ذات المواقع المهمة سواء أكانت عسكرية ام تجارية. فكانت طبنة في العهد الاغلبي عاصمة لمنطقة الزاب ومقر هذه المقاطعة النائية عن الامارة، مما يفسر كثرة الاضطرابات فيها. وكان «بها اخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر»[٣٦]. ولم تكن العلاقة بين هذه المجموعات غير المتجانسة علاقة سليمة دائماً، بل تتحول احياناً الى صراعات ناتجة عن اختلاف المصالح وتباينها. وقد اشار البكري الى وجود اختلاف وحرب بين العرب والعجم في هذه المدينة، «واذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استنجد العرب بعرب مدينة تهوذا وسطيف والمولدون بأهل بسكرة ومواليها»[٣٧]. واحتوت مدن اخرى على عنصر المولدين الناجم عن التزاوج بين الاهالي والعرب،

---

(٢٨) اليعقوبي، **البلدان**، ص ٩٦.
(٢٩) البكري، **المسالك والممالك**، ص ١١.
(٣٠) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ٩٨.
(٣١) انظر: الشماخي، **كتاب السير**، ص ٤٨٧ ـ ٤٨٩. انظر ايضاً:
Tadeusz Lewicki, *Arabic External Sources for the History of Africa to the South of Sahara*, translated by Mariana Abrahamowicz (London, 1974).

(٣٢) اليعقوبي، **البلدان**، ص ٩٩، والبكري، **المسالك والممالك**، ص ١٧.
(٣٣) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ١٠١.
(٣٤) البكري، المصدر نفسه، ص ٥٦.
(٣٥) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ١٠١.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٠٢، وعبيدالله بن عبدالله ابن خرداذبة، **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق دي غوية، المكتبة الجغرافية العربية، ٦ (ليدن: مطبعة ابريل، ١٨٨٩)، ص ٥٩ (واهلها قبيلتان من العرب).
(٣٧) البكري، **المسالك والممالك**، ص ٥٠ ـ ٥١.

فسكن قسنطينة العرب والعجم والمولدون[٣٨]، وكانت بنطيوس ثلاث مدن: الاولى، يسكنها المولدون والثانية اليمن والثالثة قريش، وكذلك الامر بالنسبة لطولقة حيث سكن في ثلاثة احياء متباينة المولدون واهل اليمن وقريش[٣٩]. ومن جهة اخرى، فإن العلاقات بين الفريقين قد توترت في اكثر من مدينة، فإلى جانب طبنة نذكر مدينة تهوذا حين سكنتها قبائل من العرب ومن قريش، وكانت بينهم وبين القبائل الاباضية من هوارة ومكناسة عداوة وحرب[٤٠].

وقد شمل هذا الاختلاط البشري اغلبية المدن الموجودة على الثغور، فاحتوت باغاي وهي من مدن الزاب، على «قبائل من الجند وعجم من اهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم حولها قوم من البربر من هوارة بجبل جليل يقال له اوراس»[٤١]. كما استقر في مدينة سطيف عمال للأغالبة من قبيلة بني اسد، وفي بلزمة مجموعة من بني تميم «وقد خالفوا علي ابن الاغلب في هذا الوقت» وسكن في نقاوس قوم من الجند وفي مقرة قوم من بني ضبّة، وكان قائد ميلة من عرب بني سليم[٤٢].

خلاصة القول، فإن كثيراً من هذه الثغور والمدن لم تكن خاضعة للامارة الاغلبية، مما استلزم وجود حاميات عربية للمحافظة على الامن هناك. وما يهمنا هو ان هذه النوى العربية قد تحولت الى قوى فاعلة في عملية التعريب البشري عن طريق التزاوج وظهور جيل جديد من المولدين، والاجتماعي - الحضاري عن طريق ظاهرة الولاء والاختلاط، وكذلك اللغوي بواسطة نشر اللغة العربية والكتابة.

ب - في الجهة الغربية من بلاد المغرب

تعتبر فاس المركز الاساسي الذي انطلقت منه هذه الحركة، وقد قام بتأسيسها ادريس بن عبد الله في اواخر القرن الثاني الهجري، بعدما بايعته القبائل البربرية إماماً. وكانت مصراً عربياً انفردت فيها كل مجموعة قبلية بخطة مستقلة، وقد ذكرت ضمن القبائل العربية قيس وازد وبحصب ومذحج وصدف، وذلك علاوة على المجموعات العربية القادمة من القيروان والاندلس. بل ان هجرة نحو ثلاثمائة عائلة قيروانية إثر الاضطرابات السياسية الى فاس، واستقرارها في عدوة القرويين، وكذلك هجرة مجموعة من العرب الاندلسيين الذين طردهم الحكم بن هاشم الى المدينة المستحدثة، وانفرادهم في عودة خاصة بهم يفصل بينها وبين الاولى وادي فاس، ان هذه الهجرة قد ساعدت كثيراً على نشر اللغة العربية في هذه الربوع، زيادة على تدعيمها للسلطة العلوية الناشئة، قال ابن ابي زرع: «فسر ادريس بوفادتهم واجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لأنه كان فريداً بين البربر ليس معه عربي»[٤٣]. وسرعان ما اصبحت فاس مدينة عربية كبرى تضاهي القيروان وقرطبة ابتداء من القرن الثالث، وكانت مركز اشعاع ثقافي مهم انطلقت منها حركة التعريب نحو المناطق المجاورة. ولا يخفى علينا ان هذه الحركة بقيت محدودة ومرتبطة بالمناطق السياسية الخاضعة لسلطة الادارسة بصفة خاصة، والسلطة العلوية بصفة عامة حيث ظهرت مجموعة من الامارات العلوية في الناكور شمال المغرب الاقصى، وكذلك في مدكرة وسوق ابراهيم ومتيجة في المغرب الاوسط[٤٤]. وقد كان المتزعمون لهذه المقاطعات من العرب او من البربر المتعربين والمنتسبين الى اصل عربي مثل صالح بن سعيد الذي كان على رأس ناكور مدعياً انه من حمير

---

(٣٨) اليعقوبي، **البلدان**، ص ٦٤.
(٣٩) البكري، المصدر نفسه، ص ٧٢.
(٤٠) المصدر نفسه، والصحيفة.
(٤١) اليعقوبي، **البلدان**، ص ١٠٦.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٤٣) ابن ابي زرع، **روض القرطاس**، ص ١٣.
(٤٤) اليعقوبي، **البلدان**، ص ١٠٤ ـ ١٠٧.

بينما يزعم اهل البلد انه نفزي منهم، والمهم فإن هذه المقاطعات تعتبر خطوة متقدمة وجيوباً مهمة في سبيل تعريب جهات اخرى من بلاد المغرب الاوسط والاقصى. والى جانب العامل السياسي والعسكري استقرت جاليات عربية في المدن الكبرى لغايات تجارية وساهمت في حركية التعريب، فاستقر التجار الاندلسيون في بونة وتاهرت ووهران وبني جلداسن، مدينة مطغرة... الخ[٤٥]. كما سكنت جاليات من البصريين والكوفيين «عراق بلاد المغرب» وهي تاهرت، وسجلماسة ميناء الصحراء والمركز الاساسي لتجارة الذهب والرقيق.

٣ ـ بداية التعريب في الارياف

قال ابن خلدون متحدثاً عن العرب: «ان الملك الذي حصل لهم يمنعهم سكنى الضاحية ويعدل بهم الى المدن والامصار فلهذا قلنا ان العرب لم يوطنوا بلاد المغرب ثم انهم دخلوا اليه في منتصف المائة الخامسة واوطنوه وافترقوا باحيائهم وحللهم في جهاته...»[٤٦]. ان هذه الاشارة العامة لابن خلدون جعلت الكثير يذهبون الى القول بتعريب المدن في فترة اولى، وبأن تعريب الارياف لم يتم قبل قدوم بني هلال[٤٧]. على ان ابن خلدون الذي كان حريصاً على ربط ظاهرة الملك بالعمران الحضري يبدو منظراً اكثر منه دارساً محققاً يبحث عن جزئيات الامور وحقائقها. زد على هذا انه نقل اخبار الفترة السابقة له دون ان يكون شاهد عيان، مما يزيد في احتمال تسرب الخطأ الى مقولته هذه.

كما ان الرأي القائل بعدم تزامن تعريب المدن والارياف يبدو ساذجاً لاكثر من سبب، فهو ينفي العلاقة القائمة بين المدينة ومنطقتها الداخلية والتفاعل الحاصل بين الاثنين سواء على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي او على المستوى الثقافي.

والدليل على تسّرب اللغة العربية منذ الفترة الاولى الى القرى والارياف القريبة من المدن الكبرى هو وجود لغة عربية حضرية في مناطق قروية مثل الساحل التونسي والمناطق الساحلية الشمالية في كل من قسنطينة وتلمسان وفاس، وهي مناطق كانت مرتبطة بمدن محورية منذ القرن الثالث الهجري، علاوة على موقعها المهم على طول الطرقات التجارية الكبرى الرابطة بين هذه المدن وبلاد السودان الغربي او المشرق العربي، كما اعتبرت هذه المناطق الساحلية الموانىء المتقدمة لكل من القيروان وقسنطينة وتلمسان وفاس، وبالتالي فقد انتشرت اللغة العربية في هذه الجهات عن طريق التجارة والعلاقات الاقتصادية الوطيدة القائمة بين كل من المدينة ومنطقتها الداخلية، بحيث اصبحت هذه المناطق الريفية تتكلم تدريجياً لغة العرب الاوائل المستقرين في المدن الكبرى، ولم تترقب بني هلال وبني سليم لتغير لسانها الذي جاء مختلفاً عن لهجة البوادي المغربية التي تعربت اثر قدوم بني هلال مثل الجنوب التونسي والارياف الجزائرية والمغربية. كما ان هذ الرأي الذي يفرق بين تعريب المدن والارياف يتجاهل اهمية الطرقات العسكرية والتجارية وحركات الجيوش الفاتحة للبلاد والمستقرة في عدة نقاط من قلاع ورباطات وسط بلاد البربر لحراسة الثغور والطرقات الكبرى. وقد ذكر اليعقوبي في هذا السياق استقرار العرب في جبال برقة المشرفة على الطريق الساحلي: «ولبرقة جبلان احدهما يقال له الشرقي فيه قوم من العرب من الازد ولخم وجذام وصدف وغيرهم من اهل اليمن والآخر يقال له الغربي فيه قوم من غسان وقوم من جذام والازد وتجيب وغيرهم من بطون العرب»[٤٨].

---

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٥٥، والبكري، **المسالك والممالك**، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٤٦) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج ٦، ص ٢٧.

(٤٧) W. Marçais, «Arabisation des Campagnes,» *A.I.E.O*, (1956), p. 70.

(٤٨) اليعقوبي، **البلدان**، ص ٩٦.

وكذلك فقد استقرت جاليات اخرى من بني جهينة وبني مدلج واخلاط من العرب في الرمادة وهي موقع في اول منازل البربر من جهة الشرق(٤٩). وطبيعي ان تتم عملية التعريب بسرعة في المناطق الموجودة على الطريق الرابطة بين المشرق والمغرب نظراً لتوفر محطات استراحة ومراكز تمويل للجيوش والقوافل العربية.

ولم تقع المثاقفة في الارياف والجبال فحسب، بل تسربت الى القبائل البربرية المقيمة قرب الطريق الساحلية الرابطة بين المشرق والمغرب، وما انتساب لواتة الى قيس عيلان ولخم، ومزاتة الاباضية الى اليمن على غرار زعماء الاباضية بجهة طرابلس وهم عبد الجبار والحارث ثم ابو الخطاب المعافري، الا دليل على بداية هضم هذه الثقافة الجديدة الغازية منذ القرن الثالث(٥٠).

وخلاصة القول ان تعريب قرى ومداشر وواحات المغرب الادنى القريب من المشرق جاء مبكراً ولم يتطلب وقتاً طويلاً، خاصة منها المناطق الساحلية او الموجودة على طول طريق بلاد السودان. كما لعبت الاحزاب السياسية والمذاهب من خوارج وشيعة ومعتزلة ادواراً مهمة في تعريب الارياف البعيدة عن مركزية القيروان. ذلك ان اعتناق البربر للاسلام الخارجي لم يكن يعني رفضاً كاملاً للتراث العربي ولا للغة القرآن، بل سعت هذه الحركات على العكس الى استيعاب المبادىء الاساسية للغة العربية منذ زمن مبكر، وقد كان ارتحال «حملة العلم» الى المغرب وهم عاصم السدراتي واسماعيل بن درار الغدامسي، وابو داود القبلي النفزاوي، وقد وصل ثلاثتهم الى البصرة حيث اخذوا من شيخ الاباضية ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي منذ بداية القرن الثاني الهجري. وقد اصبح لهم شأن كبير منذ رجوعهم الى جهة طرابلس، ولا يخفى على احد شهرة هذين الرجلين، اذ قاد الاول الثورة الاباضية ودخل القيروان سنة ١٤٠ هـ، وتمكن الثاني من تأسيس مدينة تاهرت وانشاء الدولة الرستمية.

ان هذا العمل السياسي كان شديد الارتباط بالعروبة الثقافية، اذ يعتبر هؤلاء الرجال النَّوى الاولى التي سعت الى نشر الخط العربي في سدراتة وغدامس ونفزاوة وغيرها من الارياف المغربية. على انه مهما كانت اهمية دور حملة العلم الخمسة، فإن الرحلة الى المشرق لا تعتبر الحل الوحيد والانجع لنشر اللسان والخط العربيين. وكان التعرّض لقوافل الحجاج والتجار العرب طريقة لتعلّم المبادىء الاولية للكتابة. وقد كان هذا دأب عمر بن يمكتن عامل ابي الخطاب المعافري على السرت و«صاحب لواء لواتة»، وقد توفي مع ابي الخطاب في معركة تاورغا سنة ١٤٤ هـ/ ٧٦١ م. وقال الشماخي في شأنه: «ان اول من علّم القرآن بجبل نفوسة عمر بن يمكتن علمه بمنزل يقال له ايفاطمان». قال: «ويقال ان عمر بن يمكتن انما تعلّم القرآن بطريق مغمداس يتلقى فيها السابلة والمارة من المشرق، فيكتب عنهم لوحة من القرآن، وينصرف، فإذا حفظه رجع الى المحجة، فيكتب من المارة والرفاق، كذلك دأبه حتى حفظ القرآن وتعلّم العلم...» قال: «وذلك لحرصه على طلب العلم والقرآن في اول الاسلام وقل المعلمين في البلدان»(٥١).

إن هذه الوثيقة المهمة تبيّن مدى انتشار اللغة العربية في المناطق الاباضية في بداية القرن الثاني الهجري، وكيفية تعلم الكتابة نظراً لقلة وجود معلمين في هذه المناطق النائية. وابتداء من تلك الفترة ظهر عدة علماء برابرة يحسنون اللغة العربية وقد اصبح جبل نفوسة مركزاً مهماً للثقافة الاباضية، فقد كان ابو عبيدة الجناوني عامل الامام عبد الوهاب بن رستم قد اخذ من ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة في البصرة، وأحسن ثلاث لغات: البربرية والعربية والكانمية (لغة بلاد السودان)(٥٢). اما قاضي الامام افلح

---

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٩٥.
(٥٠) المصدر نفسه، ص ٩٧ ـ ٩٨.
(٥١) الشماخي، **كتاب السير**، ج ١، ص ٢٧.
(٥٢) انظر فهرس الاعلام في: المصدر نفسه.

بن عبد الوهاب بن رستم محكم الهواري فإنه كذلك قد نشأ في البادية في جبل اوراس لكن هذا لم يمنع من إلمامه بالاحكام الشرعية والحضارة العربية منذ القرن الثالث الهجري.

وعلى العموم فإن المصنفات الاباضية تزخر بالامثلة الدالة على انتشار الحضارة العربية في الارياف والجبال الاباضية منذ بداية القرن الثاني الهجري. على ان هذا لم يمنع من المحافظة على اللغة البربرية، مما ادى الى ثنائية لغوية ظهرت بين افراد النخبة المثقفة اكثر منها في هذه الاوساط الشعبية التي حافظت غالباً على اللغة الاصلية، وهكذا فإن المثاقفة في هذه الجهات قد مرت ايضاً عن طريق الفئات الاجتماعية المحتلة للمراكز القيادية، على ان هذا الامر لم يكن كافياً لنجاحها نهائياً نظراً لاستقلالية هذه الجهات عن السلطة المركزية في القيروان، مما يفسر بقاء اللغة البربرية حية الى الآن في عديد من هذه الجهات الاباضية مثل جبل مطماطة وجربة وجبل نفوسة ويفرن وجبل اوراس وغيرها. ورغم النجاح النسبي لحركة التعريب في هذه الارياف الاباضية، فإن الفئة المثقفة من البربر قد ساهمت مساهمة فعّالة في نشر الحضارة العربية الاسلامية خارج بلاد المغرب اثناء الرحلات التجارية التي كانوا يقومون بها الى بلاد السودان(٥٣).

والى جانب هذا فإن القوافل السنوية التي تخرج الى الحج تعتبر من اهم القوى الفاعلة في عملية التعريب، فقد كانت جموع قبيلة نفوسة تخرج الى الحج نساء ورجالاً واطفالاً، وطبيعي ان هذه الرحلة الطويلة والاقامة في الاماكن الاسلامية تعتبر اهم تمرين على حذق مكونات الحضارة العربية وتعلم لغة القرآن والاحكام الشرعية، وهي مسألة ضرورية للتصدي لسلطة الخلافة الاموية او العباسية. وهكذا فإن منطلقات التعريب في هذه المناطق ليست الصعود في السلم الاجتماعي في اطار الرضوخ للسلطة الاباضية المركزية، وانما استعملت العربية لاغراض متباينة وهي اساساً المثاقفة الدفاعية بالنسبة للخوارج الاباضية والصفرية. وبالتالي فإن هذه المناطق البدوية المعتنقة للمذهب الخارجي لم تفرط نهائياً في حضارتها ولغتها، وبقيت حريصة على المحافظة عليها الى الآن، وخاصة في المناطق الجبلية. ودون ان يؤدي هذا الالتقاء الثقافي بين العربية والبربرية الى صراع دائم، فقد وقع نوع من تقسيم المهمات والتكامل بينهما، فاهتمت اللغة الاولى بالمسائل المكتوبة وكانت الثانية شفوية.

ونشير ايضاً الى وجود قبائل بربرية ابت الا ان تقوم بمثاقفة دفاعية، فتحافظ على لغتها الاصلية وتصل الى تكوين ديانة فيها خليط من التأثيرات الاسلامية والبربرية. لكنها بقيت منغلقة، ورفضت اللغة العربية رفضاً كاملاً، وقد كانت هذه اللغة مجهولة من طرف الفئات العليا من برغواطة في القرن الرابع، مما جعل الخليفة الاموي في الاندلس يحتاج الى مترجم للتخاطب مع الرسول المبعوث من قبل امير برغواطة سنة ٣٥٢ هـ(٥٤). وبدون شك فإن دولة برغواطة القائمة على قرآن صالح بن طريف تعتبر حركة رد فعل سلبي للعروبة الحضارية واللغوية والبشرية. وعلاوة على الحركة الاباضية والصفرية، فإن حركة الادارسة العلويين التي انتصرت في المغرب الاقصى في نهاية القرن الثاني الهجري قد سبقتها بدون شك حركة دعوة سرية لا نعلم عنها شيئاً مهماً. كما اتخذت الحركة الاسماعيلية العبيدية ايكجان في القبائل الكبرى مركزاً لها، وهناك كان ابو عبدالله الشيعي يعلم الناس الكتابة والقراءة ويدعو الى مولاهُ المهديّ. وقد كان الاقبال عليه كثيراً، خاصة من طرف شيوخ القبائل الكتامية واعيانها الذين التقى بهم في الحج. والامثلة متعددة في هذا السياق. ماذا نستنتج؟ ان التعريب شمل الارياف منذ نهاية القرن الاول الهجري لكنه كان متفاوتاً من جهة اخرى حسب وضعيتها السياسية وموقعها من المدن الكبرى وشبكة الطرقات، على ان هذه الحركة لم تتجذر الا مع بني هلال وبني سليم.

---

(٥٣) انظر فهرس البلدان في: المصدر نفسه، غانة والسودان وتكرور وتادمكت وغيرها من الاسماء المرتبطة ببلاد السودان.

(٥٤) ابن عذارى، **البيان المغرب في اطباء الاندلس والمغرب**، ج ١، ص ٢٢٣.

ثانياً: تعميق عروبة بلاد المغرب وتوسيعها ابتداء من القرن الخامس الهجري

١ ـ الدور الهلالي

تحولت قبائل بني هلال وبني سليم الى افريقية مروراً ببرقة وطرابلس ابتداء من سنة ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠م، واثر انتصارهم على جيوش المعز بن باديس في موقعة حيدران سنة ٤٤٣ هـ/ ١٠٥١ م، شرعوا في الاستيطان في افريقية في مرحلة اولى، ثم انتقلوا تدريجياً نحو المغرب الاوسط والاقصى، وقد تطلبت هذه الحركة نحو قرن كامل. وانقسمت هذه الحركة البطيئة الى فترتين: الاولى، عرفت قدوم بني هلال والثانية، بني سليم.

أ ـ المجال الجغرافي للقبائل

اما قبائل الهلالية، فهي الاثباج، من دريد وكرفة، وبنو رياح من دواودة وبني مرداس وزغبة[٥٥]، وقد استقرت هذه القبائل في شمال افريقية ووسطها وخاصة في جهات تونس والوطن القبلي والساحل والقيروان. اما الموجة الثانية، فإنها شهدت استيطان بني سليم في افريقية بعد ان دفعوا امامهم بني هلال الذين انتقلوا الى المغرب الاوسط والاقصى، وانقسم بنو سليم الى عدة بطون منها بنو كعب وبنو حكيم وبنو دلاج وبنو علي والطرود ودباب والمحاميد[٥٦] واستطون بنو دلاج شمال الساحل التونسي في منازل الرياحيين سابقاً[٥٧] كما ستقر اولاد حكيمة في جهة الجم، ويبدو ان قرية الحكايمة القريبة من الجم حالياً مرتبطة بتسمية في هذه القبيلة، كما استمر وجود اسم المراعية اولاد مرعي ابن حسن بن عوف ما بين الجم وقابس، والمحاميد ما بين قابس ونفوسة، واستقر الطرود في الساحل، واولاد علي جنوب الجم والكعوب في منطقة القيروان[٥٨].

اما بنو هلال فإنه لم يبق منهم في افريقية الا اشتات من بعض العائلات والمجموعات غير المتماسكة، وانتقلت قبائلهم الاصلية الى المغرب الاوسط بعد ان حل بنو سليم محلهم في افريقية. واستوطنت بعض عشائر بني مرداس في منطقة القبائل الصغرى وانتقلوا تدريجياً من الترحال والبداوة الى الاستقرار وتعاطي الفلاحة وتربية الماشية، وانتقل الدواودة الى جهة سطيف وبلاد الاوراس. اما قبائل دريد والدواودة فإنهم استقروا جنوب قسنطينة وحافظوا على نمط حياتهم الترحالي. واختارت قبيلة عربية اخرى بنو معقل الاستقرار «بقفار المغرب الاقصى مجاورين لبني عامر من زغبة في مواطنهم في قبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جهة الغرب»[٥٩]. والجدير بالملاحظة ان المسيرة الهلالية في اتجاه الغرب كانت بطيئة اذ انها لم تصل مدينة الجزائر الا في اواسط القرن الثاني عشر، حيث يذكر الادريسي توقفهم امام جبالهم قائلاً: وهذا الجبل (اي جبل سحاو) لا يتعداه العرب الى غيره ولا تجوزه»[٦٠]. وبالتالي فإن هذا الزحف كان اكثر سرعة عبر السهول والسباسب الوسطى في اتجاه تلمسان ووهران، بينما توقفوا امام الجبال مما

---

(٥٥) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج ٦، ص ٤٨، ٦٩ و٨٥.

(٥٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٤١ ـ ١٧٤.

(٥٧) عبدالله بن محمد بن احمد التيجاني، **رحلة التيجاني، قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي**، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب (تونس: [الدار العربية للكتاب]، ١٩٨١)، ص ١٥ ـ ١٨.

(٥٨) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج ٦، ص ١٦٣، ١٦٥ و١٦٧ ـ ١٦٨.

(٥٩) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٦٠) الادريسي، **جزيرة العرب من نزهة المشتاق وملحق به ما جاء في [روض الفرح وانس المهج]**، ص ٩٧.

يفسر هذه المفارقة الحاصلة بين استقرار العرب الهلالية في المناطق السهلية واحتماء البربر في الجبال والمرتفعات، حتى قال ابن خلدون في احد فصول مقدمته «ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط». والادلة على ذلك عديدة فقد استقر بربر نفوسة في الجبل بينما حطت خيام عرب المحامید وغيرها في السهل المجاور. كما عجز العرب عن الاستيلاء على المرتفعات والحصون الواقعة بين بجاية والقلعة، «وجميع هذه الحصون اهلها مع العرب في مهادنة... وايدي العرب مطلقة في الاضرار وموجب ذلك ان العرب لها دية مقتولة وليست عليها دية»[٦١]. اما «حصن بادس فهو في اسفل طرف جبل اوراس ثلاث مراحل، وهو حصن عامر بأهله والعرب تملك ارضه وتمنع اهله من الخروج عنه الا بخفارة رجل منهم»[٦٢].

ب ـ الدور السياسي والاقتصادي

والى جانب الاهمية الديموغرافية للاعراب، فإن السلطان الحفصي قد استعملهم للغايات العسكرية، كما استعمل الجالية الاندلسية في تونس للشؤون الادارية والدبلوماسية، «فقد اجزل ابو زكريا الحفصي الصلات والعوائد للكعوب وانزلهم بجهة القيروان لازاحة الدواودة من بني رياح وانبسطت ايدي العرب على الضاحية واقطعتهم الدولة حتى الامصار والقاب الجباية ومختص الملك وانتفضت الارض من اطرافها ووسطها وما زالوا يغالبون الدولة حتى غلبوا على الضاحية وقاسموهم في جبايات الامصار بالاقطاع ريفاً وصحراء وتلولاً وجريداً»[٦٣]. وقد امتد نفوذ الاعراب على جنوب البلاد وشمالها، فكانوا يتحولون في فصل الشتاء الى الجريد وبقية الواحات لأخذ الضرائب والاتاوات على الاهالي وفي رحلة الصيف يتجهون نحو افريقية شمال جبال التل، وهناك يفرضون غرامات على المزارعين. ولقد بلغت سلطتهم مبلغاً قوياً الى درجة منافسة الدولة الحفصية ومنازعتها في كثير من الاحيان، وقد التجأ بنو حفص الى التحالفات مع بعض القبائل ضد الاخرى واعتمدوا التناقضات القبلية لاضعاف العرب الهلالية.

وخلاصة القول، فإن هذه القبائل العربية قد لعبت دوراً عسكرياً مهماً في مختلف جهات افريقية ومدنها اي تونس وطرابلس وقسنطينة وبجاية. كما انها شاركت في الصراع القائم بين بني مرين وبني زيان وبقايا الموحدين في مرحلة اولى، ثم انحصر دورها داخل كل دولة مغربية بعد تفكك السلطة الموحدية، وكان حضورها في تلمسان ووهران بالنسبة للمغرب الاوسط، وفاس وطنجة ومراكش بالنسبة للمغرب الاقصى. وقد ساعد الوهن الديموغرافي في بلاد المغرب خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، على اضعاف الدول وازدياد اهمية القبائل العربية التي تطورت تدريجياً من قبائل عسكرية الى جنود رحل ثم الى مجرد رحل نتيجة تدهور الاوضاع الاقتصادية[٦٤].

ج ـ تجذير التعريب

ان كل المعطيات الاقتصادية والسياسية والجغرافية البشرية تعتبر الارضية الاساسية التي قامت عليها تعميق حركة تعريب البادية وحتى المدن حيث ان تقارب الانماط المعيشية بين العرب والبربر الرحل وخاصة زناتة[٦٥] قد ساعد كثيراً على ذوبان الفوارق اللغوية والحضارية والبشرية بينهما حتى قيل ان

---

(٦١) المصدر نفسه، ص ٩٣.
(٦٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.
(٦٣) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج ٦، ص ١٥٦.
(٦٤) انظر: Abdallah Laroui, *L'Histoire de Maghreb: Un essai de synthèse* (Paris: Maspero, 1970).
(٦٥) قال ابن خلدون في: المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٩، متحدثاً عن بني معقل: «ونزلوا بآخر موطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زناتة في القفار الغربية فعفوا وكثروا وابتنوا في صحارى المغرب الاقصى... فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه وكانوا هناك احلافاً لزناتة سائر ايامهم».

«زناتة في اول نسبهم عرب صرح، وانما تبربروا بالمجاورة والمحالفة للبرابر من المحاميد»(٦٦).

وان تمكن البربر من المحافظة على لغتهم في الفترة الاولى، فإن اللغة البربرية هذه المرة تشاهد انهياراً سريعاً وكبيراً امام تغلب العرب الهلالية على البلاد لأنهم جاءوا باعداد مهمة تفوق بكثير اعداد العرب الفاتحين، وفي الوقت نفسه شهدت البلاد المغربية مجاعات وأوبئة ووهناً ديموغرافياً مهماً. وهكذا سعت القبائل البربرية الى التحالف والارتباط بالعرب، فتعربت اسماء القبائل في جبل ونشريس(٦٧)، وكذلك بعض اسماء القبائل المقيمة في جهة فاس بل انها اصبحت تتكلم اللغة العربية، قال الادريسي: و «مدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الاقصى ويسكن حولها قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية»(٦٨).

وخلاصة القول: عرف تعريب الارياف المغربية قفزة نوعية ابتداء من القرن الثالث عشر، وكما ان حركة الفتح الاولى قد شملت في الوقت نفسه المدن والارياف، فإن الحركة في الفترة الثانية لم تستثن المدن، وإلا كيف تفسر تحوّل مدينة قفصة من اللسان اللاتيني الافريقي الى اللسان العربي ونطقها القاف على الطريقة البدوية. اما مدينة سبتة، فإنها حاولت اشتقاق اسمها من فعل عربي: سبت او من اسم عربي: سبت من ولد سام بن نوح وقد خرج من المشرق الى المغرب(٦٩). وهكذا قد ساهمت القبائل العربية المقيمة قرب المدن في تعريب اللسان البدوي والحضري.

٢ ـ العناصر الاخرى للتعريب(٧٠)

اما الخط فإنه انتشر عن طريق وسائل اخرى خاصة بالمدينة، وهي انتشار المدارس ابتداء من القرن الثالث عشر، في كل من تونس وتلمسان وفاس وغيرها من المدن المغربية، وقد اصبحت هذه المؤسسات التعليمية خاضعة لاشراف الدولة الرسمي. ولم تكن وظيفتها التدريس فحسب، لأن المساجد والجوامع كانت تقوم بهذه الوظيفة، بل كانت وظيفة المدرسة الاولى اعداد مكان ملحق بموضع التدريس لسكنى الطلبة والمدرسين القادمين من خارج الحاضرة مما يفسر توافد الطلبة من المدن الصغرى والارياف على العواصم للتعلم، وبالتالي تعدد هذه المدارس التي نذكر منها في مدينة تونس المدرسة الشماعية (في بداية القرن الثالث عشر) والمنتصرية والتوفيقية في العصر الحفصي والاندلسية والزاوية البكرية والمرادية والحسينية ومدرسة حوانيت عاشور وغيرها في العهد العثماني. اما في فاس فقد اشتهرت خاصة مدرسة العطارين والبوعنانية. اما الزوايا فقد، تكاثرت ابتداء من القرن الرابع عشر ونمت حولها مدارس للطلاب استقروا بها للدراسة والتعبد، ولقد اصبح وقعها الاجتماعي والسياسي مهماً الى درجة ان بعض الزوايا تمكنت من السيطرة على مقاطعات ترابية مهمة، وان السلطان نفسه كان يلتمس التدعيم الادبي وشهادة في حسن السيرة من الزوايا الكبرى(٧١).

وفي الختام فإن حركة الفتوحات اولاً، ثم الهجرة الهلالية ثانياً، تعتبر من العوامل الاساسية لتعريب بلاد المغرب بمدنه وارياقه، وساهمت عوامل اخرى، بدرجة اقل، في انجاح هذه الحركة اهمها: الهجرة الاندلسية وانتشار الدعوة الموحدية انطلاقاً من جبال الاطلس وتعدد المدارس والزوايا والطرق.

---

(٦٦) الادريسي، **جزيرة العرب من نزهة المشتاق وملحق به ما جاء في [روض الفرح وانس المهج]**، ص ٨٨.
(٦٧) المصدر نفسه، ص ٨٥.
(٦٨) المصدر نفسه، ص ٧٩.
(٦٩) ابن عذارى، **البيان المغرب في اطباء الاندلس والمغرب**، ج ١، ص ٢٠٣.
(٧٠) نأمل ان نعود الى مثل هذه القضايا المطروحة في فرصة اخرى لمناقشتها وتحليلها.
(٧١) انظر مثلاً: محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** (الرباط: المطبعة الوطنية، ١٩٦٤).

إذن، ان اخطر ما واجهه المغرب العربي في تاريخه، هو هذه الامبريالية بوجوهها المتعددة، لأنها اخطر ما يفرّقه ويفصله عن المشرق العربي، بل وعن التاريخ القومي العربي، كذلك فإن وعيه بهويته القومية، إنما هو شاهد على وعي بالتاريخ وبالمستقبل، اي وعي بالوجود القومي نفسه، بدأ يتبلور من خلال أشكال جديدة واعدة، وإن كان التشتت والعجز العربي لا يساعدانه على التبلور، الا ان حالة التشتت والعجز هذه، ربما كانت دافعاً مضافاً، في هذا الظرف التاريخي، لكي يسهم المغرب العربي في صياغة المصير القومي.

يطول البحث في اشكالية «الوعي القومي» عموماً، وفي المغرب العربي خصوصاً. ونظراً لاتساع هذا الموضوع مضموناً ومنهجاً، فإننا لا نستطيع في هذا البحث الاحاطة بكل الجوانب، ونكتفي فقط بتلمّس جزء منه هو المتعلق بمواقف الاحزاب السياسية المغربية الاساسية من الفكرة العربية، بحدود ما تسمح به المصادر المكتوبة التي اتيح لنا الاطلاع عليها، كما سنحاول ايضاً تقديم شيء من التحليل والتفسير لهذه الاشكالية، وننبّه هنا الى قضية اخرى، هي ان الكتابة حول الوعي القومي في المغرب العربي، باب جديد يفتح امام الباحثين المهتمين بالموضوع.

اولاً: المواقف الفكرية والسياسية للاحزاب المغربيـــة من الفكـــرة العربيـــــة (*)

نفضل استخدام مصطلح «المواقف» بدلاً من مفهوم «الايديولوجيا»، وذلك لأنّ هذه الاحزاب، لا تدّعي بل تتجنّب مفهوم «الايديولوجيا» وترفضه، نعم هي احزاب تفتقر الى النظريات الفلسفية والنظرية الشمولية، حتى انها تتهم بالفراغ الايديولوجي، او ان مبررات استمرارها بعد ان تحقق الاستقلال، اصبحت موضع نقاش عند كثيرين.

تأسست هذه الاحزاب في عهد الاستعمار، وتأثرت بالنمط الحزبي السائد في فرنسا بالذات، ومع الفارق، هي شبيهة بالتكتلات الجماهيرية، التي يقودها «زعيم ملهَم»، وهذه الجماهير الحزبية جمعتها المطالبة بالاستقلال واجلاء الاستعمار، ولم تكن متفقة على برنامج معين لمرحلة ما بعد الاستقلال، ولذلك فجمـاهير هذه الاحزاب لا تمثل نسيجاً مجتمعياً متجانساً، ثقافياً وطبقياً: والمواطن المتحزب لا يعني بالضرورة المواطن المسيّس او المناضل، اما الاحتراف السياسي فمقتصر على عدد من العائلات والجهات والفئات، ممّن تعلم ابناؤها في فرنسا وتشبّعوا بثقافتها وانبهروا بحضارة الغرب، وقد شكلوا «النخبة» التي تفكر وتخطط وتنظّر فيما يتصل بالقضايا الكبرى والتوجهات العامة التي تشكل «الثوابت المقدسة»، باعتبار ان هذه الثوابت ممثلة «للمصالح العليا للوطن» حتى وان كانت مجرد اختيارات حزبية، وهي اختيارات وثوابت غير مطروحة للنقاش العام، وان فقدت بريقها بفعل الاحداث والتطورات.

(*) نقصد «بالوعي القومي العربي» في هذا البحث، الحد الادنى من الادراك او الوعي التاريخي المعاصر، لشروط الوجود الوطني والقومي، للجماعة الوطنية او للامة؛ اي الحد الادنى من الشعور او الوعي السياسي والثقافي بقضية الانتماء الحضاري ماضياً ومستقبلاً، وما يترتب عن ذلك من ايمان او تصور او عمل، لازالة التناقضات وتجاوز العوائق، التي تمنع تحقق فاعلية صلة الانتماء للامة. وهذا الوعي الذي نقصده، هو الوعي عينه الضروري بتحسين شكل الحياة وتنظيم الهيئة المجتمعية، كتواصل تاريخي، وكإستعداد لتكييفه مع المتغيرات، ومن هنا تجد الفكرة العربية الوحدوية، مشروعيتها ومنزلتها في صدارة الوعي السياسي والفكري والقومي، باعتبارها صورة او طموح مشروع لتصحيح شكل الوجود العربي وفاعليته، انساناً وامة. اما الاحزاب السياسية التي نقصدها، وبعيداً عن تصنيفها طبيعة وشرعية، فإننا نقصد بها الاحزاب الحاكمة منذ الاستقلال في كل من تونس والجزائر، وحزب الاستقلال المغربي باعتباره قد شارك في الحكم مرات عدة وأثّر في الحياة العامة، وهذه الاحزاب الثلاثة هي نفسها احزاب الحركة الوطنية.

انبثقت قيادات هذه الاحزاب من الطبقة الوسطى ومن الطبقة البرجوازية الصغيرة، وفي الجزائر انبثقت ايضاً من طبقة الفلاحين. وفي حالة حزبي الدستور والاستقلال كان شكل المواجهة للمستعمر، يتميز بطابع الاقناع والكفاح السلمي والمهادنة، والتوجه لمؤسسات المستعمر ومنابره كالبرلمان والصحافة والرأي العـام. كان الهـدف في البدء الوصول الى نوع من المساواة والتوازن بين المسلمين «الاهالي» والمستعمرين، وفي مرحلة لاحقة، طرح الاستقلال الداخلي «الذاتي» فالتّام[١].

من خلال قراءة الانظمة واللوائح الداخلية، والبيانات الصادرة عن المؤتمرات الحزبية، لا نجد شيئاً مهماً يتعلق بمعالم الوعي القومي العربي، ونستثني من ذلك بعض الاشارات الاستطرادية التي لا تعكس موقفاً معيناً، كما نستثني بعض ما صدر عن حزب جبهة التحرير الوطني. إن قراءة وثائق هذه الاحزاب تقودنا الى قناعة مفادها، تغييب غير مبرر لفكرة وقضايا القومية والوحدة العربية، والشواهد كثيرة عن الافكار الانعزالية والانكفائية التي سنرجع اليها لاحقاً. من المفترض (ولو لمتطلبات حزبية) ان تثقّف هذه الاحزاب اعضاءها وقواعدها، على تصور معين للفكرة العربية او بعكسها، ان كان ذلك وارداً، وعلى الاقل على غرار التثقيف او التعريف «بحركة عدم الانحياز» او «بمنظمة الامم المتحدة» او «منظمة الوحـدة الافـريقيـة».. الخ؛ لكننا لا نجد من ذلك شيئاً اللهم بعض الخطب الرسمية التي القيت في مناسبات بروتوكولية. وإذا كان تغييب الفكرة العربية معللاً في زمن الاستعمار[٢]، فإنه غير مبرر في زمن المد الوحدوي في الستينات او اواخر الخمسينات مثلاً.

يظهر ان الدافع الى هذا الموقف يكمن في الطبيعة الاصلاحية لهذه الاحزاب وفي اكتفائها ببرنامج الاستقلال دون الاجتهاد في تصور مشروع مستقبلي بديل لما بعد العهد الاستعماري، وهذا ناتج بالطبع عن الافتقار الى دليل نظري ومنظور تاريخي، يأخذ بعين الاعتبار ـ ولو نظرياً ـ مختلف المعطيات المتصلة بالسياق والمرحلة التاريخية لهذه المنطقة في الظروف الدولية المعاصرة. ثم ان هذه الاحزاب هي ليبرالية في حالة الحزب الدستوري والاستقلال، وهي خليط من النزعات والتصورات في حالة حزب جبهة التحرير الوطني، وهذا ما جعلها احزاباً غير طموحة في البحث عن حل تاريخي وجذري، ومكتفية بالحلول الجزئية والمرحلية وبحسب الظروف القائمة لا المتصورة، وبالاضافة الى ذلك فإن حزب الاستقلال الذي وان شارك في الحكم، وان كان ليبرالياً، الا انه ليس حزباً حاكماً بالمعنى الحرفي، ولذا، وبسبب ذلك نجد ان تصورات زعامته التاريخية، تتجاوز القطر المغربي وتمتد احياناً الى العالم الاسلامي والوطن العربي.

١ ـ اشكالية المفاهيم المتداولة

بفعل تأثر هذه الاحزاب بالغرب نشأة وافكاراً وبرامج وطرق عمل، فقد وقعت ضحية استخدام

---

(١) يمثل فرحات عباس الزعيم الجزائري خلال الاربعينات نموذجاً للمطالبين بالمساواة والمهادنة، بل والقبول بالامر الواقع اي الدخول في المشروع الاستعماري المسمى بـ «الاتحاد الفرنسي»، كما ان الاحزاب الشيوعية المغربية لم تكتشف بعد خصوصية المسألة الوطنية والاستقلال لأنها عبارة عن فروع من الحزب الشيوعي الفرنسي، انظر: شارل اندري جوليان، **افريقيا الشمالية تسير: القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية**، ترجمة المنجي سليم وآخرون (تونس: الدار التونسية للنشر؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٦)، ص ١٣٢ ـ ١٣٣. انظر ايضاً: الياس مرقص وآخرون، **المسألة القومية، الوحدة العربية الماركسية** (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧١).

(٢) ساهم مكتب المغرب العربي في دمشق والقاهرة منذ ١٩٤٧ وخاصة من خلال بعض الزعماء المغاربة كيوسف الرويسي وكذلك عبد الكريم الخطابي (على اثر هروبه الى القاهرة من المنفى)، في طرح عروبة المغرب العربي وإدخال فكرة الوحدة العربية في التصور الفكري المغربي، لا كفكرة فحسب وانما كهدف نضالي، انظر: علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** (القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٤٨)، ص ٤٠٩؛ يوسف الرويسي، «نشاط مكتب المغرب العربي في دمشق،» **المجلة التاريخية المغربية**، العددان ١٠ و١١ (١٩٧٨)، ص ١١٠ ـ ١٧٤، والمصدر نفسه، العددان ١٥ و١٦ (١٩٧٩)، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

خاطىء لمفاهيم غربية، وقع تداولها بأشكالها ومضامينها على ما هي عليه في فرنسا بالذات، واعتبرت هذه المفاهيم مسلمات غير قابلة للتبديل او التكييف. من هذه المفاهيم مفهوم «الامة»، فكل من المغرب والجزائر وتونس، في فكر هذه الاحزاب، هي «امم متمايزة»، وشعب كل قطر يشكل «امة ودولة قومية» مستقلة بذاتها عن غيرها. وفي مثل هذا الاطار تشطب الوحدة التاريخية والنفسية واللغوية والدينية والثقافية... من قاموس العقل المغربي، بل والاخطر من ذلك تؤدي مضامين هذه المفاهيم، مع ما ينجرّ عنها من نتائج قانونية في ظل اختلافات الانظمة وصراعاتها التي لا تنتهي، تؤدي الى فقدان كل مصداقية عن الخطاب الرسمي عن وحدة المغرب العربي، وبالتالي اليأس من كل امل شعبي فيها. لقد ظهر «حزب نجم شمال افريقيا» في فرنسا في اواخر العشرينات وكان وحدوياً وضم التونسي والمغربي والجزائري، وكذلك يتوحد المغاربة في نقابات وجمعيات طلابية وعمالية في فرنسا، ولكن الاحزاب المغربية المذكورة، لا تسمح بعد استقلال الدول بانتماء ابناء الاقطار المغربية الاخرى اليها لأنهم «اجانب».

وبمقياس وحدة المغرب العربي التي تقول بها هذه الاحزاب جميعاً، فإننا نجد ان هذه الاحزاب غير وحدوية، فإضافة لما ذكرنا آنفاً، لا تتجاوز هذه الاحزاب في منطلقاتها واهدافها ونظمها الداخلية وطموحها، لا تتجاوز حدود مواقف والتزامات الدول وسياساتها المعلنة، في حين نجد ان الحركات الدينية والاحزاب القومية والشيوعية... تفعل مثل هذا التجاوز النظري او العملي كطموح للتغيير المستقبلي.

٢ ـ الاحزاب والدساتير المغربية[٣]

تعكس الدساتير في واقع الحال، خاصة في كل من تونس والجزائر، والى حد ما في المغرب ايضاً، مواقف الاحزاب الحاكمة: الدستوري وجبهة التحرير الوطني، ونسبياً «الاستقلال». ولذا، فإذا امكن لتلك الاحزاب التغاضي عن موقف ما في صلب الحزب، فإنّه يصعب التغاضي عنه في وضع دستور البلاد، باعتباره وثيقة تاريخية حساسة وشمولية، وهنا يمكن التنصيص على القضايا الحساسة بشيء من الغموض او المطاطية.

في الدستور الجزائري الموضوع في عهد بومدين، لا تشير المادتان الاوليان الى الهوية التاريخية والحضارية للجزائر، اعني الهوية العربية. وفي المادة الثالثة، يكتفي المشّرع باعتبار «اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية»وفي المادة(٣٦) نجد تبني الجزائر لـ «الاهداف التي تضمنتها مواثيق الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية والجامعة العربية»، وهو كلام عام تتساوى فيه الجزائر والصومال مثلاً. ومن المعلوم ان «ميثاق» «جامعة الدول العربية» المعمول به لحد الآن، لم يحدد معيار العروبة فيما يتصل بالدولة الراغبة في العضوية، ولكن يفهم من هذا «الميثاق» ان الدولة الراغبة في العضوية يجب ان تكون لغتها الرسمية العربية حتى تكون دولة عربية عضواً بالجامعة.

في المادة (٨٧) والمادة (٨٨)، يقرر المشّرع الجزائري مبدأ قبول الوحدة العربية مع اشتراط توفر «الظروف الملائمة»[٤]. واعتبر «الوحدة الافريقية» بين دول القارة السمراء، على ما بين شعوبها ودولها من تناقض، «مطلباً تاريخياً» للجزائر و«خطًّا دائماً» للسياسة الجزائرية، عليها «ان تشجّعه»، بينما لا نجد مثل هذا التشجيع ولا اسهاماً جزائرياً، من خلال حزب جبهة التحرير، في توفير «الشروط الملائمة» لقيام الوحدة العربية، وهذه الوحدة العربية المقبولة جزائرياً يشترط الدستور ان تكون «كفيلة بالتلبية الكاملة للمطامح المشروعة والعميقة للشعوب العربية»: وعلى الرغم من ذلك، يبقى الدستور الجزائري هو الافضل والاقرب الى الفكرة والوحدة العربية، مقارنة بدستوري كل من المغرب وتونس.

---

(٣) انظر دساتير المغرب، الجزائر وتونس.

(٤) الدستور الجزائري، ١٩٧٦، المادتان ٨٧ و٨٨.

ينص دستور كل من المغرب وتونس على عنصري الاسلام واللغة العربية كلغة رسمية لكل منهما، وعلى الانتماء للمغرب الكبير[٥]. وجاء في ديباجة الدستور التونسي الموضوع سنة ١٩٥٩ ان تونس تنتمي الى «الاسرة» العربية، وقد تجنب المشّرع التونسي استخدام مفهوم «الامة العربية» لأن هذا المفهوم له مدلول عملي في الواقع العيني الملموس، حيث يعني سكان الوطن العربي من المحيط الى الخليج، باعتبار العرب يشكلون جماعة بشرية تربط بينها عوامل ثقافية وتاريخية ودينية وسوسيولوجية بما يميّزها عن غيرها من الامم، اما مفهوم الاسرة فهو مفهوم وصفي للنوع الانساني حتى اننا نقول الاسرة العالمية ولا نقول «الامة العالمية».

٣ ـ مواقف فكرية ام مواقف ديبلوماسية من الوحدة؟

أوردنا في ما سبق قضية الخلط بين المفاهيم وعدم تحديدها او ملاءمتها للواقع المغربي، واذا اضفنا الى ذلك مفعول الاستعمار الثقافي وما حصل من ازمات في الاختيارات والخطط التنموية، هذا ما اوجد الشعور الحاد بالضياع والشك في الهوية القومية، خاصة منذ السبعينات وبداية الثمانينات وفي اوساط الشباب والطلاب على وجه التحديد. فمن المسؤول عن ذلك؟ أليست هذه الاحزاب الحاكمة والرسمية والعريقة هي التي حددت دوائر الانتماء الكثيرة وسلكت سياسات انتجت هذه الحيرة والتشكك في الذات[٦]؟ اي الانتماءات هي الاصح والاكثر اساسية؟ العروبة، الاسلام، المغرب العربي، الوطن العربي، العالم الاسلامي، افريقيا، المنطقة «المتوسطية»، الصلة الخاصة بالضفة الشمالية من البحر المتوسط اي اوروبا...؟ هذه الانتماءات التي يتكامل بعضها مع بعض، ويتناقض بعضها الآخر مع بعض، تطرح سوية جنباً الى جنب الانتماء القطري، ليس بمعناه الوطني الحسي المتفاعل، وانما بمعناه «القومي» الانعزالي (قومية» تونسية، جزائرية ومغربية)، مرة اخرى نقول ان الافتقار الى الفكر العلمي الشمولي يؤدي الى مثل هذا الخلط والارتباك، وحقائق التاريخ والجغرافيا، لا تسمح بأن تتداخل المفاهيم الى درجة، يقع معها تجاهل اشياء جوهرية في حياة الامم.

في اطار مواجهة مشاكل معينة،يتخذ زعماء الاحزاب السياسية مواقف ديبلوماسية، لاعتبارات تتعلق بالسلطة في الغالب، وبحساب سياسي بشكل دائم، وهذا ما جعل تلك الاحزاب المذكورة، تصدر في مواقفها من الوحدة العربية، عن مقولة مغالى فيها هي «الخصوصية» وقد وقع تضخيمها وابرازها كشيء مقدس لا يمكن التضحية به في سبيل الوحدة العربية، اي ان «الخصوصية» توظّف كمقابل وجيه للوحدة، وكأنّ هناك تناقضاً بين الاثنتين.

في مناسبات عديدة نقرأ تصريحات لزعماء الاحزاب الذين هم انفسهم زعماء الاقطار المعنية، لا تفتـر عن التأكيد على تلك الخصوصية، وعندما تكون العلاقات الرسمية جيدة مثلاً بين تونس ومصر الناصرية، يصّرح بورقيبة «بأن الشعب التونسي وإن كان معتزاً بأنه سليل حضارات تعاقبت على ارضه، وموقناً بأن حياته مرتبطة بحوض البحر المتوسط، فإنّه يؤمن برسالته التاريخية داخل الحظيرة العربية ويعتقد ان مصيره مرتبط بمصير الامة العربية التي هو جزء منها»[٧]. كانت تلك فقرة من خطاب ألقاه بورقيبة في ٢١/ ٢/ ١٩٦٥ في القاهرة، غير انه في العام نفسه في ٢١/ ٥/ ١٩٦٥ يصرح بعد ان ساءت العلاقة مع مصر بقوله: «وغاب عنهم (اي حكام مصر) ان تونس دولة لها شخصيتها التي تكونت منذ اكثر من الف سنة، (اي عندما قطعت صلة القيروان بالخلافة العباسية

---

(٥) ينص الدستور التونسي على عبارة «المغرب الكبير» دون إثبات صفة «العربي» كما هو معهود في كل الكتابات بالعربية.

(٦) ان التذبذب الحاصل في مواقف الاحزاب لا يقتصر على النظرة الى الوحدة العربية وانما هو عام، ويشمل الموقف من فكرة وشكل الاشتراكية والاسلام والغرب...

(٧) الحبيب بورقيبة، **خطب** (تونس: نشريات وزارة الاعلام، المطبعة الرسمية، ١٩٨٠)، ج ١٨، ص ٢٥٩.

في بغداد) وقد استطاعت ان تتخلص من كل قيود التبعية منذ اقدم العهود، فلقد تخلصت من سيطرة دمشق وبغداد واسطمبول قبل ان تتخلص من سيطرة الفرنسيين ولها كيانها الخاص ولها ظروفها وملابساتها»[٨]. واذن فعلاقة تونس بالخلافة الاموية والعباسية هي ضمن هذا النهج، علاقة تبعية من طرف تونس وهيمنة من طرف الخلافتين المذكورتين ولا فرق في ذلك بين العرب المسلمين وبين الاتراك او الفرنسيين!.

ومع حدوث نكسة ١٩٦٧ وبعد حرب ١٩٧٣ تنامى الخط العربي الرسمي الداعي «للسلام العادل والمشّرف» في الشرق الاوسط، كما ان سياسة السادات قد ارتدت عن التوجه القومي الوَحدوي التحرري، لذلك تضاءل خطر الوحدة العربية فأصبحت مقبولة لكن في ثوب اسلامي ومحافظ باسم «العقلانية» وفي هذا يقول بورقيبة في نيسان/ ابريل ١٩٨١ «إن تونس دولة عربية اسلامية» «والاقرباء اولى بالمعروف ونعني بالقرابة في المكان بلاد المغرب الكبير او بلاد الخليج» ويضيف كما هي العادة بأن لتونس «ابعاداً افريقية ومتوسطية»[٩]. اما الامين العام للحزب الاشتراكي الدستوري الهادي نويرة الذي تولى ايضاً الوزارة الاولى في عقد السبعينات، وقاد سياسة الانفتاح الاقتصادي والتراجع عن «الاشتراكية» التي أرساها احمد بن صالح، فيقول: «إنّ بيننا وبين تلك البلدان (اوروبا الغربية والولايات المتحدة) ما يتجاوز شتى علاقات التبادل، اذ يوجد عقد تنمية، بل عقد حضارة، وبالنسبة لبلاد كالبلاد التونسية فإن السياسة الايجابية الوحيدة التي تضمن كياننا، وبالتالي تحفظ شخصيتنا، هي تلك التي ترفض كل الوان الذوبان في مجموعة سمّتُها الهيمنة مهما كانت» ويضيف: «وبذلك نحافظ على عبقرية الامة التونسية التي لم تمحها اربعة آلاف سنة مضت من تاريخها، ولا نالت من وجودها»[١٠]. فالوحدة العربية عند الهادي نويرة «تذيب القومية التونسية» و«عبقرية الامة التونسية»، بينما لا يأتي من الغرب الى تونس سوى الحضارة والتنمية، وهذا الغرب بريء من تهمة إذابة الكيان التونسي بالرغم من الحضور المكثف في عهده للشركات المتعددة الجنسية وللفرنكفونية المقيتة. هذا المنهج من التفكير لا يرى في الوحدة صيغة للتقدم والتفاعل الخلّاق وضرورة للحاضر والمستقبل، بل هي صيغة للهيمنة. انها اشكالية الفكر التابع والغافل عن استيعاب حركة التاريخ والمجتمع والعلم.

وإذا كانت مؤتمرات الحزب الاشتراكي الدستوري لا تتطرق لقضايا الوحدة من بعيد او قريب حتى بداية السبعينات، فإنها منذ ذلك الوقت بدأت بإثارة بعض الاشارات المحتشمة، خاصة وان الحاجة للاستثمارات النفطية الخليجية اصبحت شديدة، بعد ان تخلى الغرب عن الاستمرار في الاستثمار ببلدان المغرب العربي، وفي مثل هذه الاجواء، جاء في «لائحة السياسة الخارجية» للمؤتمر التاسع للحزب الدستوري: «ان المغرب العربي يبنى بالترابط» (دون اي تحديد لمعنى الترابط) «مع الابقاء على ذاتية كل دولة» كما رفض هذا المؤتمر الوحدة الاندماجية. وحين تولى السيد محمد مزالي الامانة العامة لهذا الحزب، اصبح الخطاب السياسي يتطرق لعروبة اسلامية او مسلمة لا تخلو من غموض، وهي عروبة تتعايش مع «القومية التونسية» و«الامة الاسلامية» ومع «الانفتاح على الغرب». إنها عروبة رسمية وهي خطوة متقدمة عما كان يقال في السابق، لأن محمد مزالي كان موقفه من التعريب سابقاً وما زال على هذا الموقف، وإن كان التعريب عنده يتخذ احياناً معنى «التوْنَسَة»، وربما بتأثير من محمد مزالي جاء في بيان مؤتمر الحزب (نيسان/ ابريل ١٩٨١) «ليس لتونس مع العالم العربي اواصر حضارية وتاريخية وثقافية فحسب، بل إنها تشترك معه في وحدة المصير وتعمل واياه من اجل مستقبل، قوامه الاخوة والعدالة والتقدم والسلام» وفي الوقت نفسه يقول البيان: «وتونس عازمة على المحافظة على بعدها المتوسطي وعلى متابعة الحوار الحضاري مع

---

(٨) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٩) خطاب بورقيبة في المؤتمر الخارق للعادة للحزب الاشتراكي الدستوري، في: **وثائق المؤتمر الخارق للعادة للحزب الاشتراكي الدستوري** (تونس: مطبعة فنون الرسم والنشر والصحافة، ١٩٨١).

(١٠) الحزب الاشتراكي الدستوري، **مؤتمر الوضوح** (تونس: نشريات وزارة الاعلام، المطبعة الرسمية، ١٩٧٥)، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

بلاد الضفة الشمالية للبحر المتوسط، ودعم التعاون معها...»[١١].

على الصعيد النظري لا العملي، يتميز حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري بتعاطيه الايجابي مع الفكرة العربية، ففي «برنامج طرابلس» (١٩٦٢) لهذا الحزب، وقع النص على «دعم حركات الوحدة في المغرب الكبير، والوطن العربي وافريقيا»، ويضيف البرنامج المذكور «ان الطموح الى الوحدة يندرج في سياق تاريخي حق»[١٢]، على ان قبوله للوحدة العربية هو موقف نقدي ايجابي فهو يطالب بأن تتبنى الوحدة او تعكس اهداف الجماهير، اما ذكر الوحدة على قدم المساواة مع الوحدة الافريقية فذلك راجع الى تبـاين وتوازن التيارات المؤتلفة في داخل هذا الحزب. وقد صدر عن المؤتمر الاول للحزب المذكور (١٩٦٤) بيان عام تضمّن الفقرة التالية: «إن الشعب الجزائري شعب عربي مسلم، والواقع انه منذ القرن الثامن اعطى الاسلام والتعريب لبلدنا الوجه الذي حافظ عليه حتى اليوم» «إن الجوهر العربي الاسلامي قد بقي اساس الشخصية الجزائرية، وخلال قرون طويلة، تطور شعبنا في الاطار العربي وخاصة في الاطار المغربي» «إن الجزائر بلد عربي اسلامي، ولذا فإن هذا التحديد ينفي اي رجوع الى مقاييس عرقية، ويتعارض مع كل انتقاص من الاسهام السابق على الفتح العربي، ورغم تجزئة العالم العربي الى وحدات جغرافية واقتصادية متميزة، فإن عوامل الوحدة المكونة من تاريخ وثقافة اسلامية ولغة مشتركة، ظلت تحتل المقام الاول»[١٣]. وهذا النص الوارد عام ١٩٦٤ لعله افضل مما ورد في «الميثاق» الصادر عن الحزب نفسه سنة ١٩٧٦ اي بعد عقد من الزمن بالرغم من ان «الميثاق» اعتبر «دليلاً نظرياً» للحزب والدولة والمجتمع.

في هذا «الميثـاق» صيغت عروبـة الجزائر[١٤] بشيء من الغموض والتداخل مع انتماء الجزائر لافريقيا. يقول «الميثاق» «إن الجزائر امة» و«ليست الجزائر كياناً حديث النشأة، فمنذ ايام ماسينيسا المؤسس للدولة النـوميدية، ويوغرطا رائد المقاومة ضد السيطرة الرومانية...» ويقول الميثاق ايضاً: «ان شعب الجزائر مرتبط بالوطن العربي وهو جزء لا يتجزأ منه ولا ينفصم عنه»[١٥].

مثل هذه التصورات للفكرة العربية صيغت بأسلوب ديبلوماسي لا يغضب كثيراً دعاة الفكر القومي العـربي، ولا يقـطع الصلة مع دعاة التقوقع والانكفاء القطري بل يعطيهم ضمانات معينة من خلال استخدام مفاهيمهم «للامة» ومن خلال الاكثار من دوائر الانتماء دون ترجيح اي منها، هذا ما يجعل من تلك المواقف ذات طابع ديبلوماسي ولا ترقى الى مستوى الموقف الفكري، وما يؤكد هذا الرأي ان الباحث والمتتبع للاحداث لا يجد اي مشروع او مبادرة او تصور جزائري رسمي او حزبي لمسألة الوحدة مغربية كانت ام عربية حتى ولو كان المقصود بذلك مجرد الاسهام النظري في حل اشكالية الوحدة. اقصى ما يتصوره «الميثاق» بالنسبة للمغرب العربي هو القول «بوحدة مغرب الشعوب»، ولا يجد الباحث جواباً لكيف ومتى يتم ذلك عملياً؟ اما طريق الوحدة العربية بحسب هذه الوثيقة فهو «الجامعة العربية (التي) تمثل إطاراً مناسباً للتعاون بين الدول الاعضاء» وهذا التعاون في اطار الجامعة اعترضته وتعترضه عقبات وتناقضات لا حصر لها ولا نهاية، فهل مثل هذا «التعاون» يعوّل عليه «الميثاق» وهل يعني عند جبهة التحرير الوطني شكلاً وحدوياً؟ لقد ورد في هذه الوثيقة مجموعة من الشروط التعجيزية لكي تكون

---

(١١) **وثائق المؤتمر الخارق للعادة للحزب الاشتراكي الدستوري**.

(١٢) انظر: حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري، **النصوص الاساسية لجبهة التحرير الوطني، ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢** (الجزائر: وزارة الاعلام والثقافة، ١٩٧٩)، ص ٩٤.

(١٣) انظر: جبهة التحرير الوطني، المؤتمر الاول، **مجموع النصوص المصادق عليها من طرف المؤتمر الاول لجبهة التحرير الوطني الجزائري** (الجزائر: اللجنة المركزية للتوجيه، المطبعة الوطنية الجزائرية، ١٩٦٤).

(١٤) انظر: عثمان سعدي، **عروبة الجزائر عبر التاريخ** (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢)، وفيه ردّ علمي على المقولات التي تجحد عروبة الجزائر وتفنّدها.

(١٥) جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، **الميثاق الوطني** (الجزائر: وزارة الاعلام والثقافة، ١٩٧٩)، ص ٢٣.

الوحدة العربية مقبولة جزائرياً، وهي شروط يمكن ان تستساغ بمعنى الطموح، لكنها شروط تمنع تحقيق الممكن؛ علماً ان مثل هذه الشروط لم يشترطها الميثاق بالنسبة للوحدة الافريقية.

وفي إطار متميز عن الحزب الاشتراكي الدستوري وحزب جبهة التحرير الوطني، يطرح حزب الاستقلال المغربي مسألة العروبة والاسلام بإيمان حار وصوفي، وبمنطق متفتّح، وهذه العروبة المسلمة موروثة عن الماضي وفيها نفحة قدسية هي نتاج مؤسسة جامعة القرويين وتعكس ظروفاً خاصة بواقع تاريخي وسوسيولوجي مغربي، هي تواصل مع الماضي في اطار ديني، وتواصل مع الحاضر في اطار مقاومة وطنية لهذا الغرب الذي احتل الارض وأراد القضاء على شخصية سكانها وهويتهم. يعتبر الزعيم علال الفاسي المنظر والمؤسس لهذا الحزب، وهو سلفي متفتح، يقول هذا الرجل: «اننا نمثل الاتحاد الاسلامي والعروبة والوحدة الافروآسيوية»(١٦). ومنذ تأسيس الاستقلال المغربي (١٩٤٤)،«اعتبر (هذا الحزب) المغرب دولة حرة مستقلة، منذ ثلاثة عشر قرناً من الزمن» اي منذ الفتح العربي الاسلامي، وفي ذلك دلالة واضحة على اعتبار التاريخ المغربي الحي المتواصل هو التاريخ العربي الاسلامي بدون ان يعني ذلك جهلاً بالماضي الاسبق، وذلك الماضي السحيق لمنطقة المغرب ما قبل الاسلام، يقع إحياؤه وتبنيه والمبالغة في التغني به من طرف جهات رسمية وحزبية في كل من الجزائر وتونس، ليس بصفته ماضياً وطنياً وجب التعريف والتذكير به ولكن بصيغة توظيفه في ابراز معالم شخصية قطرية متميزة ومستقلة عن غيرها؛ بمعنى آخر، يوظف الماضي التاريخي البربري بشكل اشبه ما يكون بالنزعة الطائفية المتناقضة مع عروبة المغرب العربي، وهنا خطر على مستقبل الوحدة الوطنية، وخطر على فكرة الوحدة العربية بفعل التلاعب بالتاريخ من خلال تفسير وتوظيف ايديولوجي له.

تعتبر مواقف علال الفاسي هي نفسها مواقف حزب الاستقلال وهي في هذا المجال مواقف مبدئية ثابتة في الايمان بوحدة «عربية اسلامية» لا تخلو من غموض وتشكو من فراغ المضمون الاجتماعي، ولكنها وحدة لا تطرح مع الوحدة الافريقية بالتوازن عند حزب الاستقلال، وهي وحدة لا تنافسها فكرة «المتوسطية» او عقد حضارة مع الغرب بل هي وحدة في مجابهة مع هذا الغرب «المسيحي» والمغاير. اما شكل الوحدة الذي يراه علال الفاسي مقبولاً فهو الشكل الاتحادي الكونفدرالي مع توحيد واشراف مركزي على شؤون الدفاع والخارجية(١٧).

تلك هي بعض الشواهد عن مواقف الاحزاب السياسية المغربية الرئيسية والحاكمة او المشاركة في الحكم، وهي مواقف تتسم في مجملها بالطابع الظرفي والديبلوماسي، وتتصل ويعبر عنها في باب السياسة الخارجية للاقطار العربية المغربية اكثر من اتصالها بمنظور تاريخي او فلسفي شمولي، وهي مواقف لا تعكس حقاً الحضور العميق والمتعدد الاشكال للوعي القومي العربي لدى الجمهور، من خلال حضور التراث القومي واللغة العربية والاسلام، ومن خلال معارك الاستقلال ومن خلال الجدل الدائر حول الهوية والتنمية(١٨).

---

(١٦) Attilio Gaudio, *Allal El-Fassi ou l'histoire de l'Istiqlal*, Préface de Jacques Berque (Paris: éd. Alain Moreau, 1972), p. 222.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(١٨) لا يتسع المجال، كما لا يسمح افتقارنا الى عدد من الادبيات والوثائق، ان ندرج هنا دراسة مواقف الاحزاب الاخرى كالاحزاب الشيوعية ولكن باختصار يمكن القول ان هذه الاحزاب، بفعل تبعيتها للحزب الشيوعي الفرنسي اثناء الحضور الاستعماري وبفعل سيطرة العناصر الاوروبية واليهودية المتفرنسة عليها، قد وقفت مواقف في غير صالح الاستقلال الوطني، وايدت «الاتحاد الفرنسي» في الاربعينات، وتجاهلت لفترة طويلة بعد ذلك قضية الهوية والقومية والوحدة العربية، بل عادتها احياناً، مثال ذلك موقفها من الجامعة العربية عند تأسيسها، ومن قيام اسرائيل، كما ان موقفها كان منسجماً مع الفرنكفونية ومتحفظاً او معارض للتعريب، ويلاحظ في السنوات الاخيرة ان موقفها من الوحدة اصبح غير معارض لها من حيث المبدأ.

٤ ـ ثوابت ومتغيرات في الموقف من الفكرة والوحدة العربية

في تصورات الاحزاب وفي مواقف البلدان المغربية ثوابت معينة تلتقي او تتناقض مع مصادر الشرعية لمبررات قيام تلك الاحزاب ووجود تلك الاقطار: منها ما هو مشترك ومنها ما هو خاص بقطر او زعيم او حزب. من هذه الثوابت: التعلق بافريقيا كمجال حيوي للجزائر في نظر حزب جبهة التحرير، وثابت القول بالنظرية المتوسطية و«الصلة الحضارية» مع الغرب بالنسبة لتونس في نظر الحزب الاشتراكي الدستوري، وثابت التوجه للعالم الاسلامي بالنسبة لحزب الاستقلال (بما فيه الوطن العربي). ومن الثوابت ايضاً التركيز على عامل «الخصوصية» وتضخيمها كلما تعلق الامر بالحديث عن الوطن العربي والوحدة العربية، بينما عندما يغيب مثل هذا الكلام ويقع الحديث عن اوروبا تعلو الاصوات المنظّرة «للتفتح» و«التفاعل والعصرية».. كما ان الثوابت ايضاً عدم الايمان بالوحدة العربية كضرورة حياتية واقتصادية ملحة ورفض الوحدة الاندماجية والفوقية، ورفض مضمونها الاشتراكي والديمقراطي التعددي (نستثني حزب الاستقلال)، وقد شاع في الفكر المتداول والرسمي بأن الوحدة العربية هي صيغة «للهيمنة» على اقطار المغرب العربي، وينظر حزب جبهة التحرير والحزب الدستوري الى مسألة التعريب بتخوف خشية من ان يتسبب التعريب اللغوي والثقافي في تعريب الفكر والوعي القومي العربي ونشره، وذلك بالرغم من تزعم جبهة التحرير لتطبيق حملة التعريب الشامل واقرارها ولكن تحت عنوان «الجَزْأَرَة»؛ بينما يتحفظ الحزب الاشتراكي الدستوري على دعوات التعريب وفي ظل حكم هذا الحزب منذ الاستقلال ما زال التعليم والادارة والمحيط مفرنساً باستثناء وزارتي العدل والداخلية. اي ان التعريب في تونس مؤجل بقرار سياسي منذ الاستقلال، حيث اعتبرت اتفاقيات الاستقلال «الذاتي» ان العربية هي اللغة الرسمية وان الفرنسية هي لغة غير اجنبية، وهو امر يعكسه واقع الحال[١٩]. وتُصوَّرُ الدعوة للقومية والوحدة العربية على اساس انها دعوات «حزبية» و«ديماغوجية» و«شعاراتية» آتية من المشرق، إذن هي هاجس «مشرقي» «زعاماتي»! أما الدعوة للتعريب فتصوَّر في بعض الفترات واجهة مشكوكاً في امرها وتغلف نوايا سياسية للقوميين، او تصَّور على اساس انها دعوة رجعية لمن يجهلون اللغة الفرنسية وينغلقون على الذات... ومن الثوابت ايضاً ان الاحزاب المذكورة حين تضطر للكلام عن الوحدة العربية تربطها عن قصد بمضمون اسلامي شريعة وثقافة بل واحياناً بعالم اسلامي واسع تتعدد اممه وتحتد تناقضاته، مع العلم ان المغرب العربي يمتاز بشيء كبير من التجانس ومن اظهره ترابط مكين بين العروبة والاسلام.

من البديهي ان مواقف الاحزاب المغربية الرسمية من الوحدة العربية تعكس الظروف الخاصة بكل قطر وحسب نشأتها كما انها متأثرة بالمفاهيم والنماذج الفكرية الغربية، ولكن الصحيح ايضاً ان الزعامات المؤثرة والقيادية هي التي أمْلت تلك المواقف بتلك الصور، وهنا لا بد من الملاحظة بأن موقف تلك الزعامة او ذلك الحزب ليس هو بالضرورة موقف الجمهور المتحزّب، لأنّ ذلك الجمهور الملتزم حزبياً، هو نفسه جزء من الجمهور العريض الذي يقف موقفاً اكثر تقدماً والتصاقاً بالوعي القومي العربي لأنه ينهله من التراث والثقافة الشعبية والاحتكاك اليومي بالناس وتجارب الحياة.

من المفارقات في مواقف الاحزاب المغربية ان القضية الفلسطينية ينظر لها من زاوية انها قضية

= ونشير ايضاً الى عدم دراستنا للحركات والاحزاب الاخرى المعارضة دينية وقومية وماركسية وليبرالية، لا يعني التقليل من قيمتها او مواقفها مع الوحدة العربية او ضدها، وقد فعلنا ذلك لأننا نفتقر الى ادبياتها ولأنها لم تحكم او تشارك في الحكم، ونحن ركزنا على الاحزاب الرسمية الحاكمة او المشاركة.

(١٩) انظر نصوص اتفاقيات الاستقلال والبرتوكولات الملحقة بها.

حق وعدل ومظلمة تاريخية لشعب شقيق يسكن ارضاً عاصمتها مقدسة (القدس)، ولا ينظر لهذه القضية على اساس انها قضية «قومية» ترتبط جدلياً بالقضايا الوطنية الاخرى بل تتصدّرها، وهكذا يُعلن عن مواقف «مناصرة» و«مؤيدة» للشعب الفلسطيني، ولا يعلن عن «مشاركة» و«إسهام» متميّز في النضال القومي من اجل تحرير فلسطين.

وتتوزع الاولويات في سلم الاهتمامات عند الاحزاب المغربية، ليس من منظور المصلحة المغربية او العربية العليا، وانما بناء على المصالح القطرية ذات الصلة بالحكومات القائمة.

لم يساعد الاختلاف بين الانظمة الاجتماعية القائمة وثقل الارث الاستعماري، هذه الاحزاب على تطوير نظرتها لقضايا حيوية وخطيرة كالوحدة العربية والمغربية، فظلت مبعدة من البرامج والسياسات، وكأن امرها موكول للقدر، قد يقع التذكير بها في المناسبات كمثال اتفاق طنجة حول وحدة المغرب العربي، وقد وقّعته الاحزاب المذكورة سنة ١٩٥٨ علماً ان تلك الاتفاقية قد وقّعت بعد قيام الوحدة المصرية - السورية بعدة اشهر، ألم تكن مشروعاً بديلاً عن الوحدة العربية الشاملة، ومع فشل تلك الوحدة، أسقطت تلك الاتفاقية.

نصل من كل ما تقدّم، بأنّ منطلقات ومواقف تلك الاحزاب، من الفكرة والوحدة المغربية والعربية، بعد تولّيها المسؤولية لمدة تقارب الثلاثة عقود، قد انتهت الى تغيير معالم خريطة التحالفات والتوازنات السياسية، فالمنطقة تعيش حالة من التوتر والتنافس والمحاور، التي تعتبر مستجدات خطيرة على المستقبل المغربي والعربي.

ثانياً: اشكالية الوعي القومي في المغرب العربي: مقاربة تحليلية

هل صحيح ان الوعي القومي العربي، في بلدان المغرب العربي يشكو من «التخلف» بمعنى عدم الوضوح والتبلور؟ لنفترض ان الامر كذلك، فبماذا نفسر خروج الجماهير المغربية بأعداد هائلة جداً في تظاهرات صاخبة تحرق السفارات الغربية في حزيران/ يونيو ١٩٦٧؟ حتى ان بعض الساسة المغاربة فوجئوا بها بعد ان اعتقدوا ان العروبة قد ذهبت مع خبر كان، باعتبارها «فكرة خيالية عاطفية ومشرقية» لا مكان لها في مغرب (عربي) «عقلاني». بماذا يفسر تطوّع المغاربة للجهاد في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ في ظل الحضور الاستعماري المباشر بكل اشكاله، وفي ظل تخلف المواصلات والاعلام آنذاك، حيث وصل عدد المتطوعين التونسيين على سبيل المثال حوالى الفين وخمسمائة، حسب شهادة التقارير السرية للشرطة الفرنسية[٢٠]؟ والامثلة الشبيهة على ذلك كثيرة.

في محاولتنا الاجابة عن مثل هذه الاسئلة، وفي مقاربتنا التحليلية لطبيعة هذه الاشكالية، سنستند على منهجية سوسيولوجية، لا تنكر ما للعاطفة من دور في قيام تلك المظاهر، دون ان نفرق في منطق بسيكولوجي اسقاطي يدور في فلك التحدي والاستجابة الشرطية، علماً ان العاطفة الشعبية هي واحدة من اشكال التعبير والوعي، ولكنها ايضاً نتاج خبرة حياتية وإفراز لكمٍّ هائل من الرصيد الثقافي. ومنهجيتنا هذه ستتوقف عند وقائع واحداث لمحاولة فهمها، والربط بين ازمانها ومدلولاتها ونتائجها، في سياق تاريخي يتثبت من تواصل افكار عقلانية عميقة حول الوعي القومي، هي اصدق ما يعبر عن حيوية

---

(٢٠) ذكرت تقارير الشرطة الفرنسية بأن عدد المتطوعين لحرب فلسطين ١٩٤٨ والذين غادروا تونس هو ٢٦٧٦ متطوعاً، انظر: Mustapha Kraïem, *La classe ouvrière tunisienne et la lutte de libération nationale, 1939-1952* (Tunis: Imprimerie UGTT, 1980), pp. 211-212.

السلوك الانساني، غير انه يبدو عاطفياً في زمن التّردي واللاعقلانية وفي اجواء الازمة التاريخية.

ونحن نصـدر في هذه المقاربة من القول بأن الوعي القومي العربي، والوعي بالانتماء العربي (بالمعنى الثقافي لا المعنى العرقي) تاريخاً وتراثاً ومستقبلاً عند الجماهير المغربية، ليس غائباً رغم تغييبه، ولا هو جديد او «متخلف»، بل هو عريق اصيل من غير حزب او إذاعة او جريدة تعبّر عنه، وهنا خصوصية الاشكـاليـة، حضور كامن حي متواصل شعبي، من غير مؤسسات على غرار ما هو الامر في المشرق العربي، إن هذا الوعي القومي هنا ليس وليد اليوم، إنه وليد الاسلام، ووليد التجانس الديني المذهبي المالكي، ووليد حالة الاستعراب، ووليد جامعات عريقة في القيروان والزيتونة والقرويين، ووليد الهجرة التاريخية الكثيفة لبني هلال ورباح وسليم منذ القرن الحادي عشر، ووليد التعايش والتزاوج والانصهار بين العنصر العـربي والبربري، ووليد استمرارية التراث والثقافة العربية الاسلامية عبر العصور؛.. واخيراً هو وليد معارك الاستقلال وفلسطين والنضال المعادي للامبريالية، هذا النضال في جوهره كان بدافـع الطمـوح الى استعادة «الصورة الزاهية» بما يضمن الكرامة والتقدم. هذا بعض ما يجسّده الوجدان الشعبي والعقل الجمعي الذي يقع الافصاح عنه بأشكال شتى، لكن ما سرّ عدم تبلور الفكرة القومية العربية في المغرب العربي على غرار ما حدث في المشرق؟ إنه سؤال وجيه، ولكنه يصدر عن منطق يفترض ان الاشياء تظهر على شاكلة بعضها مكررة ذاتها، وهو منطق غير علمي لأنه يقفز فوق تغاير المكان، ويتصور ان التحديات والمعطيات المحلية هي من طبيعة واحدة؛ ومع ذلك فإننا نحاول الاجابة عن هذه الاشكـاليـة باعتبـارها تصدر عن «منطق القياس» والمقارنة، ولكن اجابتنا، التي تنطلق من استقراء الواقع المغربي الملموس، سوف لن تفصل بين مثل هذا الجواب عن هذا السؤال، وبين مختلف الاجوبة لأسئلة اخرى تتعلق بجوانب اخرى من الاشكالية السياسية والاقتصادية والثقافية المعاصرة في اقطار المغرب العربي، كما اننا في هذه المقاربة لا نفصل التاريخ المغربي عن مجمل التاريخ العربي، فسياقهما واحد.

في هذا الاطار النظري والتاريخي نتساءل: هل هناك فكر سياسي مغربي متبلور؟ وهل هناك اسهام خاص للعقل السياسي المغربي في حل معضلة الحكم والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، اي حل معضلة التنمية!

الاجابة عن هذه التساؤلات ليست في صالح الاحزاب والافكار الرسمية المطروحة، صحيح ان التعثر في التنمية هو حالة عامة لكل دول العالم الثالث تقريباً، لكن بُعداً خاصاً في هذا التعثر في بلدان المغرب يرجع الى التذبذب الحاصل في تحديد الهوية الحضارية، وهذا يعني ان الاخفاق في اكتشاف الطريق الخاص نظرياً على الاقل، هو بسبب ذلك الابتعاد الرسمي عن فكرة الوحدة المغربية والعربية، لأن الطريق الخاص هو الطريق الصحيح لتنمية شاملة، وهذا الطريق هو طريق الوحدة العربية بمضمونها الديمقراطي والاجتماعي.

يبدو ان المغرب العربي قد فاتته فرصة للتطور بتخلّي المسؤولين عن روح واتفاق طنجة (١٩٥٨)، اما الفرصة الضائعة الاخرى ـ والتي تسببت في تناقضات مستجدة ـ فهي التردد والتأخر الرسمي في الاعتراف والاقرار بقضية الوحدة العربية.

كل هذه الفرص الضائعة وتلك الاسئلة والاجوبة غير الصائبة التي اعطيت دلت على ازمة في صلب الفكر السائد اذ هو يشكو من «تخلف» وعي التخلف في ذاته، وهذه الازمة ليست الا اظهر العقبات التي منعت او عرقلت الفكر القومي العربي من التبلور، وقد يكون تبلور الوعي بالهوية في السنوات الاخيرة هو انعكاس لسد المنافذ امام هذا الوعي التاريخي الاصيل. ومن المفيد هنا التذكير بأن «تخلف» وعي التخلف لا يقتصر على «النخبة» الحاكمة بل يشمل قطاعاً واسعاً من «النخبة» المعارضة لأنّ كلتا النخبتين خضعت للمؤثرات الغربية نفسها، فظلت اسيرة افكار مدرسية استشراقية او سياسات تكنوقراطية، وهذا

ما جعل حالة الاستلاب شعوراً عاماً ومركباً، يتضاعف مع الزمن بقدر ما يكبر الامل في تجاوزه.

إن وجود فكر انعزالي، غير وحدوي مهيمن على مستوى السلط والسياسات، يعني بالمقابل، وينعكس عنه فكر مقاوم ومغاير، ثقافي في منطلقاته، سياسي في اهدافه، مستقبلي في دوافعه، وحدوي في جوهره، وتاريخي في تواصله، انه فكر كسب المعركة ضد الفرْنسة وبأسلحة تقليدية، وحفظ الذات القومية من الذوبان والانسلاخ، إنّه فكرة حِزْبُها المجتمع كله.

ومشكلة الوعي بالانتماء العربي في هذه المنطقة، ليست مشكلة نخبة او حزب او مثقفين، لأنها مشكلة كل انسان مغربي فهي نفسها تعكس مشكلة الديمقراطية والتنمية والاسلام والتقدم؛ الاسلام هنا بمعناه الجوهري هو العروبة، والعروبة هي الاسلام ـ الحضارة والهوية، وفيما يلي نطرح عدداً من النقاط لمزيد فهم ظاهرة الوعي القومي العربي في المغرب العربي واشكاليته وخصوصيته.

١ ـ المغرب العربي: العروبة والاسلام

لن نكرر ما اصبح معروفاً ومتداولاً عن العلاقة الصميمة بين العروبة والاسلام عموماً وبشكل خاص بل وفريد في المغرب العربي. ونضيف على ما هو شائع ومنشور عن تلك العلاقة، بأنه في المغرب العربي يعتبر بعض غير المستعربين ان اسلامهم ناقص، كما انتشار المالكية كمذهب لكل سكان المغرب العربي هو شكل آخر في عملية التجانس الحاصل وكذلك انعدام وجود مذاهب او اديان اخرى مزاحمة ومخالفة للاسلام السني المالكي. ثم انه لا توجد طائفية (باستثناء اليهود) وما يشاع عن وجود قضية «بربرية» قد يساء تفسيره وفي هذا الاطار غير مطروح اطلاقاً اي تمايز عرقي او ديني او ثقافي، وما هو مطروح هو امر يتعلق بجانب لغوي على صعيد نخبة مفرنسة تقاوم التعريب بسلاح سموه «الحق الثقافي في التغاير»، وهذه النخبة لا تحرك ساكناً عندما يكون مشروع الدولة فرنكفونياً؛ اما على الصعيد الشعبي فليس هناك مثل هذه الاشكالية لأن «العربي هو المسلم» و«المسلم هو العربي». ومقابل ما تطرحه نخبة مفرنسة حتى العظم حول «البربر»، تطرح نخبة اخرى تقليدية مسيّسة، همّشها التطور والسياسات المعاصرة، تطرح فصلاً متعسّفاً يعزل العروبة عن الاسلام ليفرضوا «امة» اسلامية حدودها «الايمان» ولا تعير اية قيمة لقوانين التاريخ والانساق والتنوعات بين الامم.

٢ ـ المفاهيم المغلوطة

تشكّل فكر «النخبة» المتعلمة في فرنسا عموماً، اثناء العهد الاستعماري، في اطار المفاهيم الغربية والفرنسية بالذات واحياناً باستعمالاتها الاستشراقية، ومن هذه المفاهيم «القوميات» القطرية، قدسية جهاز الدولة.

ومثل هذه المفاهيم زيادة على انها مفاهيم حقوقية مجردة ولا تصلح، او لا تعبّر عن واقع الحال في المغرب العربي، نجد ان الشعب لا يستعملها ولا يستوعبها لأنها ابعد ما تكون عن تراثه وثقافته ووجدانه وحدود تلك الثقافة والتراث والوجدان هي حدود الوطن العربي وزمنياً تتواصل اربعة عشر قرناً.

٣ ـ النهج الاصلاحي

في ظل الحضور الاستعماري، كانت «النخبة» المؤهلة لقيادة المطالبة بالاستقلال، بفعل ثقافتها ومصالحها ومنحدراتها قد اختارت النهج الاصلاحي ومنطق المهادنة والاعتدال في المواقف والبرامج ويستثنى من ذلك الموقف من الكفاح المسلح في الجزائر منذ (١٩٥٤)، لذلك خلت تلك المواقف والبرامج من تصور مجتمعي بديل ومتجذر، لأن فكرة الوحدة العربية، كهدف تاريخي، كانت لا تجد مكانها ضمن

الفكر الاصلاحي والليبرالي المغربي، لأنها فكرة ـ ثورة بكل المقاييس، والثورة هي غير الاصلاح المتدرّج؛ بعبارة اخرى اخفقت النخبة والطبقة السائدة لأنها لم تقم بمهمة تاريخية هي مهمتها اذا قسنا الامر بتجارب اوروبا النهضة والثورة الصناعية، وبسبب تبعية الطبقة السائدة، لم يكن بإمكانها ولا وارداً في تفكيرها، القيام بتوحيد السوق والوطن القومي فكان طموحها متواضعاً لأنها ضعيفة وغير مستقلة.

٤ ـ مصر والمغرب العربي، التمصير يسهّل التمغرب

ظهرت الوحدة العربية كفكرة سياسية بدءاً في بلاد الشام والعراق، ولكنها لم تظهر بالشكل نفسه وفي الوقت نفسه في مصر، وكذلك في المغرب العربي. كانت مصر في عهد محمد علي مستقلة عن العثمانيين نسبياً وفي مصر دولة قوية وحديثة ومركزية عريقة وجامعة الازهر مؤسسة ذات وزن ديني وثقافي لم يعد يضاهيها ما يشبهها في بيروت ودمشق وبغداد، ولكن هناك مؤسسات الزيتونة والقرويين على شاكلتها في تونس والمغرب، وفي مصر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وضع خاص بالاسلام ديناً وشريعة ولغة وثقافة وتعايشاً وتآخياً بين المسلمين والاقباط المسيحيين، موروثاً عبر العصور ويشكل كل ما تقدم حالة من الوحدة الوطنية والقوة تجعل التفكير في طموح آخر اكثر مما هو متحقق، امراً مؤجلاً، وان ورد التعبير عن مثل هذا الطموح، كما في سعي وحملات ابراهيم باشا، فهو يرد في اطار قمة السلطة وإشباع نزعة امبراطورية وحسب. كل هذه العوامل كانت غير متحققة في الشام والعراق حيث تبلور الوعي القومي وحيث ثقل وطء التتريك، ولذا فإن مصر لم تكن في حاجة ملحة كأقطار المشرق الاخرى كما لم يكن مسموحاً لها من الغرب والعثمانيين التفكير في ابعد من حدودها القطرية، ثم ان طبقة الباشوات والاقطاعيين الذين تنحدر منهم النخبة المثقفة عادة، لم يكن في إمكانهم وبحكم وضعهم طرح ما هو ابعد من الاطار الموروث والمتحقق، على العكس من بعض مثقفي الازهر الذين استشعروا الحاجة الى البعد القومي العربي وان طرحوها بشيء من التواضع. نصل الى القول ان الوعي القومي او الوحدوي لم ينبع من مصر بالشكل نفسه وفي الوقت نفسه الذي ظهر فيه ذلك الفكر في بلاد الشام كما انه لم يتم تمصيره بشكل ما خاصة من طرف النخبة. والتاريخ يعلمنا ان ما يتمصّر يتمغرب بالضرورة وكل الافكار التي قدمت من المشرق العربي وعبرت مصر لا يقع تبنيها مغربياً اذا لم تستسغ مصرياً، وهناك تماثل مجتمعي واضح ومعروف بين مصر والمغرب العربي، مسألة قد لا تحتاج الى جدال من اجل التسليم بها.

معيار التمغرب القائم على التمصير، لا يعني التبعية بالضرورة انه يعني التساوي في قدرة الهضم والتجانس في المنظور الثقافي، وموقع مصر مهم عند المغاربة بنيلها واهراماتها وازهرها واسهامها الحضاري ووزنها البشري وكونها تاريخياً مقصد التجار ومعبر الحجاج وقبلة الدارسين... هذا ما جعل اشكالية الوعي القومي العربي في المغرب العربي تتشابه مع اشكالية ذلك الوعي في مصر، غير انه حين توفرت لمصر فرصة تاريخية وقيادة عروبية في عهد عبد الناصر، تفتّق ما كان كامناً وتصدّع ما كان سائداً، وتوضّح ما كان غامضاً.

٥ ـ عراقة «الدولة» ومشكلة «الحدود»

تطرح مسألة «عراقة» الدولة خاصة في كل من المغرب وتونس على اساس انها تراث مجيد لاستقلال شعبها وتميزه عن غيره، وذلك في اطار توظيف التاريخ لخدمة الانكفاء القطري، اما مسألة الحدود السياسية التي بعضها سابق وبعضها موروث عن الاستعمار الفرنسي، فإنها ليست حدوداً جغرافية طبيعية، ولا هي حدود ثقافية او اثنية او دينية او لغوية ولا هي حدود تفصل بين انماط مختلفة من الانتاج. وهكذا فإنّ مثل هذا المنطق الذي يصل الى حد الصراع المسلح على رسم الحدود هو منطق يفعل سلباً في تفتيت الوعي بالوحدة ويخلق حواجز نفسية موهومة حول تناقض في المصالح موهوم بين اطراف شعب واحد في منطقة واحدة، ما كانت تمنعه اية حدود في اي عهد من التواصل. ويتصل بعراقة

الدولة والحدود، الاثر الذي تركه الحكام الاتراك في تونس والجزائر، حيث كان الاسلام ستاراً لإخفاء السيطرة التركية التي لم يكن من مصلحتها وجود وعي قومي عربي.

٦ ـ الوعي القومي واللغة القومية

كانت الفرنكفونية وما زالت اخطر ما يعوق الفكر القومي في المغرب العربي، وليس من الصدفة ان تقاوم النخبة المفرنسة بشتى الطرق عملية التعريب، بل وتعتبره خطراً ليس على وظائف هؤلاء وانما على مصالح القطاع الخاص التابع او المرتبط بالشركات المتعددة الجنسية، ورغم ان قرار التعريب مؤجل في تونس والمغرب، فإن الوعي القومي العروبي بخير، رغم بعض المظاهر، وذلك دليل آخر على اصالة وتلقائية وعراقة ذلك الوعي؛ ولذلك فدعاة الوحدة في المغرب العربي هم انفسهم دعاة التعريب والعكس صحيح، لأن التعريب الشامل هو الذي يصحّح تشوهات الماضي ويقرب فجر المستقبل العربي.

٧ ـ انتكاسة التجارب القومية في المشرق

لا شك ان انتكاسة بعض التجارب الوحدوية وما لازمها وما التصق بها او نتج عنها من سلبيات، وقع استثماره وتضخيمه في اطار التشكيك في فكرة الوحدة وتشويهها، والمشرق العربي لا يؤثر في المغرب العربي بالايجابيات فقط، بل إن مفعول ما يحصل فيه من سلبيات هي اسهل للتصدير الى المغرب العربي وهي الافعل في بث الاحباط.

٨ ـ شمولية الانتصار او تراجع الفكر القومي مغرباً ومشرقاً

إن ترابط الوطن العربي بكل اقطاره ووحدة التحديات والمصير، جعلت انتصار الفكرة القومية او تراجعها، قانوناً يشمل الكل في حالة الايجاب او السلب، فالمد الوحدوي حصل في كل الاقطار العربية اواخر الخمسينات وفي الستينات وتواكب في التبلور، كما ان حالة الانحسار التي حدثت هي شأن عام في غالبية الاقطار العربية، فالمشرق والمغرب العربيان سيّان لأن حالة النهوض او الانتكاس عامة في كل مرّة.

٩ ـ الوعي القومي ليس منفصلاً عن قضايا الديمقراطية والعدالة الاجتماعية

لماذا يفترض البعض «تخلف» الوعي القومي في المغرب العربي ولا يفترض مثلاً تخلف الوعي بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية. من الصعب ولو لأسباب منهجية الفصل بين قضايا الوعي القومي، والوعي الديمقراطي والوعي الطبقي، إنها اشكال متوحدة في جوهر واحد، وهذه الاهداف كلها لم تتحقق، والنضالات من اجل التعريب والهوية القومية تقع وتترابط مع النضالات الديمقراطية والنضالات النقابية والمهنية المطلبية والاجتماعية، وكل هذه النضالات وبغض الطرف عما ترفعه من شعارات، هي نضالات وطنية تصبّ في خدمة المستقبل العربي الموحد، لأنه **في الفكر العلمي و في المنطق التاريخي، كل انتصار للديمقراطية يعني انتصاراً للوحدة وكل انتصار للوحدة يعني انتصاراً للعدالة الاجتماعية ما دامت الوحدة تتضمن التنمية الشاملة والمتكاملة**. ومما تقدم ننتهي الى ان الوحدة بهذا الوعي وبتلك الابعاد هي ثورة لأنها التغيير الاكثر جذرية واصالة، وبسبب ذلك كان للوعي والفكرة الوحدوية اشكالية عميقة ومركّبة □

دور القضيـــة الفلسطينيـة في تعميـق الوعـي القومي العربي في المغرب العربي (مثال تونس)

د. الهادي التيمومي

كلية الآداب ـ تونس.

ـ ١ ـ

منذ ان اكتسح الاستعمار الامبريالي الفرنسي تونس سنة ١٨٨١، جدّت في بقية ارجاء المنطقة العربية قضايا جسيمة، أثّرت ايجابياً في الوعي القومي العربي في تونس، نذكر منها على سبيل المثال: الغزو الايطالي لليبيا عام ١٩١١، ثـورة عبد الكريم الخطابي في المغرب الاقصى سنة ١٩٢٥، تأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥... الا ان القضية التي ساهمت اكثر من غيرها في تعميق الوعي القومي العربي في تونس هي القضية الفلسطينية، وذلك راجع للميزات التي انفردت بها هذه القضية عن غيرها من القضايا العربية الاخرى، وهذه الميزات هي:

اولاً: طبيعة ما جد في فلسطين، اذ ان تأسيس دولة على حساب تشتيت الشعب الاصلي للبلاد ومحاولة إبادته يعتبر ابشع اشكال الاضطهاد الامبريالي والصهيوني للشعوب.

ثانياً: خطورة ما جد في فلسطين، إذ ان زرع دولة اجنبية في قلب الوطن العربي لا يعتبر عملاً موجهـاً ضد الشعب الفلسـطيني فحسب، بل كذلك ضد الامة العربية جمعاء، ولا سيما ان من بين اهداف الصهيونية خنق حركة التحرر العربية ومنعها من تحقيق اهدافها الوحدوية والتقدمية.

ثالثاً: الطابع المزمن لهذه القضية، اذ ان استمرارها منذ عشرات السنين جعلها تتحول الى احدى الثوابت الاساسية المهمة للشعب التونسي.

اننا لا نسوق جديداً حين نعيد الى الاذهان ان الهدف الذي كانت فرنسا تسعى الى تحقيقه من وراء غزوها لتونس هو الحصول على قوة عمل المنتجين المباشرين التونسيين بأرخص ثمن ممكن، وابتزاز اقصى ما يمكن من الثروات المادية. الا ان الامر الذي نودّ إبرازه هو أن للاستعمار الفرنسي هدفاً ثانياً مزامناً للهدف الاقتصادي يتمثل في محو التراث العربي الاسلامي للشعب التونسي، وان هذا الهدف الثاني وثيق الارتباط بالهدف الاقتصادي، وذلك لأن «فرنسة» البلاد ثقافياً لا ترمي الا لضمان ديمومة الهيمنة الاقتصادية الفرنسية على تونس. ان اي استعمار امبريالي لا يمكن له الاقتصار على ابتزاز موارد المستعمـرات وامتصـاص ثرواتها، بل لا بد له كذلك من فرض قيمه الثقافية والايديولوجية على هذه

المستعمرات. ان هذا البعد الثقافي للاستعمار الامبريالي لم يلق ما يستحقه من الاهتمام عند الذين انكبوا بالدرس والتحليل على مسألة الامبريالية، ولينين نفسه لم يركّز في تعريفه للامبريالية الا على الجانب الاقتصادي فقط[١].

إنه من العسير ان نُلم بالطريقة وبالاشكال التي مارس بها الاستعمار الفرنسي عملية «الفرنسة» الثقافية للبلاد التونسية ما لم نستند الى فهم عميق لطبيعة هذا الاستعمار.

إن الاستعمار الفرنسي لتونس كما اسلفنا هو استعمار امبريالي، وهذه الطبيعة الامبريالية كامنة في صلب التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية لفرنسا التي اصبحت تتسم في مغيب القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بالمواصفات التالية:

ـ تقلُّص ظاهرة التنافس الحر وظهور الشركات الاحتكارية الكبرى.

ـ تعمُّق ظاهرة تداخل رؤوس اموال المصرفيين ورؤوس اموال الصناعيين وبروز ما يسمى برأس المال المالي (le capital financier).

ـ تنامي ظاهرة تصدير رؤوس الاموال نحو المستعمرات ونحو الدول الامبريالية الاضعف على حساب تصدير السلع.

ـ اشتداد الصراع بين البرجوازية الفرنسية من جهة والبرجوازيات الامبريالية الاخرى من جهة ثانية لأجل الاستحواذ على اقصى ما يمكن من مناطق النفوذ الاقتصادي.

ـ حصول البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن التاسع عشر على نصيب وافر من المستعمرات، وذلك إثر انتهاء عملية اقتسام كل العالم بينها وبين البرجوازيات الاخرى، ثم تواصل هذا الصراع على اشده، بينها وبين هذه البرجوازيات لإعادة اقتسام العالم، وذلك تمشياً مع القانون الذي يحكم ميزان القوى بين هذه البرجوازيات، وهو قانون التطور اللامتكافىء[٢].

إن الاستعمار الفرنسي لتونس لم يتميز فقط بطبيعته الامبريالية، بل كذلك بشكليه: الكولونيالي والتوطيني. فهو استعمار كولونيالي، اي عسكري مباشر، وهو كذلك استعمار توطيني، اي يقوم على استجلاب اكثر ما يمكن من المستوطنين الفرنسيين الى تونس وتجذيرهم فيها، وذلك بغية قلب ميزان القوى السكاني في تونس لفائدة فرنسا على المدى الطويل.

ـ ٢ ـ

لقد رسم الاستعمار الفرنسي لنفسه مهمة قطع صلات الشعب التونسي بعروبته، وذلك بهدف توفير الارضية الايديولوجية والثقافية الضرورية لتوطيد دعائم هيمنته الاقتصادية على تونس. لكن تحقيق هذه الغاية يتوقف على ضرب مقومات الانتماء القومي العربي للشعب التونسي. وهذه المقومات هي، كما هو معروف، الاواصر الاقتصادية القائمة بين تونس وبقية ارجاء الوطن العربي، اللغة العربية، التراث الثقافي والديني المشترك.

لنستعرض اولاً ما قام به الاستعمار الفرنسي لنسف الجسور الاقتصادية التي تربط تونس ببقية ارجاء الوطن العربي.

لقد كانت المنطقة العربية، قبل بدء التسُّرب الرأسمالي الاوروبي اليها خاضعة لهيمنة نمط الانتاج

---

(١) فلاديمير ايليتش لينين، **الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية** (موسكو: دار التقدم، ١٩٦٧).

(٢) المصدر نفسه.

الاقطاعي، وذلك لان «... الشكل الاقتصادي المتميز الذي (كان) يقع في اطاره ابتزاز فائض العمل المجاني من المنتجين المباشرين»(٣) هو الريع العقاري. فالقاسم الاساسي المشترك للتشكيلات الاجتماعية القائمة آنئذٍ في المنطقة العربية كان يتمثل في انتزاع ملاكي الارض للفائض من عمل المزارعين وإنتاجهم، وذلك بالاعتماد على الوسائل غير الاقتصادية اساساً مثل العنف والدين والعلاقات القبلية...

الى جانب الاقتصاد الطبيعي ونصف الطبيعي الذي كان سائداً في المنطقة العربية، والمتمثل في وجود وحدات اقتصادية «مكتفية ذاتياً» ومستقلة عن بعضها البعض استقلالاً اقتصادياً يكاد يكون تاماً، كانت هناك علاقات انتاج بضاعية متفاوتة التطور حسب الجهات. وكانت هناك ايضاً بقايا علاقات انتاج عبودية ونصف مشاعية، ان السمة البارزة للانتاج الاجتماعي في هذه المنطقة هو ضعف قوى الانتاج، اذ ان انتاجية العمل كانت متدنية جداً. وان التجزئة السياسية التي كانت سائدة آنئذٍ في المنطقة العربية تعود اساساً الى نمط الانتاج الاقطاعي المهيمن. إلا ان ما تجب ملاحظته هو ان هذه التجزئة كانت ذات مستويات متعددة، فهناك مستويات تجزئة بارزة جداً، وهناك مستويات اقل بروزاً. فتونس على سبيل المثال كانت تشكل وحدة سياسية شبه مستقلة عن غيرها من الوحدات السياسية العربية الاخرى. الا ان هذا لا ينفي ان تونس ذاتها كانت تحتوي على مستويات تجزئة اقتصادية وسياسية داخلية، من بينها على سبيل المثال: التناقض بين المناطق الساحلية الحضرية ومناطق الداخل نصف البدوية، او بين الشمال الممطر والجنوب القاحل... إن ارجاع مسؤولية التجزئة السياسية الى نمط الانتاج الاقطاعي اساساً لا يعني ان الامة العربية لم تكن موجودة آنئذٍ، او انها شعار مطروح على البرجوازية العربية. لقد تشكلت الامة العربية مع ظهور الاسلام، ونظرية ستالين الشهيرة التي تعتبر الامة مقولة من مقولات الرأسمالية لا تنطبق على الامة العربية. ان التجزئة الكامنة في صلب الهياكل الاقطاعية السائدة في المنطقة العربية وإن كانت تمثل الطابع المميز لهذه المنطقة، لم تمنع ولا يمكن ان تمنع قيام علاقات اقتصادية تبادلية بين تونس وبقية ارجاء الوطن العربي. لقد كانت تونس تصدّر الى بقية الاقطار العربية كميات كبيرة من المنتوجات الفلاحية والحرفية(٤). وأحسن مثال على ذلك الصادرات التونسية من الشاشية. لقد كانت صناعة الشاشية التونسية شديدة الازدهار. وكانت تغطّي كل حاجيات المنطقة العربية، وكذلك مناطق اخرى كالبلقان. وكانت من حيث درجة تقسيم العمل والتقنيات وحجم الانتاج في مستوى التطور نفسه الذي بلغته الصناعات «المانيفكتورية» الفرنسية قبيل «الثورة الصناعية»(٥). لقد عملت اكثرية الدول الرأسمالية وبخاصة منها فرنسا بعد عام ١٨٨١ كل ما في طاقتها للقضاء على صناعة الشاشية التونسية، وذلك بتصنيع هذه البضاعة في بلدانها وتصديرها نحو تونس بأبخس الاثمان(٦). إن تكالب هذه الدول على صناعة الشاشية التونسية لم يكن من باب المصادفة، بل لأن هذا القطاع الاقتصادي التونسي المزدهر كان بإمكانه إفراز نمط الانتاج الرأسمالي في تونس. ولا ننسى ان النظام الرأسمالي ليس في نهاية المطاف سوى اعلى مراحل الانتاج البضاعي.

إذا كان القضاء على صناعة الشاشية قد تطلب وقتاً من الزمن نظراً لطبيعة الوسيلة التي

---

(٣) Karl Marx, *Le Capital: Critique de l'économie politique*,3 vols. (Paris: éditions Sociales,1976), vol. 3, p. 717.

(٤) A. Zouari,«Les Relations commerciales entre Sfax et le Levant au18ème et 19ème siècles,» (Doctorat 3ème cycle, Aixen Provence, 1977), (ronéotypé).

(٥) Lucette Valensi, «Islam et capitalisme: Production et commerce des chéchias en Tunisie et en France aux XVIIIe et XIXe siècles,» *Revue d'Histoire moderne et contemporaine,* vol. 16 (Juillet-Septembre 1969), pp. 376-400.

(٦) I. Pennec, *La Transformation des corps de métiers de Tunis sous l'influence d'une économie externe de type capitaliste* (Tunis, 1964), (ronéotypé).

استعملتها الدول الرأسمالية، وهي وسيلة المنافسة الاقتصادية، فإن القضاء على العلاقات الاقتصادية التي كانت قائمة بين القبائل التونسية والقبائل الجزائرية والليبية في مناطق «الحدود» لم يُكلف فرنسا عناءً كبيراً، إذ انها اكتفت بمجرد تدعيم المراقبة العسكرية على هذه الحدود.

إن الهدف الذي كانت ترمي له فرنسا من وراء تقويضها للاواصر الاقتصادية القائمة بين تونس وبقية ارجاء الوطن العربي هو تحويل الاقتصاد التونسي الى اقتصاد تابع هيكلياً لاقتصادها. وقد تم لها ذلك بحيث اصبح دور تونس في التقسيم الامبريالي العالمي للعمل يتمثل في تمويل فرنسا بالخامات واستيعاب منتوجاتها المعملية. وقد خلقت فرنسا شرائح برجوازية تونسية لا تعتاش من تبعية الاقتصاد التونسي للاقتصاد الفرنسي فقط بل تعمل على تدعيم هذه التبعية.

علاوة على تفتيت الروابط الاقتصادية المشتركة بين تونس وبقية ارجاء الوطن العربي، عملت فرنسا في الوقت نفسه على إضعاف الروابط الاخرى مثل اللغة والتراث الثقافي والديني المشترك. فقد بذلت كل ما في وسعها لتشجيع اللهجة العامية التونسية واللغة البربرية، وعمدت الى إقصاء اللغة العربية عن تدريس العلوم العصرية، كما انها رصَدت تشجيعات مادية متنوعة للتونسيين الذين يُقبلون على تعلّم اللغة الفرنسية، ومدّت يد المساعدة للحركات التبشيرية، وجنّدت مثقفيها لاظهار الدين الاسلامي بمظهر الدين المعادي للتقدم، وكذلك اصدرت جملة من التشريعات تمنح امتيازات كبيرة للتونسيين الذين يتجنّسون بالجنسية الفرنسية، وانبرى مُثقفوها للتشكيك في مساهمة الحضارة العربية في الحضارة الانسانية، وذلك بالترويج للفكرة القائلة بأن الفضل الوحيد للعرب هو مجرد تمْرير التراث الاغريقي والروماني الى اوروبا، والقائلة بأن عباقرة الحضارة العربية الاسلامية ليسوا عرباً، بل ينتمون الى اجناس اخرى،واذا لم يجدهؤلاءالمثقفون مفراً من الاعتراف بالنسب العربي لعبقري من العباقرة فإنهم يشنون عليه حملة تشويه. كذلك عمل هؤلاء المثقفون على إبراز الجانب الرجعي من التراث العربي الاسلامي وأكّدوا بقوة على العناصر اللاّوحدوية في تاريخ العرب حتى يُظْهروا الوحدة العربية في مظهر الامر المستحيل. وقد نفى هؤلاء المثقفون وجود كيان اسمه الشعب التونَسي واعتبروه مجرد غبار من الافراد، فلما قويت شوكة الحركة الوطنية التونسية، غيّر هؤلاء المثقفون لهجتهم واصبحوا يتحدثون عن «امة تونسية» قائمة الذات، وغني عن البيان ان الهدف الذي يرمون اليه هو فصل تونس عن بقية ارجاء الوطن العربي. كذلك ركّز هؤلاء المثقفون على تاريخ تونس قبل القرن السابع للميلاد، اي على الفترة السابقة لدخولها في بوتقة الحضارة العربية، وحتى بالنسبة للفترة التي اهتموا بها فإنهم لم يسلّطوا الاضواء الا على الحقب الزمنية التي سيْطَرَ عليها الغُزاة الاوروبيون من رومانيين ووَنْدال وبيزنطيين، بل ذهبوا الى ان السكان الاصليين للبلاد اي البربر ينحدرون من اصل اوروبي، او على الاقل لا ينحدرون من اصل شرقي، وأجمعوا على ان التونسيين ليسوا عرباً بل بربراً.

إذا كان من اليسير على فرنسا تفتيت العلاقات الاقتصادية العربية لتونس، فإنها لم تنجح رغم إمكانياتها الهائلة في فك الاواصر اللغوية والثقافية والدينية. إن هذه الاواصر لم تتضعضع، بل ازدادت متانة ورسوخاً. ولا بدّ من الاشارة الى ان التونسيين الذين عارضوا المخططات الاستعمارية الفرنسية هم الذين ينتمون للطبقات الشعبية. اما الذين وقفوا الى جانب فرنسا سواء بصفة خافية او ظاهرة فهم كبار البرجوازيين والاقطاعيين، وذلك لأن مصلحتهم كما هو معروف تكمن في الارتباط والمزيد من الارتباط بالامبريالية الفرنسية التي هي وَلِيّة نِعْمتهم.

لقد ظلّ التونسيون اوفياء لالتزاماتهم القومية بالرغم من الارهاب الاسود المسلّط عليهم، وهذه بعض الامثلة التي تعبِّر اكثر من غيرها عن عمق الشعور القومي للشعب التونسي:

- إن اول جريدة تونسية صدرت بعد غزو فرنسا لتونس كانت ناطقة بالعربية، وهي جريدة

«الحاضرة» لعلي بوشوشة الذي فضّل التعبير الصحفي باللغة العربية رغم إتقانه الجيد للغات الاخرى من بينها الفرنسية(٧).

ـ لقد كانت الصحافة العربية في تونس سواء منها الناطقة بالعربية او بالفرنسية تفرد في الكثير من الاحيان اهم الاعمدة في صَدْر صفحاتها للحديث عن القضايا العربية، وذلك بالرغم من الحصار الاعلامي المضروب على كل ما يتعلق بأخبار الوطن العربي، وعلى سبيل المثال، فقد وقع تتبُّع الصحفي الشاذلي خيرالله عدليًّا لأنه كتب مقالاً يوم ٢١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٢٥ في جريدة «الليبرالي» الناطقة بالفرنسية ابرَز فيه نضال الشعب السوري ضد فرنسا.

ـ لقد كانت هناك جرائد تحمل اسماء ذات مضامين قومية صريحة، فالصحفي زين العابدين السنوسي اطلق على مطبعته التي اسسها غداة الحرب العالمية الاولى اسم «مطبعة العرب»، كما انه اختار للنشرات الشهرية التي كان يصدرها الاسماء التالية: «العرب» «مقالات العرب» «لطائف العرب».

ـ لقد تأسست منتديات ادبية وجمعيات علمية، وكان من اهم الاهداف التي رسمتها لنفسها هي المحافظة على العروة الوثقى التي تربط تونس ببقية ارجاء الوطن العربي، فجمعية «الخلدونية» مثلاً، التي تأسست سنة ١٨٩٦، بذلت جهوداً كبيرة للتعريف بأمجاد الحضارة العربية، وقامت كذلك بنشر العلوم الطبيعية باللغة العربية لسد الثغرة الموجودة في الجامعة الزيتونية التي رفضت فرنسا تحديث برامجها(٨).

ـ لقد ناضلت حركة «تونس الفتاة» في مطلع هذا القرن لأجل إعطاء اللغة العربية مكانة اهم في التعليم الى جانب اللغة الفرنسية.

إن الشعب التونسي لم يتردد حين غزت ايطاليا ليبيا عام ١٩١١ في مساندة الشعب الليبي بالمؤن والسلاح والمتطوعين.

لقد أصدر الوطني المهاجر محمد باش جانبه على امتداد سنتي ١٩١٦ ـ ١٩١٨ مجلة ناطقة بالفرنسية اختار لها من الاسماء اسم «مجلة المغرب» وهو اسم غير اقليمي، كما انه أرسل الى لجنة الهدنة في باريس سنة ١٩١٧ مذكّرة لا تطالب باستقلال تونس فحسب بل باستقلال «الشعب التونسي ـ الجزائري» على حد تعبيره.

ـ لقد أبدى الشعب التونسي سنة ١٩٢٥ تعاطفاً فياضاً مع الثورة المسلحة التي شنّها عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف في المغرب الاقصى، وذلك بجمع التبرعات المالية والقيام بحملة لإجبار فرنسا على عدم إرسال الجنود التونسيين الى المغرب(٩).

ـ لقد تأسست سنة ١٩٢٦ في باريس منظمة سياسية تحت اسم «نجمة شمال افريقيا»، وكان رئيسها التونسي الشاذلي خيرالله وكاتبها العام الجزائري مصَّالي الحاج، وكما يتضح من اسمها، فإن لها آفاقاً قومية.

ـ لقد تأسست سنة ١٩٢٨ في باريس « جمعية طلبة شمال افريقيا للمسلمين» وكان المبدأ الذي

---

(٧) Sadok Zmerli, *Les Successeurs*, introd. Charles Saumagne (Tunis:.Maison tunisienne de l'édition, 1967), p. 35.

(٨) محمد الفاضل بن عاشور، **الحركة الادبية والفكرية في تونس**، محاضرات القاها على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية، ١٩٥٥ (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٦).

(٩) M.H. Cherif,«La guerre du Rif et la Tunisie,»papier présenté à: Colloque international d'études historiques et sociologiques, Paris, 18-20 Janvier 1973, *Abd el-Krim et la République du Rif: Actes* (Paris: Maspéro, 1976).

قامت عليه هو تمتين الرابطة القومية بين طلبة شمال افريقيا.

ـ في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٧ نفّذ الحزب الحر الدستوري الجديد إضراباً عاماً تضامناً مع الزعيم المغربي علال الفاسي والجزائري مصّالي الحاج اللذين اعتقلتهما فرنسا.

في سنة ١٩٣٨، حاول بعض البرجوازيين الوطنيين التونسيين تأسيس بنك تونسي، وكان المثال الذي ارادوا النسج على منواله حسب تصريحاتهم هو مثال بنك مصر لطلعت حرب(١٠).

ـ في سنة ١٩٤٥، أصدر المناضلان يوسف الرويسي والحبيب تامر المنتميان للحزب الدستوري الجديد جريدة في المانيا لفائدة العمال المغاربة، واختارا لها من الاسماء اسم «المغرب العربي».

ـ إن مؤتمر «ليلة القدر» الذي التأم في تونس في آب/ اغسطس ١٩٤٦ وشارك فيه ممثلون عن كل التنظيمات والتيارات السياسية لم يكتف بالمطالبة باستقلال البلاد، بل اوصى كذلك بانضمام تونس الى جامعة الدول العربية غداة حصولها على الاستقلال(١١).

ـ انعقد في شباط/ فبراير ١٩٤٧ في القاهرة «مؤتمر المغرب العربي»، وقد ضمّ ممثلين عن الحركات التحريرية في المغرب العربي، واتفق هذا المؤتمر على توحيد النضال ضد الامبريالية.

ـ لقد انتظمت في تونس بمناسبة الذكرى الثانية لميلاد «جامعة الدول العربية» احتفالات شعبية ضخمة اطلق عليها اسم «عيد العرب».

ـ في اواخر الاربعينات وبداية الخمسينات، طالبت كل المنظمات الجماهيرية سواء منها النقابية او الثقافية بتعريب التعليم والادارة، وهذه المنظمات هي: الاتحاد العام التونسي للشغل، الاتحاد العام للفلاحة التونسية، الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة، لجنة صوت الطالب الزيتوني وهيئة الدفاع عن التعليم القومي التونسي.

حين اندلعت الثورة الجزائرية المسلحة بداية من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤، هبّ التونسيون لنُصرتها بالمال والسلاح والمتطوعين.

ـ صالح بن يوسف: الامين العام للحزب الدستوري الجديد الذي رفض سنة ١٩٥٥ موقف حزبه المتمثل في قبول حل الاستقلال المنقوص، قام ببعث جيش سمّاه «جيش تحرير تونس» واوكل له مهمة التنسيق مع جيوش المغرب العربي الاخرى، وذلك بهدف توحيد النضال المسلح وتخليص كل المغرب العربي من الاستعمار(١٢).

ـ هناك جزائريون لعبوا دوراً كبيراً في الحركة الوطنية التونسية مثل إحمد توفيق المدني وحسن الثلاثي وحسن نوري، ولم يعتبرهم التونسيون قط غرباء عنهم.

ـ هناك جاليات تونسية في كثير من الاقطار العربية، ومن اهمها الجالية المستقرة في مصر، وهذه الجاليات لم تقطع ارتباطاتها العائلية بتونس، وهي تمثل همزة وصل مهمة بين تونس وبقية ارجاء الوطن العربي.

---

(١٠) الهادي التيمومي، **نقابات الاعراف التونسيين، ١٩٣٢ ـ ١٩٥٥** (صفاقس (تونس): دار محمد علي الحامي، ١٩٨٣).

(١١) محمد الحبيب شلبي، «خلفيات مؤتمر الاستقلال ٢٦ رمضان ١٣٦٥/ ٢٣ أوت ١٩٤٦،» **المجلة التاريخية المغربية**، السنة ٨، العددان ٢٣ و٢٤ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨١).

(١٢) الطاهر عبدالله، **الحركة الوطنية التونسية: رؤية شعبية قومية جديدة، ١٨٣٠ ـ ١٩٥٦**، ط ٢ ([د. م.: د. ن.]، ١٩٧٨).

إن كل هذه الامثلة تكشف بجلاء عن عمق الروابط القومية بين تونس وبقية ارجاء الوطن العربي الا ان المثال الاكثر دلالة هو تفاعل التونسيين مع القضية الفلسطينية، وهنا ينبغي ان نُلاحظ ان القضية الفلسطينية ساهمت بدورها في تنمية هذا الوعي القومي العربي للشعب التونسي، وهذا ما سنستعرضه الآن.

- ٣ -

لقد كانت الخريطة الجغرافية للحركة الصهيونية العالمية قبل ١٩٤٨ تضم كل البلدان التي تعيش بين ظهرانيها جاليات يهودية. ولم تشذّ تونس عن هذه القاعدة، إذ أنها شهدت على امتداد الفترة من ١٨٩٧ الى اوائل الخمسينات من هذا القرن نشاطاً صهيونياً عارماً ومتنوعاً. لقد زاد تعداد اليهود في تونس من ٥٠٠٠٠ نسمة تقريباً في اواخر القرن الماضي الى اكثر بقليل من ١٠٠٠٠٠ نسمة في بداية الخمسينات، بينما تطور تعداد المسلمين في الفترة نفسها من اكثر من مليون الى ثلاثة ملايين نسمة. وينقسم اليهود في تونس الى طائفتين بحسب المنبت القطري لكل منهم: طائفة «الغرانة» وطائفة «التوانسة». فاليهودي «الغُرني» هو الذي يعود اصله الى مدينة «الغرنة» الايطالية، واليهودي «التونسي» هو الذي ينتسب الى سُلالة سكنت البلاد منذ عهود مُوغلة في القدم او جاءتها حديثاً من بلد اسلامي آخر غير تونس. ويحمل «التوانسة» الجنسية التونسية، بينما تحمل الاغلبية الساحقة من «الغرانة» الجنسية الايطالية. وتحتل اغلب العناصر «الغُرنية» ـ من تجار بالجملة وصاغة وصيارفة واطباء ووسطاء تجاريين وصناعيين ـ المواقع الطبقية العليا لليهود. اما «التوانسة» فإن اغلبيتهم يشكلون شرائح فقيرة تتعاطى تجارة المفرق[١٢]. إن اول تنظيم صهيوني تأسس في البلاد التونسية هو «الاغودات صهيون» سنة ١٩١١، وقد تكاثرت التنظيمات الصهيونية خاصة بعد صدور «وعد بلفور» (١٩١٧). وبداية من ١٩٢٧، اعتلى «التنقيحيون» سدّة قيادة الحركة الصهيونية في تونس، وهؤلاء الصهاينة «اليمينيون» سيحافظون على هذا الموقع القيادي حتى قيام دولة «اسرائيل» وهجرة اغلبية يهود تونس اليها.

لقد نشأت الحركة الصهيونية في تونس وترعرت في احضان البرجوازيين اليهود ـ الصغار منهم والمتوسطين ـ ثم تسللت بعد ذلك بقليل لتُطبق على بعض الاوساط البروليتارية اليهودية، الا انها ظلت لمدة طويلة تتملق مساندة البرجوازيين الكبار، لكنها لم تفلح في استجلاب البعض منهم الا في مرحلة متأخرة جداً وبعناء كبير.

لقد بذل القياديون الصهاينة مثل الفرد فالنزي مؤسس اول تنظيم صهيوني في تونس او فيليكس علوش او ريني كوهين نشاطاً دعائياً كبيراً، وليس ادل على ذلك من العدد المرتفع للجرائد التي اصدرها في الفترة بين ١٨٩٧ واوائل الخمسينات، وهو عدد يفوق الثلاثين، واغلبية هذه الجرائد ناطقة بالفرنسية.

لقد تقلّصت «جماهيرية» الحركة الصهيونية في تونس في اواخر الثلاثينات، ويرجع ذلك الى سببين اساسيين: الانتفاضة العربية الكبرى في فلسطين وارتقاء «الجبهة الشعبية» الى السلطة السياسية في فرنسا. وقد انقسم من جرّاء وصول اليساريين الفرنسيين الى الحكم عدد كبير من الصهاينة الى فريقين: فريق ضرب بقناعاته الصهيونية عرض الحائط وانتهج سبيل الاشتراكية، وفريق انكفأ عن صهيونيته «اليمينية» واختار «اهون الشرين»، اي «الصهيونية الاشتراكية» ناسجاً بذلك على منوال اليهودي والمتصهين ليون بلوم زعيم «الجبهة الشعبية» الفرنسية، والعضو في الوكالة اليهودية العالمية.

---

(١٣) الهادي التيمومي، **النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧ و١٩٤٨**، تقديم محمود درويش (تونس: [د. ن.]، ١٩٨٢).

لقد ظلّت الحركة الصهيونية في تونس راكدة نسبياً حتى الاربعينات ويعود ذلك الى الاسباب التالية:

ـ عدم وجود «مشكلة يهودية» في تونس، لكن الاقرار بهذه الحقيقة لا يعني ان اليهود لم ينلهم اي اضطهاد، وهذا الاضطهاد لم يكن ليقع او ليبلغ الحدة التي بلغها احياناً لولا تشجيع السلطات الفرنسية عليه انطلاقاً من سياستها القائمة على توظيف التناقض القائم بين المسلمين واليهود لخدمة مصالحها.

ـ عدم ايلاء المنظمة الصهيونية العالمية اهمية ليهود تونس وصهاينتها.

ـ سرعة نمو التيار الدّاعي لانصهار اليهود في صلب الحضارة التونسية.

ـ احتواء التناقضات الداخلية للصهاينة في تونس.

اما في الاربعينات، فقد حققت الحركة الصهيونية قفزة كمية كبيرة، ويعود ذلك اساساً الى عاملين اثنين، هما الاحتلال النازي لتونس في الفترة بين تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٢ وايار/ مايو ١٩٤٣ وما نجم عنه من اضطهاد لليهود فاق في حدّته كل انواع الاضطهاد التي عرفوها في السابق، ثم قيام ما يسمى بدولة اسرائيل عام ١٩٤٧.

بعد هذه اللمحة السريعة عن نشاط الصهاينة في تونس، نسعى الى استعراض مواقف مختلف التنظيمات السياسية في تونس من الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية، وهذه التنظيمات هي: الحزب الشيوعي التونسي، الجامعة الاشتراكية، الحزب الحر الدستوري (القديم)، جمعية الشبان المسلمين والحزب الحر الدستوري (الجديد).

ـ ٤ ـ

نبدأ اولاً بالحزب الشيوعي التونسي[١٤]. لقد ولدت الحركة الشيوعية في تونس في صفوف الفرنسيين والايطاليين واليهود التونسيين. وقد تأسس اول تنظيم شيوعي في تونس في اواخر ١٩٢١ بصفته جناحاً تابعاً للفرع الفرنسي للاممية الشيوعية. وقد تميزت فترة ١٩٢٥ ـ ١٩٣٦ وبخاصة الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة بدخول عدد كبير نسبياً من التونسيين «المسلمين» في الحركة الشيوعية. لقد كان للشيوعيين الى اواخر العشرينات تقويم فيه كثير من الصحة للواقع السياسي في البلاد التونسية، فبالرغم من اقرارهم بأنهم لا يزالون في مرحلة بناء الحزب البروليتاري الذي سيكون قادراً في يوم ما على قيادة الحركة الديمقراطية الوطنية في تونس، فإنهم لم يترددوا في مساندة الحزب الحر الدستوري (القديم) الذي كان آنئذٍ على رأس الحركة الوطنية. وغني عن البيان ان الحزب الدستوري لم يكن حزب الطبقات الكادحة. كذلك وضع الشيوعيون على رأس مطالبهم السياسية مطلب الاستقلال السياسي للبلاد. لكنهم في اواخر العشرينات، غيروا موقفهم من الحزب الدستوري (القديم) واصبحوا يُجاهرون بعدائهم له، وهذا الانقلاب في الموقف يُعزَى الى الاممية الثالثة التي طرحت آنذاك شعار «طبقة ضد

---

(١٤) حول الحركة الشيوعية في تونس، انظر:

M. Kraïem, «Aux origines du parti communiste tunisien, 1919-1929,» *Revue d'Histoire maghrébine,* vol. 2 (1974), pp. 116-137; M. Kraïem, «Le Parti communiste tunisien dans les années 30,» *Revue d'Histoire maghrébine,* (Avril 1981); M. Chaker, «Histoire du parti communiste tunisien,» (Mémoire de sciences politiques, Université de Paris, Faculté de droit, [n.d.]), (ronéotypé); Claude Liauzu, *Militants, grévistes et syndicats: Etudes du mouvement ouvrier maghrébin* (Nice: C.M.M.C., 1979), et

الحزب الشيوعي التونسي: موجز تاريخه، اهدافه وتنظيمه (تونس: منشورات الحزب الشيوعي التونسي، ١٩٨٢).

طبقة». لكن بالرغم من هذا الموقف الخاطىء من الحزب الدستوري (القديم)، فقد واصل الشيوعيون تمسكهم بشعار الاستقلال السياسي للبلاد. الا انهم سرعان ما تخلوا كذلك عن هذا الشعار الصحيح عقب صعود هتلر الى السلطة السياسية في المانيا وتوضيح نيّاته العدوانية، حيث انهم اصبحوا يعتبرون ان العدو الرئيسي للشعب التونسي ليس الامبريالية الفرنسية «الليبرالية» بل الفاشية العالمية. واذا كانت صحة هذا الشعار العام مسألة لا يجادل فيها احد، فإن الشيوعيين لم يعرفوا كيف يطلقون هذا الشعار العام على واقع تونس آنذاك، فقد اعتبروا، خطأً، الحزب الدستوري الجديد الذي كان على رأس الحركة الوطنية عميلاً للفاشية لأنه لم يجمد نضاله السياسي ضد فرنسا كما يريد ذلك الحزب الشيوعي.

لقد اصبح للشيوعيين في تونس غداة الحرب العالمية الثانية ثقلاً لا يستهان به في الحياة السياسية في البلاد، وذلك خاصة عن طريق المنظمات النقابية التي كانت تدور في فلكهم مثل «الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي» و«جامعة الصنايعية وصغار التجار في القطر التونسي»... ان هذه القفزة الكمية التي عرفتها الحركة الشيوعية في البلاد، ناتجة عن المكانة الكبيرة التي اصبح الحزب الشيوعي الفرنسي يتمتع بها في الحياة السياسية لفرنسا ومستعمراتها بعد استبساله في مقاومة النازية اثناء الحرب. لقد كان الشيوعيون في تونس آنئذٍ يعملون في العلانية، بينما كانت الاحزاب الاخرى القادرة على منافستهم مُحَجَّرة من طرف السلطات الفرنسية بدعوى تواطئها مع النازية في الفترة التي استولى فيها الالمان على تونس بين تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٢ وايار/ مايو ١٩٤٣. لقد اصبحت الحركة الشيوعية بداية من آب/ اوغسطس ١٩٤٦ تسمّى «الحزب الشيوعي التونسي» بدلاً من الاسم السابق، وهو «الحزب الشيوعي بالقطر التونسي». وهذا التغيير في الاسم راجع الى شيئين اثنين: اولاً: رغبة الشيوعيين في تونس في الاستقلال عن الحزب الشيوعي الفرنسي وثانياً: «عودة الوعي» اليهم وتبنّيهم من جديد لشعار الاستقلال السياسي للبلاد. لقد ظلت قيادة الحركة الشيوعية في تونس في ايدي مثقفين ينحدرون من الشرائح البرجوازية الصغيرة للمدن الكبرى. اما قاعدتها فتتشكل خاصة من صغار الموظفين ومن بعض الفئات العمالية كتلك التي كانت تشتغل في مناجم الفوسفات في الجنوب التونسي.

كيف كان الشيوعيون في تونس ينظرون الى القضية الفلسطينية؟(١٥)

من بين كل الحركات السياسية في تونس في العشرينات، يُعتبر الشيوعيون الوحيدين الذين تصدّوا للصهيونية من مواقع نظرية تحاول ان تكون مُعمَّقة. ففي السنوات ١٩٢٢ و١٩٢٣ و١٩٢٥ أفردوا على صفحات جريدتهم «المستقبل الاجتماعي» الناطقة بالفرنسية عدة مقالات حول الصهيونية. إن تحليلاتهم، رغم طرحها لشعارات صحيحة (عروبة فلسطين، اعتبار الصهيونية اداة في ايدي الامبريالية الانكليزية، انتفاء الطابع القومي عن الحركة الصهيونية)، فهي تنطوي على الثغرات التالية:

- تفريغ صهيونية تيودور هرتزل من اي مضمون سياسي وتحميلها مضامين انسانية وخيرية فقط.

- اختزال التفاوتات الطبقية لليهود المتواجدين في اوروبا الى برجوازية كبرى وبروليتاريا، مما نتج عنه عدم التعرُّض ولو بلغة التمتمة الى الدور الكبير الذي لعبته البرجوازية الصغيرة والمتوسطة في الحركة الصهيونية العالمية.

- النظر الى الحركة الصهيونية العالمية المرتبطة بالدول الامبريالية بصفتها مجرد مستغل لقوة عمل العرب، في حين انّ لها اهدافاً اقوى كانت تسعى لتحقيقها، فهي بصفتها ممثلاً لمصالح البرجوازيين اليهود الكبار كانت تريد تشديد قبضة استغلالها على يهود العالم في مرحلة الامبريالية التي يبلغ فيها

---

(١٥) حول المصادر والمراجع المتعلقة بمواقف الشيوعيين من الصهيونية والقضية الفلسطينية، انظر: التيمومي، **النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧ و ١٩٤٨**.

الصراع بين الدول والشركات الاحتكارية اقصى درجات الضراوة، كما انها كانت تناور للسيطرة على منطقة استراتيجية مهمة جداً، وكانت تعمل ايضاً على استغلال الطاقات المادية للشرق الاوسط وخاصة الباطنية منها كالنفط، وتهدف كذلك لخنق حركة الوحدة العربية.

ـ السقوط في النظرة «الاقتصادوية»اللاماركسية، إذ ليس من الصواب القول بأن «اللاسامية» ستزول بصفة آلية حين تزول قاعدتها المادية المتمثلة في النظام الاقطاعي، فأشرس موجات اللاسامية قد عرفتها البشرية في مرحلة التراكم البدائي لرأس المال نتيجة الصراع الضاري بين البرجوازيات الاوروبية الصاعدة والتجار اليهود، وفي مرحلة الامبريالية حيث عانى اليهود كثيراً من الهمجية النازية.

لقد بقيت مواقف الشيوعيين في تونس من الصهيونية هي نفسها جوهرياً حتى اواسط الاربعينات، لكن في سنة ١٩٤٧ سقط الحزب الشيوعي في خطإٍ مُميتٍ حين بارك مساندة الاتحاد السوفياتي المذهلة لقرار تقسيم فلسطين من طرف منظمة «الامم المتحدة». لقد اعتبر الحزب الشيوعي التونسي قرار التقسيم ضربة قاصمة للامبريالية البريطانية وحلفائها العرب المنضوين تحت لواء منظمة «الجامعة العربية»، ويقول في تبريره لهذا الموقف: «... ان الامبريالية الانكلو ـ سكسونية لم تنجح في السيطرة على فلسطين وفي إجهاض انعتاقها التام الا بالتفرقة بين العرب واليهود في فلسطين»[١٦]. ان الحزب بعد ان كان ينفي نفياً قاطعاً وجود «امة يهودية» تماشياً مع موقف ماركس ولينين في هذه المسألة، اصبح يرى في المجموعات التراكمية من المستوطنين الصهاينة الذين يحملون صفات بلدانهم الاصلية ومميزاتها «قومية يهودية في طريق النشوء والتطور»[١٧]. ويرى الحزب الشيوعي التونسي «... انه ليس من مصلحة يهود تونس ـ رغم انسياقهم احياناً وراء تضليل الحركة الصهيونية الرجعية ان يفْصِلُوا قضيتهم عن قضية مجموع الشعب التونسي، كما إنه عليهم ان يحتربوا من احابيل بعض الصهاينة الذين لا يخدمون الا مصلحة الاستعمار في بلادنا»[١٨]. وننتقل الآن الى استعراض مواقف «الجامعة الاشتراكية» من القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية[١٩].

ـ ٥ ـ

لقد تأسست «الجامعة الاشتراكية» في تونس سنة ١٩٠٨، واصبحت بداية من سنة ١٩١١ عضواً في «الفرع الفرنسي للاممية العمالية»، لكن بعد تكوين الحزب الشيوعي الفرنسي سنة ١٩٢٠ انفصل الشيوعيون في تونس عنها، بحيث لم تعد تضم بداية من سنة ١٩٢١ الا الاشتراكيين الديمقراطيين. لقد كان جل اعضائها تقريباً من الفرنسيين واليهود التونسيين المتجنسين بالجنسية الفرنسية، بينما لا يتجاوز عدد التونسيين «المسلمين» داخلها بعض الافراد. لقد كان لهذه الجامعة الاشتراكية بعض النفوذ في اوساط الموظفين الفرنسيين في تونس. وكانت مواقفها «امبريالية ـ اشتراكية»، فهي ليست ضدّ اي استعمار مهما كان، لكنها ضدّ مظاهر السلبية للاستعمار مثل العنف وعدم نشر التعليم... وقد ظلت هذه الجامعة تطالب الاستعمار الفرنسي بتمدين التونسيين ظنّاً منها أنه قادر على ذلك. وترفض هذه الجامعة وجود كيان اسمه الشعب التونسي، إذ هي تعتبر ان السكان التونسيين لا يمثلون سوى شتات من افراد. وقد وقفت هذه الجامعة ضد الحركة الوطنية التونسية بدعوى انها ضد

---

(١٦) *L'Avenir de la Tunisie*, 13 / 12/ 1947.

(١٧) *L'Avenir de la Tunisie*, 14 / 8/ 1948.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) حول «الجامعة الاشتراكية» بتونس، انظر:

Elie Cohen-Hadria, *Du Protectorat français à l'indépendance tunisiennes souvenirs d'un témoin socialiste* (Nice: C.M.M.C., 1976); M. Kraïem, «La Fédération socialiste de Tunisie et le mouvement national entre les deux guerres,» *Revue d'Histoire maghrébine*, vol. 5 (1976), et Béchir Tlili, *Socialisme et jeunes tunisiens à la veille de la grande guerre, 1911-1913* (Tunis: Publications de l'Université de Tunis, 1974).

اي حركة وطنية مهما كانت، فليست الحركات الوطنية في نظرها سوى حجر عثرة امام مسيرة البشرية نحـو الاممية وهي اعلى مراحل تاريخ الانسانية. وقد كانت هذه الجامعة تطالب الوطنيين التونسيين بالتخلي عن شعار الاستقلال السياسي للبلاد، وتحاول عبثاً إقناعهم بأن ينصهروا في بوتقة الحضارة الفرنسية لأنها حضارة راقية لا يمكن الا ان تعود عليهم بالنفع الجليل.

لقد عارضت «الجامعة الاشتراكية» الصهيونية، لكن معارضتها كانت مائعة ومن مواقع نظرية خاطئة[٢٠]، فقد خلعت، بكل تسّرع، صفة «القومية» على الحركة الصهيونية واعتَبَرَتْها تبعاً لذلك رجعية ككل الحركات القومية الاخرى. إن الحل الامثل في نظرها هو ان ينصهر يهود تونس في بوتقة الحضارة الفـرنسية لأنها حضارة متطورة، لأنهم بفعلهم ذلك سيُعطون دفعاً كبيراً لحركة التاريخ السائرة نحو الاممية، وانطلاقاً من هذا الطرح الحضاري الخاطىء للقضية، ترى «الجامعة الاشتراكية» ان انتقال يهود اوروبا «المتحضرين» الى فلسطين سيعود بالنفع على عرب الشرق الاوسط «المتخلفين».

لقد كانت «الجامعة الاشتراكية» تعتبر ان هناك «مشكلة يهودية» قائمة بالذات في تونس. وفي الثلاثينات، اصبحت ترى ان هناك حلّين ممكنين للمشكلة اليهودية التونسية: الحل الامثل والحل المثالي، فالحل الامثل هو، على الاطلاق، انصهار اليهود في بوتقة الحضارة الفرنسية، اما الحال المثالي، فيمرّ بالضرورة عبر الصهيونية، لكن عبر اكثر اتجاهاتها «تقدمية» وهي الصهيونية «الاشتراكية». يقول احد هؤلاء الاشتراكيين الديمقراطيين في الجريدة الصهيونية Le Réveil Juif (اليقظة اليهودية) الصادرة في تونس في عددها ليوم ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٣٣: «... إنني اكنُّ كثيراً من التعاطف مع الصهاينة العماليين الذين يريدون بناء دولة بكدّ ايديهم وفي كنف الوئام لكني أُعادي بلا هوادة التنقيحيين وزعيمهم جابوتنسكي الذين يريدون غزو فلسـطين بالقـوة وبدون اي اعتبار للمبادىء السلمية». لقد اصبحت «الجامعة الاشتراكية» عقب صعود النازية الى السلطة في المانيا متعاطفة اكثر من ذي قبل مع اليهود والصهاينة، واخذت تطالب بإعطاء الدعاة الصهاينة الذين كانوا يتوافدون على تونس حق عقد الاجتماعات العامة، وحين يتصدّى الوطنيون التـونسيـون لهـؤلاء الصهـاينة، يشنُّ الاشتراكيون الديمقراطيون عليهم حملة شعواء بدعوى عدم احتـرامهم لحـريـة التعبير. وقد أيدت «الجامعة الاشتراكية» الغزو الصهيوني لفلسطين عام ١٩٤٨ واعتبرت ان «دولة اسرائيل» تستمد شرعيتها من المذابح التي تعرّض لها اليهود على ايدي النازيين في اوروبا.

ما هي الآن مواقف التنـظيمات السياسية التي يشكل التونسيون «المسلمون» اغلبيتها الساحقة من القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية؟

- ٦ -

نبـدأ اولاً بالحزب الحر الدستوري (القديم). لقد تأسس هذا الحزب سنة ١٩٢٠، وهو يمثل اساساً مصالح الاقطاعيين الليبراليين والبرجوازيين المتوسطين[٢١].

---

(٢٠) حول المصادر والمراجع المتعلقة بمواقف «الجامعة الاشتراكية» من الصهيونية والقضية الفلسطينية، انظر: التيمومي، **النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧ ـ ١٩٤٨**.

(٢١) حول تاريخ هذا الحزب، انظر:

Ali Mahjoubi, *Les Origines du mouvement national en* Tunisie, *1904-1934* (Tunis: Publications de l'Université de Tunis, 1982), et

احمد توفيق المدني، **حياة كفاح: مذكرات، ١٩٠٥ ـ ١٩٥٤**، ٢ ج (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧).

في بداية العشرينات، لم تحتل الحركة الصهيونية إلّا مكانة ثانوية جداً في سلم اهتماماته، وذلك لأن هذه الحركة لم تملك بعد في تونس من المواقع «الجماهيرية» ما يجعلها طرفاً سياسياً لا يمكن تجاهله، كما ان الاحداث في فلسطين لم تتخذ بعد اشكالاً بارزة. الا ان ما تجدر الاشارة اليه هو ان العناصر القيادية لهذا الحزب كانت على علم بمجريات الامور على الساحة الصهيونية العالمية والمحلية، لكنها كانت تنظر للصهيونية بمنظار ديني، فتخلط لذلك بين الصهيونية واليهودية وكأنّ الصراع هو صراع بين اليهود والمسلمين.

في اواخر العشرينات، بدأ هذا الحزب يتحرك لنصرة الفلسطينيين وللوقوف ضدّ الصهيونية[٢٢]. فقد احتج لدى «عصبة الامم» على المساندة السافرة التي قدّمتها سلطات الانتداب البريطاني للصهاينة في فلسطين إبان انتفاضة البُراق في آب/ اغسطس ١٩٢٩. كما انه احيا يوم ١٧ حزيران/ يونيو ١٩٣١ الذكرى الاولى لاعدام الانكليز للفلسطينيين الثلاثة: عطاء الزير، محمد جمجوم وفؤاد حجازي الذين حُوكموا إثر انتفاضة البراق. وقد اضطلع عبد العزيز الثعالبي مؤسس هذا الحزب ورئيسه بدور كبير في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في بيت المقدس في شهر كانون الاول/ ديسمبر ١٩٣١. وقد شنّ الشاذلي خير الله صاحب جريدة «صوت التونسي» (الناطقة بالفرنسية) الذي كان آنئذٍ احد اعضاء هذا الحزب حملة صحفية عنيفة بعد ان شاع الخبر المزلزل الذي مفاده ان فلاديمير جابوتنسكي مؤسس الحركة الصهيونية التنقيحية العالمية سيزور تونس. وقد عاضدته الجرائد الاخرى المتعاطفة مع الحزب مثل «الوزير» و«الزهرة» و«لسان الشعب». وقد عبّأ الحزب مناضليه للتصدي لهذه الزيارة، ممّا الجأ السلطات الفرنسية الى الاعلان عن الغائها. الا ان الحزب ظنّ انها خدعة، فأصدر الامر لمئات من مناضليه بالمرابطة في ميناء «ملق الوادي» يوم ١٧ آذار/ مارس ١٩٣٢ والتأكد من ان الباخرة «فريفي» التي ستحلُّ مساء ذلك اليوم لا تحمل على متنها جابوتنسكي. وقد استجاب مناضلوه لهذا النداء. ولما تيقنوا ان قرار إلغاء الزيارة لم يكن خدعة قاموا ليلاً بمظاهرة سلمية في شوارع العاصمة. إن هذه المظاهرة تعتبر حدثاً بارزاً لأنها تمثل اول تحرك جماهيري، بكل معنى الكلمة، في تونس ضد الصهيونية. وقد قام الشاذلي خير الله في بداية حزيران/ يونيو من السنة نفسها بحملة دعائية ثانية لاجبار السلطات الفرنسية على إلغاء المحاضرة التي كان من المقرر ان يلقيها في تونس يوم ١١ حزيران/ يونيو ١٩٣٢ لويز هالبارن، وهو احد قادة الحركة الصهيونية في فرنسا. وقد احتشد جمع غفير من المتظاهرين امام القاعة التي خُصّصت للمحاضر الصهيوني، فلم تجد السلطات الفرنسية بدًّا من الانصياع لارادة المتظاهرين. وقد انهالت البرقيات على مدير جريدة «صوت التونسي» من شخصيات ومؤسسات سياسية فلسطينية مثل الحاج امين الحسيني واللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي في فلسطين والجمعية المحمدية في حيفا، وذلك للاشادة بموقفه الحازم ضد الصهيونية.

من مواقف الحزب الدستوري (القديم) ايضاً انه نادى في اواخر حزيران/ يونيو ١٩٣٢ بمقاطعة التجار اليهود، وذلك لردع هؤلاء التجار عن رسة الربا في فترة اتسمت باشتداد انعكاسات «ازمة ١٩٢٩» الاقتصادية العالمية على تونس وكذلك لإبعادهم عن الحركة الصهيونية. ان هناك مسألة لا بد من وضعها في الاعتبار لكي نفهم التجاوب الجماهيري الذي لقيته نداءات الحزب ضد الصهاينة وتتمثل في سخط السكان المسلمين على إصرار اليهود والصهاينة على المطالبة بالجنسية الفرنسية والتخلي عن الجنسية التونسية.

ان النقطة التي يجب التركيز عليها هي ان الحزب الدستوري (القديم) هو اول حركة سياسية

---

(٢٢) حول المصادر والمراجع المتعلقة بمواقف هذا الحزب من القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية، انظر: التيمومي، **النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧ و ١٩٤٨**.

في تونس استطاعت ان تشدّ انتباه فئات كثيرة من السكان المسلمين الى ما يقوم به صهاينة تونس وصهاينة الخارج من نشاط ضد العرب. لقد واكب الحزب تطورات الانتفاضة الفلسطينية الكبرى ضد الانكليز والصهاينة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) مواكبة دقيقة، اذ كانت له شبكة اتصالات متينة تربطه بالدوائر السياسية في فلسطين ومصر. وقد استطاع خلق مناخ جماهيري عريض مساند للفلسطينيين. وعلاوة على جريدته «الارادة»، فقد كانت الجرائد المتعاطفة معه او المؤيدة له مثل «الزهرة» و«لسان الشعب» و«النهضة» تُفرد في كثير من الاحيان اوسع الاعمدة في صفحاتها للحديث عما يجري في فلسطين. وقد نظّم هذا الحزب في اوساط السكان على امتداد البلاد حملة عرائض للتنديد بانكلترا والصهاينة وللاعراب عن المساندة للفلسطينيين. وكان يستغلّ منابر المساجد لإشعار السكان بالاوضاع المأساوية في فلسطين، كما انه لم ينفك يرسل البرقيات للاحتجاج على تواطؤ انكلترا مع الصهاينة الى كل من «عصبة الامم»، وقنصل بريطانيا في تونس، والسلطات الفرنسية. وقد انشأ في حزيران/ يونيو ١٩٣٦ «لجنة اغاثة فلسطين الشهيدة» لجمع التبرعات المالية لنصرة فلسطين. ولم يبق طلبة الجامعة الزيتونية ـ وأغلبهم يدور في فلك هذا الحزب ـ بمنأى عن الحركة الجماهيرية المساندة لفلسطين. وقد تراوحت مواقفهم التضامنية بين اعتماد اسلوب الاضراب عن الدروس (اضراب ١٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٣٦) مثلاً)، والتبرع بالمال، وبين اعتماد اسلوب الصوم. وأغلب هؤلاء الطلبة على عكس اساتذتهم، ينتمون الى الطبقات الشعبية والى المناطق التي لا تزال تحت هيمنة علاقات الانتاج والايديولوجيات ما قبل الرأسمالية. والجامعة الزيتونية هي جامعة يعود تاريخها الى اربعة عشر قرناً، وقد ظلت مركز اشعاع للعلوم الدينية واللغوية والادب على مر الاجيال. الا ان فرنسا رفضت تحديثها وادراج العلوم الطبيعية ضمن برامجها.

لقد نظّم الحزب مظاهرتين صاخبتين في اليومين الاولين من كانون الثاني/ يناير ١٩٣٨ وذلك لمنع ربان الباخرة «سارا ا » (SARA I) من القيام بتظاهرات دعائية لفائدة الصهيونية وهذه الباخرة من ممتلكات المنظمة الصهيونية العالمية التنقيحية «بيتار» وتحمل على متنها عدداً من الطلبة اليهود الذين كانوا يزاولون تعلمهم في القسم اليهودي من المدرسة البحرية الايطالية في سيفيتافيكيا، وقد نشبت بين اليهود والسكان المسلمين في احياء العاصمة حوادث صدام كثيرة. فما كان من السلطات الفرنسية الا ان ألغت التظاهرات الدعائية التي كان سيقوم بها ربّان الباخرة.

لقد اصبحت القضية الفلسطينية في الفترة بين صدور قرار تقسيم فلسطين واواسط عام ١٩٤٨ حديث التونسيين وشغلهم الشاغل. الا ان الحدث القطري الذي شدّ اليه كل الانظار في هذه الفترة هو تطوع آلاف من الشبان التونسيين «المسلمين» للقتال في فلسطين ضد جحافل الغزو الصهيونية. ولم تكن التشكيلات السياسية التونسية تتصوّر ان عدد المتطوعين سيصل الى ذلك العدد المرتفع. وان هؤلاء المتطوعين ينتسبون الى الطبقات الشعبية وبخاصة الى طبقة الهامشيين، وهم كما تقول تقارير المباحث الفرنسية: «... من الشبان الذين اعمارهم بين العشرين والخمس والعشرين سنة، وبعضهم من العاطلين كلياً، وبعضم ممن يشتغلون بالخدمات اليومية»[٢٣]. ويوجد من بين هؤلاء المتطوعين عشرات من طلبة الجامعة الزيتونية. وقد مثّل هؤلاء المتطوعين من حيث الانتماء الجغرافي كل جهات البلاد واغلبهم لم يتلقوا اي تدريب عسكري. وقد وصل عدد هؤلاء المتطوعين يوم ٣٠ ايار/ مايو ١٩٤٨ حسب الاستعلامات الفرنسية ٢٦٧٦ شخصاً[٢٤]. وقد تحولت الطلائع الاولى لهؤلاء المتطوعين الى المشرق العربي قُبيل الاعلان عن ميلاد دولة «اسرائيل» في ايار/ مايو ١٩٤٨، الا أن اغلبهم لم يتحرك في اتجاه فلسطين الا بعد اندلاع المعارك بين الجيوش العربية والغزاة الصهاينة في ايار/ مايو ١٩٤٨. وقد حاولت السلطات الفرنسية عرقلتهم بشتى

---

(٢٣) الارشيف العام للحكومة التونسية، سلسلة A، صندوق 289، ملف 8، وثيقة 34 (القصبة ـ تونس العاصمة).

(٢٤) R. Casamayor, *L'Action nationaliste en Tunisie: Du Pacte fondamental de M'hammed Bey à la mort de Moncef Bey, 1857-1948* (Tunis, [n.d.]), p. 283.

الوسائل، لكنها لم تفلح الا نسبياً. وقد استطاع جنودها بالتعاون مع بعض الخونة المحليين نصب كمين قاتل في الجنوب التونسي «لفلافة زرمدين» الشهيرين الذين كانوا يرُومون التوجه الى فلسطين بعد ان اقضوا مضاجع الاستعماريين الفرنسيين سنوات طويلة بعملياتهم الغوارية (الفدائية). إن اغلب المتطوعين لم يصلوا الى الشرق العربي، بل اضطروا الى العودة على اعقابهم على اثر توقف المعارك في فلسطين بين الصهاينة والعرب. وقد عانوا كثيراً من الجوع والعطش والعيش في العراء والسير على الاقدام وكذلك من مضايقات السلطات الانكليزية والفرنسية في كل من ليبيا ومصر بخاصة.

إن البعد الجغرافي حال دون دفع التونسيين لضريبة الدم على نطاق واسع مع اخوانهم الفلسطينيين. وقد رجع المتطوعون الى تونس وهم مقتنعون بأن القضية الفلسطينية اعقد بكثير مما صوّره لهم القادة السياسيون في تونس. وهنا لا بد من ان نطرح قضية مدى موضوعية الحقائق التي كان يعرفها هؤلاء المتطوعين عن «اسرائيل». إن الثابت هو انه لم يكن هناك إدراك حقيقي وصحيح للخطر الصهيوني: حجمه، مداه، نوعية الدعم الامبريالي «لاسرائيل»... لقد كان وعي الاهالي في تونس وعياً سطحياً ومبسطاً للظاهرة الصهيونية، فالسياسيون الذين اطّروهم هوّنوا من الخطر الصهيوني وجعلوهم يثقون ثقة تامة في القدرة العسكرية العربية على التصدي «لاسرائيل».

- ٧ -

نتعرض الآن لمواقف «جمعية الشبان المسلمين» من القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية. إن هذه الجمعية هي تنظيم ديني وسياسي تأسس في صيف ١٩٣٤[٢٥]، وظل ينشط بدون تأشيرة رسمية الى ان حصل عليها يوم ١٩ ايلول/ سبتمبر ١٩٣٦، وتتشكل قيادته من «مثقفين تقليديين» مرتبطين بالطبقة الاقطاعية المحلية، اما قاعدته فتتكون من طلبة الجامعة الزيتونية. وهذه الجمعية فرع من جمعية الشبان المسلمين في مصر، التي كانت لها فروع في كثير من البلدان الاسلامية. وقد كان هناك صراع داخل الجمعية التونسية بين اتجاهين: اتجاه يريدها ان تلعب دوراً سياسياً الى جانب القوى الوطنية الاخرى ضدّ الاستعمار، واتجاه يريدها ان تلعب دوراً دينياً لا غير.

لقد كان لهذه الجمعية عمل نشيط في تحسيس التونسيين بالقضية الفلسطينية وبالخطر الصهيوني. وقد اشتهر رئيسها محمد الصادق بسيس الاستاذ في الجامعة الزيتونية بكتاباته الصحفية الملتهبة حول القضية الفلسطينية. لقد أسست هذه الجمعية بالاشتراك مع بعض اساتذة الجامعة الزيتونية مثل الشاذلي بن القاضي وخاصة الفاضل بن عاشور تنظيمين هما: «لجنة الدفاع عن فلسطين العربية» و«فرع المؤتمر الاسلامي بتونس لحماية القدس الشريف». ولم تَقْصُر هذه الجمعية حملاتها الدعائية على العاصمة فقط بل عمّمتها على المدن والقرى التي كانت فيها فروع للجامعة الزيتونية مثل القيروان ومساكن وصفاقس وتوزر ونفطة. وقد تنوع نشاطها، فكان إمّا خطباً في المساجد وإمّا مقالات صحفية او جمعاً للتبرعات المالية. وقد استطاعت ان تنفذ الى بعض الاوساط الشعبية عن طريق الطلبة الموالين لها، وليس ادلّ على ذلك من نجاح بعض الاضرابات التي دعت لها مثل اضرابي مساكن وطبربة للاحتجاج على التقرير الذي اصدرته اللجنة الانكلو ـ امريكية في نيسان/ ابريل ١٩٤٦ عقب التحقيقات الميدانية التي قامت بها في فلسطين[٢٦]. وقد أسست تنظيماً جديداً سمّته «اللجنة العليا للدفاع عن

---

(٢٥) حول تاريخ هذه الجمعية، انظر: الارشيف العام للحكومة التونسية، سلسلة E ، صندوق 509 ، ملف 148 ، ومحمد الصادق بشير، «كلمة مجملة في تاريخ جمعية الشبان المسلمين،» **تونس الفتاة**، العدد ١٢ (نيسان/ ابريل ١٩٣٩).

(٢٦) حول المصادر والمراجع المتعلقة بمواقف هذه الجمعية من القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية، انظر: التيمومي، **النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧ و ١٩٤٨**.

فلسطين العربية»، ولعبت جمعية الفاضل بن عاشور دوراً كبيراً في تأطير عمليات التطوع الى فلسطين سنة ١٩٤٨.

إن هذه الجمعية على غرار الحزب الدستوري (القديم) لا تفرّق بين اليهودية والصهيونية، وهي تبعاً لذلك تنظر الى القضية الفلسطينية وكأنّها صراع بين اليهود والمسلمين. ثم ان خط التباين بين العروبة والاسلام ليس واضحاً في كتابات قادتها وخطبهم، شأنهم في ذلك شأن قادة الحزب الدستوري (القديم)، فالقومية العربية والاسلام بالنسبة لهم وجهان لعملة واحدة. إن عدم التفريق بين العروبة والاسلام ظاهرة سائدة في صفوف الاغلبية من التونسيين، ويرجع ذلك للاسباب التالية:

ـ لقد كان التضامن العربي دائماً من ركائز التضامن الاسلامي، فتونس لم تكن فيها اقليات عربية غير مسلمة، والاقلية الوحيدة غير المسلمة هي الاقلية اليهودية، وهذه الاقلية لم تُشْهر انتماءها للعروبة ولم تؤيدها.

ـ ليس في تونس اقليات مسلمة غير عربية، فالبربر لا يمثلون الا اقل من ١ بالمائة من مجموع السكان، وهم مندمجون في المجتمع على كل الصعد ولا يمكن الحديث ابداً عن «مشكلة بربرية» في تونس.

ـ لقد عرفت تونس قمع الاتراك العثمانيين، لكنها لم تعرف قمعاً باسم «الطورانية» العنصرية، ولم يحكم تونس ولاة يعيّنهم «الباب العالي» مباشرة، بل توارث حكمها «بايات» اصبحوا بطول المدة يعتبرون بمنزلة «ابناء البلد» في اعين فئات عديدة من السكان.

ـ ٨ ـ

نأتي الآن الى استعراض مواقف آخر حزب من الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية وهو الحزب الحر الدستوري الجديد، لقد تأسس هذا الحزب سنة ١٩٣٤ إثر انشقاق داخل الحزب الدستوري (القديم). وقد استطاع ان يسيطر على قيادة الحركة الوطنية في تونس منذ الثلاثينات وحتى ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦، اي حتى حصول البلاد على استقلالها السياسي. ويمثل هذا الحزب طبقياً الشرائح البرجوازية الوطنية اي صغار البرجوازيين ومتوسطيهم.

إن هذا الحزب لم يكن ينطلق في تعامله مع ما يجري في فلسطين من القانون العام الذي يُقرر بأن مصير تونس ارتبط منذ القرن السابع للميلاد بمصير الامة العربية ككل؛ وانطلاقاً من ايمانه بأن ما تمتاز به تونس من خصوصية في الاطار العربي هو دليل على وجود «امة تونسية» قائمة الذات، فهو يعتبر القضية الفلسطينية وقضايا العروبة بصفة عامة قضايا غير رئيسية(٢٧). إن مساندة هذا الحزب للقضية الفلسطينية كانت من باب التضامن وليس من باب الانتماء الى امة عربية واحدة، وهو يعتبر ان القضية الفلسطينية هي قضية الشعب الفلسطيني اساساً وبصفة ثانوية هي قضية بقية العرب؛ وهو يرى ان عرب المشرق ـ اي عرب دول المواجهة مع «اسرائيل» ـ مطالبون اكثر من غيرهم من العرب بالوقوف الى جانب الفلسطينيين.

إن فكرة «الامة التونسية» التي يدافع عنها هذا الحزب مأخوذة عن فكرة القوميات في اوروبا ولا تنطبق على الواقع التونسي والعربي. وقد روّج لها بعض المثقفين الاستعماريين في تونس كما اسلفنا، كما ان العناصر القيادية صاحبة الحل والعقد داخل هذا الحزب قد تأثرت ابان دراستها في فرنسا بفكرة القوميات هناك. ان نفي وجود «امة تونسية» لا يعني ابداً انه ليس لتونس خصوصيات في الاطار العربي، فقد عرف هذا البلد حضارة راقية قبل ظهور الاسلام، وحدوده الجغرافية ظلت دائماً هي نفسها تقريباً

---

(٢٧) حول المصادر والمراجع المتعلقة بمواقف هذا الحزب من القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية، انظر: المصدر نفسه.

سواء أكانت هذه الحدود حدود دولة مستقلة او حدود ولاية تابعة لدولة اخرى. لكن منذ القرن السابع وخاصة منذ القرن الحادي عشر للميلاد الذي شهد تسّرب اعراب بني هلال الى تونس، اصبحت تونس معرَّبة كلياً، وتجاوز التعريب المدن ليشمل الارياف. وقد ساعد على ذلك عدم وجود حواجز جغرافية كبيرة، إذ ان تونس تعتبر بلداً منخفض التضاريس بالقياس الى الجزائر او المغرب مثلاً.

إن الحـزب الدستوري الجديد كان يُفرِّق بين اليهودية والصهيونية، وهو بذلك يُتميّز عن بقية الاحزاب والتنظيمات «المسلمة» الاخرى المتواجدة في تونس. اما عن تحركاته في اتجاه تدعيم النضال الفلسـطيني، فقـد نظم بعض منـاضليه وهم الحبيب بوقطفة وحسن الغربي وحسن نوري وقاسمي مصطفى اجتماعاً عاماً في بنزرت يوم ١٢ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٣٦ لجمع التبرعات المالية لفائدة الفلسطينيين، وذلك من دون الحصول على رخصة من السلطات الاستعمارية. وقد قررت هذه السلطات تتبعهم «عدلياً»، لكنها عدلت عن ذلك مخافة إثارة ردّة فعل جماهيرية عنيفة.

إن تقارير الاستعلامات الفرنسية تشير الى ان مواقف المساندة للفلسطينيين التي اتخذها هذا الحزب كانت من باب المزايدة السياسية التي تهدف الى سحب البساط من تحت ارجل قيادة الحزب الدستوري (القديم)، وهذا ما ورد في تقرير مؤرخ يوم ١٩/ ١٠/ ١٩٣٧: «... ان القادة الدستوريين الجدد الذين انضموا الى هذه الحركة السياسية الدينية (مساندة الفلسطينيين) مخافة ان تُوجّه لهم تهمة اللامبالاة تجاه قضايا الاسلام قد قرَّروا آنذاك ضمّ مشاعر استيائهم الى مشاعر استياء العالم العربي بواسطة برقيات وجَّهوها في آن واحد الى وزارة الخارجية الفرنسية ورئاسة الحكومة و «الكتابة» العامة لعصبة الامم»(٢٨).

لقد أرسل المؤتمر الثاني لهذا الحزب يوم ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٧ برقية تأييد الى مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني. وقد نفى الحبيب بورقيبة زعيم هذا الحزب اي علاقة لحزبه بالتحركات التي نظمها الحزب الدستوري(القديم)إبان زيارة الباخرة(سارا ـ I) إلى تونس. وقد ندّد بموقفه هذا قادة الحزب الدستوري (القديم)، فردّ بورقيبة بأسلوب سجالي عنيف على الحملة الموجهة ضده في جريدة حزبه (العمل التونسي) الناطقة بالفرنسية ليوم ٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٣٨. وقد اقتطفنا من هذا الرد الطويل المقطع التالي الذي تنبع اهميته من كونه يحتوي على المنطلقات الجوهرية التي تعكس موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية ومن القوميّة العربية: «... إن اليهودية دين، اما الصهيونية فهي مذهب سياسي. اما الاولى فقد حظيت دائماً باحترام المسلمين وتسامحهم، واما الثانية فهي تصدم تطلعات العرب في فلسطين وبطريقة غير مباشرة مشاعر التضامن التي يكنُّها لهم مُسلمو العالم. على ان ما اريد التنصيص عليه هو ان الاواصر التي تربطنا بعرب فلسطين ليست شبيهة بتلك التي تربط صهاينة تونس بصهاينة الخليل او تل ابيب. فإذا كانت الاولى اواصر تعاطف قائمة على وحدة اللغة والدين، فإن الثانية تنطلق من وحدة وطنية مزعومة. بيدَ انه ليس ثمة اي تونسي يعتبر فلسطين وطناً له، وهو في ذلك يقف نفس الموقف من العراق او سوريا او الضفة الشرقية لنهر الاردن او الحجاز، مهما كانت الذكريات التي تشده في تلك الربوع الى حُرُمٍ كالكعبة او قبر النبي».

إن الحزب الدستوري الجديد الذي كان اقل تشَدُّداً من بقية التنظيمات والتيارات السياسية «المسلمة» في مسألتي الدين والقومية، يُعتبر التنظيم السياسي «المسلم» الوحيد الذي ضمّ في صفوفه بعض اليهود. إن هذا الحزب لم يُركِّز مجهوداته الهادفة الى انتداب المؤيدين من اليهود الا على كبار البرجوازيين. غير ان المجهودات التي بذلها في هذا الاتجاه لم تكن مجزية، لأن الحصيلة كانت ضئيلة ولم تتجاوز عدداً محدوداً من الافراد. ولا ننسى ان اليهود فـي تونس بما فيهم الصهاينة كانوا مُوالين «قلباً وقالباً»لفرنسا، وبعضهم كان «ملكياً اكثر من الملك» وفاق في عدائه للحركة الوطنية التونسية غُلاة الاستعماريين الفرنسيين انفسهم.

---

(٢٨) الارشيف العام للحكومة التونسية، سلسلة A ، صندوق 286 ، ملف 6 ، وثيقة 51 .

إن عدم توجه الحزب الى الشرائح الشعبية اليهودية يعود الى الاسباب التالية:

- الطابع الطبقي البرجوازي للحزب يشكل موضوعياً حاجزاً بينه وبين هؤلاء اليهود «غير البرجوازيين».

- الوزن العددي الضعيف لهؤلاء اليهود بالقياس الى تعداد المسلمين الضخم يجعلهم بلا اهمية في نظره.

- المشاعر «اللاسامية» التي لا تزال متحكمة في اغلب قواعده «المسلمة» لا تُيَسِّرُ عليه الارتباط بهؤلاء اليهود.

- صعوبة تقبل افكار الحزب من قبل فئات كثيرة من هؤلاء اليهود كانت قد تشَّربت بايديولوجيات ظهرت قبل ظهور الحزب نفسه مثل الصهيونية والشيوعية والاشتراكية الديمقراطية.

- مُوالاة الحزب للاسلام رغم طابعها المعتدل لا يمكن الا ان تُنفِّر منه هؤلاء اليهود.

- ارتكاز الحزب على مقولة «الامة التونسية» لا تجعله يعي الحقيقة القائلة بأن الصهيونية ليست فقط خطراً موجهاً ضد الفلسطينيين بل ضد الامة العربية جمعاء بما فيها تونس.

- مشاعر الولاء المتفاوتة التي يكُنها اغلب هؤلاء اليهود لفرنسا واستعدادهم للتخلي عن الجنسية التونسية تجعل الحزب غير متحمس للعمل في صفوفهم.

- إن اغلب العناصر القيادية للحزب الدستوري الجديد - وبخاصة منها المثقفة ثقافة فرنسية - كانت في اواسط الاربعينات، لا تخفي تبرمها امام تعاظم اهتمام التونسيين بما يجري في فلسطين وانصرافهم عن النضال ضد فرنسا وحلفائها المحليين في تونس. وقد حاولت هذه العناصر - رغم مساندتها للفلسطينيين - حصر هذا الاهتمام ضمن حدود ضيقة.

لقد قدم الحبيب بورقيبة (رئيس هذا الحزب) الذي كان آنئذٍ مقيماً في القاهرة الى اللجنة الانكلو - امريكية تقريراً عن الاوضاع في فلسطين نيابة عن «مكتب المغرب العربي». والملفت للنظر في هذا التقرير انه لا يشير الى الدعم الامبريالي الامريكي للصهيونية العالمية. ان اغفال هذه الحقيقة كان من باب «التكتيك» الذي يهدف الى تعميق دعم الامريكيين للحركة الوطنية التونسية في ظرف شدّدت فيه فرنسا الخناق على الشعب التونسي. الا ان ما تجب ملاحظته هو ان الولايات المتحدة الامريكية كانت تسعى آنذاك - في اطار تناقضها مع فرنسا وانكلترا - الى تقويض سيطرة هاتين الدولتين في المستعمرات، وذلك عن طريق الارتباط بحركات التحرر الوطني التي تقودها البرجوازيات المحلية.

إن الحزب الدستوري الجديد لم ينشط فيما يتعلق بدعم القضية الفلسطينية الا بعد ان اتخذت منظمة الامم المتحدة يوم ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧ قرارها القاضي بتقسيم فلسطين بين الصهاينة والعرب، فشكل لجنة لجمع التبرعات المالية لفائدة فلسطين تحت ضغط السخط الشعبي الذي تفجر عقب صدور قرار التقسيم في شكل اضرابات عامة واجتماعات احتجاجية ولوائح استنكار.

لقد وقف هذا الحزب موقفاً متحفظاً إزاء تطوع التونسيين للقتال في فلسطين، وذلك لأنه كان يريد تسخير كل التونسيين للنضال ضد فرنسا. وقد نَدّد بمعية «حزب الاستقلال» المغربي و«الحركة من اجل انتصار الحريات الديمقراطية» الجزائرية بالدعم الفرنسي للدولة الصهيونية الناشئة، وذلك في رسالة الى وزير الخارجية الفرنسي آنذاك[٢٩]. ان هذا الحزب كان يتعامل مع القضية الفلسطينية من زاوية تجربته الخاصة. لقد عاش هذا الحزب تجربة الاستعمار التوطيني مثل كل المنظمات السياسية الفلسطينية،

(٢٩) انظر: *La Jeune Tunisie*, 6/ 6/ 1948.

الا ان هناك فرقاً بين تونس وفلسطين. فتونس لم تفقد هويتها مثل فلسطين، والاستعمار الفرنسي قد ابقى على جهاز دولة البايات في تونس بالرغم من انه افرغه من اي مضمون حقيقي. وقد ظل هذا الجهاز يمثل في نظر التونسيين رمزاً للسيادة الوطنية، كما ان تونس لم تكن في نظر القانون الدولي مقاطعة فرنسية بل مجرد «محمية» (Protectorat). كذلك لم يستعمل الحزب العنف المسلح الا في حدود ضيقة، وهو ملتزم بالشرعية الدولية حتى ولو كانت ظالمة، فليس من قبيل المصادفة اذن ان ينادي زعيم هذا الحزب الحبيب بورقيبة بعد ذلك بقبول قرار تقسيم فلسطين الصادر عن منظمة الامم المتحدة وبالتعايش بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

- ٩ -

ختاماً لكل ما ورد، يمكننا ان نطرح السؤال التالي: ما هي حدود مساهمة القضية الفلسطينية في تعميق الوعي القومي العربي في تونس؟ إن الاجابة عن هذا السؤال تتطلب تعداد الكوابح الذاتية والموضوعية التي تحد من التأثير الايجابي لهذه القضية على الوعي القومي العربي في تونس، وهذه الكوابح هي:

- تكريس الاستعمار الفرنسي للوعي القطري في تونس: لقد كانت «القطرية» كما اسلفنا واقعاً جغرافياً قائم الذات قبل انتصاب الاستعمار الفرنسي في تونس. الا ان الاستعمار قام بتأكيد هذا الواقع وتعميقه. فهو قد حوّل الاقتصاد التونسي الى اقتصاد تابع له هيكلياً، بحيث لم تعد تمثل علاقات تونس الاقتصادية ببقية البلدان العربية في ظل هذا الواقع الاقتصادي الجديد الا ظاهرة ظرفية وثانوية جداً. إن تبعية الاقتصاد التونسي لفرنسا لا يمكنها الا ان تنمّي الشعور الاقليمي لا في صفوف الفئات الاجتماعية التي لها مصلحة في استمرار هذه التبعية فقط، بل في صفوف الفئات الشعبية ايضاً.

- الانغماس المحدود للتونسيين في الصراع العربي - الاسرائيلي وهو ناتج عن سببين أساسيين: البعد الجغرافي من جهة والهيمنة الفرنسية المباشرة التي تمنع التونسيين من التفاعل على نطاق واسع مع الوطن العربي من جهة ثانية.

الإلمام السطحي بالقضية الفلسطينية لدى الاغلبية الساحقة من القادة السياسيين، وهذا يعود اساساً للحصار الاعلامي الذي ضربته فرنسا على تونس، ويعود كذلك بصفة ثانوية الى النزعة التبسيطية الناتجة عن «دوغمائية» بعض الاتجاهات السياسية.

- التفكير الاقليمي لأغلب قادة الحزب الدستوري الجديد. اننا لم نكن لنُعير اهتماماً كبيراً لهذا التفكير الاقليمي لو تعلق الامر بحزب آخر، إلا انّ الخطر هنا هو ان هذا الحزب استطاع ان يُمسك بقيادة الحركة الوطنية ثم بالسلطة السياسية غداة انحسار الاستعمار الفرنسي المباشر عن تونس.

- الخلافات الايديولوجية السائدة في صفوف التشكيلات السياسية، وهذا له انعكاس على كيفية تعاملها مع القضية الفلسطينية، وكان هذا التباين في المواقف يُعتبر مظهر خصوبة لو استطاعت هذه التنظيمات ان تُوحِّد صفوفها في اللحظات الحاسمة على قاعدة برنامج الحد الادنى. الا ان هذه التنظيمات ظلّت تتعامل مع القضية الفلسطينية والتّناحر قائم على أشدّه بينها، وكأنّ مُساندتها للقضية الفلسطينية ليست غاية في حدّ ذاتها بل وسيلة لاثبات وجودها السياسي على حساب خصومها السياسيين.

- لقد تعدَّدت أشكال تضامن الشعب التونسي مع الشعب الفلسطيني وعرفت أرقى الاشكال وهو التطوع القتالي. الا أن هذه الاشكال التضامنية رغم طابعها التقدمي تبقى غير فاعلة على المدى المتوسط والبعيد، وذلك لعدم وجود حزب سياسي جماهيري قادر على ربط مسألة التضامن مع الشعب الفلسطيني ببرنامج سياسي يقوم على هدفين اثنين: توحيد الامة العربية وتحقيق الاشتراكية العلمية فيها □

مظاهر الوعي القومي عند مثقفي بلاد شنقيط في القرنيـــن الـثامـن عشـر والتاسـع عشـر

احمد ولد الحسن

جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

تقوم هذه الدراسة على مغامرة تعي مخاطرها، اذ هي تحاول النظر في قضية جزئية تندرج في نطاق كلي قد يجهلها اكثر من سيسمعهـا او يقرؤون. بل لعل كاتبها نفسه لا يعلم عن هذا النطاق اكثر من جهله به. فمفهـوم بلاد شنقيط وتاريخها العام وحياتها الثقافية امور لم تستقر بعد في الحقل المعرفي العربي استقراراً يسمح بالتجاسر على البحث المتخصص كما يقترحه عنوان هذا البحث.

ولكننـا اصررنا على المغامرة حرصاً منّا على اثارة الفضول العلمي وسعياً الى اشراك اساتذتنا وزملائنا في ما نعانيه من اوجاع الاشتغال بجزء من التراث العربي المظلوم، ولعل اول من ظلمه اهله الادنون. ونحن نتجشم في سبيل هذا الهدف مشاق، لسنا نذكرها استجداء لشفقة المناقشين، ولا تصامّاً عن آراء المخالفين بل تصميماً على وضع الامور في نصابها وايضاح هذا العمل وغاياته.

وقد اردنا في هذه الدراسة ان نتبين مظاهر الوعي بالانتماء الى العرب والسعي الى توطيده من خلال نماذج من تراث المثقفين الذين عاشوا في بلاد شنقيط في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهو عمل يقتضي جملة من التحديدات المنهجية قبل الولوج منه الى الصميم. ولعل الاهم ينجز بالاجابة عن بضعة اسئلة في ايجاز:

ـ ماذا نعني ببلاد شنقيط؟

ـ ماذا نعني بالوعي القومي؟

ـ لماذا اخترنا مثقفي هذين القرنين؟

ـ ما هو المهاد التاريخي الذي عاشوا فيه ويمكن النظر على ضوئه في وعيهم؟

اننا نعني ببلاد شنقيط المنبسطة بين جنوب المغرب ونهر السنغال والتي شهدت، بداية من القرن الرابع عشر للميلاد، هجرة قبائل بني حسان العربية قادمة من جنوب المغرب، وبسط سيطرتها السيـاسية على قبائل صنهاجة الاصلية هناك من خلال عملية تاريخية معقدة انتهت بتأسيس اربع امارات حسانية بداية من النصف الثاني من القرن السابع عشر. وهي تمتاز بالتنافس المستمر بين قبائل «محاربة» جلها من اصل عربي وقبائل «عالمة» جلها من اصل بربري، تمتهن الاولى العنف والثانية الدين.

وليس لهذه البلاد كغيرها من رقع العالم الاسلامي القديم حد ثابت يفصل بينها وبين جيرانها. ولعل اقرب الحدود الى الموضوعية التاريخية ما حدها به أحد ابنائها وجمع فيه بين خصائصها الاجتماعية والسياسية، ونعني بذلك الشيخ محمد المامي (ت ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م)[١] حيث قال: «ونحن اهل بادية، في فترة من الأحكام، بين العمالتين الاسماعيلية والبوصيابية»[٢].

ويعني المامي بالفترة من الاحكام ـ كما اوضح ذلك في كتاب **البادية** ـ غياب السلطة المركزية، وخلو اشكال السلطة الموجودة من اي سند شرعي في نظر العلماء.

وقد كان اهل هذه البلاد يسمونها في كثير من كتاباتهم بـ «البلاد السائبة»[٣] ولكنها عرفت في العالم الاسلامي باسم «بلاد شنقيط» اشارة الى احدى اعرق مدن البلاد واقدمها اشعاعاً. وهي المدينة التي كان ينطلق منها ركب الحجاج فلا يُعرفون خارج بلدهم الا بها. فهي تسمية خارجية قبلها اهل البلد عن طيب خاطر، يقول الشيخ محمد المامي: «ان علم اهل المنكب البرزخي عند اهل الامصار الشناقطة»[٤].

فجهدنا اذن منصب على تبين مظاهر الوعي القومي في هذه الرقعة البشرية التي تغلب عليها البداوة وضعف بنى التنظيم السياسي اذا قورنت بما عهده العالم الاسلامي من دول مركزية راسخة الاركان.

ونحن نعي ولو جزئياً ما يحوم حول مفهوم الوعي القومي من شبهات، خاصة حين نباشر بهذا المفهوم الحديث، نسبياً، مجالاً تاريخياً عربياً اسلامياً قديماً يختلف عن المجال الذي اشتق هذا المفهوم وسائر المفاهيم العربية الحديثة، ولكننا نغضي عن هذه الريب المنهجية، ونستعمل المفهوم الشائع وسيلة بحث نستنير بها في تبين ملامح الظاهرة التي بها نشتغل، مع اضافة تحديدات تقتضيها طبيعة الموضوع المدروس، راجين ان يستمر النظر في وسائل العمل المنهجية بالاحتكام الى كفاءتها في انارة سبيل البحث وفض مبهم الاشكال، لا ان تتخذ في ذاتها هدفاً يقصد.

والوعي القومي الذي نبحث عنه هنا، ونرى امكانية تتبعه، هو الشعور بالانتماء الى العرب امة تميزها لغة وتراثاً، وارادة تأصيل هذا الانتماء بأدلة البرهان وعواطف الوجدان.

وقد اخترنا مثقفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لأننا لا نملك نصوصاً كافية من تراث من سبقوهم، ولعل ذلك راجع الى ان النهضة الفكرية التي شهدتها بلاد شنقيط لم تكتمل ملامحها الا بداية من النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي/ الحادي عشر الهجري، وان كانت بواكيرها سابقة على هذه الفترة.

وهذا ما يحيلنا الى هذه النهضة ومهادها التاريخي، فمعلوم ان بلاد شنقيط شهدت بداية من القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، توافر هجرات عربية من قبائل المعقل تعرف بقبائل بني حسان، تمكنت من بسط نفوذها العسكري والسياسي على سكان البلاد الاصليين وهم ـ على ما يبدو ـ مجموعات قبلية، بربرية اللسان، مسلمة اسلاماً سنياً موروثاً عن حركة المرابطين. وبترسيخ السيطرة

---

(١) عالم بارز، اشتهر بدعوته الى الاجتهاد، ونصب الامام، وتأليفه، **كتاب البادية**، (مخطوط شخصي)، الذي خصصه لايجاد حلول فقهية للمشاكل التي يطرحها مجتمع بدوي ليست فيه سلطة مركزية.

(٢) محمد المامي، **مقدمة في علم التربيع**، (مخطوط شخصي). ويعني بالعمالة البوصيابية الدولة الالمامية في فوتاتور على ضفة نهر السنغال وسماها باسم بوصياب، وهو من اهم مراكزها.

(٣) انظر مثلاً: سيد محمد الكنتي، **الرسالة الغلاوية**، (مخطوط شخصي)؛ وميلود بن المختار، **في عيون الاصابة في مناقب محنض بابه**؛ محمد المامي، **كتاب البادية**، ومحنض بابه بن عبيد، **الفتاوى الكبرى**،.. الخ.

(٤) المامي، المصدر نفسه. والمنكب البرزخي من بين الاسماء التي يطلقها المامي على بلاده اشارة الى توسطها بين المجتمعات الحضرية ذات التنظيم المركزي شمالاً وجنوباً. (انظر كلمة برزخ في لسان العرب).

الحسانية ارغمت القبائل المهزومة على اطّراح السلاح والتفرغ للمشاغل العلمية والتجارية، وان كان هذا الاتجاه الى تقسيم العمل سابقاً على ورود الهجرة العربية الا انها ركزته وجعلته ابرز السمات في تنظيم المجتمع وحجر الزاوية في مختلف الصياغات الايديولوجية لتاريخه.

وبداية من القرن السابع عشر الميلادي/ الحادي عشر الهجري، ظهرت في صفوف القبائل العزلاء التي اصبحت تعرف بقبائل «الزوايا»، حركة فكرية عربية اسلامية طافحة النشاط، لا يتسع المقام هنا للتعريف بكل ملامحها.

وانما يعنينا هنا انها كانت في جوهرها حركة تعرُّب سريع معمق. ونحن نستعمل كلمة التعرُّب، لا التعريب اشارة الى ما تتسم به هذه الحركة من عودة الفعل على فاعله كما يقول الصرفيون، اي ان القبائل العربية المسيطرة لم تبذل جهداً منظماً لتعريب سائر مواطنيها، ولم تحمل معها علماً يدرس ولا تديناً يقتدى به.

فقبائل «الزوايا» قد تعرَّبت: اي عرَّبت انفسها، متأثرة في ذلك ولا شك بالوضع الاجتماعي والسياسي الناجم عن سيطرة بني حسان. ولكن الجانب العقائدي واللغوي من هذا التعرُّب لم يكن فيه اي دخلٍ للارادة السياسية الحاكمة.

ولئن كان بعض الباحثين قد توصل الى افتراضات مقبولة لتعليل هذا التعرُّب فإنه لم يحظ بعد بعمل وصفي يتبع طرائقه ومظاهره، فالدكتور محمد المختار ولد ابّاه يرى في مقال له مفيد(٥) ان هذا التعرُّب كان نتيجة عاملين متداخلين احدهما سياسي راجع الى ان التدين الممتاز والانتماء العربي قد اصبحا ضرورة من ضرورات الانعتاق الاجتماعي بعد السيطرة الحسانية، فبالاول تكتسب الهيبة في قلوب الحاكمين وبالثاني تحصل القطيعة الكاملة مع الماضي البربري المهزوم. وثاني اسباب التعرُّب عند الدكتور ولد ابّاه ديني راجع الى ان من شأن تعمق المعارف الاسلامية ان ينشىء نزوعاً الى تمجيد العرب وابراز الانتماء اليهم وكأنه فضيلة كبرى.

ونحن نرى الاّ مناص من اخذ هذين العاملين مأخذ الجد في تفسير عملية التعرُّب هذه، مع امكان اعتبار عوامل اخرى منها الديموغرافي (اي دور ميزان القوى البشري وتطوره عبر تاريخ المنطقة) والجغرافي (اي طبيعة البلاد المتميزة بانعدام المرتفعات الشاهقة مما سهّل اكتمال السيطرة العربية، وشبهها النسبي بجزيرة العرب مما دفع الى اقامة مطابقة في اذهان الناس بين الصحراوين كانت عامل تعرّب فكري). إلا اننا نترك ذلك الشأن لأهله من المؤرخين فهم به اولى.

ونسعى هنا الى تتبع ملامح الوعي القومي العربي في تراث هؤلاء القوم، بالاعتماد على القليل من المصادر المتاحة. وسيتضح ان اكثر اعتمادنا شعر الشعراء. وذلك راجع الى ان الشعر هو الميدان الوحيد الذي كان للقوم فيه مجال تعبير عن ذواتهم. فسائر تراثهم ـ او جلّه الاكثر ـ فقه ونحو وتصوف واصول، ونعترف بأن اشتغالنا بالشعر الشنقيطي، بحثاً وتدريساً، قد وجهنا اليه اكثر من غيره، واهم مصادر الشعر الشنقيطي المتداولة الى اليوم كتاب **الوسيط في تراجم ادباء شنقيط** لأحمد بن الامين الشنقيطي(٦). وقد حاولنا استكمال جمع ما أمكن جمعه من شعر القوم ـ بل وتراثهم عامة ـ من خلال رسائل التخرج التي نشرف على اعدادها في دار المعلمين العليا في نواكشوط.

---

(٥) Mohamed El-Mokhtar Ould Bah, «Introduction à la poésie mauritanièNne, 1650-1900,» *Arabica*, Fascicule 1 (1971).

(٦) احمد بن الامين الشنقيطي، **الوسيط في تراجم ادباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً وعاداتهم واخلاقهم وما يتعلق بذلك** (القاهرة، ١٩٦١).

وسنحاول ان نتتبع مظاهر هذا الوعي تتبعاً لا يقوم على التسلسل التاريخي، بل على الرغبة في تبين العناصر الفاعلة في بنية ثقافة القوم وايضاح العلاقات بين هذه العناصر.

وسيقودنا النظر في المرحلة الاولى الى مظاهر **تبني التراث العربي** الذي قامت عليه النهضة الثقافية في بلاد شنقيط، فنستجلي كيف اصبحت انساب العرب وايامهم وعلوم لغتهم ودواوين شعرائهم دعائم لثقافة هؤلاء البدو تصاحب القرآن والحديث والفقه على الدوام. ثم ننظر في المرحلة الثانية الى الطرائق التي سلكوها في سعيهم الى **تعريب الواقع** من تأصيل لأنسابهم العربية وتبنٍّ للحسانية باعتبارها لغة عربية يومية، فضلاً عن انشاء ادب عربي فصيح مرتبط بحياتهم، ساعٍ باطراد الى صياغتها صياغة عربية.

اننا عند الرجوع الى بواكير التراث الشنقيطي المحفوظ الآن نجد الحياة الفكرية قائمة على **احياء** علم انساب العرب وايامها تأليفاً وتدريساً ونشراً في الثقافة العامة. وقد كان المؤلفون في هذا العلم يعون طرافة عملهم وتلبيتهم لحاجاتهم الفكرية التي هي في الحقيقة حاجات النسق الفكري الذي يبنونه. يقول محمد اليدالي (١٠٩٦ هـ / ١٦٨٥ م - ١١٦٦ هـ / ١٧٥٣م)[٧] في مقدمة كتابه **الحلة السيرا في انساب العرب وسيرة خير الورى**[٨].

«لما كان العلم بأنساب العرب صارت رسومه دوائر، وعادت جدوده عوائر، واسواقه كواسد، ومخدراته قواعد، واشخاصه متوارية، وازناده غير وارية، وبواتره صدئت في اغمادها، وشهبه قذيت برمادها، وتقلص ضافي برده، وتكدر صافي ورده.. تداركت منه الذماء الباقي وتلافيت له نفسا قد بلغت التراقي وخضت بعض تياره، وكشفت بعض اسراره، واستنبطت بعض معينه، واستخرجت بعض دفينه، واهتصرت من اغصانه النضرة، وتنسمت من نسماته العطرة، واقتطفت من يانع ازهاره، وارتشفت بارد ثغور افكاره، فخدمته صلى الله عليه وسلم بذلك النسب الشريف، والحسب الباذخ التليد والطريف».

«وهذا الفن قد كانت لي نفس تشوقني اليه، وتتوق ان ترى تأليفاً عليه، فلم تظفر بشيء من تلك المسالك، ولم يسعدها الجدّ السقيم ولكنها لم تقنع بذلك، فأثنيت الضلوع على اذاها، وأغضيت الجفون على قذاها، ثم استنهضت قريحتي العليلة، واقتدحت ازناد افكاري الكليلة، ولم ازل أجول في عرصاته ورسومه، واسائل عنه كل ركب ومن له حاسة بعلومه، حتى التقطت من فرائده درراً، ومن نوادره غرراً، على اني لم ار ماهراً فيه اعتمد عليه، وأرجع هذه العويصات اليه. فأتيت بهذه العجالة تعجيلاً لقرى المستفيد، واكتفاء من القلادة بالقدر المحيط بالجيد، ليعم نفعه البلاد، ويتعاطاه الحضري والباد».

وفي الاتجاه نفسه سيسير احمد البدوي المجلسي (ت ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٥م)[٩]، وقد قال صاحب الوسيط انه «هو الذي احيا انساب العرب بنظمه عمود النسب». فقد صرح في مقدمة منظومته هذه بما دفعه الى تأليفها من تمجيد للعرب ناشيء من صلتهم بالاسلام:

حَمْداً لِمَنْ رَفَعَ صِيتَ العَرَبِ ... وَخَصَّهُمْ بَيْنَ الأَنَامِ بِالنَّبِي
وَعَمَّهُمْ إِنْعَامُهُ بِنِسْبَتِهْ ... فَدَخَلُوا بِيُمْنِهَا فِي زُمْرَتِهْ
وَدَوَّخُوا بِسَيْفِهِ غُلْبَ الْعَجَمْ ... إِذْ هُمْ بَنُو أَبٍ وَأُمٍّ بِالْحَرَمْ
إِذْ الْخُيُولُ الْبُلْقُ فِي فُتُوحِهِمْ ... وَالرُّعْبُ وَالظَّفَرُ فِي مُسُوحِهِمْ
هُمْ صَفْوَةُ الأَنَامِ، مَنْ أَحَبَّهُمْ ... بِحُبِّهِ أَحَبَّهُمْ وَوَدَّهُمْ

---

(٧) فقيه متكلم وأصولي متصوف وشاعر مؤرخ له عدة مؤلفات منها: **الذهب الابريز في تفسير كتاب الله العزيز**؛ **شيم الزوايا**، وهو تنظير واضح لايديولوجية المثقفين في عصره؛ **ديوان شعر** مجموع، وترجمة في: **الوسيط**، ص ٢٢٣.

(٨) مخطوطة الاستاذ محمد بن باباه. والجدير بالملاحظة ان السيرة النبوية قد لخصت في بضع صفحات وخصص سائر الكتاب لأنساب العرب وأيامهم جاهلية واسلاما.

(٩) عالم مشتهر بأنساب العرب، له ترجمة في: **الوسيط**، ص ٣٥٠.

كَذَاكَ مَـنْ أَبْغَضَهُـمْ بِبُغْضِـهِ ... أَبْغَضَهُـمْ، تَبًّـا لَهُ مِـنْ مُبْغِضِـهِ
أَئِمَّـةُ الدِّيـنِ عِـمَادُ السُّـنَّـةِ ... لِسَانُهُـمْ لِسَـانُ أَهْـلِ الْجَنَّـةِ

واذا تأملنا الحياة العلمية عند هؤلاء القوم وجدناها قائمة على عدم الفصل بين علوم الشرع وبين اللغة العربية وعلومها. ولعل هذا لا يميزهم، من حيث المبدأ عن سائر مراحل الثقافة العربية الاسلامية ولكنهم، في الواقع كانوا يعتنون بالعلوم اللغوية البحتة عناية قلَّ ان وجد مثلها عند معاصريهم ولعل من نماذج ذلك ان محمد فال بن متالي (ت ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠م)[١٠]، وهو من اشهر فقهاء البلاد بالزهد والورع وترك الفضول يقول:

تَعَـلُّـمَ اللُّغَـةِ شَـرْعـاً فَضْـلِ ... عَلَـى التَّخَلِّي لِعِـبَادَةِ الْعَلِي[١١]

وقد تجلى ذلك في ادراج ديوان الشعراء الستة الجاهليين في صدر قوائم البرامج المدرسية، يبدأ به الطلبة في سن المراهقة، ولا يجدون حرجاً في ان يتناولوا اغراضه ومواضيعه كلها امام كبار الشيوخ من متزمتي الفقهاء، اذ كان الجميع يرى في دراسة النابغة وزهير وعنترة واجباً دينياً اسلامياً، واذا استعرضنا بعض اعمال الاحصاء الأوَّلي للمؤلفات رأينا عدد الشروح التي وضعت على ديوان الستة وديوان غيلان يناهز المائة خلال قرنين من الزمن[١٢].

ونجـد تراث القـوم المـدرسي ينعي على الذين يحـاولون الاستقلال بالفقه ازراءً اللغة وشعرها، ومن ذلك مثلاًقول الطائع الحسني (ت ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م)[١٣]:

يَا طُلَّـبَ الْفِقْـهِ وَالأَمْوَالِ فِي تَعَبٍ ... لَا تَسْتَقِلُّوا بِعِلْمِ الْفِقْهِ وَالنَّشَبِ
فَالْمُسْتَقِلُّ بِعِلْمِ الْفِقْهِ مُفْتَضَحٌ ... بَيْنَ الْمَحَافِلِ عِنْدَ الْغَوْصِ فِي الْكُتُبِ
رُدُّوا إِلَيْكُمْ جِمَاحَ اللُّسُنِ إِنْ جَمَحَتْ ... بِالنَّحْوِ كَيْ تَرْأَبُوا مُثْنَى لُغَى الْعَرَبِ
فَالنَّحْوُ تَثْقِيفُ نُطْقِ اللُّسْنِ إِنْ نَطَقَتْ ... وَالشِّعْرُ خِرِّيتُ مَعْنَىً شَارِدٍ غَرِبِ[١٤]

وتدل نتائج البحوث المنجزة الى حد الآن[١٥] على ان بلاد شنقيط قد انتجت خلال القرنين الماضيين كمّاً غزيراً من المؤلفات النحوية واللغوية تنم عن حياة فكرية اصبحت لغة العرب مقوماً رئيسياً من مقومات المشروع الكامن خلفها، فلنذكر على سبيل المثال ان ابن البراء احصى اكثر من اربعين مؤلفاً تتعلق بألفية ابن مالك وحدها شرحاً وتكميلاً ونقداً، ولو قيمَ ببحوث حول المؤلفات النحوية الاخرى لحصلنا على عمل بيبليوغرافي يثبت ان حركة البحث اللغوي والنحوي لم تهمد تماماً في الوطن العربي، اذ كانت اعمال الشناقطة، المستقل منها والدائر في فلك غيره، مشحونة بالمناقشات والمباحث النظرية والتطبيقية التي لا تخلو من جدة وطرافة رغم بقائها كلها في نطاق المسلمات العربية الكلاسيكية. ويكفي ان نذكر هنا كتاب **روض الحرون من طرة ابن بون** لعبد الودود بن عبدالله الشمشوي (ت ١٢٦٨ هـ/ ١٨٥٢ م)[١٦] الذي خصصه لايضاح حجج اصحاب الاقوال «الضعيفة» و«الشاذة» في النحو العربي داعيا الى ضرورة النظر اليها بعين الانصاف.

---

(١٠) فقيه زاهد مشهور بالورع له ترجمة مختصرة في: **الوسيط**، ص ٣٤٣، وعدة تآليف في التفسير والفقه والعقائد.
(١١) انظر: يحيى بن البراء، **الفية ابن مالك واثرها في الثقافة الموريتانية** (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٢).
(١٢) انظر: المختار بن حامد، **حياة موريتانيا**، ج ٣: **التاريخ الثقافي**، (مخطوطة المعهد الموريتاني للبحث العلمي).
(١٣) شاعر ضائع الشعر، له ترجمة في: **الوسيط**، ص ٣٤٢.
(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٤٣.
(١٥) انظر مثلاً: بن البراء، **الفية ابن مالك واثرها في الثقافة الموريتانية**.
(١٦) عبـد الودود بن عبـدالله الشمشـوي، **روض الحـرون من طرة ابن بون**، تحقيق محمد الامجد بن أبات (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٢)، وطرة ابن بون المذكورة شرح للمختار بن بون الجكني (ت ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م) على الفية ابن مالك.

فنحن نعتقد ان تبني علوم اللغة العربية وآدابها واحياء روح البحث والنظر في تناولها يشكلان مظهراً اساسياً من مظاهر الوعي بمقومات الوجود العربي والسعي الى تأصيل الانتماء الى هذا الوجود، فقد اقام القوم ثقافتهم على المقومات التي استعرض الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا[١٧]، (١٢٤٧ هـ/ ١٨٣٢ م ـ ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م) في قوله:

وَكَمْ سَامَرْتُ سُمَّاراً فُتُوًّا ... إِلَى المَجْدِ انْتَمَوْا مِنْ مَحْتِدَيْنِ
حَوَوْا أَدَباً عَلَى حَسَبٍ فَدَاسُوا ... أَدِيمَ الْفَرْقَدَيْنِ بِأَخْمَصَيْنِ
أُذَاكِرُ جَمْعَهُمْ وَيُذَاكِرُونِي ... بِكُلِّ تَخَالُفٍ فِي مَذْهَبَيْنِ
كَخُلْفِ اللَّيْثِ والنُّعْمَانِ طَوْراً ... وَخُلْفِ الأَشْعَرِيِّ مَعَ الْجُوَيْنِي
وَأَوْرَادِ الْجُنَيْدِ وَفِرْقَتَيْهِ ... إِذَا وَرَدُوا شَرَابَ الْمَشْرَبَيْنِ
وَأَقْوَالِ الْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ ... وَأَهْلِي كُوفَةٍ وَالأَخْفَشَيْنِ
نُوضِّحُ حَيْثُ تَلْتَبِسُ الْمَعَانِي ... دَقِيقَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَعْنَيَيْنِ
وَأَطْوَاراً نَمِيلُ لِذِكْرِ دَارَا ... وَكِسْرَى الْفَارِسِيِّ وَذِي رُعَيْنِ
وَنَحْوَ السِّنَّةِ الشُّعَرَاءِ نَنْحُو ... وَنَحْوَ مُهَلْهِلٍ وَمُرَقِّشَيْنِ
وَشِعْرَ الأَعْمَيَيْنِ إِذَا أَرَدْنَا ... وَإِنْ شِئْنَا فَشِعْرَ الأَعْشَيَيْنِ
وَنَذْهَبُ تَارَةً لِأَبِي نُوَاسٍ ... وَنَذْهَبُ تَارَةً لِابْنِ الْحُسَيْنِ[١٨]

اما الوجه الثاني من ملامح هذا الوعي القومي فإننا نستطيع ـ وان بدا في الامر تكلف ـ ان نتبع فيه مساراً موازياً للمسار الذي تمحور فيه الاول آنفاً.

فالواضح ان هؤلاء المثقفين ينتمون الى قبائل الزوايا التي يرجح المؤرخون ان يكون اكثرها من اصل غير عربي ولكنهم سرعان ما تنكروا لهذا الاصل العرقي، واصرت كل قبيلة على ان لها نسباً عربياً صريحاً، وقد صور ذلك صاحب الوسيط بدقة فقال[١٩]: «ما رأينا منهم من يقر على نفسه بأن اصله من سكان تلك البلاد، الا ان قبيلة لمتونة حفظ لها التاريخ اصلها، والخُلف في لمتونة بين المؤرخين قديم، فالاكثر انهم من حمير... اما القبائل الاخرى فأكثرهم من العرب، والكل يدعي ذلك، سواء كان يتكلم بالعربية او بالشلحية، ولا بد ان يكون فيهم من اصل شلحي».

والفخر بهذه «الانساب العربية» منبث في آثارهم، مما يدل على انها كانت تؤدي وظيفتها الايديولوجية بغض النظر عن مطابقتها للخارج التاريخي او عدم مطابقتها. فقد افاض الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (١١٨٣ هـ/ ١٧٧٠ م ـ ١٢٤١ هـ/ ١٨٢٦ م)[٢٠] الحديث في كتابيه: **الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد**، و**الرسالة الغلاوية**[٢١] ليثبت انتماءه الى عقبة

---

(١٧) عالم شاعر ابن عالم شاعر، ترجم له صاحب **الوسيط**، ص ٢٤٣، اشتهر بقصيدته الرائية التي يحذر فيها اهل وطنه من الخطر الاستعماري، والعينية التي يشخص فيها ازمة الابداع في الشعر العربي الناجمة عن طغيان التقليد. انظر: احمد ولد الحسن، «خواطر حول عينية ابن الشيخ سيديا،» **حوليات الجامعة التونسية**، العدد ٢٣ (١٩٨٤)، ص ٨٣ ـ ٩٣. انظر ايضاً: **ديوان سيدي محمد بن الشيخ سيديا**، جمع وتحقيق عبدالله سيديا والناجي بن سيدي فال (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٣).

(١٨) **الوسيط**، ص ٢٥٦.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٧٦.

(٢٠) عالم وشيخ طريقة صوفية بارزة، ينتمي الى احد اهم بيوتات العلم والتصوف والزعامة السياسية في بلده. انظر مثلاً: A. Batran, *Sidi El-Mokhtar Al-Kunti* (Birmingham: University of Birmingham, 1979).

(٢١) مخطوطان شخصيان.

بن نافع الفهري. كما فخر المأمون بن محمد الصوفي (ت حوالى ١٢٣٢ هـ/١٨١٧ م)[٢٢] بانتمائه الى جعفر بن ابي طالب:

حبلي له وصل بآل المصطفى ... جدي الشهير شهيد مؤتة جعفر

وكذلك فعل ابن عمه محمد بن الطلبة اليعقوبي (١١٨٨هـ/١٧٧٤م - ١٢٧٢ هـ/١٨٥٦ م)[٢٣]:

لآباء صدق ورّثتهم جدودهم ... مساعي ما منْ رامها بالمطوع
سما نجل عبدالله سام بمجدهم ... الى باذخ ما ان يرام بمطلع
الى جعفر حب النبي وابن عمه ... هو الفحل من يكلف مساعيه يطلع

ولئن كان هؤلاء المثقفون المنتمون الى قبائل «الزوايا» الاصلية يفخرون بانساب عربية لا يطمئن اليها المؤرخون كبير اطمئنان، فإن المثقفين الذين يعود اصلهم الى قبائل حسان العربية، اولى بذلك واجدر.

وكذلك فعل محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري (ت ١٢٧١ هـ/ ١٨٥٥م)[٢٤] حيث قال:

فإن تسالوا عني سؤال تجاهل ... أنا ابن امير الركب من آل ناصر
قد انتسبوا من جعفر لابن زينب ... كما صحح الاعلام اهل الدفاتر
وقدماً رفعنا في المغارب معقلاً ... زمان سليم او هلال بن عامر[٢٥]

بل ان منهم من تجاوز في هذا السياق حدود ضمير المتكلم المفرد، فحاول صياغة نظرية عامة تشمل سكان بلاده جلاً او كلاً، وكذلك فعل ابن الحاج ابراهيم العلوي (١١٥٢ هـ/ ١٧٣٩م - ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٨م)[٢٦]، في رسالته التي عنوانها: **الروض في انساب اهل الحوض**، والتي لخص محتواها في قوله: «ان انساب اهل الحوض كلهم ما بين شريف وادريسي، وحساني هاشمي، وقرشي، وانصاري، ولمتوني حميري»[٢٧].

وقد تجاوز، عند التفصيل، منطقة الحوض (جنوب شرقي موريتانيا الراهنة) ليشمل بهذا التأصيل في النسب العربي جميع سكان بلاد شنقيط تقريباً مما يثبت ان «النسب العربي» قد كان اذ ذاك ضرورة عقائدية جماعية تقتضيها حياة هؤلاء القوم الفكرية والاجتماعية.

وما كان هذا «التعرُّب بالانساب» ليستقيم لو لم يصحبه ويدفعه «تعرّب باللسان» سريع معمق،

---

(٢٢) عالم شاعر ناصر محمد بن حبيب الله (لمجيدري) في سلفيته العقائدية. لعله من اقدم من حاول بعث القصيدة الجزلة ذات المنحى الجاهلي. ترجم له صاحب **الوسيط**، ص ٢١٧. جمع محمد بان ماء العينين ما بقي من شعره وحققه (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٣).

(٢٣) من ابرز شعراء البلاد في القرن التاسع عشر، له ترجمة في: **الوسيط**، ص ٩٤. اشتهر بسعيه الى احياء القصيدة الجاهلية. كان اسلوبه موضوع رسالة تقدمنا بها الى كلية الآداب بتونس لنيل شهادة الكفاءة في البحث، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٠م.

(٢٤) فقيه، قاضٍ، ومؤرخ مرموق. يمثل الفئات الحسانية الاصل، المتحولة الى العلم والتعليم، وذات الدور البارز في الحياة الفكرية في المنطقة الشرقية من البلاد. من ابرز مؤلفاته: **الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية**، وهي اهم مرجع عن تاريخ قبائل بني حسان بقلم احد ابنائها. انظر ايضاً: الحاج بن محمد، **محمد صالح بن عبد الوهاب: حياته وآثاره** (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٢).

(٢٥) من قصائد له ملحقة بالرسالة المذكورة في: المصدر نفسه.

(٢٦) سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي، اصولي محدث، وفقيه كبير. رحل الى المغرب ومصر والحجاز. له عدة تآليف منها المطبوع: **نشر البنود على مراقي السعود في اصول الفقه**، والمخطوط وهو اكثر.

(٢٧) مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، خارج الترقيم.

بل انهم اتخذوا عروبة اللسان شاهداً لما ادعوه من عروبة النسب، كما فعل محمد بن السالم (ت ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)[٢٨] حيث قال:

مِصْدَاقُ أَنِّي كَرِيمُ الْعِيصِ مُنْتَسِبٌ ... إِلَى قُرَيْشٍ بُيُوتِ الْعِزِّ والْجَدَلِ
نَظْمِي الْقَرِيضَ وَإِحْكَامِي قَوَافِيَهُ ... وَلَا أُمَيِّزُ بَيْنَ الْعَطْفِ وَالْبَدَلِ

ولكن هذا التعرّب لم يقع الا بفضل اللهجة الحسانية التي تتكلمها قبائل بني حسان العربية، حيث كانت على حد عبارة اليدالي الرائعة «هي القنطرة لأهل هذا العهد الى العربية»[٢٩]. وهي الوظيفة التي فطن اليها الدكتور ولد ابّاه وبين ملامحها[٣٠]. ولكن عبارة اليدالي تدل على ان الذين تعرضوا لهذا التأثير كانوا على وعي كبير به.

ويبدو ان مثقفي هذا العهد لم يتفقوا كامل الاتفاق في الحكم على اللهجة الحسانية حين تطرقوا لها في نطاق بحوثهم اللسانية البحتة. فالشيخ بن حامّني (ت ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠م)[٣١] يقرر، من خلال حدس علمي نفاذ، انها «مركبة من لغة العرب ولغة صنهاجة»، وذلك في سياق تحليله لخصائص نظامها الصوتي وتأثيرها في نطق اهلها بالعربية الفصحى[٣٢]. ولكن الشيخ محمدّو بن حنبل (ت ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢م)[٣٣] يقرر في سياق الجدل نفسه ان «العربية الصحيحة الفصيحة ما نطقت به حسان لأن العربية لغتهم اصلاً»[٣٤].

ولكن هذه الخلافات النظرية الجزئية لم تمنع الحسانية ان تنتشر في البلاد كلها، مشكِّلة المستوى المنطوق من اللغة العربية حتى تناسى اكثر سكان البلد ان اسلافهم تكلموا غيرها، واصبحت كما قال ابن الامين: «اللسان العام» في البلاد[٣٥].

وقد حاول بعض الباحثين التنبيه الى هذا التعرُّب اللغوي الحديث نسبياً[٣٦]. ويبقى ميدان البحث فيه مع ذلك رحيباً. ولكنه ينبغي التنبّه الى ان انتشار الحسانية صحبه وتفاعل واياه انتشار معمق للعربية الفصحى ولكن نطاقه كان، بالطبع، اضيق.

وقد نشأ في هذه الظروف الفكرية واللغوية ادب عربي فصيح، كثرته الكاثرة شعر، وان لم يخل من نماذج نثرية ذات بال. وقد كادت تودي به عوادي الدهر، من بداوة اهله، وموت رواته، فضلاً عن التحولات الفكرية والاجتماعية الناجمة عن الاستعمار فالاستقلال. وتبذل اليوم جهود محمودة لجمعه وتحقيقه وتمحيصه، سعياً الى ابراز مكانته في تاريخ الادب العربي.

وقد فطن بعض الباحثين من اهل المشرق العربي الى غرابة شأن هذا الادب العربي الشنقيطي من خلال اطلاعه على نماذجه التي يضمها كتاب **الوسيط** وحاول تبين اسبابها فألفاها وثيقة الصلة بما نحن به مشتغلون. يقول د. طه الحاجري: «ان الصورة الادبية التي اتيح لنا ان نراها لشنقيط في هذين القرنين

---

(٢٨) شاعر بارز من شعَراء القرن الثالث عشر الهجري. ترجم له صاحب **الوسيط**، ص ٢٩٩، جمع ديوانه وحققه المختار ولد محمد (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٢).

(٢٩) محمد اليدالي، **كتاب الجيم**، (مخطوط الاستاذ محمد بن باباه).

(٣٠) Ould Bah,«Introduction à la poésie mauritanièNne, 1650-1900,» p. 13.

(٣١) فقيه لغوي من مدينة شنقيط.

(٣٢) بن حامني، «رسالة في اخطاء اهل بلاد شنقيط في تجويد القرآن،» يحققها الآن محمد عبدالله بن عمر.

(٣٣) شاعر كبير وعالم بارز، له ترجمة في: **الوسيط**، ص ٣١١.

(٣٤) محمدو بن حنبل، **رسالة في الجيم**، (مخطوط شخصي).

(٣٥) **الوسيط**، ص ٥١٢.

(٣٦) انظر مثلاً: Muhammad al-Chennafi and H.T. Norris, «How the Hassaniyya Vernacular of Mauritania supplanted Zenaga,» *Maghreb Revue,* vol. 6, nos. 5-6 (September-December 1981).

جديرة ان تعدل الحكم الذي اتفق مؤرخو الادب العربي على اطلاقه على الادب العربي عامة في هذه الفترة، فهو عندهم، وكما تقضي آثاره التي بين ايديهم، ادب يمثل الضعف والركاكة والفسولة في صياغته، وصوره ومعانيه، اذ كانت هذه الصورة تمثل لنا الادب في وضع مختلف يأبى هذا الحكم أشد الاباء فهو في جملته ادب جزل بعيد عن التهافت والفسولة».

وهذه الجزالة الواضحة في الشعر الشنقيطي الذي بين ايدينا عامة، ترجع في ما نحسب، الى الحرص على التراث الادبي القديم الذي يمثل العروبة في انقى صورها وادقها وذلك ـ كما قلنا ـ وجه من وجوه الحرص على العروبة نفسها. فهذا الحرص هو الذي جعل الاديب الشنقيطي وثيق الصلة بهذا التراث، فكوّنَ له عالمه الباطني الخاص، الذي يوجه شاعريته، والذي يمدّه بالمادة اللفظية والصورية؛ والى جانب ذلك كان عالمه الخارجي الذي يعيش فيه عالماً شديد الشبه بالعالم الذي صدر عنه الشعر الجاهلي الذي فرض مثله على الادب العربي القديم»[٣٧].

ولسنا نناقش د. الحاجري في احكامه النقدية التي لا تخلو من تعميم، وانما نذكر ان ما اشار اليه من «حرص على التراث الادبي القديم» امر واضح في حياة القوم الادبية والفكرية كما اسلفنا. وهم يصرحون بأنهم قد اتخذوا هذا التراث القديم ـ والجاهلي خاصة ـ مثلهم الفني الاعلى ويفخرون ببلوغهم شأوه.

فابن الطلبة اليعقوبي يعارض الشماخ بن ضرار الغطفاني في جيميته ويرجو ان يلقاه امام نادي تحكيم من اهل الجنة، وصاحبنا من النصر على يقين[٣٨].

وهذا ابن حنبل يفخر بشعره ويبرز لنا تمكنه في العروبة لغة وأدباً:

وَقَرِيضٍ بثَّ أَبْنِي فَغَدَا ... مِثْلَ نظمِ الْغِيدِ تَقْصَارَ الذَّهَبْ
آخَذاً مِنْ لَحْنِ أَمْحَاحِ اللُّغَى ... مُضَّغِ الْقَيْصُومِ وَالشِّيحِ النُّخَبْ
مِنْ لآلِي حَاضِرِيهِمْ أَصْطَفِي ... وَمِنَ الأَعْرَابِ رُشَّافِ العُلَبْ
مَا تَعَاطَى اللُّسْنُ فِي أَنْدَائِهِمْ ... وَتَعاطَوْهُ بِأَفْوَاهِ الْقُلُبْ[٣٩]

ومن المعين نفسه يستقي ابن السالم وهو يقدم قصيدته الى شيخه الممدوح بها:

غَوْثَ البرَيَّةِ إنَّ هذِي مِدْحَةٌ ... صِيغَتْ عَلَى مِنْوالِ شِعْرِ الأَوَّلِ
مِنْوَالِ حِسَّانِ الْمُؤَيَّدِ أَوْ عَلَى ... مِنْوَالِ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادِ الْعَلِي[٤٠]

وبالنظر الدقيق في نصوص هذا الشعر يتضح انه كان له دور بارز في تعميق التعرُّب وتركيزه، حيث امكن بواسطته ان تصبح الفصحى لغة حياة القوم الادبية بعد ان كانت لغة حياتهم الدينية فحسب، فضلاً عن تعريب واقعهم عن طريق صياغته في خطاب عربي.

ومن ملامح هذه النزعة الى تعريب الواقع بالأدب نذكر امثلة من ظاهرة تبدو غير ذات بال ولكنها في سياقنا هذا تحمل مغزى كبيراً. فأسماء البلدان والامكنة في بلاد شنقيط غير فصيحة في اكثرها، وقد حرص الشعراء في تعاملهم معها على تسميتها اسماء عربية تكون غالباً ترجمة لمدلولات اسمائها الاصلية الى دوالٍ فصيحة، حتى تصبح القصيدة محتاجة الى ترجمان يربط الاسم العربي بمسمّاه الذي هو

---

(٣٧) طه الحاجري، «شنقيط او موريتانيا: حلقة مجهولة في تاريخ الادب العربي،» **العربي**، العدد ١٠٧ (تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٠)، ص ٢٨.
(٣٨) **الوسيط**، ص ٩٥.
(٣٩) **الوسيط**، ص ٣١٦.
(٤٠) **الديوان** المحقق، ص ٧٥.

الاسم غير الفصيح: عامياً كان او اعجمياً.

وسنسوق امثلة لهذه الظاهرة منبهين الى كثرتها في شعر اهل بلاد شنقيط حتى لا يكاد ينجو منها شاعر معروف. فمولود بن احمد الجواد (١١٨٠ هـ/ ١٧٦٧ م ـ ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٨ م)[٤١] يقول:

أَمِـنْ طَلَلٍ حَوْلَ الْأُبَيْتِـرِ مُقْفِـرِ ظَلَلْتَ تُقَاسِي الْهَمَّ حَوْلَ الْأُبَـيْـتِـرِ[٤٢]

(والأبيتر المعني هو «آكْوَيْلِيلْ تاركَهْ»).

وابن السالم:

دِيَـارٌ بَيْـنَ أَحْقَافِ السِّـدَادِ إِلَى نِعْفِ الْغُوَيْـرَ فَذِي الْوِسَادِ
إِلَى جُـبِّ الْعُجَـابِ إِلَـى الرَّوَابِي رَوَابِي شَهْلَـةَ الشُّمِّ النِّجَـادِ

(أحقاف السداد: أَعْلَابْ لَمْغَيْلَكَاتْ، الغُوَير: آغْوَيْجذْ، ذو الوساد: تِنْ تَالُوْن، جب العجاب: آوْلِيلِ لِعْجَبْ).

وسيدي عبدالله بن احمد دام (ت حوالى ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٤ م)[٤٣]:

تَأَلَّـقَ لَمَّـاعُ الْومِـيـضِ لَموحُ بِذِي السَّرْحِ يَخْفَـى تارَةً وَيَـلُوحُ

(ذو السرح: انْوَاتِيلْ)

والشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا:

عُجْ ـ لَكَ الْخَيْرُ ـ مِنْ صُدُورِ الْمَهَارَى بِـي عَلَى مَنْزِلَاتِ خَطِّ الشُّقَارَى
فَلَـوَى قَارِحٍ فَجُمْهُورِ نِصْفٍ فَالْمَيَامِـنِ فَالنِّقَا مِـنْ أَنَـارَا
فَبُيَيْرِ السَّافِـي فَجَرْعَا غُلَيِّـ ـانَ فَوَادِي الْمَهَى إِلَى مَاءِ زَارَا
فَالْكَنَاوِيـنِ حَاوِيَـاتٍ دِيَـاراً وَنَقَـا أَوْلَادِ الْمُبَارَكِ دَارَا
وَبِسَاحَاتِ نَبْكَةِ الْقَرْمِ أُخْرَى مُسْتَحَقٌّ مِنَّا لَهَا أَنْ نُزَارَا..[٤٤]

(لوى قارح: عِلْب الكَارِح، جمهور نصف: عِلب النِّصْ، الميامين: إيمرزكان، أنار: إنِيْر، بيير السافي، ابَّيْر السَّافِي، جرعا عليان: تَنْدَوْعْلَيَّانَاتْ، وادي المهى: وادْ وُرّك، نقا اولاد المبارك: عَلبْ اوْلَادْ مْبَارِك، نبكة القرم: نَبْكِة آمْخَوَّلْ..).

ونحن نعتقد ان هذا السعي الى تعريب اسماء المواقع انما يندرج في نطاق مشروع اوسع يقتضيه تعريب الواقع بالأدب، وهو احياء نمط القصيدة العربية القديمة مرتبطاً بواقع حياة اهل شنقيط.

ولا شك ان ما ألمح اليه الدكتوران الحاجري وولد اباه من تشابه بين ظروف الحياة المادية العربية القديمة والشنقيطية امر واقع جلي، ولكنه لا يكفي في نظرنا لتتولد عنه بالضرورة قصائد ذات منحى جاهلي، اذ لا مناص من الاشارة الى دور ارادة التعُّرب المتعاظمة في شتى مناحي حياة القوم، والتي يبدو الشعر مظهراً من مظاهرها وان كان اهم من غيره عند اساتذة الادب العربي.

ونكتفي هنا بالاشارة الى هؤلاء الشعراء الذين أقاموا مذهبهم الفني على الملاءمة بين حياتهم وبين

---

(٤١) شاعر بارز من اعلام المدرسة البديعية. ترجم له صاحب **الوسيط**، ص ١٩٠. من مؤلفاته **الديوان**، جمع جزءاً منه وحققه محمد بن السبتي (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٢).

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٤٣) من ابرز شعراء البلاد في القرن الثالث عشر الهجري. له ترجمة في: **الوسيط**، ص ٢٨٧. من مؤلفاته: **الديوان**، جمعه وحققه محمد رضوان الله بن محمد سالم (نواكشوط: دار المعلمين العليا، ١٩٨٣).

(٤٤) **ديوان سيدي محمد بن الشيخ سيديا**، ص ٤٦.

حياة العرب القدماء (خاصة اهل الجاهلية وصدر الاسلام) عبر «قنطرة» القصيدة البدوية اذا جاز لنا ان نستعير تعبير اليدالي، وسنسوق نموذجاً او اثنين يدلان على ما سواهما:

فالمأمون بن محمد الصوفي يقول:

أَيامَنَا بِضَوَاحِي «تِيرسٍ» عُودِي ... مَا عَادَ بَعْدَكِ مِنْ لَهْوٍ وَلَا عِيدِ
أَيَامَ أَسْحَبُ أَذْيَالَ الصِّبَا مَرِحاً ... وَأَجْتَنِي كُلَّ لَهْوٍ مُورِقِ الـــعُودِ
كَمْ رَوْحَةٍ لِيَ فِي أَعْرَابِهَا صَلُحَتْ ... وَالأُفْقُ جَوْنٌ مِنَ الْهُوجِ الْمَرَاوِيدِ
يَهْوِي بِرَحْلِيَ كَابْنِ الْمَاءِ مُخْتَبِرٌ ... قَيْدُ الْعُيُونِ مِنَ الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ
يَخُوضُ بِي لُجَجَ الظَّلْمَاءِ مُعْتَسِفاً ... غَرَنْدَسٌ أَضْمَرَتْهُ فسْحَةُ الْبِيدِ
حَتَّى يَئِسْتُ وَأَرْمَغْتُ النُّزُولَ إِلَى ... صَفْوَانِ أَجْرَعَ مِنْ صُمِّ الْجَلَامِيدِ
آنَسْتُ نَاراً كَعَيْنِ الدِّيكِ نَازِحَةً ... أَنَارَهَا سَامِرٌ مِنْ بَعْدِ تَخْمِيدِ
ثُمَّ ارْدَلَفْتُ إِلَى بَيْضَاءَ نَاعِمَةٍ ... يَهْدِي إِلَيْهَا أَرِيجُ الْمِسْكِ امْلُودِ[٤٥]

اما ابن الطلبة اليعقوبي الذي عدّه الدكتور ولد ابّاه زعيم المدرسة «الجاهلية الجديدة» فإننا نختار نموذجاً من اقصر قصائده:

يَـا خَلِيلَـيَّ هَجِّـرَا لِلـرَّوَاحِ ... وَارْحَـلَا كُـلَّ بَازِلٍ مِلْـوَاحِ
يَا خَلِيلَـيَّ مَا شَفَى النَّفْسَ شَافٍ ... كَاغْتِمَـــالِ الْجُلَالَـةِ السِّـرْدَاحِ
قَـدْ تَخَيَّـرْتُ لِاهْتِمَامِـيَ مِنْـهَا ... جَسْرَةً طَـالَ عَهْدُهَـا بِاللِّقَـاحِ
رَبَعَتْ فِي مَجَادِلِ الْكَرْبِ تَرْعَى ... جَلَهَاتٍ بِهِنَّ حُوَّ الْبِطَاحِ
يَبْدُرُ الطَّرْفُ بَغْيُهَا كُلَّمَا لَا ... حَ لَهَا لَائِحٌ مِنَ الأَشْبَاحِ
فَكَأَنِّي - إِذَا الْهَوَاجِرُ شَبَّتْ ... كُلَّ حَزْنٍ - عَلَى شَبُوبٍ لَيَاحِ
مُفْرَدٍ بِاللِّوَى يَرُودُ دِمَـاثـاً ... لَمْ يَرِدْهُنَّ غَيْرُ هُوجِ الرِّيَاحِ
زَعِـلٍ بَـاتَ طَاوِيَـاً بِكِنَـاسٍ ... بَلَّلَتْهُ الذِّهَابُ هَـارِي النَّوَاحِي
فَاسْتَفَزَّتْهُ مَطْلَعَ الشَّمْسِ غُضْـفٌ ... أُرْسِلَـتْ مِنْ يَدَيْ قَنِيصٍ شَحَاحِ
فَتَجَهَّدْنَ إِثْـرَهُ طَالِبَـاتٍ ... وَاسْتَمَـرَّتْ بِـهِ جُنُونُ الْمِرَاحِ
فَاخْتَشَى مِنْ لَحَاقِهَا ثُمَّ أَنْحَى ... نَحْوَهَـا، كَرَّ ذَائِـدٍ مِلْحَـاحِ
فَكَلَا بَعْضَهَـا وَبَعْضـاً رَآهُ ... وَانْبَرَى فِي الْقِفَارِ كَالْمِصْبَـاحِ
فَعَسَى تِلْكَ وَادِّلَاجُ اللَّيَالِـي ... وَدَؤُوبُ الإِمْسَاءِ والإِصْبَاحِ
تُبْلِغَنِّـي دِيَـارَ أُمِّ أَبِـيٍّ ... وَلَحَسْبِي بُلُوغُهَا مِـنْ نَجَـاحِ

وليس من باب الصدفة ان يقول ابن الامين ان هذا الرجل «كان يبري النبال فيصطاد بها الوحش لشغفه باقتفاء العرب»[٤٦]، ولا ان ينقل عن ابن متالي قوله في معرض الثناء على اليعقوبي: «هذا عربي أخره الله»[٤٧].

وتكتمل الصورة اذا علمنا انه «كان مولعاً بالعربية، لا يفتر من التنقيب عنها والتحرير، يقال انه اذا سافر ونزل بحي من الزوايا نهاراً، اول ما يسألهم عنه القاموس، فإن كان موجوداً عندهم طلب منهم الاتيان به لينظر اليه يومه، فإن لم يكن فيهم ارتحل عنهم ولا يترك يومه ضائعاً»[٤٨].

---

(٤٥) **الديوان** المحقق، ص ٤١.
(٤٦) **الوسيط**، ص ٩٥.
(٤٧) المصدر نفسه، ص ٩٤.
(٤٨) المصدر نفسه.

ولا شك ان تعريب الواقع بواسطة الادب قد بلغ شأواً بعيداً حين اقام هؤلاء القوم تطابقاً وتلازماً بين العـروبـة وحياتهم البدوية، وصوروها بالمقارنة مع ما جاورها، جزيرة باقية من الفردوس العربي المفقود، وهو ما يكثر في شعر الحنين عند المغتربين من ابناء بلاد شنقيط.

فابن احمد دام يغترب جنوباً في بلاد الزنوج، ويذكر اهله في «العُقَل» (بلاد لعگل) فيقول، وقد خاب في خطبة امرأة زنجية[٤٩]:

يَا نَسمةَ الرِّيحِ رُوحِي غَيْرَ وَانِيَةٍ ... مَظِنَّةٌ مِنْكِ جُنْحَ الرَّوْحَةِ الْعُقَلُ»
حَيِّي الْأَحِبَّةَ عَنْ نَاءٍ تَدَاوَلَهُ ... مِنْ قَاصِيَاتِ التَّنَائِي السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
يَا نَازِحَ الدَّارِ لَمْ تَعْرِفْ لَهُ نَسَباً ... فِي الْحَيِّ حَيْثُ غَدَا أُنْثَى وَلا رَجُلُ
طَأْطِئْ بِرَأْسِكَ وَاغْضُضْ طَرْفَ مُغْتَرِفٍ ... بِالذُّلِّ وَارْضَ بِمَا قالُوا وَمَا فَعَلُوا
قَدْ قُلْتَ مُذْ قِيلَ إِنَّ الْخَوْدَ لَيْسَ لَهَا ... فِي الْبِيضِ أَوْجُهُهُم نُوقٌ وَلَا جَمَلُ
كَلَّا، دَعْوهَا وَمَنْ تَهْوَى فَلَا عَجَبٌ ... لِكُلِّ شَكْلٍ إِلَى أَشْكَالِهِ جَذَلُ
لِذَاكَ عَاقَ فَتَاةً عَنْ مُعَاشَرَتِي ... مَرْءٌ كَأَنَّ نَوَادِي قَوْمِهِ الْحَجَلُ
يَا رُبَّ وَاضِحَةِ الْخَدَيْنِ مُعْرِقَةٍ ... فِي الْأَكْرَمِينَ إِذَا وَاصَلْتُهَا تَصِلُ
تَغْشَى غَدَائِرُهَا مَتْنَيْ مُهَفْهَفَةٍ ... رَيَّا الرَّوَادِفِ فِي أَوْصَالِهَا كَسَلُ
لَا يَطْمَعُ الْعُجْمُ مِنْهَا فِي مُنَاكَحَةٍ ... وَلا يُقَارِبُ رَيَّاً مِسْكِهَا الْجُعَلُ
مَاذَا عَلَيَّ أَنِ اغْتَامَتْهُ فِي بَلَدٍ ... وَاغْتَامَنِي فِي سِوَاهُ خُرَّدٌ خُدُلُ
يَشْدُدْنَ بُزْلاً بِأَحْدَاجٍ مُكَلَّلَةٍ ... إِذَا دَعَا الْحَيَّ بِالْأَجْمَالِ فَاحْتَمَلُوا
يَحْدُو الْهِجَانَ فُتِيٌّ فِي جَوَانِبِهَا ... غُرْضَتُهُمْ غُدُرٌ بِالدَّوِّ أَوْ وَشَلُ
أُولَئِكَ النَّاسُ لَا أَحْيَاءُ حَاضِرَةٍ ... لَمْ تُبْصِرِ الدَّهْرَ فِي أَكْنَافِهَا الْإِبِلُ

والامـام بن محمـد اشفغ[٥٠] يسافر الى سلجماسة فيصيبه الجدري وصحبه فيذكر قومه من «تجكانت» في «آكان» بقصيدته التي مطلعها:

وَاهـاً لِمَرْضى رِهَـانٍ فِي سِجِـلْمَـاسِ ... نَائِـي الْمَـوَاءَانِسِ وَالْعُـوَّادِ وَالآسِي

ومنها:

يَا بُعْدَ ـ مِنْهُمْ ـ حُلُولٍ قَاطِنِينَ عَلَى ... عَدَّ يَحُفُّ بِدَوْرَ مِنْه أَدْرَاسِ
أَرْسَوْا عَلَى كُلِّ نَجْدٍ مِنْ مَحَاضِرِهِ ... خَيْماً مَثَابَةَ أَضْيَافٍ وَجُلَّاسِ
يُلْقُونَ لِلضَّيْفِ مَا أَلْقَى مَرَاسِيَه ... مِنْهَا مَرَاسِي أَوْتَادٍ وَأَمْرَاسِ
حَتَّى تَهُبَّ عَنَ ايْسَارِ الْخِيامِ صَباً ... تَنْحَلُّ مِنْهَا عَزَالِي كُلِّ عَرَّاسَ
حَتَّى إِذَا انْجَدَلَ الْعَامِيُّ وَانْتَسَجَتْ ... مِنْ وَارِقِ النَّبْتِ أَجْنَاسٌ بِأَجْنَاسِ
حلّوا عَوالِيَ أَنْجَادٍ عَلَى نُطَفٍ ... زُرْقٍ، دُمُوعٍ مُلِثَّ الْوَدْقِ رَجَّاسِ
مَا زَالَ مِنْ مُعْصِرَاتِ الدَّلْوِ يَسْكُبُهَا ... عَلَى الأباطح فَيْضاً غَيْرَ إِبْسَاسِ
عَلَى بِطَاحٍ فَلَاةٍ لا انِيسَ بِهـا ... إِلَّا مَرَاوِيـدَ آرَامٍ بِأَكْنَـاسِ
تَرْتَاحُ مُغْزِلَةٌ مِنْها لِمَغْزَلَـةٍ ... مَنْ أُمِّ دَرَّاجٍ أَوْ مِنْ أُمِّ خَنَّـاسِ

---

(٤٩) **الديوان** المحقق، ص ٧٠.

(٥٠) شاعر مجيد ضائع الشعر من اهل القرن الثالث عشر الهجري. قال فيه صاحب الوسيط: «ولم أقف له على غير قصيدته الآتية ولو لم يكن له غيرها لاستحق ان يعد مع اصحاب الواحدات مثل سويد بن ابي كاهل»، ص ٢٤٨.

كَأَنَّهُنَّ عَذَارَى بَيْنَ أَحْوِيَـةٍ ... تَرْتَاحُ مِنْهُنَّ مِيناسٌ بِمِينَـاسِ
حَتَّى غَدَتْ مِثْلَ جُحْرِ الضَّبِّ واخْتَمَلَتْ ... مِنْهَا السُّيُولُ جَمَاهِيراً لِأَجْنَاسِ
وَأَضْمَرَتْ نُطَفاً مِنْهُنَّ وَابْتَسَمَتْ ... عَنْ ثَغْرِ كُلِّ شَنِيبِ الثَّغْرِ نَوَّاسِ
كَأَنَّهُ وَنَدَاها مِنْهُ مُنْتَشِرٌ ... رُجَاجَةٌ نُثِرَت مِنْ زَيْتِ نِبْرَاسِ
أَحْوَى أَغَرُّ تَحَامَاهُ الرِّمَاحُ فَـلا ... يَدْعُو النُّفُوسَ لَهُ تَزْيِينُ وَسْوَاسِ
إِلَّا ظَعَائِنَ مِنْ «جَاكَانَ» تَرْتَعُه ... لا عَنْ ذِمَامٍ وَلَا تَجْسَاسِ أَحْرَاسِ
لَا ! بَلْ مَهَابَةَ سَادَاتٍ إِذَا اخْتَلَفَتْ ... أَهْلُ النَّوَادِي وَآسَادٍ لَدَى الْبَاسِ
غَيْظِ الْعِدَى وَرِضَى الْمُسْتَنْجِدِينَ إِذَا ... هَبَّتْ رِيَاحُ الصَّبَا إِدْبَارَ عَشْعَاشِ ..(٥١)

وبعـد فقد أفضت هذه المغامرة الى مداها، ونحن نرجو ان تكون قد أسهمت في طرح المشاكل المتعلقة بالوعي القومي في صقع قد يكون سكانه من آخر الشعوب العربية ولوجاً الى العروبة من بابها اللغوي والادبي، كما قد يكونون المجموعة البدوية الوحيدة ذات التراث الفكري المكتوب. وقد تم ذلك في شظف من البداوية وفوضى من الحكم وانقطاع من مصادر العون، ولكن آثار القوم تدل على ان الثقافة العربية قادرة على الانتشار الذاتي السريع، وعلى ان امكانات التجدد والتجديد فيها متاحة، ليست رهن الظروف السياسية والاقتصادية وحدها، بل لعلها بالاساس، رهن الارادة البشرية الواعية□

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة التراث القومي

الاعمال القومية لساطع الحصري: (٧)

١ ـ آراء واحاديث في الوطنية والقومية

٢ ـ احاديث في التربية والاجتماع

٣ ـ صفحات من الماضي القريب

٤ ـ العروبة بين دعاتها ومعارضيها

٥ ـ محاضرات في نشوء الفكرة القومية

٦ ـ آراء واحاديث في العلم والاخلاق والثقافة

٧ ـ آراء واحاديث في القومية العربية

(٥١) **الوسيط**، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي

عقدت هذه الندوة في الكويت وشارك فيها تبعاً للحروف الهجائية كل من الاساتذة:

د. سعد الدين ابراهيم
استاذ علم الاجتماع بالجامعة الامريكية ـ القاهرة.

د. عبد الباسط عبد المعطي
استاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس ـ القاهرة.

د. فؤاد اسحق الخوري
استاذ الانثروبولوجيا بالجامعة الاميركية ـ بيروت.

تحرير: د. اسحق القطب
استاذ علم الاجتماع في قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت.

● **اسحق القطب**: نلتقي في هذه الندوة ضمن لقاءات مؤتمر علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي الذي عقده قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في جامعة الكويت. ونرحب بالاخوة الافاضل، وسوف نتناول بعض المسائل التي تعتبر على جانب كبير من الاهمية حول وضع علم الاجتماع في البلاد العربية سواء من حيث التوجهات النظرية والمنهجية او من حيث النطاق والموضوعات التي يتناولها المتخصصون بعلم الاجتماع في الوطن العربي، كما يهمنا مناقشة العوامل البيئية وطبيعة الظروف المحيطة بهم ومن ثم التساؤل الاخير حول القضايا التي ما زالت تحظى باهتمام ضئيل من قبل المتخصصين في علم الاجتماع في الوطن العربي.

○ **سعد الدين ابراهيم**: المشتغلون بعلم الاجتماع هم جزء من المجتمع العربي، ومشكلة علماء الاجتماع وعلم الاجتماع ايضاً جزء من مشكلات المجتمع العربي عامة. في نظري ان علم الاجتماع المؤسسي او النظامي هو في مرحلة نمو مستمرة على المستويات الجامعية (حيث نلاحظ زيادة مطّردة في عدد الطلاب والخريجين واعضاء هيئة التدريس وعدد رسائل الماجستير والدكتوراة). كما ان هناك نمواً ملحوظاً من حيث النوعية في بعض المؤشرات المادية في مختلف جوانب الحياة في المجتمع العربي قد انعكس بالضرورة على اتجاهات علم الاجتماع والمتخصصين بالرغم من ان هذا النمو لا يتسم بالشمولية او التوازن. ومن هذا المنطلق فإن النمو النوعي في علم الاجتماع لم يتواءم مع جوانب النمو الاخرى في الوظيفة او الدور الذي يمكن ان يقوم به علم الاجتماع في صياغة الحاضر وفي التمهيد للمستقبل العربي. اذ ان المتخصصين لم يساهموا بالقدر الكافي او بالدرجة المطلوبة في صياغة مشكلات المجتمع العربي المعاصر وتفسيرها، او في اقتراح الحلول المطلوبة لهذه المشكلات. وبالرغم من النمو الكمي والتلكؤ الكيفي لعلم الاجتماع في الوطن العربي، لا يمكن ان ننكر بأن هناك اسهامات كيفية ممتازة غير انها لا تمس الجذور ولا تجعلنا نشعر بحق انه علم اجتماع عربي لثمانينات وتسعينات القرن العشرين، ناهيك عن القرن الواحد والعشرين، ونأمل ان يتكامل النمو الكمي مع النمو الكيفي في العلوم الاجتماعية عموماً وفي الدور والوظيفة التي يمكن ان تسند اليه.

○ **عبدالباسط عبدالمعطي**: أود ان اطرح الاطار العام الذي يمكن ان يقدم ولو اطلالة تفسيرية على الوضع العام لعلم الاجتماع في الوطن العربي. وقد اشار د. سعد الدين الى العوامل المؤثرة في بنية المجتمع العربي في نمو علم الاجتماع وفي تنشئة وإعداد المشتغلين بعلم الاجتماع. ويهمني من العوامل البنائية قضية حرية الفكر بالذات وعلاقة العلم بالسلطة، وهي علاقة لها اكثر من جانب، وان عدم توفر الحرية هي احد جوانب العلاقة. ومن الجوانب الاخرى التي اود طرحها للمناقشة ما يتعلق بفقدان الثقة والفجوة بين متخذي القرار والمتخصصين بعلم الاجتماع. وترجع اسباب الفجوة الى عوامل تاريخية خارجة عن حدود نطاق المتخصصين انفسهم ساعدت على تهميش ادوارهم.

اما بالنسبة الى اسلوب الاعداد والتنشئة العلمية وسياسة الادارة الجامعية في الالتحاق بالجامعات والمناهج ونطاق الدراسة، فإن ذلك يرتبط بنشأة علم الاجتماع في الوطن العربي في ظل مرحلة استعمارية كان لها تأثير مباشر على النظام التعليمي ككل.

وهناك بعد آخر للوضع الراهن يرتبط بنوعية القضايا المطروحة التي يعمل فيها المنشغلون بعلم الاجتماع والتي تسهم في ادراك الدور المجتمعي للعلم نفسه. نلاحظ في كثير من البلدان العربية انه قلما يُستدعى المتخصصون في علم الاجتماع للمشاركة في تحليل القضايا التي تواجهها المجتمعات، او حتى في حدود البحوث التي تجريها مؤسسات علمية رسمية فإن الافادة منهم في التخطيط القريب او البعيد المدى تكون في اضيق نطاق.

ان عملية تطوير علم الاجتماع نظرياً ومنهجياً وزيادة فعالية المتخصصين في هذا العلم لكي يقوموا

بدور مجتمعي حقيقي، ترتبط بالقضايا الاساسية الموجودة في الوطن العربي التي سنتحدث عنها.

○ **فؤاد اسحق الخوري**: اعتقد ان علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية يتجاوبون مع القضايا الاجتماعية والثقافية والحضارية على مستويين: الاول يمكن ان نسميه الطوعي ـ العفوي، والثاني ـ التخطيطي اي ان يكون عالم الاجتماع والانثروبولوجيا جزءاً من مجموعة او مرتبطاً بمجموعة تتناول رسم سياسة اولية عامة في العمل الاجتماعي.

المستوى الاول (الطوعي) ينبع من بواعث شخصية حيث ان عالم الاجتماع انسان يتفاعل في مجتمعه، ويسمع ويلاحظ ويناقش، وتتكون لديه اتجاهات ونظريات عن القضايا التي ترتبط بالشعب والمجتمع وعلى اسس واقعية. وبالنسبة للتغير الذي يحصل في الاهتمامات العلمية لدى علماء الاجتماع والانثروبولوجيا فنجد انها تتطابق في معظم الحالات مع نظام التغير الاجتماعي في المجتمع. فمثلاً نشأت مدرسة السوسيولوجيا المدينية في شيكاغو على اثر تضخم المدينة بشكل هائل فبدأ لويس ويرث وماكينزي يعملان في هذا المساق المعرفي. ولقد قام العديد من المتخصصين العرب بالكتابة عن مواضيع متصلة بالمجتمع العربي بشكل عفوي. واهتم شخصياً الآن بدراسة سوسيولوجيا الدين والطوائف، وقد نبع هذا الاهتمام من خلال ظروف الحرب اللبنانية المستمرة منذ عشر سنوات، اي انه لم ينشأ عن طريق الاستلهام بل كان نتيجة التجاوب الطوعي مع قضايا تواجه الناس والمجتمع.

وأود ان اطرح تساؤلاً حول العقل العربي، وهنا لا بد من التمييز بين العقل والفكر العربيين، اي كيف يتصور العقل العربي القضايا والحقائق التي يتعاطى معها؟ انني اهتم بقضايا معينة لأنني اقرأ الكثير، واستمع الى الكثير، وأسائل نفسي كيف نصل الى الحقائق (الانثروبولوجيا الرمزية)؟ وما هي الافتراضات المرتبطة بواقع هذه الحقائق؟ ومهمتي التحليل وجمع البيانات للوصول الى النتائج.

اما المستوى الثاني وهو رسم خطة انمائية او رسم سياسة عامة لمشكلة من المشكلات الاجتماعية، وهنا يعمل عالم الاجتماع من خلال منهجية واضحة ويجمع الحقائق ضمن فريق عمل واطار رسمي. مثلاً كنت قد شاركت في بعثات عديدة الى اليمن وكانت مهمتي تحليل الطاقة البشرية المحلية وقدرتها للمشاركة في التنمية كجزء من خطة رسمتها الحكومة. وكنت عضواً في فريق يضم الاقتصاديين والتربويين وغيرهم. وأسندت الى الفريق مهمة التخطيط على المستوى القومي. كما كنت في عمان عضواً في مجموعة لدراسة العوائق الاجتماعية للتقدم في المجتمعات الريفية ثم وضع خطة انمائية للريف فيها.

أعتقد ان هناك علاقة متشابكة بين المستويين الاول والثاني، ونجد ان بعض علماء الاجتماع يصرفون معظم اوقاتهم في المستوى الاول والبعض الآخر في المستوى الثاني، وهناك من يفضل الاول على الثاني او العكس.

● **اسحق القطب**: أشرتم الى جوانب واقع علم الاجتماع من حيث عدم التكافؤ الكمي والنوعي او في الوظائف التي يؤديها العلم والمشتغلون فيه وبعض العوامل المرتبطة بمستويات العمل. ولا بد لنا من الوقوف لحظة للتحليل، مثلاً عندما نقول: «نمو كيفيّ» او «نمو كميّ»، ما هي طبيعته وخصائصه والاتجاهات المميزة لكل اتجاه؟ وكذلك بالنسبة للوظيفة والدور الذي يقوم به، كيف نحدد جوانب القوة والضعف؟ وكيف يمكن ان نقدم تشخيصاً للاتجاهات الحالية للجهود المبذولة من قبل علماء الاجتماع العرب خلال ربع قرن، او اكثر، مضى؟

○ **عبد الباسط عبد المعطي**: حتى نتمكن من تقويم ملامح هذا النمو الكمي الطاغي يمكن استخدام مؤشرات كمية لعدد الخريجين وعدد المؤلفات والدوريات والبحوث المنشورة. اما بالنسبة لتقويم ملامح دور المتخصص في علم الاجتماع، فهو قبل كل شيء مواطن، لا بد من ان يتوفر لديه الوعي

الاجتماعي وان يكون مثقفاً (لا يحمل لقباً علمياً او شهادة جامعية فحسب) له دور وانتماء، وانه إنسان مبدع علمياً يقرأ واقعه ويستقرىء المستقبل. نلاحظ ان الغالبية العظمى من الاعمال العلمية في علم الاجتماع في الوطن العربي تدرس القضايا والمشكلات بعد حدوثها، اما الذين يحاولون استقراء المستقبل وتحليل التغيرات فهم محدودون وظهروا في مطلع الثمانينات، وهذه خطوة كيفية ستؤثر في الاعمال النظرية والمنهجية وفي ادوار المشتغلين بعلم الاجتماع. مثلاً نقوم بدراسة الجريمة بعد حدوثها وتضخم حجمها، وندرس مشكلة الهجرة بعد ان نعاني منها، ونحن مطالبون بدراسة استقرائية حقيقية، لأن مثل هذه الدراسات هي التي تسهم في العمليات التخطيطية وفي احداث تغيرات مهمة على مستوى الوطن العربي كما ستنعكس على بنية المؤسسة الرسمية لعلم الاجتماع وللعاملين فيه وعلى اساليب اعدادهم وربط المعرفة بالقضايا المستقبلية وتلك التي دُرست والتي لم تدرس.

وبصورة عامة يمكن ان نقول ان القضايا التي دُرست كانت معظمها قضايا جزئية، ومنها قضايا مرتبطة بمشكلات اجتماعية غير سوية من وجهة النظر المجتمعية والضبط الاجتماعي مثل الجريمة وانحراف الاحداث. ولكن اذا تساءلنا عن عدد الدراسات السوسيولوجية الحقيقية التي تناولت قضايا التجزئة والوحدة ومسألة التبعية، نجد انها محدودة جداً، وغالباً ما تتناول القضايا ذات الطابع السلبي اكثر من القضايا ذات الطابع البنائي التي تسهم في عملية التغيير والتخطيط. وهل هناك من درس كيف نقيم تنظيماً اجتماعياً يعبىء طاقات الجماهير، او من تناول تحليل الوسائل والابعاد والشروط الاساسية اللازمة لتطوير الوعي الشعبي عن طريق التنظيمات. وبعبارة اخرى فإننا بحاجة الى ذلك النوع من الدراسات التي تساعد على تخطيط التغيير واستخدام التكنولوجيا في التخطيط حتى على مستوى الوحدات الصغيرة كما نطالعه في الادبيات الغربية. وعندما نتحدث عن التغيرات الشمولية، وهنا قد نحتاج لكلمة ثورة لتحقيق التنمية الشاملة بل عن ادراك واع للابعاد الاساسية اللازمة للتخطيط.

ويمكن ان نصف المحاولات التي قامت في البلاد العربية في نطاق البحث العلمي الاجتماعي إما جزئية، او دراسة الاحداث بعد حصولها،او تناول القضايا ذات الطابع السلبي من وجهة نظر البنية الاجتماعية مثل: الجريمة، والطلاق، والمرض النفسي، والتفكك، والهجرة الريفية الحضرية؛ في حين اننا بحاجة الى بحوث حول متطلبات وشروط اقامة مجتمع بنائي او إحداث تغيرات معينة في بنية اجتماعية عربية لها واقع ولها ظروف ولها ثقافة ولها خلفية.

○ **سعد الدين ابراهيم**: ان رصد النمو الكمي في علم الاجتماع مسألة سهلة للغاية ترتبط بالمؤشرات الخاصة بالمدخلات الجامعية او البحوث والمؤلفات، ولكن المهم هو تحليل التلكؤ في النمو النوعي الذي يشمل المشكلات المنهجية والمشكلات النظرية والمشكلات الخاصة بالبحث الاجتماعي وتمويله ومشكلات الاستفادة من نتائج الدراسات في علم الاجتماع، واعتقد ان في هذه المسائل تكمن اسباب التفاوت بين الكم والكيف وهذه مرتبطة بواقع المجتمع العربي عموماً . ان لدى المجتمع العربي موارد ولديه مصادر خام ولكن لا يستفاد منها بطريقة مثلى بسبب ضعف القدرة الهندسية والتخطيطية والرؤية الواضحة، فكما يحدث الانذار في مسائل كثيرة على المستوى القومي يحدث انذار مماثل على المستوى العلمي.

● **اسحق القطب**: صحيح ان العلم لا بد من ان يستجيب ويتطور مع تطورات الاحداث واذا اردنا رصد اتجاهات التطور في علم الاجتماع (النمو الكيفي والكمي) مقابل التغيرات والتطورات التي حدثت منذ الازدهار الحضاري ثم فترة ما قبل الاستعمار ثم في مرحلة الاستعمار وبعد ذلك فترة الاستقلال. فهل يمكن ان نقول ان الجانب النظري في علم الاجتماع قد غطى بدرجة معقولة ميادين الاهتمام سواء في القضايا التي تناولها علماء الاجتماع العرب او في نطاق القضايا المنهجية، وما هي مجالات عدم التوازن والاختلاف في النمو الكيفي لعلم الاجتماع في البلاد العربية؟

○ **سعد الدين ابراهيم**: النظرية هي الصياغة او الرؤيا العامة يهتدي بها الباحث الميداني او الذي يتعامل مع البيانات الاولية ويقوم بتنظيمها وتفسيرها بقصد التوصل ببعض التعميمات طموحاً للوصول الى بعض القوانين وبالتالي يعيد تعديل جانب او اكثر من النظرية او يتوصل الى نظرية جديدة. وبالنسبة للوطن العربي، فمنذ الحرب العالمية الثانية واستقلال البلاد العربية لم تظهر مساهمة علمية نظرية يعتد بها الوطن العربي، وهناك محاولات، ولكن هذه المحاولات لم توفق في انتشارها او الاخذ بها لا من علماء الاجتماع العرب او غيرهم، وقد نشير الى بعض المحاولات التي قام بها البعض امثال انتاج سمير امين وربما انور عبد الملك (عرب يقيمون خارج البلاد العربية) والتي ركّزت على دول العالم الثالث والحوار بين الشمال والجنوب وعلى المركز والهوامش.

اما بالنسبة للمسار الرئيسي للمشتغلين بقضايا علم الاجتماع العربي، فلم تظهر فيه اية اسهامات نظرية يعتد بها منذ الحرب العالمية الثانية. وربما كان السبب يرجع الى ان التطوير النظري لم يتخذ الهدف الذي يسعى المشتغلون بالعلم على تحقيقه وكذلك لم يحدث تدعيم وتنشيط وتفاعل متبادل، ويزداد الاعتراف بانتاج المفكرين العرب من الخارج اكثر من داخل الوطن العربي نفسه، ويصل هذا الاعتراف بشكل غير مباشر عن طريق العقول العربية التي تتبناها الدول الاجنبية ويعاد تسويق افكارها مثلما يتم تسويق الملابس والسلع الاخرى وكما يقول المثل «لا كرامة لنبي في اهله».

وهناك مشكلة اخرى، تتمثل في الطموح الزائد الذي دفع البعض نحو محاولة صياغة نظرية كلية كبيرة (وهي احد الملامح الطبيعية لتطور علم الاجتماع في اي دولة) ونلاحظ الرعيل الاول من علماء الاجتماع الاوروبيين امثال اوغست كونت واميل دوركهايم وكارل ماركس وماكس فيبر حيث حاول كل منهم البدء بصياغة النظرية الكبيرة حيث يصعب تحقيقها او اثباتها، وجاءت هذه المحاولات طموحة اكثر من اللازم. وربما كانت البداية السليمة عن طريق التوصل الى نظريات ذات المدى المحدود او المتوسط اولاً، فحين تتوصل الى نظرية عن التحضر او التمدين او نظرية عن الطبقات في المجتمعات العربية او نظرية حول التركيبات الاجتماعية الاقتصادية او حول الطوائف، وحين يتراكم لدينا عدد من هذه النظريات او المحاولات النظرية ذات المدى المتوسط، فربما يأتي جيل آخر من العلماء الاجتماعيين العرب ويقومون بصياغة نظرية اكبر، مستفيدين من هذه المحاولات السابقة، تتناول خصوصية المجتمع العربي من ناحية ويقدمون مساهمة لعلم الاجتماع من ناحية اخرى.

○ **فؤاد الخوري**: السؤال الذي يتبادر الى ذهني هو متى ومن اي الحالات ينعكس النمو الكميّ ويصبح نمواً كيفياً؟ اولاً، إن وضع علماء الاجتماع هو في الواقع امتداد لوضع الجامعة في الوطن العربي التي لم ترتبط مع المجتمع ارتباطاً عضوياً في نطاق التغيرات الكمية والكيفية. وذلك في جميع التخصصات الانسانية والعلمية، ما عدا التخصصات المهنية كالطب والهندسة ـ نلاحظ ان الطبيب يفتتح عيادة والمهندس ينشىء مكتباً لمزاولة المهنة، ولكن ماذا عن اهل الاختصاص في الاجتماع والاقتصاد والسياسة؟ فإن موقعهم خارج البنية التي نسميها كيفية. ان مصطلح النمو الكيفي، في نظري، يعني كيف نترابط نحن عضوياً مع بنية المجتمع عن طريق المؤسسات الرسمية الخاصة. واذا قارنا انفسنا مع الغير نجد ان ما يقوم به علماء الاجتماع والانثروبولوجيا في جامعات الغرب يختلف كثيراً عما نقوم به نحن. مثلاً في جامعة شيكاغو يقوم علماء الاجتماع بإجراء البحوث والدراسات حول قضايا مجتمعية كثيرة في مجال العمل والبطالة والاجرام بتكليف من الحكومة، وتستند الى اثنين او ثلاثة من ذوي الاختصاص وتناقش النتائج في محافل علمية لتفسير وتحليل ابرز الاتجاهات للجريمة في المدينة ـ اي ان هناك ترابطاً عضوياً بين الجامعة ومشكلات المجتمع، وينطبق الوضع ايضاً على ميادين اخرى مثل الزراعة والصناعة والتعليم والاسرة، حيث تقوم الجامعة بتجارب علمية بالاضافة الى التدريس للتوصل الى اختراعات جديدة وتكنولوجيا جديدة تسهم في معالجة قضايا الانسان والمجتمع.

اما بالنسبة الى الوضع في الوطن العربي، فنجد الهوّة الواسعة التي تفصل بين الجامعة وبين المسؤولين عن رسم السياسة التنموية، وهنا يجب ان لا نوجه اللوم كله نحو السلطة والحكومة، بل يشترك في اللوم علماء الاجتماع انفسهم، اذ يجب عليهم ان ينتزعوا هذا الدور ويكتسبوه بالخبرة والعمل الدؤوب المتواصل وليس عن طريق التوصيات والتمنيات، ولا بد من ان يبرهن علماء الاجتماع العرب على قدراتهم للاستجابة الى دراسة القضايا التي تطرحها الدولة او المؤسسات المجتمعية الخاصة. لماذا لم يتحرك علماء الاجتماع العرب حتى الآن؟ أعتقد ان الجميع منهمك في عملية التعليم الجامعي او في مجالات التعليم، واننا في وادٍ والمجتمع في معظم الحالات في وادٍ آخر. لم تجرِ حتى الآن دراسة تحليلية للمقررات التي تدرّس في الجامعات، ومدى ارتباطها بمشاكل المجتمع، ونجدَ ان ما يدرّس يتناول نظريات في علم الاجتماع والجريمة والاسرة والسياسة وغيرها بإطار المفاهيم الاجنبية. لا أنسى حادثة في الجامعة الامريكية حيث ألقيت محاضرة حول دور علم النفس في المجتمع العربي، وتكلم المحاضر حول فرويد وتفسير الاحلام وكيف فسر احلام ماري برنادوت، وكان الافضل ان يتكلم عن الواقع العربي. ان الهروب من الواقع قد لمسته في ندوة «علم الاجتماع وقضايا الانسان المعاصر» التي نظمتها جامعة الكويت، وقد جرى تناول قضايا باسلوب يتجنب فيها الحساسية مثل قضايا التمايز الطبقي والتمايز المذهبي والتمايز الاسري والاجتماعي. فإذا استمر علماء الاجتماع على هذا الاسلوب في معالجة القضايا، كيف يمكن ان نتفاعل مع المجتمع ونصبح جزءاً من بنيته ونتّجه نحو النمو الكيفي لعلم الاجتماع، كأن نأخذ مسألة الوحدة التي يدعو اليها العرب جميعاً، واي بحث حول هذا الموضوع يجد الاستجابة، بسبب المعاناة التي تلمسها الشعوب العربية. وهذا ما أقصده بالدور المكتسب لعالِم الاجتماع عن طريق الممارسة والخبرة وتطوير العلاقة العملية المتبادلة بين الجامعة والمجتمع.

○ **عبد الباسط عبد المعطي**: اتفق مع د. سعد الدين في ان المحاولات النظرية في الوطن العربي لم تكن هدفاً واضحاً ولم تحصل متابعة للمحاولات التي تمت حتى الآن لهذه الاعمال الا اذا كانت واردة من الخارج. اود ان اضيف هنا ان عملية نقل الفكر الغربي او الفكر الشرقي في معظمه ليست نقلاً دقيقاً وامينا من ناحية، وانها لا يتم استيعابها جيداً من ناحية اخرى. وعندما يوجَّه النقد الى الفكر الاجنبي في الوسط العلمي بنقل هذا النقد حرفياً، وهذا اسميه التبعية في النقل والنقد، وهذا يخفي في الوقت نفسه الضعف المعرفي والضعف الفكري للمشتغلين بعلم الاجتماع في البلاد العربية ويتضح ذلك من خلال الجدل الايديولوجي، فحين نتكلم عن قضية اجتماعية معينة يجري تصنيف الآراء والافكار المطروحة بأنها يمينية او يسارية او مع الاسلام او ضد الاسلام... ويجب ان لا نقف عند العرض النظري او التصنيف الايديولوجي فحسب، بل المتابعة العلمية في ضوء الممارسات الفعلية في المجتمع، كما ذكرها د. فؤاد الخوري بأن المجتمع هو مصدر الحكم على النتائج. ان شروط الابداع عند علماء الاجتماع العرب غير متوفرة اساساً، ولا تتوفر المؤسسات التي تتبنى المبدعين او ترعاهم بسبب عدم توفر الحرية الفكرية والتنشئة العلمية والاجتماعية، ولا بد من ان يبدأ علماء الاجتماع بأنفسهم في محاولة التنظير ولو بشكل مرحلي سواءكانت ذات طابع النظريات الصغيرة او المتوسطة المدى او شيء من هذا القبيل حتى نضع امامنا اسس الحوار العلمي القائم على اصول وقواعد. انني حتى الآن لا احس بأن اسس الحوار العلمي الملتزم متوفرة. واود ان اؤكد على اهمية الميثاق المهني واعتبره خطوة مهمة جداً تسهم في اقامة حوار علمي خصب نتجنّب من خلاله اتباع الاساليب المتخلفة في الرد على بعضنا البعض في المحافل العلمية، وتشجيع الحوار الذي يمكن ان يؤدي الى قدر من الابداع.

وحتى نتمكن من تقويم العمل النظري جيداً، لا بد من توفر الوعي بأهمية الاتجاهات النظرية والتحليل النظري لدراسة الواقع المجتمعي وفهمه. اذ لا يمكن ان ندرس مشكلة دون إطار نظري. وهذه مسألة مهمة جداً. ولا بد من ان يتحرر علماء الاجتماع من القيود المفروضة على الممارسة النظرية.

اما من ناحية الكم والكيف، فإن مجموعة من التغيرات الكمية تؤدي الى حالة كيفية ولكن ليست بالضرورة حالة فعالة ويمكن ان نصدر عليها حكماً قيمياً سلبياً، اي ليس كل كمي بالضرورة يؤدي الى الايجابية. ولكن يمكن للنمو الكمي في علم الاجتماع في الوطن العربي ان يتحول الى قوة بدلاً من ان يبقى بذاته شيئاً مجرداً. ومن الصعب ان ننتظر حتى تتضح الشروط المجتمعية حتى يتحول الكمّ الى كيف ذات فعاليّة. ولذا يجب ان تبدأ المبادرة بين صفوف علماء الاجتماع في الوطن العربي دون الانتظار لنضوج الشروط، عن طريق تنظيم مؤسسات تحمي المشتغلين بهذا العلم وتنظيم حركتهم ونشاطهم وتوفير فرص التفاعل البنّاء فيما بينهم ووضع اسس للحوار العلمي واجراء بحوث مشتركة، لأن محاولات الابداع التي تحدث عنها د. سعد الدين ابراهيم ستبقى فردية، وينبغي ان يتم التواصل العلمي فيما بين الافراد المبدعين كبداية عملية للافادة من الحصيلة العلمية الكمية، واذا لم يتخذ علماء الاجتماع العرب الخطوات الايجابية لتنظيم نشاطهم العلمي وبلورته ضمن اطار تنظيمي مهني فسيبقى الوضع دون تقدم ملموس.

○ **فؤاد الخوري**: إن تنظيم العمل ضمن اطار جمعية علمية يوفر الاستقلالية خاصة في ضوء الواقع العربي المجزأ والكيانات المتناقضة التي تحمل كلّ منها سياسة وحساسية خاصة. ولا يمكن ان نخرج من هذه الدوامة الا بإنشاء رابطة لعلماء الاجتماع والانثروبولوجيا في الوطن العربي لا ترتبط بأية حكومة عربية كانت ام اجنبية، وتعتمد على مصادر تمويل غير حكومية، تتمتع بالاستقلالية، وتقوم بإصدار مجلة علمية كوسيلة للحوار العلمي البنّاء. وقد واجهتنا صعوبات كثيرة في السابق، وما زالت المحاولات جارية، كما طرح الموضوع من قبل المهتمين في لقاءاتهم العلمية في ليماسول وبغداد ـ ولكن المهم الاستمرارية والاستقلالية لضمان النجاح.

● **اسحق القطب**: ما زال علم الاجتماع العربي غير قادر على متابعة التغيرات والمتغيرات التي تحدث في المجتمع العربي وما زال تابعاً سواء للايديولوجيات الاجنبية، او للاحداث التي تشهدها المنطقة، اي لا تتوفر لديه الامكانية للتنبؤ بالاحداث قبل حدوثها. وهناك قيود متنوعة تحد من نشاط علماء الاجتماع في المعالجة الشاملة او التعمق في البحث والتوصل الى النظريات التي ما زالت ترتبط بقضايا علم الاجتماع العام اكثر من الميادين المتخصصة له. ان عملية الابداع تتطلب ميكانيزمات تساعد على الاختيار والتدريب والتوجيه داخل المؤسسات الحكومية التي ينخرط في اطارها نشاط علماء الاجتماع (جامعات، وزارات، هيئات)، ولا بد من المبادرات الفردية والتضحيات المادية والزمنية، لأن العمل الحكومي يتم ببطء ومن خلال روتين معقد، وان المحاولات التي قامت لانشاء رابطة لعلماء الاجتماع وتواجه العقبات بسبب ارتباطها بمؤسسات الدولة.

○ **عبدالباسط عبد المعطي**: ان القضية الجوهرية هي النظرية الاساسية والمشكلات المنهجية لعلم الاجتماع التي تمهد الطريق امام الباحثين في تناول الدراسات المرتبطة بفروع علم الاجتماع ـ الديموغرافيا: الريفي، الحضري، الصناعي، الترويحي، وغيره ويمكن ان تنمو الفروع وتتطور بشكل متوازن مع بعضها. ولكن لدينا قضايا بحاجة الى تحليل اكثر الحاحاً من قضايا اخرى، مثلاً موضوع الهجرة من الريف الى المدن ما زال مرتبطاً بما اشار اليه الديموغرافيون عن عوامل الطرد والجذب مع التطعيم بالاحصاءات ويحتاج الى تحليل سوسيولوجي يتناول العوامل البنائية الخاصة بالمجتمع المستقبل والمجتمع المصدر للمهاجرين.

والسؤال الاهم هو كيف نخرج من اطار ردود الفعل الى صناعة الفعل السوسيولوجي الحقيقي؟ وقد تعرّض بعض الزملاء في مناقشة سابقة لبعض القضايا المهمة مثل ازمة النظرية، ازمة المنهج، علاقة الباحث بالسلطة، الظروف البنائية، شروط الابداع، ولا بد من ان نخرج من عنق الزجاجة ونبدأ بمشاركة متواضعة حقيقية في صناعة الفعل السوسيولوجي على المستويين النظري والمنهجي وهذا يردّنا مرة اخرى

الى اهمية التنظيم لعلماء الاجتماع وانشاء منظمة علمية.

وباختصار أود ان أشدد على مسألة الاولوية في الاصلاح النظري (وليس بالضرورة الابداع النظري في هذه المرحلة) والاصلاح المنهجي، حتى يكون للبحوث والدراسات التي يقوم بها علماء الاجتماع العرب قيمة علمية يعتد بها.

○ **سعد الدين ابراهيم**: أرى ان العملية ستحسم على ارض الواقع، ولا بدّ من توجيه المشتغلين بعلم الاجتماع الى بعض المسائل المهمة كنداء بين الزملاء للالتفات الى الصورة العامة من خلال الموضوع الخاص بكل زميل مثل الذي يرعى شجرته ولا يهتم بالغابة. ويمكن ان يتم ذلك من خلال تقسيم العمل من دون فرض او الزام، والتعاون والتفاعل بين اولئك المهتمين بموضوع النظرية والمهتمين بالاعمال الامبريقية والبحوث الميدانية ـ ولابد للمهتمين بالنظرية (سواء الكبيرة، المتوسطة او الصغيرة) من ان يلتفت ايضاً الى ما يجري في الميدان بصورة دورية خاصة في الميادين المقربة الى اختصاصه وتفكيره ويقوم باختيار مقولاته او اجتهاداته النظرية من واقع البحوث الميدانية ويتفحص قواعد المنهج (ولا نقصد هنا التقنيات) بل قواعد الاستدلال والاختيار والاثبات والاستنباط، وذلك ما يحدث في العلوم الطبيعية كما فعل اينشتاين في نظرية النسبية، اذ اعتمد على مئات البحوث من الطبيعة ومن العلوم الاساسية الاخرى وقام بجمع المقولات والاستنتاجات للجهود العلمية الامبريقية كافة ثم صاغها في قالب نظري.

إن تقسيم العمل العلمي مطلوب ولو ضمنياً، واذا قام احد الزملاء بصياغة نظرية عن الطبقة الاجتماعية ولم يلتفت الى البحوث والى جوانب النقص فيها لا بد من توجيهه لأن النظرية غالباً ما تكشف النقاب عن النقص المنهجي او التقني، واحياناً نجد بحثين حول موضوع واحد بنتائج متناقضة ويرجع ذلك الى قصور في المنهج او الادارة او النظرية ذاتها.

وهناك ابعاد اخرى يجدر الاشارة اليها تتعلق بالجانب الانساني يواجهها المشتغلون في علم الاجتماع، منها ما يرتبط بحياته الخاصة ومنها ما يتعلق بعلاقته بالمسؤولين والسلطة واجهزة التخطيط، ولا بد ان تنمو هذه العلاقة عن طريق المشاركة في مشروعات البحوث والدراسات التي تطلبها هذه المؤسسات لمعالجة قضايا مجتمعية، وعدم رفضها وتحويلها للزملاء المختصين من اجل تعزيز مصداقية علم الاجتماع وتوثيق العلاقات المهنية واثبات فعالية العلم والمشتغلين فيه على حد سواء.

واذا كان علماء الاجتماع يعتبرون انفسهم طليعة الامة العربية وضميرها فلا بد من ان يعتبروا انفسهم القدوة والنموذج في نطاق تقسيم العمل والتفاعل مع المجتمع والاحداث الجارية والخطط بعيدة المدى، واجتياز ما يسمى بمرض البداوة الاجتماعية الاكاديمية الذي يتمثل في تكتل المشتغلين بالعلم في شكل عشائر وبطون وقبائل. ولنتصور لو ان هذا المرض انعكس على السياسيين العرب وعلى النخبات الحاكمة! لا بد لنا من تخطي هذه الآفة وتحقيق الاندماج القومي والتكامل الاكاديمي.

اما بالنسبة الى الثنائية التي اشار اليها د. الخوري فهي مشكلة هيكلية برزت بفعل الاختراق الغربي او الاستعماري في القرنين الاخيرين وانتقلت الى مستوى العلم وأوجدت الفجوة بين المتعلمين والمثقفين وبقية شرائح المجتمع وهي مظهر من مظاهر التبعية لا بد من تجاوزها. ولا بد من التحام المثقفين وعلماء الاجتماع بمجتمعاتهم بصورة عضوية، ولا بد من الاستجابة لمطالب المؤسسات الاجتماعية والمشاركة في برامجها مهما كان ذلك مؤثراً على الاتجاهات الفكرية والانشطة العلمية الخاصة بكل عالم ومثقف.

وأعود للتأكيد هنا بأن عملية التقدم الكيفي في علم الاجتماع تستند على دعامة نظرية وكذلك على دعامة منهجية (ولا اقصد الادوات والتقنيات) ولا بد من تطوير المنهجيات التي استخدمها علماء الاجتماع الغربيون او نستخدمها الى ان يتوفر لدينا البديل والاصيل لمناهج متصلة بواقعنا، خاصة في

دراسة المجتمعات البدوية والتي تفرض على الباحث منهجاً خاصاً يختلف عن المناهج التقليدية، وهو على سبيل المثال استخدام الجماعة بدلاً من الفرد. وينطبق القول على دراسة الجماعات الدينية الذين يتفاعلون مع الباحثين ويستفسرون عن ابعاد البحث ونتائجه وأغراضه خلال مرحلة اجراء البحث وقد يطرحون اسئلة على الباحثين انفسهم. فمثل هذه المواقف تتطلب من حسن التصرف بل وربما تطوير اساليب منهجية جديدة وتقنيتها لأنها نابعة من واقعنا الاجتماعي، وقد يتوصل الباحث في مثل هذه المواقف الى نتائج ايجابية وتفاعل اقوى من المبحوثين في ظل الظروف الصعبة. وعندما تحاول الحكومة ايقاف العمل في بحث ما تجد ان المبحوثين مهتمين بمعرفة نتائج البحث ولو كانوا في السجن، ويقومون بالاتصال بمختلف الوسائل لمعرفة النتائج. بمعنى آخر: إن الخبرات الميدانية تزودنا بمنهجية ذات ابعاد وخصائص متصلة بالواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي ولا بد من ان يحدث التكامل بين المنظّرين والباحثين والامبريقيين من اجل تحويل الكم الى كيف.

● **اسحق القطب**: لقد أثيرت نقطتان اساسيتان ـ الاولى الحاجة الى دراسة تهدف الى تجميع وتحليل النظريات الاجتماعية العالمية المطروحة لكل قضية من القضايا الاجتماعية، او كل ميدان من ميادين علم الاجتماع، من اجل الالمام بالانتاج العالمي وتقويم جوانب القوة والضعف، ثم تحدد مسارات الانطلاق للفكر العربي. والنقطة الثانية ـ تتعلق بالمنهج وادوات البحث العلمي الذي يتمشّى مع البيئة والثقافة العربية والاسلامية سواء فيما يتعلق بالمجتمعات البدوية والريفية التي تتطلب اساليب ومناهج بحثية مميزة، ولا بد من نشر هذه المناهج في ادبيات العلوم الاجتماعية لاتاحة الفرصة للباحثين وطلبة الدراسات العليا للأخذ بها واختيارها وتقنينها. ان مثل هذه الخطوة الاساسية هي بداية لظهور علم الاجتماع في الوطن العربي.

○ **فؤاد الخوري**: أود ان اؤكد ان الكثير من كتابات علماء الاجتماع العرب كانت نابعة من الواقع وفيها كثير من الاصالة والابداع، ولا تعتبر نقلاً عن الاجانب. ولهذه الكتابات سمعة عالمية بسبب الاعتراف بهذا الانتاج. وهناك فرص كثيرة للابداع على المستوى العربي والاسلامي، ولكن الفراغ الذي نحس به عندما نجتمع في المحافل العلمية ينجم عن الفردية في الانتاج العلمي الدقيق وحسب تخصص كل مشترك، ولكن يجب ان نجتاز المحيط الضيق الى محيط عالمي اوسع. وفي الوقت نفسه يجب ان نجتاز الاحساس بالهوان والضعف. وهناك نقد كثير يوجه للنظريات الغربية، وقد قمت في الكتاب الذي تناول «القبيلة والدولة في البحرين» بدحض نظريات كتبها اللندفيري حول البحرين. ويمكن اجراء دراسات مقارنة في بلدان الخليج والبلدان الاخرى في اطار المفاهيم والمناهج والاستنتاجات للتأكد من صحتها وتطويرها.

اعتقد اننا في الوطن العربي نعاني من مشكلة الاتصال المباشر عن طريق المجلات العلمية واللقاءات العلمية، او عن طريق المجلات العلمية والدولية. وارى ضرورة إصدار مجلة او انشاء مكتب تناط به عملية جمع المعلومات والبحوث والدراسات وتبويبها مثل بنك للمعلومات، في نطاق الاجتماع والانثروبولوجيا، يتم تداولها بين المشتغلين في هذين العلمين.

لقد أثبت البعض القدرة على اكتساب المكانة العالمية، والغرب بحاجة الى المعرفة حول مجتمعنا، وهناك العديد من المحاولات التي تتميز بالابداع يجب ان نعتز به ونعتبره بداية المشوار الطويل، لأن العلم طريق طويل وانجاز متواصل الى الابد، والمهم ان ننشىء الاداة والمنهج والوسيلة لتبادل الخبرات والمعلومات والتأليف المشترك، وتسهيل حركة التأليف وتداول الكتب بين الاقطار العربية.

● **اسحق القطب**: ان عملية تداول المعلومات وتبادل الخبرات، ومضاعفة الانتاج العلمي الجماعي ومرونة حركة التأليف والتداول يسهم بدرجة كبيرة في تقدم علم الاجتماع واثراء تجارب

المشتغلين فيـه، وربمـا كان هذا مطلباً اساسياً من اتحاد الجامعة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

○ **عبدالباسط عبد المعطي**: أود ان أشير بصورة خاصة الى قضيتين مهمتين: الاولى المشاركة من قبـل المشتغلين بعلم الاجتمـاع، والثانية ـ محاولة التحرر النسبي ـ في هذه المرحلة على الاقل ـ واقصد بذلك التحرر من النموذج الجاهز سواء في المنهج او النظرية.

اما بالنسبة لقضية المشاركة فهي البعد الحقيقي الذي سوف يمهد المصداقية لعلماء الاجتماع ولتطوير العلم، وهي المدخل الذي يساعد على تطوير الفكر النظري والمنهجي والممارسة الحقيقية. وان ما اشـار اليه د. سعد الدين ابراهيم حول موضوع المناقشة الجماعية في دراسة المجتمعات الريفية والبدوية تعتبر مهمة لتطوير المنهجية. ونخلص من هذا ان الباحث نفسه يجب ان يكون مدركاً وواعياً للواقع الذي يتعامل معه والمواقف والمعطيات المحيطة به ساعياً لابتكار الحلول التي تسهم في التطوير العلمي. ويجب ان لا ننظر للمبحوث كطرف سلبي يعطي ما يريده الباحث. ولا بد من بناء علاقة تقوم على الثقة والقيم التي ترتبط بطبيعة الموضوع والحوار وطبيعة الاشخاص التي تتكون بمجملها المصالح المشتركة في التصدي او الدفاع عن افكار ومبادىء وقضايا ذات اهمية مشتركة بين المبحوثين والباحثين. كما ان تدرج الحوار مع المبحوث الفرد او المجموعة هو في حدّ ذاته نقلة كيفية من حيث التعمق في طبيعة البيانات ودقتها وعمقها واتساع نطاق المشاركة.

اما البعد الآخر للمشاركة، فيتخذ مواقف المبادرة والادوار التي يقوم بها علماء الاجتماع والتطوع في تحليل القضايـا الحيوية في وسائل الاعلام والصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون، وهذه الانشطة تؤكد مصداقية العلم لدى السلطة وايضاً لدى الجماهير. وعندما نهتم بقضايا الجماهير اليومية سواء مشـاكل الزراعة والمياه والسلع والاسكان والغلاء وقضايا العمال، بالطريقة العلمية، نؤكد دور علماء الاجتماع والمنشغلين فيه. والمهم هو التحرر من هيمنة القوالب التي تعلمناها سواء أكانت شرقية او غربيـة او في شكـل ادوات او منهجيـات، ولا اقصـد اهمالها، بل الافادة منها بما يتمشى مع واقعنا واوضـاعنـا، وان نبني جسراً من الحـوار العلمي البنّاء مع الفكر والمفكرين في الشرق والغرب كبداية تساعدنا على التجديد والتحديث ومن ثم الابداع في القضايا الاساسية.

● **اسحق القطب**: التساؤل الاخير حول نظرة المستقبل. هناك جهود تبذل في المحافل العلمية في نطاق المناقشة والتداول في المعطيات التي تشكل الواقع الاجتماعي، واذا نظرنا الى الخطوات التي يمكن ان تُرسي او تساعد على ارساء قواعد علم الاجتماع وتأصيله والارتباط بالجماهير وبالمسؤولين من اجل زيادة فعاليته لخدمة قضايا الانسان والمجتمع العربي. فكيف تتصورون توجهات المرحلة القادمة؟

○ **فؤاد الخـوري**: تتـطلب الاجابة عن هذا التساؤل التوقف والتمعن فيما يمكن ان نسميه اجماعية الاجتماع. وهذا يتوقف بدرجة كبيرة على مسيرة الاوضاع السياسية ومسيرة التيارات الشعبية التي اخـذت بالانتشـار والظهور في العديد من البلاد العربية، والتي لها جذور مختلفة، منها جذور اقتصادية، ومنها دينية، ومنها مزيج من عدة توجهات. واقولها بصراحة ان في مثل هذا المناخ لا يمكن لعلم الاجتمـاع ان ينمو بحريّة. لأن علم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا علمان يقومان اصلاً لتفسير الظواهـر الاجتمـاعيـة التي يعاني منها المجتمع. وتعنى سوسيولوجية المعرفة بماذا سيحدث في هذا المجتمع الذي نعتبر انفسنا جزءاً منه. وانا شخصياً ـ وأقولها بصراحة ـ انظر الى المستقبل بكثير من التشاؤم.

○ **عبد الباسط عبد المعطي**: يمكن ان نلخص اهم الافكار المرتبطة بمسألة التطوير المستقبلي:
اولاً: قضيـة تقسيم العمل العلمي بين المنشغلين بعلم الاجتماع في نطاق العمل التنظيري والمنهجي

واجراء البحوث، وتوثيق العلاقات والصلات بينهم. **ثانياً**: تنظيم صياغة تنظيمية لحركة ونشاط المنشغلين بعلم الاجتماع من خلال رابطة او جمعية علمية، وتعزيز البحوث المشتركة وبين تخصصات مختلفة تأكيداً لأهمية العمل الجماعي والتواصل الجمعي العلمي ونشر المجهود العلمي في مجلة علمية عربية لعلم الاجتماع. ولا بد من بذل الجهد الموضوعي في استشراف المستقبل وهي مسألة استراتيجية مهمة جداً تساعد على الابداع نظرياً ومنهجياً، بالاضافة الى بعض الدراسات التراثية بشرط ان لا نلهث وراء الكسب المادي والسلطة وندرس الظواهر بأثر رجعي.

هذا بالاضافة الى اهمية توجيه البحوث نحو القضايا الساخنة والملحّة للجماهير والسلطة في الوقت نفسه لتأكيد مصداقيتنا، ونبدأ بالخطوة الاولى نحو ممارسة طموحاتنا العلمية، سواء لخدمة المجتمع او لتطوير علم الاجتماع.

إن صياغة ميثاق مهني للعاملين في علم الاجتماع تسهم في معالجة العديد من القضايا العلمية والاحترام المتبادل في مختلف عمليات الاقتباس والنقل والنقد البنّاء من اجل التطوير والتقدم العلمي والمشاركة الجماهيرية، وصناعة القرارات الاجتماعية والسياسية والتنموية.

○ **سعد الدين ابراهيم**: اود ان أوجه نداء الى المشتغلين بعلم الاجتماع في البلاد العربية. هناك جهود يقوم بها عدد من العلماء من مصر ومن خارج مصر لاستشراف المستقبل في الوطن العربي يضم ايضاً علماء في الاقتصاد والسياسة والانثروبولوجيا وعلم النفس والتخطيط تحت اشراف مركز دراسات الوحدة العربية ومقره بيروت، ولدى المركز المخطط العام للدراسة، والجميع مدعوون للاطلاع على المخطط وابداء الملاحظات، والمشاركة في مجال التخصصات واجراء الدراسات في بعض عناصر المخطط، وهذه الخطوة تطبيقية لما ندعو اليه من البدء في العام الحالي والتفاعل بين علماء الاجتماع والعلوم الانسانية والربط بين النظرية والمنهجية.

● **اسحق القطب**: في ختام هذه الندوة لا يسعني الا ان اتقدم اليكم بالشكر للمساهمات البنّاءة التي تناولت اهم القضايا المرتبطة بواقع علم الاجتماع والظروف المحيطة بالمشتغلين فيه واتجاهات المستقبل، وان ما طرحتموه من افكار وآراء آمل ان يتبعه نشاط ملموس في تأصيل النظرية والمنهجية لعلم الاجتماع المرتبط بالتنمية والتطور في المجتمع العربي والاسلامي، وان يقوم علماء الاجتماع العرب بالتفاعل مع بعضهم ومع العلماء في العلوم الانسانية الاخرى على الصعيد المحلي والعربي والدولي □

■ كتب

د. حسن نافعة

مصـــر والصـــراع العربـــي ـ الاسرائيلـــي: من الصراع المحتوم... الى التسوية المستحيلة

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤)، ٢٥٦ ص.

د. مجدي حماد

الامانة العامة ـ جامعة الدول العربية.

هذا الكتاب المهم يمثل محاولة للعودة الى اصول المسائل. وفي ضوء الهجمة الامريكية الشرسة التي تتعرض لها المنطقة العربية، تكتسب هذه المحاولة للعودة الى الاصول اهمية فائقة. فلقد ضاعت حقائق كثيرة، وتاهت حدود ومعالم، واصبحنا في حاجة ماسة للتأكيد حتى على البديهيات.

والقضية التي يتصدى لها هذا الكتاب هي **مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي**، ولهذا فهو يتناول مسألة من اخطر مسائل التطور العربي المعاصر. ففي خضم الصراع السياسي المعقد والعنيف الذي تشهده المنطقة العربية تحت تأثير الهجمة الامريكية، التي تحتل فيها الصهيونية الاسرائيلية مكاناً بارزاً، يمكن لنا البدء بطرح هذه المسألة على شكل مقولة مزدوجة تنصرف الى ان **فلسطين قضية مصرية**، و**مصر قضية عربية**.

ويتصدى د. حسن نافعة، المدرس المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، في هذا الكتاب لتأصيل **المقولة الاولى** التي تذهب الى ان **فلسطين قضية مصرية**، وهو بذلك يرد هذه المسألة الى **اصولها**، ولا شك ان التأكيد على هذه الاصول يقود منطقياً الى التأكيد على **المقولة الثانية** التي تذهب الى ان **مصر قضية عربية**. وبالتالي فهو لا يتصدى لمجرد مهمة **علمية** او **اكاديمية** بالمعنى المجرد للكلمة، رغم اهمية ذلك، وانما هو يتصدى لقضية سياسية وقومية ملحة وعلى درجة عالية من الاهمية والخطورة معاً.. ومن هنا اهمية الدعوة لفتح اوسع حوار ممكن حول الكتاب.. وحول الموضوع.. وهذه بلا شك مسؤولية **مركز دراسات الوحدة العربية** الذي عمد الى المبادرة بتقديم هذا الكتاب للحوار العربي العام.

ان الحديث عن **مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي** لا ينبغي ان يتوقف، ولكن الاهم ايضاً انه ينبغي اعتباره نقطة بداية تحليل مواقف مختلف الاطراف العربية من الصراع بحيث نصل في النهاية الى محصلة لموقف «العرب من الصراع العربي ـ الاسرائيلي».. وهكذا الى جانب تحليل موقف مصر ينبغي ان يكون هناك تحليل لمواقف سوريا، العراق، الاردن، السعودية، لبنان، الكويت، الجزائر.. الخ من الصراع.

وتتضح اهمية معالجة هذا النقص في دراسات الصراع العربي ـ الاسرائيلي اذا وضعنا في الاعتبار اشارة د. حسن نافعة الى

«تردد عبد الناصر طويلاً بين الاعتقاد بقومية المعركة ضد اسرائيل... وبين الشك في ان النظم الرجعية العربية تعتبر الشيوعية او حتى النظم الثورية في الوطن العربي اخطر عليها من اسرائيل نفسها، وبالتالي فإنها موضوعياً تقف مع اسرائيل والامبريالية في خندق واحد» (ص ٣١). فضلاً عما انتهى اليه الكاتب نفسه في خاتمة دراسته ـ من الاشارة الى استمرارية ذلك حيث «اتضح من تطور الصراع العربي ـ الاسرائيلي وخصوصاً خلال السنوات العشر الماضية ان المواجهة مع اسرائيل ليست لها الاولوية المطلقة في ادراك النظم العربية» (ص ١١٧).

فإذا انتقلنا الى الحوار حول الكتاب والموضوع بالشكل المباشر، فإنه يحسن التمييز بين النواحي الشكلية والنواحي الموضوعية، مع التأكيد بداية على ان النواحي الشكلية لا تتضمن بذاتها او بالضرورة جوانب ثانوية او اقل اهمية.

النواحي الشكلية

مع تكرار تأكيدنا على اهمية موضوع الكتاب، الا ان هناك بعض الملاحظات المرتبطة بالناحية الشكلية للكتاب سنحاول التعرض لها تفصيلاً لكي تكون تحت يد د. حسن نافعة وهو بصدد الاعداد لطبعات تالية من الكتاب. وتتصل هذه الملاحظات بعنوان الكتاب والمصطلحات والتقسيم فضلاً عن الوثائق والمصادر والمنهج.

فمن ناحية عنوان الكتاب: **مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي**، يمكن القول انه فضفاض للغاية بحيث يمكن ان يدرج تحت اية افكار او تحليلات دون مؤشر يساعد على حوار واضح مع التوجه الرئيسي للكاتب الذي ينبغي ان يفصح عنه، بداية، عنوان كتابه، والعنوان الفرعي المستخدم: **من الصراع المحتوم... الى التسوية المستحيلة** لا يساعد كثيراً على تحديد **بؤرة** Focus معينة لموضوع الكتاب، بل انه يزيد الامر التباساً حيث يشير الى الانتقال من مرحلة الصراع المحتوم الى مرحلة التسوية المستحيلة بينما لا تحمل المصطلحات المستخدمة معنى الانتقال في الواقع، لأن الصراع المحتوم بمثابة الوجه الآخر للتسوية المستحيلة. خاصة وانه يتضح من معالجة الكاتب للموضوع ان مرحلة الصراع كانت تتضمن ايضاً تلمّس طريق للتسوية (مرحلة فاروق وعبد الناصر)، فضلاً عن ان مرحلة السادات، في جوهرها، كانت انسحاباً من الصراع وليست بحثاً عن تسوية كما ستأتي الاشارة الى ذلك تفصيلاً.

ويرتبط بمشكلة العنوان، **المصطلحات** المستخدمة في الكتاب، وبالذات **المصطلحات وثيقة الصلة بموضوع الكتاب**، واولها كلمة مصر فهي تستخدم لمعاني عديدة مترادفة احياناً ومتناقضة احياناً وغامضة اجياناً.

فعلى سبيل المثال يشير المؤلف في بداية الكتاب الى «الاهتمام **المصري** ـ شعبياً ورسمياً ـ بالقضية الفلسطينية»، وفي الفقرة نفسها يشير مرة ثانية الى «**مصر** الرسمية والشعبية». وهذا تحديد واضح (ص ١٥). ولكن في الفقرة التالية مباشرة يشير الى «اهتمام **مصر** بالقضية الفلسطينية» دون تحديد لأي «مصر» يقصد وعلى اي مستوى. وعندما بدأ في تحليل «دوافع التأييد **المصري** للقضية الفلسطينية» اشار في تحليله **للدافع الديني** الى «الصورة النمطية التي استقرت في اذهان **الشعب المصري** للصراع». بينما اشار في تحليله لدوافع «الامن القومي المصري» الى « **الاوساط العلمانية** في مصر على اختلاف مشاربها الفكرية» والى « **دعاة العروبة** من المصريين». وعندما عمد الى تحليل **الدوافع الانسانية** اشار الى «القوى السياسية والاجتماعية المؤثرة على الساحة المصرية» فضلاً عن القطاعات العريضة «من المثقفين المصريين». ثم يخلص الى ان هذه العوامل قد تضافرت مجتمعة لتخلق نوعاً من **الاجماع المصري** دون اي تحديد. وهكذا فإن مصطلحاً واحداً، يمثل جوهر تحليلات الكتاب قد استخدم بمعانٍ كثيرة: للاشارة الى المستوى الشعبي والمستوى الرسمي احياناً، وللاشارة الى التيارات والقوى السياسية والاجتماعية احياناً، وللاشارة الى النخبة احياناً، وللاشارة الى الحاكم، الملك او الرئيس، احياناً اخرى.

ويمكن القول ان هذه الملاحظات نفسها تنسحب على مصطلح **الجماهير** الذي استخدم كثيراً في الدراسة ليشير الى **مواقف جماهيرية** ربما كانت **الجماهير** غائبة عنها في الواقع، على مرارة ذلك. ولننظر مثلاً الى عنوان **الفصل الثالث** من الكتاب **الرفض الشعبي للمعاهدة** اي للمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية، ونطرح السؤال التالي، على مرارته وقسوته: **هل كان هناك فعلاً رفض شعبي للمعاهدة؟** (سوف نعود لمناقشة ذلك في الناحية الموضوعية من الكتاب). ولكن كان من الاوفق اختيار عنوان اكثر تواضعاً، ولكنه اكثر اقتراباً من الحقيقة لهذا الفصل وليكن: «نماذج من المعارضة او الرفض للمعاهدة»، خاصة وان التحليل قد اقتصر على معالجة موقف حزبين من احزاب المعارضة بالاضافة الى موقف الجماعات الدينية الاسلامية.

وينقلنا ذلك الى اقسام الكتاب الاساسية، حيث يتضمن **ثلاثة فصول**: **اولها ـ** عن «تطور الرؤية المصرية للصراع العربي ـ الاسرائيلي: دوافع الصراع ومحاولات التسوية: ملامح عامة»، و **ثانيها ـ** بعنوان «التسوية المستحيلة»، و **ثالثها ـ** عن «الرفض الشعبي للمعاهدة: الدوافع.. الاسباب.. الآليات». كذلك يتضمن الكتاب **اربعة ملاحق**: **اولها ـ** «وثائق زيارة القدس»، و **ثانيها ـ** «وثائق كامب ديفيد وموقف حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي منها»، و **ثالثها ـ** «معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية»، و **رابعها ـ** «مناقشة المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية في مجلس الشعب المصري».

ولا شك ان الملاحظة الاساسية التي ترد على هذا التقسيم هي تفوق حجم ما خصص للملاحق على ما خصص للفصول الثلاثة. فالكتاب (٢٥٦) صفحة؛ خصص منها **لمعالجة الموضوع** (١١١) صفحة، بينما خصص **للملاحق** (١١٧) صفحة.

كذلك فقد خصص الكاتب اقل عدد من الصفحات لأجزاء البحث التي يمكن ان تشكل اضافة اساسية للموضوع الحيوي الذي يتصدى لتأصيله، وبصفة خاصة تحليل دوافع الصراع ومحاولات التسوية في مرحلة ما قبل الثورة طالما هو يتحدث عن «مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي» ـ من ناحية، ونماذج ومواقف الرفض «الشعبي» للمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية (سواء على مستوى التحليل او على مستوى الوثائق) ـ من ناحية اخرى. فبينما خصص د. نافعة **للفصل الاول** اكثر مما خصص للفصلين الثاني والثالث ـ (٤٣ صفحة للفصل الاول مقابل ٣٢ صفحة للفصل الثاني و٢٤ صفحة للفصل الثالث) ـ نجد ان معالجة مرحلة ما قبل الثورة قد خصص لها فقط (٧) صفحات من (٤٣) صفحة. وان معالجة «الرفض الشعبي للمعاهدة» قد خصص لها (٢٤) صفحة من (١١١) صفحة.

ويرتبط بذلك موضوع **الوثائق** التي يتضمنها القسم المخصص **للملاحق**، فالامر لا يتوقف على تضخم حجم هذا القسم وتفوقه على القسم المخصص للتحليل، فذلك كان من الممكن تبريره اذا كانت هذه الوثائق، او كان اغلبها على الاقل، مما لم يسبق نشره. ولكن على الرغم من ان المؤلف قدم اضافة مهمة، على المستوى العربي، تمثلت في **الملحق الرابع** بالتحديد، الا ان الملاحق الثلاثة الاولى قد سبق نشرها مرات عديدة. ويوضح الكاتب نفسه ذلك في اشارته للمصادر التي اعتمد عليها لنقل هذه الوثائق، حيث ذكر ان «وثائق كامب ديفيد» **منشورة في** الحدود التي استعان بها، في **خمسة** مصادر منفردة ومجتمعة. ولا شك ان هذا التوسع في نشر وثائق سبق نشرها قد جاء على حساب التوسع في استفادة الكاتب من الوثائق التي كانت متاحة له وخاصة مضابط اجتماعات مجلس الشعب المصري، فضلاً عن وثائق عدد آخر من فصائل المعارضة المصرية. وعلى سبيل المثال ربما كان الاوفق ان يتضمن الكتاب اشارة الى مواقف النقابات المصرية، سواء العمالية او المهنية، لتوضيح مواقف هذه النقابات حتى المؤيدة منها

مثل الاتحاد العام لعمال مصر حيث يقف على رأسه وزير العمل الذي رافق السادات الى اسرائيل، ورغم ذلك كانت للاتحاد مواقف غير موالية تماماً للسادات. ومثل نقابة الاطباء التي كان يقف على رأسها احد اقطاب الحزب الحاكم ومع ذلك كانت لها مواقف وطنية معارضة مشرفة، ناهيك عن مواقف نقابات المحامين والصحفيين.

كذلك فإن استعراض وثائق المعارضة فقط ليس بكافٍ، انما كان ينبغي عرض مواقف الاحزاب المؤيدة ايضاً، وبصفة خاصة بيان حزب العمل الاشتراكي بتأييد المعاهدة والتحفظات الواردة فيه. كذلك يغيب عن الوثائق الرد الرسمي الذي سجله د. مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية على مذكرة التفاهم الاسرائيلية ـ الامريكية في رسالتين الى وزير الخارجية الامريكي (آنذاك). ولا يكفي استشهاد د. محمود القاضي ببنود هذا الرد. ويمكن القول ايضاً ان الاكتفاء بموقف حزب التجمع من وثائق كامب ديفيد غير مبرر، والشيء نفسه يسري على استبعاد حزب الاحرار الاشتراكيين سواء من التحليل او من الوثائق، لأن تبرير الكاتب لذلك الاستبعاد غير منطقي اذ يقول «واستبعد حزب الاحرار من نطاق التحليل لاسباب عديدة، من بينها انه **نشأ في ظروف غير واضحة**، ولا توجد لدينا **معايير** يمكن الاستناد اليها لتحديد القوى الاجتماعية والسياسية التي يمثلها» (ص ٩٦). بينما من المعروف ان حزب الاحرار قد نشأ في ظروف نشأة حزب التجمع نفسها وهي ظروف **واضحة** للغاية، بل واكثر وضوحاً من ظروف نشأة حزب العمل. اما مسألة **المعايير** هذه فهي تثير صعوبات كثيرة في ظروف السيولة الاجتماعية والفكرية التي تميز العمل السياسي في مصر حتى الآن، فضلاً عن ان رئيس حزب الاحرار كان زعيماً للمعارضة في مجلس الشعب المصري، قبل تشكيل حزب العمل، كما انه رافق السادات في رحلته الى اسرائيل.

وهكذا يتبقى من الملاحظات الشكلية ما يرتبط بالمصادر التي اعتمد عليها د. حسن نافعة والمنهج الذي التزمه.

فمن ناحية **مصادر الدراسة**، يمكن القول ان المؤلف قد قدم اضافة مهمة للباحث والقارىء على المستوى العربي برجوعه الى عدد من **المصادر الاصلية** في دراسته، وخاصة **مضابط مجلس الشعب المصري**. ولكنه مع ذلك، وبدون اي سبب واضح، لم يرجع الى عدد آخر من **المصادر الاصلية** الضرورية لهذه الدراسة وبصفة خاصة لتحليل عنصر «**الادراك** -Perce ption » الذي خصص له الفصل الاول بأكمله: **تطور الرؤية المصرية للصراع العربي ـ الاسرائيلي**. لقد استعرض الكاتب تطور الادراك عبر **ثلاث مراحل** اساسية: مرحلة ما قبل الثورة، الحقبة الناصرية، والحقبة الساداتية. واذا كان السؤال الاول لدى مدرسة تحليل الادراك هو: **ادراك من**؟ فربما يعود الامر فيما يخص مرحلة ما قبل الثورة الى عدم تحديد إجابة واضحة لهذا السؤال: هل ادراك فاروق ام النخبة ام الجماهير؟.. مصر الشعبية ام الرسمية؟.. الاوساط العلمانية ودعاة العروبة من المصريين ام القوى السياسية والاجتماعية المؤثرة على الساحة المصرية؟. ولكن التحفظ الاساسي هنا يرد على مرحلتي عبد الناصر والسادات: فهل يمكن تحليل ادراك كل منهما دون العودة الى **المصادر الاصلية** لهذا الادراك والتي تتمثل في **مجموعات خطب وتصريحات وبيانات** كل منهما وهي منشورة ومتوافرة،خاصة لأي باحث مصري. ويضاف الى ذلك بالطبع **الميثاق وبيان ٣٠ آذار/ مارس** بالنسبة لمرحلة عبدالناصر و**برنامج العمل الوطني** بالنسبة لمرحلة السادات. بينما لم يتعد الامر اعتماد الكاتب، وفي اشارة واحدة عابرة على **فلسفة الثورة** (ص ٢٢).

ولهذا فقد كان من الغريب، في بحث عن الادراك، ان تنقل **اقتباسات** لعبد الناصر عن غير المصدر الاصلي لها. ومن ذلك مثلاً الاشارة الى ان عبد الناصر صرح علناً في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ وفي كانون الثاني/ يناير ١٩٥٦ «بأنه يوافق وتوافق معه الدول العربية لأول مرة على قبول تطبيق قرارات الامم المتحدة التي اتخذت عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨

وأقرت مشروع التقسيم» (ص ٤٢ ـ ٤٣) والمصدر: احمد حمروش! والامر نفسه تكرر (ص ٤٤) في اقتباس فقرة من رسالة بعث بها عبدالناصر الى كينيدي ،والمصدر: محمد حسنين هيكل واحمد حمروش! بالرغم من ان هذه الاقتباسات منشورة ضمن المصادر الاصلية المشار اليها. وتزداد الصعوبة هنا عندما لا يتعلق الامر بمجرد **اقتباس**، وانما **برأي** او **وجهة نظر** في قضية بالغة الخطورة، من نحو قول د. حسن نافعة، (ص ٢٤ ـ ٢٥): (ولم يعتبر **عبد الناصر** القضية الفلسطينية قضية ذات اولوية خاصة او ملحة يتعين بحث جوانبها المختلفة وايجاد حل فوري لها عقب توليه السلطة في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢... فقد صّرح **صلاح سالم** في حديث له مع الصحافي الفرنسي بيردي بتمان عام ١٩٥٣ عندما سأله عن موقف مصر من اسرائيل قائلاً: «نحن لا نتحرش بأحد، شريطة الا تسعى اسرائيل للخروج عن حدودها») .. والمصدر هنا: احمد حمروش. ولكن هل يجوز تأصيل ادراك عبد الناصر ، في قضية بالغة الخطورة ، بالاحالة الى تصريح لصلاح سالم، رغم غزارة الادب الناصري في معالجتها؟!

وبالاضافة الى عدم الاعتماد على هذه المصادر الاصلية، فقد كانت هناك مصادر اخرى عالجت مباشرة جوانب مختلفة من ادراك كل من عبدالناصر والسادات المرتبط بالصراع العربي ـ الاسرائيلي بعضها من منشورات **مركز دراسات الوحدة العربية**، ربما كان من الملائم ان تكون محل نظر هذا البحث[1]. وحتى الكتاب الوحيد الذي اعتمد عليه د. نافعة من هذه المصادر، وهو كتاب **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر**، جرت الاشارة اليه مرة واحدة وعابرة (ص ٣٠)[2].

فإذا انتقلنا الى الملاحظات المرتبطة **بمنهج الدراسة**، لاتضح على الفور ان افتقاد الدراسة الى **بؤرة** معينة تركز عليها، فضلاً عما ترتب عليه **تقسيم الدراسة** من تحفظات موضوعية، كانا وراء صعوبة تلمس منهج واضح للدراسة. ولهذا تبدو فصول الكتاب الثلاثة بمثابة دراسات مستقلة لا يجمعها سوى العنوان العريض له **مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي**! واذا كان هناك **تسلسل تاريخي** من الفصل الاول الى الفصل الثاني، الا ان **الفصل الثالث** يعتبر مرتبطاً ارتباطاً عضوياً وموضوعياً بالفصل الثاني، لأن **الرفض الشعبي للمعاهدة**، حتى

---

(١) انظر على سبيل المثال: محمد السيد سليم، **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية**، سلسلة اطروحات الدكتوراه، ٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣)، انظر ايضاً المقالات التالية: مارلين نصر، «التصور القومي العربي عند عبد الناصر: دراسة في علم المفردات والدلالة،» ص ٦ ـ ٢٧؛ احمد فارس، «رؤية عبد الناصر للنظام الاقليمي العربي، ١٩٥٢ ـ ١٩٥٥،» ص ٢٨ ـ ٤١؛ محمد السيد سليم، «التحليل الناصري للسياسة الخارجية،» ص ٤٢ ـ ٦١، ومجدي حمّاد، «اسرائيل في ادراك عبدالناصر، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠،» ص ٦٣ ـ ٨٣، في: **المستقبل العربي**، السنة ٣، العدد ٢٠ (تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٠)؛ مجدي حمّاد، «رؤية عبدالناصر للصراع العربي الاسرائيلي،» **الموقف العربي**، السنة ٢، العدد ١٦ (آب/ اغسطس ١٩٧٨)، ص ٦٠ ـ ٧١. انظر ايضاً الدراسات التالية: حسن بكر احمد، «تطور نظرة عبدالناصر الى الجيش المصري (من خلال النصوص)،» ص١٩٠ـ ٢٠١؛ مجدي حمّاد، «رؤية عبدالناصر لمسألة حل الصراع العربي ـ الاسرائيلي،» ص ٣٠ ـ ٥٣؛ حسن حنفي، «عبدالناصر وقضية الصلح مع اسرائيل،» ص ٧ ـ ٢٩؛ يوسف حسن شوقي، «تصور القيادة الناصرية لاسلوب تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي،» ص ٥٤ ـ ٧١، وجهاد عودة، «مصر وسائر العرب في ادراك عبدالناصر،» ص ٧٢ ـ ٩٦، في: **عبد الناصر وما بعد**، كتاب «قضايا عربية»، اشراف انيس صايغ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)؛ مجدي حمّاد، «رؤية الرئيس عبدالناصر لقضايا نزع السلاح،» **السياسة الدولية**، السنة ١٤، العدد ٥٣ (تموز/ يوليو ١٩٧٨)، ص ٢٥ ـ ٣٦؛ ياسين الحافظ، «عبدالناصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي،» **شؤون فلسطينية**، العدد ١١ (تموز/ يوليو ١٩٧٢)، وعبد العاطي محمد احمد: «رؤية الرئيس السادات لقضايا نزع السلاح،» **السياسة الدولية**، السنة ١٤، العدد ٥٣ (تموز/ يوليو ١٩٧٨)، ص ٣٧ ـ ٤٤، و **انور السادات وقضايا نزع السلاح** (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ١٩٧٨).

(٢) مارلين نصر، **التصور القومي العربي في فكر جمال عبدالناصر، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠: دراسة في علم المفردات والدلالة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨١).

وان كان جزئياً، يعتبر سبباً اصيلاً من اسباب هذه «التسوية المستحيلة». كذلك ليس هناك من سبب منطقي يبرر عدم دمج **الفصل الثاني** من الكتاب ضمن الجزء الثالث من **الفصل الاول** وعنوانه **الحقبة الساداتية** وبهذا يكون التسلسل موضوعياً، خاصة وان ما تضمنه هذا الجزء لم يخصص لتحليل **ادراك السادات** للصراع العربي ـ الاسرائيلي كما يوحي بذلك عنوان الفصل الاول.

ولهذا ربما كان من الملائم تقسيم البحث الى قسمين فقط **اولهما** ـ عن مرحلة الصراع التي انتهت **موضوعياً** بحرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، و**ثانيهما** ـ عن مرحلة الخروج من الصراع، التي بدأت اصلاً منذ تولي السادات السلطة ولكنها اكتملت موضوعياً بالتوقيع على المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية. وهكذا يصبح **الصراع** هو **محور** البحث، ويمكن بالتالي الالتزام بإطار منهاجي موحد لدراسة المراحل التاريخية الثلاث للصراع، مرحلة ما قبل الثورة، الحقبة الناصرية، والحقبة الساداتية، ويمكن ايضاً استشراف آفاق المستقبل في ضوء الاطار نفسه. وهنا يمكن الاشارة الى ان دراسة الصراعات الدولية، على الرغم من ان هناك مدارس عديدة سعت الى تقديم نظريات بشأنها، الا ان هناك مجموعة من العناصر محل اتفاق بحيث يمكن القول إنها تشكل اطاراً منهجياً ملائماً للدراسة، ومن هذه الناحية يمكن الاشارة بصفة خاصة الى اربعة عناصر: **اولها** ـ طبيعة الصراع، و**ثانيها** ـ اطراف الصراع، و **ثالثها** ـ ديناميات الصراع، و **رابعها** ـ مناهج حل الصراع، ولا شك ان تبني مثل هذا الاطار يقدم اساساً موضوعياً للمقارنة بين المراحل التاريخية الثلاث، فضلاً عن انه يقدم اساساً جيداً لدراسة ديناميات عملية الخروج بمصر من دائرة الصراع التي قادها السادات، بمعالجته المتغيرة لهذه العناصر الاربعة.

ويضاف الى ذلك ملاحظة مهمة اخرى، تتصل بعدم التزام الدراسة بأصول منهج تحليل «الادراك»، حيث ينبغي ان يختفي الباحث ويدع المادة تتحدث عن نفسها، وله بعد ذلك ان يتدخل بالرأي والتقويم، ولكن الاساس في التحليل ينبغي ان يتمثل في مقولات وكلمات الشخصية محل التحليل. ولهذا تظل غريبة للغاية الاشارة في مجال تحليل دوافع المشاركة **المصرية** في الصراع من زاوية الادراك الى اقتباس للسيد **لاميسون السفير البريطاني** في مصر عن الدافع الديني واقتباس آخر عن دوافع الامن القومي المصري (تطلعات البرجوازية المصرية للسوق العربي)، وذلك من واقع رسالة بعث بها الى وزير خارجيته عام ١٩٣٩!!

القضايا الموضوعية

يشير د. حسن نافعة في مقدمة كتابه الى المحاور الاساسية لموضوع دراسته حيث يقول: «ان هذا البحث يؤصل **للدوافع المصرية وراء المشاركة في الصراع** ويتتبع **القضايا** التي يشملها هذا الصراع منذ منتصف الثلاثينات حتى الآن. ويوضح البحث كيف ان هذه **المشاركة المصرية** لم تكن مدفوعة بمشاعر التضامن العربي او الاسلامي فقط، ولكنها كانت مدفوعة اساساً بمخاوف مصرية على امن مصر القومي ولأسباب تتعلق بالحرص على الاستقلال والتنمية المستقلة. كما يتتبع البحث **عملية التسوية** ويوضح بكل الدقة العلمية لماذا رفضت مصر في الماضي تسوية منفردة مع اسرائيل وحرصت على ابراز قومية الصراع سلماً او حرباً، ثم ما هي الاسباب التي دفعت مصر في الحقبة الساداتية الى البحث عن تسوية منفردة. ويناقش البحث شروط هذه التسوية المنفردة وتأثيرها على قضايا العمل الوطني وارتباطات مصر الاقليمية والعالمية. واخيراً يتتبع البحث **تطور موقف القوى الوطنية من التسوية الاسرائيلية ـ المصرية المنفردة** والأسباب والدوافع التي حدت بهذه القوى الى رفض هذه التسوية» (ص ١١).

ويتضح من هذه الفقرة ان الكاتب قد تصدى لمعالجة **اربع قضايا** اساسية:

اولها ـ قضايا الصراع العربي ـ الاسرائيلي منذ منتصف الثلاثينات حتى الآن.

ثانيها ـ دوافع المشاركة المصرية في الصراع (عبر ثلاثة عهود).

ثالثها ـ محاولات البحث عن تسوية للصراع (عبر العهود الثلاثة ايضاً).

رابعها ـ موقف القوى الوطنية المصرية من التسوية المصرية الاسرائيلية المنفردة.

ويمكن القول ان هذه المعالجة قد فتحت الباب لاستعراض قضايا اخرى اساسية، بطريق مباشر او غير مباشر، فضلاً عن اختبار عدد من الفروض المرتبطة بموضوع الدراسة: **مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي**، عبر عهود ثلاثة. فبالاضافة الى القضايا الاربع سالفة الذكر، ترتبط بهذه الدراسة القضايا والفرضيات التالية:

ـ تقويم الموقف المصري في العهود الثلاثة (الملكية والناصرية والساداتية) من الصراع العربي ـ الاسرائيلي، سواء على مستوى الادراك او على مستوى السلوك.

ـ استخلاص عناصر الاستمرار وعناصر التغير في الموقف المصري طوال هذه الحقبة التاريخية الممتدة منذ منتصف الثلاثينات حتى الآن.

ـ تقويم الفرضية الشائعة والتي تقول بأن السادات استمرار لعبد الناصر.

ـ تقويم العلاقة بين المتغيرات الداخلية والمتغيرات الخارجية في اطار دراسة الموقف المصري من الصراع والتسوية.

ـ دراسة قضية «الجماهير» على الساحة الداخلية والعربية وموقفها من الصراع والتسوية.

ويلاحظ ان المؤلف قد تعرض لبعض هذه القضايا والفرضيات، ولكن لا شك ان إعادة النظر فيها قد توحي له بامكانية التوسع في بعض النقاط او استكمال بعض اجزاء الدراسة، وذلك عندما تتاح له فرصة طبعات تالية من الكتاب؛ وذلك في ضوء ما نجتهد، ويجتهد آخرون، في ادراجه من ملاحظات على الدراسة تتصل بهذه القضايا والفرضيات او بغيرها.

ولعل **اول** ما يتبادر الى الذهن من ملاحظات يتصل بما يبدو من خلط بين العهود التاريخية الثلاثة (الملكية والناصرية والساداتية). فالفقرة السابق الاشارة اليها من مقدمة الكتاب، تشير الى دوافع **المشاركة المصرية** في الصراع والى رفض «مصر **في الماضي** تسوية منفردة مع اسرائيل» وحرصها على «ابراز قومية الصراع»، ثم تشير الى ان الدراسة ستعالج، من ناحية اخرى، «الاسباب التي دفعت مصر في **الحقبة الساداتية** الى البحث عن تسوية منفردة».

وهكذا يبدو وكأن الدراسة تميز بين مرحلتين اساسيتين: **اولاهما** ـ تشتمل على العهدين الملكي والناصري، حيث سادت المشاركة المصرية في الصراع ورفضت التسوية المنفردة، و **ثانيتهما** ـ مرحلة العهد الساداتي حيث تمت التسوية المنفردة. وقد لا يبدو على هذا التمييز اية تحفظات، وخاصة اذا كان يعبر عما حدث بالفعل، ادراكاً وسلوكاً، ولكن مجرد مراجعة المصطلحات التي استخدمها المؤلف تفصح بجلاء عن انه يميز اساساً بين العهد الناصري والعهد الساداتي، اذ يصعب القول بأن العهد الملكي التزم المشاركة في الصراع «لاسباب تتعلق بالحرص على الاستقلال والتنمية المستقلة»، او انه حرص على «ابراز قومية الصراع». ومن هنا تبرز الدعوة مرة ثانية الى اهمية تحليل العهد الملكي من زاويتي الصراع والتسوية وصولاً الى عناصر الادراك السائدة وتحليلاً لتوجهات السلوك المرصودة. لأن تحليل هذا العهد بالذات قد تكون له اهميته الفائقة في استخلاص دوافع المشاركة **المصرية** في الصراع، بعيداً عن مواريث العهد الناصري، وخاصة الامن الوطني المصري وعلاقته بالامن القومي العربي ـ من ناحية، وادراك طبيعة اسرائيل ـ من ناحية ثانية، ومفهوم القومية العربية والتضامن العربي ـ من ناحية ثالثة. وخاصة مع اشارة الكاتب الى ان استراتيجية عبدالناصر تجاه القضية الفلسطينية قد تمثلت في «محاولة تجميد هذه القضية، دون المساس **بالتزامات مصر العربية التي ورثتها عن العهد السابق**» (ص ٢٤).

ومن **ناحية ثانية**، فقد شاع في الدراسة ميل الى **التقرير والتعميم**، قد لا يتفق مع مستوى الدراسة وخطورة الموضوع الذي تتصدى لمعالجته، ومن ذلك على سبيل المثال:

١ ـ الاشارة (ص ٢٧) الى ان «الفترة التالية لحرب ١٩٥٦ وحتى بداية ازمة ١٩٦٧ لم تشهد اي استعداد جدي من جانب عبدالناصر لمواجهة عسكرية مع اسرائيل». فالدراسة بداية لا تشير الى ادراك عبدالناصر للصراع او للتسوية ولا الى ادراكه لحدود استخدام القوة المسلحة في مواجهة اسرائيل، وهي من باب اولى لم تتضمن اية اشارة لادراكه لطبيعة الصراع ولأولوية المواجهة؛ هل هي لنظام السيطرة والاستغلال العالمي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ام هي لاسرائيل؟ كذلك فالدراسة لا توضح ما هي معايير الاستعداد ومعايير الجدية هنا؟ وهل تقاس ـ مثلاً ـ بميزانية القوات المسلحة او باتفاقيات التسليح وبرامج التدريب؟ ام بحجم القوات المسلحة وعمليات التجنيد والتوعية؟ ام ببرامج التعبئة السياسية والاجتماعية ونظم التعليم والتنشئة والاتصال؟ ام باستراتيجية التنمية الاقتصادية ونوعية الانتاج والموازنة بين الامن والتنمية؟ ام بطبيعة النظام السياسي السائد وعلاقة السلطة بالجماهير؟ ام بنمط العلاقات المصرية العربية ودور مصر في الجامعة العربية ومؤتمرات القمة وسياسة المحاور والتكتلات ؟ ام بنمط علاقات مصر الخارجية بالقوتين العظميين وبعالم عدم الانحياز؟.. معايير ومتغيرات عديدة كان من الممكن الاستناد اليها لتحليل هذا **التقرير والتعميم الخطير**، دون الاكتفاء فيما يبدو بمعيار واحد ربما اعتقد د. حسن نافعة انه من الوضوح لدرجة تبرر عدم الاشارة اليه وهو هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧. ولكن حتى بالاستناد الى هذا المعيار فإن الامر كان يقتضي مزيداً من التحليل لدراسة عناصر الاستعداد وعناصر الجدية، وخاصة في ضوء اشارة المؤلف(ص ٣١) الى «ان عبدالناصر لم يكن يقصد بالضرورة من حشد التضامن العربي في مواجهة اسرائيل **الدخول في مواجهة عسكرية** معها، وانما تقوية الموقف العربي الى الدرجة التي تسمح بحل القضية حلاً مشرفاً».

كذلك فإن هذا التقرير والتعميم يتناقض مع **تقرير وتعميم آخر** اشار اليه د. نافعة (ص ٢٤) بقوله: «ولم يعتبر عبدالناصر القضية الفلسطينية قضية ذات اولوية خاصة او ملحة يتعين بحث جوانبها المختلفة وايجاد حل فوري لها عقب توليه السلطة في ٢٣ تموز/ يوليو. ويمكن التأكيد على **ان البديل الذي اختاره كان محاولة تجميد هذه القضية** دون المساس بالتزامات مصر العربية التي ورثتها عن العهد السابق، انتظاراً لظروف عربية ودولية اكثر ملاءمة للتوصل الى تسوية». ومع وضوح التناقض بين التقريرين، يمكن الاشارة بالاضافة الى ذلك الى انه ليس من الواضح هنا مصدر هذا **التأكيد**، لأن بحوث الادراك بالذات ينبغي ان تتميز بأكبر درجة ممكنة من حياد، وربما قلنا غياب، الباحث تماماً، بحيث لا يبرز رأيه الا بعد تقديم ادراك الشخص المعني، وبحيث تشتق مختلف التوجهات، مثل التأكيد او الرفض او السعي.. الخ، من مقولات وكلمات هذا الشخص.

٢ ـ الاشارة (ص ٢٨) الى انه «على الرغم من ان عبدالناصر لم يغلق الباب امام محاولات التسوية السلمية الا انه كان على اقتناع تام بأن «ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة» **وكان الجيش المصري قد، اوشك على انهاء استعداداته لخوض حرب التحرير عندما رحل عبد الناصر فجاة** ». ففي مثل هذا الامر الخطير كان لا ينبغي الاكتفاء بالتقرير والتعميم، دون حتى إحالة الى مصدر متخصص، وخاصة مع توافر مثل هذا المصدر. ونشير هنا تحديداً الى **مذكرات الفريق اول محمد فوزي** وزير الحربية المصرية آنذاك، والتي تتضمن حقائق ووقائع تؤكد هذا التقرير وتتبناه ايضاً، مع ملاحظة ان هذه المذكرات، وخاصة فيما يتصل باستعداد القوات المسلحة المصرية لخوض حرب التحرير عندما رحل عبدالناصر، قد تعرضت لنقد جدي من قبل احد الباحثين العسكريين المصريين، وأحد ضباط ثورة يوليو في الوقت نفسه، وهو الاستاذ جمال حماد على صفحات مجلة **اكتوبر**

المصرية[٣]. ولا شك لأهمية تحليل مثل هذا التقرير في توضيح عناصر عديدة ترد في الوقت نفسه على توقع الاستاذ جمال حماد، وفي مقدمتها طبيعة «حرب التحرير» التي كانت تستعد لها القوات المسلحة المصرية في ظل عبدالناصر، وحقيقة الدعم السوفياتي لمصر في تلك المرحلة، ودرجة التنسيق العسكري المصري السوري، والعلاقة بين هذا الاستعداد وحرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣، والعلاقة بين «خطة ناصر» العسكرية و«خطة السادات».

٣ ـ «كانت **ثورة يوليو**، الى حد ما كما اشرنا، **ثورة مصرية** خالصة سواء من حيث الدوافع او الاهداف» .. هكذا اشار د. نافعة (ص ٢٨). ومع ذلك فإن **ثورة يوليو** فيما نعتقد قد جسدت دوافعها واهدافها، عبر مسيرة هذه **الثورة** ـ التي بدأت بحركة الجيش المصري يوم ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢ ـ في شعارات الحرية والاشتراكية والوحدة.

وليس يكفي هنا ان نقرر ان **حركة الجيش** لم ترفع في بدايتها سوى **المبادىء** الستة، التي تخلو من اية اشارة للبعد العربي، لأنها تخلو ايضاً من اية اشارة **للبعد الخارجي** اجمالاً، العربي وغير العربي. كذلك فإنه ينبغي ان يوضع في الاعتبار ان مجموعة الضباط او المؤسسة العسكرية اجمالاً ليست حزباً سياسياً له برنامج متكامل للتغيير الداخلي والخارجي، كما ان حركة الجيش لم ترتبط بأي حزب من الاحزاب القائمة. ثم لنا ان نتصور اوضاع مصر ـ آنذاك ـ حيث يوجد الاحتلال الانكليزي فضلاً عن سيطرة القصر والاقطاع ورأس المال، لندرك ان طرح شعار تحرير مصر كان ينبغي ان تكون له الاولوية، وربما بدا الحديث، عن تحرير الوطن العربي لحظة قيام الجيش بحركته، نوعاً من الترف الفكري.

واذا اضفنا الى ذلك اشارة الكاتب (ص ١٩) الى «تشكيل تنظيم الضباط الاحرار من بين العناصر التي شاركت في حرب ١٩٤٨»، وإشارة عبدالناصر في **فلسفة الثورة** الى ان «المعركة الحقيقية في القاهرة» وأن قاعدة التحرير والتغيير هي مصر، لاتضح لنا خطورة هذا التقرير القائل بأن «ثورة يوليو كانت ثورة مصرية خالصة» حتى اذا قمنا بعملية **ضبط للمفاهيم** واستخدمنا تعبير «حركة الجيش» او حتى «الانقلاب العسكري» بدلاً من مصطلح «الثورة» للدلالة على المراحل الاولى لعهد عبدالناصر.

٤ ـ الاشارة (ص ٣٢) الى انه «من اهم السمات التي ميزت نهج عبد الناصر في ادارة الصراع العربي ـ الاسرائيلي انه حاول بكل الوسائل الممكنة الحيلولة دون الاستقطاب الكامل لطرفي الصراع، كي لا يصبح جزءاً من استراتيجية القوتين العظميين». **وهو تقرير وتعميم لا يتفق مع ما حدث بالفعل وخاصة بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧** حيث اختلفت استراتيجية عبدالناصر تماماً تجاه التعامل مع القوتين العظميين وخاصة الاتحاد السوفياتي. والملاحظ ان هذا هو ما عاد د. نافعة الى الاشارة اليه (ص ٣٥) بقوله: «ان عبدالناصر خطط لتوريط الاتحاد السوفياتي الى اقصى درجة في الشرق الاوسط، وبالتالي قبل مختاراً ان يصبح الصراع في الشرق الاوسط صراعاً مباشراً بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي».

٥ ـ الاشارة (ص ١٧) الى «الامن القومي المصري، المرتبط ارتباطاً عضوياً بالامن القومي العربي طبقاً لدعاة العروبة من المصريين». والاشارة (ص ٤٢) الى «الامن القومي المصري، والذي يرتبط في ادراك عبد الناصر بالامن القومي العربي ارتباطاً عضوياً». **وهي** اشارات لا يجوز في **بحوث الادراك** تقريرها بدلاً من تحليلها. وهو التحليل الذي كان يسمح لنا ـ مثلاً ـ بأن نعرف من هم «دعاة العروبة من المصريين» وكيف نظروا الى الامن الوطني المصري والى ارتباطه بالامن القومي العربي.. وكيف عبروا عن ذلك اصطلاحاً ومضموناً.

٦ ـ الاشارة (ص ٣٤) الى «ان عبدالناصر اشار في خطابه الذي اعلن فيه التخلي عن السلطة في ٩ حزيران/

(٣) انظر: محمد فوزي، **حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠: مذكرات وزير الحربية الاسبق** (بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٣)، ص ٢١٠ ـ ٢١١، وجمال حمّاد، في: **اكتوبر**، (اعداد حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو ١٩٨٤).

يونيو الى الاتحاد السوفياتي بعبارات تحمل معنى التواطؤ او التخاذل». فهل توجد في الخطاب المذكور مثل هذه العبارات بالفعل؟ وهل يجوز بشأنها التقرير والتعميم؟

ومن **ناحية ثالثة**، فقد وعد د. حسن نافعة، في مقدمة كتابه، بالاجابة عن سؤالين اساسيين بالنسبة لموضوع الدراسة.

اولهما - «لماذا رفضت مصر في الماضي تسوية منفردة مع اسرائيل؟» حيث حرص د. نافعة على ان يؤكد انه سوف يوضح ذلك «بكل الدقة العلمية» (ص ١١).

ثانيهما - «ماهي الاسباب التي دفعت مصر في الحقبة الساداتية الى البحث عن تسوية منفردة؟» (ص ١١ - ١٢).

ومع ذلك فقد بقي السؤالان بدون اجابة، وبينما توجد بعض الاشارات الجزئية للاجابة عن السؤال الاول، ليست هناك اجابة مطلقاً عن السؤال الثاني. فبالنسبة للسؤال الاول، استعرض المؤلف «محاولات التسوية السلمية للصراع في الحقبة الناصرية» (ص ٣٥ - ٤٥) ولكن تحليله قد انصب على تأكيد مقولتين: **الاولى** - «عبدالناصر قد حاول استكشاف النوايا الاسرائيلية وتصورات القيادة الاسرائيلية لاحتمالات التسوية وشروطها» عبر «اتصالات مباشرة بين مسؤولين مصريين ومسؤولين اسرائيليين» (ص ٣٦)، **والثانية** - «ان عبدالناصر لم يهدف الى تدمير الكيان الاسرائيلي والقضاء على وجود اسرائيل كدولة» (ص ٣٦). وقد اسهب د. نافعة في استعراض هذه **الاتصالات** المباشرة وغير المباشرة لتأكيد هاتين المقولتين، دون اجابة واضحة على السؤال المطروح في المقدمة، سوى القاء التبعة على «رفض اسرائيل».

اما بالنسبة للسؤال الثاني فالامر اكثر مدعاة للحيرة، لأن د. نافعة قد خصص ثلث الكتاب (الفصل الثاني) لتحليل **التسوية المستحيلة** كي يرد على هذا السؤال بالتحديد. ولقد بدأ تحليله في هذا الفصل بالاشارة الى «دوافع» زيارة السادات لاسرائيل، واستخلص من دراسة للدكتور سعد الدين ابراهيم ان هذه الدوافع قد قسمت «الى دوافع داخلية وعربية ودولية»[٤]. ولم يوضح د. نافعة لماذا اكتفى بهذا التفسير لدوافع «المبادرة»، رغم ان هناك «مدارس» عديدة ذهبت في تفسير هذه الدوافع كل مذهب. ولكن الذي يدعو للنظر حقيقة هو النقد الاجمالي الذي وجهه د. نافعة لهذا التفسير حيث يقول (ص ٦٢) «الواقع ان هذا التحليل يبدو **الآن**، وبعد مرور اكثر من **خمس سنوات** تكشفت فيها بعض الحقائق التي **كانت** خافية حينئذٍ، وكأنه ينحو نحو **التبرير والتماس الاعذار** اكثر منه محاولة للتعمق وراء البحث عن **الاسباب الحقيقية** التي تتفق مع تطورات المواقف السابقة» !. ويبدو الجدال هنا غريباً، اذ تدفع محاولة د. سعد الدين ابراهيم بالاتجاه نحو التبرير والتماس الاعذار، بعد مرور اكثر من خمس سنوات وتكشف بعض الحقائق التي كانت خافية!

ثم يفنّد د. نافعة بعض الدوافع الاخرى التي اشار اليها د. سعد الدين ابراهيم باعتبار انها لا تقدم **الدوافع الحقيقية** للمبادرة. فإذا سألنا عن هذه الدوافع، بعد التفنيد والنقد، رد د. نافعة (ص ٦٤) قائلاً: «وفي هذا الاطار يصبح السؤال المثير ليس «لماذا قام السادات»... بالمبادرة بالزيارة؟ وانما يصبح: لماذا فضّل السادات هذه الطريقة الدرامية والمسرحية بدلاً من الاتصال السري المباشر والذي كان قد بدأ بالفعل من قبل المبادرة؟». وهكذا فإن د. نافعة قد اختار الا يجيب عن السؤال الاساسي الذي طرحه في المقدمة ووعد بالاجابة عنه «بكل الدقة العلمية»، وهذا السؤال هو بلا شك في حاجة الى هذه الاجابة والى تلك الدقة، واختار بدلاً من ذلك - دون اي مبرر موضوعي، ودون توضيح الاسباب - ان يجيب على سؤال آخر ليست له بالقطع الاهمية او الخطورة نفسها، وهو امر لا

---

(٤) سعد الدين ابراهيم، «المبادرة بين التصلب الاسرائيلي ومجموعة الرفض،» **السياسة الدولية**، السنة ١٤، العدد ٥٢ (نيسان/ ابريل ١٩٧٨)، ص ١٧ وما بعدها.

يستقيم مع تقاليد البحث العلمي ولا مع استراتيجية الباحث المعلنة.

ومن ناحية رابعة، فإن الملاحظات المرتبطة بمنهج الدراسة، والتي سبقت الاشارة اليها، وخاصة عدم تبني اطار منهجي لدراسة ظاهرة الصراع - من ناحية، وعدم الالتزام بأصول منهج تحليل الادراك - من ناحية اخرى، ترتب عليها صعوبة تقويم العهود التاريخية الثلاثة، فضلاً عن صعوبة استخلاص عناصر الاستمرار وعناصر التغير.

ويمكن القول ان التغلب على هذه الملاحظات المنهجية يساعد على فهم افضل لمقولة الكتاب الاساسية حول «الصراع المحتوم» - من ناحية، و«التسوية المستحيلة» - من ناحية اخرى. اذ يمكن في هذه الحالة الاجابة عن سؤالين اساسيين: **اولهما** - «الصراع المحتوم» او «التسوية المستحيلة».. في رأي مَن؟ وما هو الوزن النسبي لهذا الرأي في محيط صراع القوى السياسية والاجتماعية في مصر؟. **وثانيهما** - لماذا «الصراع محتوم» و«التسوية مستحيلة»؟ وذلك بالطبع بناء على تحليل موحَّد العناصر للادراك السائد في العهود الثلاثة.

ولنأخذ، على سبيل المثال، احد الاسئلة الاساسية للدراسة، وهو دوافع المشاركة المصرية في الصراع العربي - الاسرائيلي؟ فقد بدأ د. نافعة تحليله **لمرحلة ما قبل الثورة** بعنوان مباشر للموضوع: «دوافع التأييد المصري للقضية الفلسطينية» (ص ١٥) وحددها **بثلاثة دوافع**: الدافع الديني، دوافع الامن القومي المصري، الدوافع الانسانية والوقوف الطبيعي الى جانب الحق. بينما لا نجد تحديداً مباشراً في الحقبتين الناصرية والساداتية، ولا نعرف بالتالي مدى الاستمرار والتغير في هذه الدوافع، وبصفة خاصة الدافعين الاول والثاني، كما اننا لا نعرف طبيعة الادراك السائد في كل حقبة لدوافع الامن القومي المصري وانعكاس ذلك على التوجه ناحية الصراع حتى حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ ثم الارتداد ناحية التسوية المصرية - الاسرائيلية في الحقبة الساداتية. ومن ناحية اخرى، لنتأمل **تطور الرؤية المصرية للصراع** في مرحلة ما قبل الثورة، لتفهم المشكلات المرتبطة بتحليل الادراك: ففي تحليله **للدافع الديني**، اشار د. نافعة الى «الصورة النمطية التي استقرت في اذهان الشعب المصري للصراع»، بينما في استعراضه **لدوافع الامن القومي** المصري اشار الى **الاوساط العلمانية في مصر على اختلاف مشاربها الفكرية** والى **البرجوازية المصرية** وأخيراً الى **دعاة العروبة من المصريين**، اما في تحليله **للدوافع الانسانية** فقد كانت الاشارة الى **القوى السياسية والاجتماعية** والى **قطاعات عريضة من المثقفين المصريين**. ومن هنا السؤال مرة اخرى: ادراك مَن؟.. والا يكون من الغريب في تحليل الدوافع ان نشير الى ارتباط الدافع الديني بالشعب المصري، بينما تتم دراسة دوافع الامن القومي بالاشارة فقط الى الاوساط العلمانية والبرجوازية؟.. وما هي علاقة التوافق والتناقض بين هذين الدافعين، وبالتحديد ما هي رؤية الاوساط العلمانية للدافع الديني للصراع؟.. وهل يجوز اصلاً تحليل **دوافع الامن القومي** بغير تحليل ادراك **السلطة الحاكمة**، وهي التي تتولى تحديد متغيرات الامن القومي، وتحديد عناصر الخطر والتهديد التي يمكن ان يتعرض لها الامن القومي، فضلاً عن اتخاذ القرارات المرتبطة او عدم المشاركة في صراع ما؟!

ان معالجة هذه الملاحظات تساعد على تقديم صورة متكاملة لموقف مصر من الصراع العربي - الاسرائيلي، لأن من الواضح ان هناك سوء فهم مقصود فيما يتصل بعلاقة مصر بالعروبة وبالصراع العربي - الاسرائيلي. ونقطة البداية لدينا واضحة وهي ان هناك **صراعاً محتوماً** بين مصر واسرائيل. ولذلك فإننا نعتقد ان من الاخطاء الاساسية التي تشوب التصور السائد في مصر، وفي كل قطر عربي آخر، يتمثل في تركيز الدور المطلوب في علاقة بسيطة على انها **التضامن العربي**، اي تضامن الشعب المصري مع الشعب الفلسطيني.. او تضامن الشعب

السعودي او المغربي.. الخ مع الشعب الفلسطيني. ان هذه المسألة ينبغي وضعها في اطارها الصحيح باعتبارها دفاع الشعب المصري عن نفسه وعن امنه الوطني. فليس هناك شعب يمكن ان يضحي بمصالحه من اجل شعب آخر الا الى حد معين.. هو حد التضامن. ولكن عندما تصل التضحيات الى «حد الدم» فلا بد من ان ينطوي الامر على ما يبرر تجاوز حد التضامن.

ولذلك فإنه يمكن القول ان التحولات التي نراها من حولنا لم يكن ممكناً لها ان تحدث لولا حملة التأثير على الوعي المصري تحت شعار ان مصر كانت تحارب اسرائيل **تضامناً** مع الشعب الفلسطيني.. ولذلك عندما تضخمت التضحيات كان من الطبيعي ان نجد من يقول: «كفانا تضحيات من اجل شعب آخر»!!. ومن هنا فإذا كانت مصر في هذا الصراع من اجل الشعب الفلسطيني وحده، فإنه ربما يمكن فهم ما حدث فيها في الحقبة الساداتية. ولكن اذا كانت مصر تحارب من اجل الشعب المصري لاعتبارات تتصل بأمنه الوطني وبتنميته المستقلة فضلاً عن اتصاله بأمته العربية لأن **مصالحه** تقتضي ذلك.. فإن ما حدث لا يمكن فهمه.

إن التضحيات من اجل نداء عاطفي او اخوي لا يمكن تبريرها الى الابد.. كما انها لا تخلق التزاماً اصيلاً مستمراً. ولذلك فإن جوهر المشكلة الحالية في مصر ـ وفي غيرها من الاقطار العربية ـ انما يرجع الى اننا اخذنا من القضية بعداً واحداً.. ولم تكن لدينا الشجاعة الكافية لكي نعلن ان كل قطر عربي انما يدافع ـ ايضاً ـ عن مصلحته وعن امنه الوطني.

ومن هنا اهمية رصد التصورات الذاتية وعناصر الادراك السائدة في العهود الثلاثة لطبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ولدوافع المشاركة المصرية في الصراع ـ من ناحية، وضرورة التحليل النقدي لما يتم رصده من تصورات وادراك ـ من ناحية ثانية، فضلاً عن اهمية ربط عملية الرصد والنقد بالبحث عن دوافع المشاركة في المعطيات التاريخية والاجتماعية الموضوعية، التي تتولد عنها التصورات الذاتية في تعبيراتها المختلفة ـ من ناحية ثالثة.

وتبقى بعض الملاحظات على معالجة د. نافعة للعهود الثلاثة:

ـ **العهد الملكي**: لقد اشارت الدراسة الى عدد من المواقف القومية للحكومات المصرية منذ بدأ «الاهتمام الشعبي والرسمي» بالقضية الفلسطينية عام ١٩٣٦. واذا وضعنا في اعتبارنا طبيعة النظام الليبرالي البرلماني الذي كان سائداً في مصر آنذاك، فإن هناك ثلاثة قرارات اساسية اشارت اليها الدراسة بعضها لم يحظ بأية معالجة والبعض الآخر حظي بمعالجة جزئية وسريعة رغم اهميته واهمية هذه المرحلة اجمالاً. وهذه القرارات الثلاثة هي:

ـ قرار دخول جامعة الدول العربية، وما ارتبط بذلك من مشاورات.

ـ قرار رفض قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة الخاصة بالتقسيم والتعويض عام ١٩٤٧.

ـ قرار الدخول في حرب فلسطين عام ١٩٤٨.

ورغم الاشارات الجزئية لتحليل هذه القرارات، الا ان الامر في حاجة الى مزيد من التفصيل، وبصفة خاصة، يقتضي التحليل العودة الى مضابط البرلمان المصري لاستعراض التوجهات التي كانت سائدة آنذاك. وتكفي هنا اشارة د. نافعة نفسه (ص ١٨ ـ ١٩) الى «ان قرار مصر بالمشاركة في حرب ١٩٤٨ ما زال محاطاً ببعض الغموض»، وبالطبع فإن الفقرة الوحيدة التي اعقبت ذلك التقرير لم تساعد على جلاء ذلك الغموض.

كذلك فقد اشار الكاتب الى مقولة مهمة ملخصها ان التأييد المصري للقضية الفلسطينية يرجع، في جانب منه، الى تطلعات البرجوازية المصرية «التي كانت قد بدأت تثبت اقدامها على طريق التصنيع وتتطلع الى الاسواق العربية» بينما

«قيام دولة يهودية في فلسطين سوف يضر ضرراً جسيماً بالاقتصاد المصري» (ص ١٧). ودون التساؤل هنا عن «درجة التصنيع» في مصر آنذاك ومدى قدرته على تغطية احتياجات «السوق المصري» حتى يتطلع الى الاسواق العربية، والقياس لدى الكاتب هنا على التطور الاقتصادي والاجتماعي والقومي في اوروبا بعد الثورة الصناعية، الا ان السؤال الاساسي الذي لا بد من الاجابة عنه في هذه الحالة بسيط للغاية: واذا كان الامر كذلك، فلماذا وقفت البرجوازية المصرية اذن مع السادات في توجهاته المعادية للعرب: السوق الطبيعي لهم، وهل يمكن للسوق الاسرائيلي ان يحل محل السوق العربي؟ وبالطبع فإن ذلك لا يلغي السؤال الاصلي: هل الدافع القومي العربي مرتبط بتطلعات البرجوازية المصرية؟

ـ العهد الناصري: اشار د. حسن نافعة الى «ان الباحث المتعمق بالممارسات الناصرية على الصعيد العربي، ازاء تطور الصراع العربي ـ الاسرائيلي، يجد كثيراً من الخلط والتناقض احياناً في هذه الممارسات» (ص ٣٠). والمقصود هنا صيغ التضامن العربي، وحدة الصف، وحدة قوى الثورة، وحدة الهدف، الحرب العربية الباردة، التوفيق بين وحدة الصف ووحدة الهدف.

ومن الغريب بداية ان يجد الكاتب في مثل هذه الاستجابة للظروف المتغيرة «كثيراً من الخلط والتناقض». ولهذا ربما ندعوه الى ان يدلنا على زعيم سياسي واحد في العالم عبر تاريخه المتصل، لا يشوب ممارسته «كثير من الخلط والتناقض»، وبصفة خاصة حين يعمد الى الاستجابة للظروف المتغيرة من حوله، وفي مثل ظروف الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

لقد رد د. نافعة هذا «الخلط والتناقض»، في جانب منه، الى «عدم الوضوح الايديولوجي، الناشىء عن اسلوب عبد الناصر البراغماتي» (ص ٣١). ثم عاد الى إعمال **الحجة البراغماتية** نفسها حين اشار الى تعامل عبدالناصر مع القوتين العظميين «من منطلق تجريبي بحت دون ان تؤثر على تصرفاته معايير ايديولوجية محددة» (ص ٣٣). ومع ذلك فقد اشار د. نافعة بعد ذلك مباشرة وفي الفقرة نفسها الى ان «منطلقات عبد الناصر الاساسية» كانت «تتمثل في حرصه على استقلال مصر السياسي، ومحاولة بناء نموذج للتنمية المستقلة في مصر».. أليست هذه **معايير ايديولوجية محددة**؟! حقاً ان ثورة تموز/ يوليو لم تبدأ بنظرية ثورية متكاملة، بل بشعارات ثورية عامة تمثلت في المبادىء الستة المشهورة. ومنذ اللحظة الاولى كرست قيادة الثورة جهودها في النضال العملي المباشر تحقيقاً لهذه الشعارات. لقد كانت هذه تستند بغير شك على ارضية من الفكر السياسي والاجتماعي وان لم تكتمل معالمه في نظرية محددة. ولكنها مع ذلك تعبر عن برنامج سياسي واجتماعي، عن مبادىء واهداف وقيم ومفاهيم تتحرك الثورة في اطارها وتنمو بها. وهنا بالتحديد ينبغي ادراج فهم عبد الناصر **لتجريبية المحاولة والخطأ**. فهي لم تكن ـ مثلاً ـ تجريبية بين الاشتراكية والرأسمالية، او بين الحرية والاستعباد، او بين الوحدة والتجزئة، او بين السلام والاستسلام، وانما كانت ثورية من اجل الاستقلال الوطني والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والوحدة العربية، هكذا بدأت وهكذا واصلت طريقها في دأب واصرار واتساق.

لقد قدم د. نافعة تلخيصاً وتقريراً عاماً للحقبة الناصرية (ص ٤٥/ ٤٦) قال فيه: «نخلص من هذا التحليل للنهج الناصري في ادارة الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى ان عبد الناصر بدأ فترة حكمه بمحاولة تجميد هذا الصراع، ولكنه **لم ينجح** في ذلك بسبب رغبة الاسرائيليين في فرض تسوية بشروطهم قبل اتمام الانسحاب البريطاني من منطقة القناة. وفي الوقت نفسه حاول استشكاف النوايا الاسرائيلية من خلال اتصالات مصرية اسرائيلية مباشرة وغير مباشرة، رسمية وشبه رسمية، وأبدى استعداده لتسوية على اساس قرارات التقسيم وقرارات الامم المتحدة عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ لكن اسرائيل رفضت قبول هذه القرارات كأساس للتسوية. وحاول عبدالناصر السيطرة على الاوضاع العربية لتعزيز موقف العرب التفاوضي لكنه **فشل** بسبب تداخل الصراع القومي مع الصراع الاجتماعي. كما حاول الا يصل التناقض بين مصر والولايات المتحدة الى حالة

العداء الكامل املاً في تقليص حجم التأييد الامريكي لاسرائيل، لكنه **فشل** بسبب اصرار الولايات المتحدة على احتواء الثورة المصرية وتقليص دورها داخل حدودها». ولا شك انه تقرير مثير للجدل، وخصوصاً حول معايير ومفاهيم **الفشل والنجاح** في هذه الحالات. لأن ما وصفه د. نافعة بالفشل، قد يعتبر نجاحاً هائلاً اذا ما اعدنا صياغة التقرير. فالفقرة الاخيرة مثلاً يمكن إعادة صياغتها لتصبح: «ان عبدالناصر **قد نجح** في مقاومة الاصرار الامريكي على احتواء الثورة المصرية وتقليص دورها داخل حدودها»، لأن تقليص حجم التأييد الامريكي لاسرائيل هو هدف ثانوي للغاية بالنسبة لهدف الثورة المصرية وتوسيع مجال حركتها.

ـ **العهد الساداتي**: لقد اشار د. نافعة (ص ٦٧) الى ان نجاح المبادرة، وفتح آفاق جديدة لتسوية تقبلها جميع اطراف الصراع، كان يقتضي «توافر شروط ثلاثة: قدرتها على تغيير مدركات النخبة السياسية في اسرائيل حول طبيعة الصراع، بل قدرتها على تغيير اهداف وطبيعة المجتمع الاسرائيلي ذاته؛ وقدرتها على توليد آليات ضغط عالمية حقيقية على اسرائيل وبالذات من جانب الادارة الامريكية التي تصورّ صانع القرار المصري انها تملك ٩٩ بالمائة من اوراق الحل؛ هذا بالاضافة الى قدرتها على كسب التأييد العربي. وكان من المستحيل ان تتحقق هذه الشروط طبقاً لأية حسابات واقعية وهو ما حدث بالفعل». ولكنه لم يحدد: من وجهة نظر مَن هذه الشروط الثلاثة؟.. لأن احداً لم يقبل بها لا السادات ولا غيره، فضلاً عن ان الشرط الاول فيها ـ تغيير مدركات النخبة، وتغيير اهداف وطبيعة المجتمع الاسرائيلي ليس مما يتصور حدوثه في اقل من حياة جيل بأكمله. بالاضافة الى ان الاسهاب في تحليل هذه الشروط الثلاثة يتناقض مع اشارة د. نافعة في الفقرة السابقة مباشرة الى ان السادات كان قد اقتنع بأن الحل المصري ـ الاسرائيلي المنفرد هو «الخيار الوحيد المطروح امامه، حتى قبل ان تطأ اقدامه مطار تل ابيب» (ص ٦٧). وهو ما اكده المؤلف في اماكن عديدة من البحث (ص ٦٤/ ٦٥) مثلاً. ومن هنا فقد طرحنا فرضية للدراسة تذهب الى ان «التسوية المنفردة هي طريق السادات الاصيل» بمعنى انه ربما يصح ان نقول ان السادات لم يكن يسعى الى تسوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي بالاصل، وانما كان يسعى للخروج بمصر من دائرة ذلك الصراع، والانعزال بها عن امور امتها العربية.

ومن ناحية خامسة، تفرض قضية **الجماهير** نفسها وتطالب بالحاح بالتصدي لها بدراسات نقدية قطرية وقومية شاملة. فالكاتب يشير على سبيل المثال الى بعض المقولات المرتبطة بسلوك **الشعب المصري** تجاه منهاج السادات، يصعب قياسها او التحقق منها واحياناً يصعب قبولها؛ ومن ذلك مثلاً اشارته (ص ٦٥) الى ان التأييد المصري الملحوظ والاستقبال الحار للسادات عقب عودته من اسرائيل كان يرجع في جانب منه الى انه «كان هناك احساس شعبي بالمشاركة في صنع القرار»، ثم اشارته (ص ٨٨) الى ان السادات، بعد اعتقالات ايلول/ سبتمبر ١٩٨١ «بدأ يفقد ثقة الشعب كله»، واشارته (ص ٨٩) الى «ان معاهدة هذا شأنها كان يصعب تماماً تسويقها جماهيرياً»، وبالتالي اشارته الى «الرفض الشعبي للمعاهدة» التي اتخذها عنواناً للفصل الثالث، ثم تأكيده في خاتمة الدراسة على ان «اوضح ما وصلت اليه هذه الدراسة من نتائج يتمثل في موقف القوى الوطنية في مصر من المشروع الصهيوني بالاستمرارية» (ص ١١٥).

ونتساءل: هل ذلك صحيح؟! الا يتناقض التأييد المصري الملحوظ والحار للسادات بعد عودته من اسرائيل مع صحة هذه الاستمرارية؟!

انني اعتقد بحق ان «الجماهير» العربية في حاجة الى دراسة ترى الظواهر كما هي في الواقع وليس كما نتصور، ولا كما نرغب في ان تكون، دراسة جادة تعتمد المنهج الذي سماه د. حسن حنفي «التنظير المباشر للواقع» بغير ادعاء ولا استعلاء، ومهما كانت مرارة النتائج وقسوتها. اذ لا شك ان قبول **الجماهير المصرية** لمبادرة السادات ولاتفاقيات كامب ديفيد وللمعاهدة **هي هزيمة** مباشرة لكل العاملين بالعمل السياسي

بمعناه العام ـ الحركي والفكري، وهي ينبغي ان تناقش على هذا المستوى دون اوهام. فلم تكن هناك **مؤامرة** ضد الشعب المصري، وما فعله السادات لم يكن **سراً** فوجئنا به يوم هبط من الطائرة في اسرائيل او يوم عاد الى مصر، لأن الصراع كان يجري امامنا في الشارع السياسي فوق ساحة مكشوفة تستخدم فيها وسائل القمع والتشويه والتضليل كافة، الى حد القيام بعملية «غسل مخ» لأمة بأكملها. ولا شك ان الهزيمة قابلة للمناقشة، وحتى للتبرير لأن انعدام توازن القوى واضح، ولكن تجاهلها خطير. فهكذا كانت **الجماهير** في مصر.. وهكذا كانت في غالبية الاقطار العربية.. وعندما حدث الغزو والاحتلال الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، اتضح من زاوية رد الفعل الجماهيري، اننا كلنا «في الهمّ شرق»!

ولا بد هنا من اشارة يجب ان تكون واضحة، لأن التوصيف السابق لرد الفعل الجماهيري لا يحوي في طياته اي ادانة للشعب العربي. فلهذا الموقف الشعبي السلبي اسباب موضوعية سيسجلها التاريخ ضمن «انجازات» الانظمة التي استفادت منها كثيراً، بكفاءة وفاعلية، من الخبرة التكنولوجية الاجنبية، اضافة الى الابداع المحلي!

والدعوة بالتالي للدراسة النقدية لهذه الحالة، ونظراً لضرورتها الحيوية لاحتياجات **المستقبل** العربي، تنبع ليس فقط من خطورة رد الفعل السلبي «للجماهير» العربية تجاه احداث جسام بهذا الحجم، رغم عمليات التعبئة والتنشئة كافة طوال ثلاثة عقود على الاقل، وانما ايضاً باعتباره مؤشراً اكيداً **لغياب** الشعب العربي عن ساحة العمل السياسي. لقد نجحت الجهود الدؤوبة لتغييب **الجماهير العربية** عن **الفعل السياسي**. وهذا وضع لا نرى انه يمكن ان يتغير بسرعة، هو لا بد من ان يتغير في الاجل الطويل، ولكن هذا يحتاج الى تطور اجتماعي ـ سياسي يستغرق عدة سنوات على الاقل.

في البدء.. كانت مصر.

وفي الختام.. الخلاف في الرأي لا يفسد للودّ قضية.

والقضية.. هي المستقبل العربي كله □

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

التكوين التاريخي للأمة العربية

دراسة في الهوية والوعي

الدكتور عبد العزيز الدوري

محمد رضا محرم

الثـــروة المعدنيـــة العربيـة: امكانات التنمية في اطار وحدوي

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤)، ١٥٢ ص.

د. محمد رضوان خولي

استاذ مشارك ـ دائرة الجيولوجيا، الجامعة الاميركية في بيروت.

١ ـ مدخـل

من المسلمات البديهية التي نحتاجها في وطننا العربي هي دفع حضارتنا ووعي مستلزمات ذلك الدفـع. ومن اهم هذه المستلزمـات هو الادراك التام لماهيتنا وقدراتنا الطبيعية والانسانية. ان كتـاب **الثـروة المعـدنيـة العربية** هو إحدى الخطوات التي تصب في هذا المنحى الادراكي، اي خطوة موجهـة نحـو القـارىء العربي غير المـتخصص، لتثقيفـه عن طريق إنـارة بعض جوانب معطيات ارضه الطبيعية.

واهمية هذا الكتاب، او ما يماثله من الكتب الاخـرى التي ينشرهـا مركـز دراسات الوحدة العربية في مختلف المواضيع الحياتية، انها كتب موجهة نحو التنمية العربية بإطار عربي تكاملي شامـل. هذا الاطار سيقـودنا الى وعي افضل لامكانات التفاعل والتناغم بين مجتمعاتنا، وعليه يكـون الوصول الى هدفنا الاسمى وهو الوحدة العـربيـة المبنيـة على اساس علمي موضوعي صحيح. فليس من التضخيم القول بأنه ما لم يُبْنَ الانسان العلمي العربي، فليس هناك ادنى امل لتحقيق وحدتنا المنشودة.

٢ ـ تعريـف

يتكـوّن الكتاب من مقدمة، واربعة فصول، وفيـه تسعـة وعشرون جدولاً، وقـائمة بالمراجع العربية والاجنبية المستعملة.

الفصـل الاول المعنون «الانسان والمعادن» يعـطي لمحة عن المعادن او الخامات في القشرة الارضية والدور الذي لعبته في الحضارة العالمية، وكذلك دور العرب في سلّم المعرفة المعدنية وتراث الجيولوجيا.

الفصل الثاني عن «الموارد المعدنية في الوطن العـربي» حيث يتـطرق الكـاتب الى الانتـاج التـعـديـنـي العـربي والثـروات المعـدنيـة واحتيـاطياتها وتوزيعاتها الجغرافية منتهياً الى تصنيع الخامات العربية.

في الفصـل الثـالث يوضـح الكاتب العلاقة القـائمـة بين الثروة المعدنية والتنمية العربية. مظهـراً العـائدات المالية ومركزها في الاقتصاد العـالمي وظروف التنميـة العـربيـة المعـدنيـة الصحيحة وهياكلها والعوامل المتحكمة بها. من هذه العوامل ما يتعلق بصناعة التعدين نفسها، والواقع الحياتي للوطن العربي. وينتهي الفصل باعـطاء ما يدعـوه الكـاتب «مـؤشرات»، وهي

توصيات للنشاط التعديني العربي.

وينتهي الكتاب بفصل رابع يوضح دور التعدين العربي في طريق الوحدة العربية. فيعطي اذ ذاك صورة عن امكانات التنمية في اطار وحدوي، مبيناً الموارد البشرية والصناعية والزراعية العربية، كما يبين الاسترشاد السياسي المتوجب اعتماده في سبيل الوحدة. وينتهي الكتاب بتبيان الخطوات الوحدوية في هذا الموضوع كتضخيم الموارد المادية وتنويعها وتوفير المهارات البشرية، واتاحة فرص اوسع للمشاريع المشتركة، وفي ضوء هذه الاخيرة يعطي فكرة موجزة عن بعض نشاطات المنظمات العربية التابعة لجامعة الدول العربية.

٣ ـ تقويم

نقسم ملاحظاتنا حول الكتاب الى ثلاثة انواع: عامة، وما يتعلق بالمحتوى العلمي، وما يتعلق بالهيكلية.

أ ـ الملاحظات العامة: كان يمكن لبعض اقسام هذا الكتاب ان تكون اكثر سلاسة لو أُحسن تقسيمها مثلاً، في «المعادن والحضارة»، تخصيص العصور الحجرية، والثورة الصناعية، وما بعد الثورة الصناعية. وفي «القشرة الارضية»، تخصيص الصخور، وكذلك فصل خامات الطاقة عن الخامات الاخرى التي تحوي المعادن.

بالنسبة للمعلومات الواردة، يظهر بعض النقص خاصة ما يتعلق منها بتحديث هذه المعلومات خارج القطر المصري ودعمها بالمراجع الوثيقة الصلة بالموضوع. يتطرق الكتاب بشكل واضح الى مصادر الطاقة، وهي وان كانت مستعملة لغاية تفاعلها بالتنمية، انما كان من المستحسن ان تنعكس في عنوان الكتاب فيعتمد «الخامات الطبيعية العربية» بدل «الثروة المعدنية». وعلى كل حال ففي استعمال كلمة «ثروة» شيء من الخطأ، فالافضل استعمال كلمة «الموارد». الكتاب لا يحوي على خاتمة مع انها من ضرورات هذا النوع من الكتب الثقافية، وكذلك في معظم الدراسات التي تركز على موضوع معين. ونُضيف (وهذا راجع للناشر) ان اضافة بعض المصورات والاشكال تُغني الكتاب.

ب ـ ملاحظات المحتوى العلمي: نبدأ بالمقدمة حيث يشعر القارىء ان فيها تركيزاً على تبرير اسلوب الكتاب. وكذلك يشدد الكاتب على اهمية «الحالة الانفصامية» في تطوير النفط على حساب المعادن ـ وهو ما لا يعكسه عنوان الكتاب ـ ثم يتطرق الكاتب الى كون الكتاب موجه الى المثقف غير المتخصص وان كانت «المساحة الاكبر للمادة العلمية». ان بودّنا حيث تنزل هذه الكتب الى الاسواق ان تلفت القارىء المحب للاطلاع، دون تحديد القارىء بعينه فيما عدا الكتب البحثية المتخصصة بالطبع.

هناك حاجة ماسّة الى تحديث بعض الجداول نذكر منها، واهمها المتعلق مباشرة بالموضوع التالي:

جدول	صفحة	يقف عند سنة
٢ ـ ١ الى ٢ ـ ٤	٥٣ ـ ٥٨	١٩٧٧
٢ ـ ٩/ ٢ ـ ١٠	٧٥ ـ ٧٨	٧٨/٧٩
٣ ـ ٦/ ٣ ـ ٧	٩٨ ـ ٩٩	٧٧/٧٠
٣ ـ ٨	١٠١	٨٠/٧٩

وكذلك تحديث المعلومات عن البحر الاحمر واضافة شيء عن الفوسفات مقابل الشاطىء التونسي والرمال السوداء في كل من اليمن والصومال.

وفي الفصل الثالث، تحت عنوان «مردودات تنموية...»، هناك تركيز على النفط مع امثال مختصرة عن المعادن كان يمكن مراعاتها. وتحت عنوان «صناعة العمالة...» يذكر الكاتب ان

المكننة الكاملة او الجزئية «لا يجب ان تنتقل» الى الوطن العربي، وكان من الافضل التنبيه الى انتقائية نقلها بالزمان والمكان. وكان من المفيد لو اعطى الكاتب لمحة جيولوجية مختصرة عن مكامن هذه الخامات العربية.

وهناك بعض الخلل في الترتيب الموضوعي، مثلاً أتى الجدول (١ ـ ٢) قبل الجدول (١ ـ ١) صفحة (٢٣ ـ ٢٥)، وكذلك بالنسبة لترتيب الماغنيزيوم قبل الصوديوم صفحة (٢٦)، ووضع «الانتاج التعديني العربي» و«تصنيع الخامات العربية» في الفصل الثالث بدل الثاني مراعاة للموضوعية العلمية، ويمكن ان نضيف ان «المؤشرات» المستقبلية في الفصل الثالث هي توصيات كان من الافضل نقلها الى آخر الكتاب.

ج ـ ملاحظات حول الهيكلية: تتعلق هذه الملاحظات الى حد كبير بمحتويات الكتاب، وكيف يُكمل بعضها بعضاً، وعليه فالكثير مما ذكرنا أعلاه يمكن ان يؤثر بالهيكلية.

يبقى الكتاب بأربعة فصول، يركّز الاول على الانسان والمعادن مبتدءاً بتحديد المعادن والقشرة الارضية، ثم الخامات وتطورها في العهد القديم والعهد الحديث. ويتناول من ثمّ الفصل الثاني الموارد المعدنية في الوطن العربي مبتدءاً بلمحة جيولوجية، وينتقل الى التوزيع الاقليمي، ثم الى الاحتياطيات والانتاج. يقود هذا الى الفصل الثالث حيث يكون التركيز على الصناعة التعدينية العربية وما يصب فيها من عوامل ومؤثرات. ويقتصر الفصل الرابع على الموارد المعدنية عامل تنمية في اطار الوحدة العربية. وينتهي الكتاب بالتوصيات، وخاتمة.

٤ ـ خاتمة

من ناحية غاية الكتاب وهدفه، يشكر الكاتب على نتاجه، الذي وضعه مركز دراسات الوحدة العربية بين ايدي القارىء العربي. فأهمية الكتاب تتجاوز التنوير وادراك معطيات ارضنا العربية، الى اخذه منحى تصب فيه هذه الموارد الطبيعية في انماء ارضنا العربية وعلى الاخص انماء الانسان والمجتمع فيها.

في هذا المنحى يجب ان ينظر الى تركيز الكتاب على تنمية الموارد المعدنية في اطار وحدوي وهو ما يعكسه عنوان الكتاب. وقد جاءت فصول الكتاب الاربعة تعطي البنية المنطقية لهذا الهدف فهي تبتدىء بالانسان والمعادن وتنتهي بالوحدة العربية. وان كنا نختلف مع الكاتب في تفاصيل بالهيكلية وبالمحتوى كما اوضحنا اعلاه، فنحن نتفق معه بشكل عام حيث ان نشرات ثقافية في هذا المستوى، والتي يدأب مركز دراسات الوحدة العربية على اصدارها، تخدم هدفها بين ايدي القارىء غير المطلع.

لقد ابتدأ الكاتب باظهار العلاقة الوثيقة بين الانسان والمعادن، خاصة كعامل في تقدم الحضارة. ونحن في وطننا العربي كنا اصحاب حضارة سابقة قام عليها الكثير من اسس الحضارات الغربية الحديثة. وعليه يظهر جلياً ان بلداننا العربية باتباع سياسة تنمية مواردنا المعدنية إنما تدفع بمسارنا الحضاري قُدُماً. وهنا لو اورد الكاتب فقرات مقارنة بين دور العرب قديماً وحديثاً ـ على مستوى السياسات القائمة ماضياً وحاضراً ـ لأظهر للقارىء كم نحن مقصرون في هذا المسار.

ثم ينتقل الكاتب الى وضع القارىء بصورة الاحتياطيات والثروات المعدنية العربية توزيعاً جغرافياً ونوعيات، منتهياً بتصنيعها. هنا ايضاً كان يمكن اعطاء صورة على مستوى احصائي بالدور الذي يمكن ان تلعبه هذه الموارد مستقلة منفردة كما هي الحال بكل قطر عربي (اي كمياتها ونوعياتها)، مقارنة مع كمياتها ونوعياتها اذا اخذت على مستوى اقطار عربية مجتمعة. تصب الاهمية هنا خاصة بالنسبة للمستوى العالمي. بمعنى ان قطراً عربياً بطاقاتٍ محدودة لن يكون له الدور العالمي نفسه. فمجموعة بلدان عربية توحّد طاقاتها ومواردها لها فعالية اكثر وطاقات اكثر بتحديد مسار السوق العالمي لهذا المعدن او ذاك. هذا التوجه يصب طبعاً في الرؤية المستقبلية للاقطار العربية وهي التفاعل والتكامل المثمرين.

ما سبق قوله يمكن متابعته في الفصلين

الثالث والرابع، اللذان يتكلمان عن التنمية العربية والتعدين في سبيل الوحدة العربية. وهنا بيت القصيد في الكتاب، اي كيف نقدر نحن كعرب ان نصل الى وحدتنا المنشودة عن طريق تثمير مقدراتنا ومواردنا بشكل منسق. فالموارد عربية يجب ان تكون لكل العرب، والطاقات المشتغلة بها يجب ان تكون عربية، والكادرات التي تستثمرها وتديرها يجب ان تكون عربية، والخبرات المتأتية عنها يجب ان تعم كل العرب. مع ان الكاتب اعطى صورة عامة عن هذه الامور انما لم يفها حقها، ولكنه استعاض بشيء من «الرشد السياسي». ولا يستغرب القارىء دخول السياسة في مواضيع تقنية من هذا النوع، فحين نتكلم عن الموارد الطبيعية انما نتكلم على اسس اقتصادية يمكننا بتطويرها ان ندفع انفسنا ومجتمعنا الى الامام للحاق بركب الحضارة. فنكون اذ ذاك قد ساهمنا ببناء الانسان العربي ووطنه العربي. وما الامثلة على النشاطات المشتركة القائمة في الاقطار العربية؛ على قلتها، والتي ينهي بها المؤلف الكتاب سوى الاطر الاولية التي يجب دفعها وتكثيفها وتعميمها لتأتي بالفائدة والغاية المرجوة، وهي وحدة عربية موضوعية.

ان الكتاب، بالنسبة لمحتواه وانتاجه، ضرورة لكل عربي يضيفه لمكتبته الخاصة. وهو سيغتني فحوى وشكلاً اذا اخذت الملاحظات التي اوردناها بعين الاعتبار □

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة كتب المستقبل العربي (٦)

التنمية العربية
الواقع الراهن والمستقبل

عادل حسين
نادر فرجاني
علي خليفة الكواري
يوسف صايغ
مجيد مسعود
محمد السيد سعيد
نادية رمسيس
اسماعيل صبري عبدالله
ابراهيم الميسوي
هنري عزام
عبد الوهاب حميد رشيد

ندوة «المجتمع العربي.. الى اين؟»

الرباط ٢٢ ـ ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٤

قيس خزعل جواد

معاون مدير التحرير في مركز دراسات الوحدة العربية، سابقاً.

مقدمـــة

عقد منتدى الفكر والحوار بالمغرب ندوته الخامسة في الرباط تحت عنوان «المجتمع العربي.. الى اين؟» على مدى ثلاثة ايام مثقلة بالعمل المتواصل (٢٢، ٢٣، ٢٤/ ١١/ ١٩٨٤).. والمنتدى يشكل ظاهرة فريدة من نوعها عربياً، فهو ملتقى تجتمع حوله الاحزاب والقوى الوطنية المغربية على اختلاف توجهاتها الفكرية.. تجتمع بامكانياتها المادية المحدودة جداً لكي تنظم حواراً عربياً تدعو له مفكرين عرب من كل الاقطار.. ويدور هذا الحوار حول قضية عربية ملحة.. لقد وجدت هذه القوى المنظمة للمنتدى بأن النضال والفكر لا ينفصلان وان السبيل الانجع هو الحوار.. والحوار المستمر الذي يفترض فكراً متفتحاً يقبل الغير كما هو فكرياً ويتحاور معه دون انقطاع.. وضمن هذا الاطار نظم المنتدى خمس ندوات وهي: ندوة الوحدة العربية؛ ندوة الاستراتيجية الصهيونية في الشرق الاوسط؛ ندوة عن اشكالية الديمقراطية في الوطن العربي؛ ندوة عن التراث والعمل السياسي؛ واخيراً المجتمع العربي.. الى اين؟

توزعت اعمال الندوة على اربع جلسات يومياً: جلستين صباحيتين، وجلستين مسائيتين. وفي كل جلسة يقدم بحثان ويتم التعقيب عليهما ومناقشتهما. وتجدر الاشارة هنا الى اضطراب ملحوظ في تنظيم الندوة.. وعلى الرغم من ذلك فإن هموم الوطن والمواطن العربيين كانا الشاغل الاعظم للجميع فضلاً عن وجود جمهور شاب حاشد ملأ المكان (كانت الجلسات عامة فحضرها جمع غفير من الشباب لم يجد متسعاً من المكان على الرغم من كبر الصالة فارتضوا بالوقوف والانتظار على الابواب) وتفاعل مع المحاضرين والمناقشين فكان عقلانياً مع اسئلته وحماسياً في نزوعه نحو الوحدة.. جمهور يتمتع بحيوية الشارع العربي المشرقي في الستينات.

الجلسة الاولى كانت للافتتاح حيث القى رئيس منتدى الفكر والحوار الاستاذ ادريس سابا كلمة نوّه فيها بتصميم المنتدى على مواصلة نضاله الفكري على الرغم من الصعوبات المادية والعراقيل الاخرى واكد على ان هدف المنتدى هو تعميق الوعي القومي الوحدوي الديمقراطي، وهو امر قد نجح المنتدى فيه الى حد بعيد.. تلت ذلك كلمات ممثلي الوفود العربية.

١ ـ من التجزئة الى الوحدة

البحث الاول الذي قدم هو بحث د. نديم

البيطار «من التجزئة الى الوحدة» وهي النظرية التي شغلته كثيراً وألّف فيها وحولها العديد من المؤلفات[١]. وتقوم نظريته على دراسة الظواهر الاجتماعية العامة التي من شأنها ان تقود الى دولة الوحدة. وقد نوّه بضرورة اتباع منهج علمي لدراسة ظاهرة الوحدة والتجزئة، مشيراً الى انه من خلال دراسته لمجتمعات انسانية كثيرة انتقلت من حالة التجزئة الى حالة الوحدة، تبيّن له بأن هناك قوانين تتكرر في كل مرة تساعد، بل تحكم عملية الانتقال هذه من التجزئة الى الوحدة.. ولقد قسّم هذه القوانين الى اساسية وقانونية، والاساسية هي: ضرورة وجود الاقليم ـ القاعدة؛ المخاطر الخارجية، شخصنة السلطة.

عقبت على بحث البيطار د. لطيفة الزيات فطرحت نقاطاً خاصة اسمتها بالجانب العملي للنظرية وهي:

اولاً: البحث يبقى نظرياً بحتاً ولا يمس الواقع المعاش ولا العوائق التي تقف حائلاً دون الوحدة.

ثانياً: القول بأن العمل الوحدوي لم ينجح الا بالارتباط بالاقليم ـ القاعدة.. ليس عليه اعتراض ولكن لا بد من التساؤل كيف السبيل لتوفير هذا الاقليم ـ القاعدة؟

ثالثاً: يبدو الاقليم ـ القاعدة كشيء مجرد لا يراعي مبادىء السيرورة المادية.. ولا يحدد مشروع البيطار هذا الاقليم ـ القاعدة اذا ما كان تابعاً للعلاقات الدولية ام مستقلاً عنها. ان البيطار الذي يرفض التفكير الميتافيزيقي ويدعو لانتهاج العلمية، يعود عند الحديث عن الاقليم ـ القاعدة للتفكير الميتافيزيقي، فهذا الاقليم لا وجود له على ارض الواقع الآن ومع ذلك يضعه كشرط اساسي للتوجه الوحدوي.

رابعاً: يقول بالعلاقة الجدلية بين الحرية والضرورة، وان الانسان يصنع تاريخه ووحدته، ولكنه لا يصنعها من اوضاع من صنعه، على الانسان ان يعمل لانضاج قوانين الوحدة حتى يجعل الضرورة حرية بتحويل دول التجزئة الى دولة الوحدة. هذه العلاقة الجدلية تلغى حين يتحدث البيطار عن الوحدة الحتمية.

وفي مناقشة البحث اعترض د. هشام بو قمرة قائلاً ان بحث البيطار ليس جديداً وهو عرض مستعاد وينطلق من ان التاريخ يعيد نفسه وان هناك قوانين اذا اجتمعت تؤدي الى النتائج نفسها.. وتساءل فيما اذا كانت هذه القوانين تترجم الواقع التاريخي بشكل كامل؟ بل هي تستجيب للواقع العربي الراهن، وبالتالي فإن تكرار الباحث لمسألة الشخصانية يثير الفزع في نفوس العرب، فقد اصبح القائد كواقع كابوساً من كوابيس الحياة اليومية العربية وليس عامل توحيد. إن الحقيقة ـ كما يقول بو قمرة ـ هي ان الوحدات تحققت تاريخياً بالقوة. والوحدة المصرية ـ السورية لم تستمر لأن الرئيس عبدالناصر كان مثل البيطار متشبثاً بالنظرية.. وبالحتمية.. ولم يتدخل بقوة السلاح.. اما مسألة الاقليم ـ القاعدة الذي لم يره البيطار الا في مصر ودون منازع.. فإنني اتساءل ـ الكلام لابو قمرة ـ لماذا لا تكون الشام مثلاً وهي التي كانت قاعدة الفكر القومي العربي في هذا الاقليم؟ ولماذا نبحث في تجارب التاريخ الوحدوية التي مضت وانتهت ولا ننظر الى ما يجري اليوم؟ لماذا لا نرى اوروبا وهي بصدد بناء وحدة تختلف عن الوحدات التاريخية وتنسجم مع متطلبات العصر؟ لماذا لا نأخذ ما يفرضه الواقع

---

(١) انظر: نديم البيطار، **من التجزئة الى الوحدة: القوانين الاساسية لتجارب التاريخ الوحدوية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٧٩)؛ **النظرية الاقتصادية والطريق الى الوحدة العربية** (بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٧٨)؛ **جذور الاقليمية الجديدة**، سلسلة الدراسات الاقتصادية والسياسية (بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٣) و **حدود الاقليمية الجديدة**، سلسلة التاريخ الاجتماعي العربي (بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨١).

اليوم من نماذج وحدوية انسانية؟ تلا ذلك مداخلة للدكتور محمد جسوس اعترض فيها على استخدام كلمة الحتمية واكد بأن القوانين التي تنظم المجتمعات هي احتمالية.. احصائية.. نسبية.. كما اعترض على شخصنة السلطة وقال بأن زمن الفارس المغوار الذي ينقل الوطن العربي من ظلال التجزئة الى نور الوحدة قد انتهى... وبالتالي لماذا نكرر الماضي ولا ندرس الواقع العربي الراهن ونكتفي بالقول بأن هذا الواقع هو رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه.. المناقش الاخير كان احمد سويسي الذي دافع عن البيطار واتهم مناقشيه بأنهم هاجموا الايديولوجية ولم يغيروا التاريخ.. والموقف الايديولوجي من التاريخ لا قيمة له لأنه لا ينفي الواقع التاريخي.

٢ ـ الازمة المنهجية

البحث الثاني القاه د. محمد مواعدة عن الاسس المنهجية في دراسة الواقع العربي.. فتساءل اي منهجية روعيت بطرح السؤال عنوان الندوة: المجتمع العربي.. الى اين؟.. انه سؤال محايد.. لم نقل الوطن العربي او الحكومات العربية الى اين؟ بل قلنا المجتمع العربي.. والمجتمع العربي لا ينفصل عن المجتمع الانساني.. انه سؤال مستقبلي، والتفكير بالمستقبل اصبح هماً عربياً اكاديمياً، وهناك مراكز بحث ودراسات عربية تهتم وتدرس المستقبلات العربية البديلة.. فالغد يشغلنا كلنا لعدم وجود مستقبل مخطط جاهز.. بديل، فالمتغيرات في عالمنا اليوم كثيرة وسريعة جداً.. والبدائل الفكرية المطروحة على الساحة غير مقنعة.. وهناك قطيعة كاملة بين الحكام والجمهور.. بل ان هناك ازمة في الحكم وازمة لدى المحكوم.. ازمة في المجتمع.. وهكذا تبدو الازمة مضاعفة.. وتتسع الازمة لتشمل حركة التحرر العربي بكل تياراتها..

عقّب على هذا البحث جمعة الغزاني فقال بأنه «لا احد فينا ينكر ازمة الواقع العربي، ولولا ذلك ما كنا هنا... ولا احد فينا لا يعترف بالقطيعة بين الحكام والجماهير».. ولكن حديث الباحث عن ازمة شاملة كاملة في الواقع والجماهير وحركة التحرر بكل قطاعاتها السياسية.. ازمة البدائل.. هذه القطيعة مع الكل تجعل الباحث عدمياً وغارقاً في اليأس.. فلا حلول ولا بدائل.. انه امر يدعو للحيرة.. ألا توجد في ارض الواقع ايجابيات ما قادرة مع الوقت والعمل على تجاوزه؟ وجاء رد الباحث احمد سويسي الذي قال بأن الباحث الذي اكد على المنهجية العلمية في بداية بحثه وقال بأنه لا يمكننا هنا الخروج بأجوبة محددة وقاطعة.. نسي الباحث منهجيته حين قال بأن كل البدائل فشلت وهكذا خرج بجواب قاطع سريع.. كان عليه ان يشك في جدوى البدائل ولكن لا يحكم بفشلها القطعي. تدخل د. هشام بو قمرة بدوره ليقول بأن الباحث الذي تحدث عن الازمة في الحكم والمجتمع والفرد.. لماذا يا ترى تتواصل هذه الازمة.. فنحن نقول بالازمة منذ نشأت السلطات الحديثة.. اذن السلطات لديها ميكانيزم خاص باعادة تدوير الازمة والحفاظ على ديمومتها.. وبذلك يكون علينا ان نهتم باكتشاف كيف تدور وتستديم الازمة.. لا بد من دراسة ميكانيزماتها الداخلية.

وفي رده على المناقشين اعترض الباحث على تهمة العدمية التي وصف بها.. وقال بأنه اشار الى ان ثورتي الخبز وبوادر ايجابية اخرى برزت على الساحة وتبشر بالخير.. كما نفى مسألة التناقض المنهجي لأنه اشار الى ان التيار القومي الطوباوي قد فشل، ولكن نحن اليوم بصدد تيار قومي يتمتع بمنهجية دراسة الواقع العربي والتحرك نحو تقدمه.. وهو ما ذكرته في مسألة المستقبلات العربية البديلة.

٣ ـ الازدواجية الثقافية

تعرض د. سمير امين في بحثه للمسألة الثقافية «اصول الازدواجية في الثقافة العربية» فقال بأن ازمة المجتمع العربي الحالية ليست ازمة نظم حكم فحسب، بل هي وبشكل اساسي ازمة مجتمع ثقافية. وذكر بأن هذه الدراسة انما هي الخطوط الاساسية لكتاب له سيصدر حديثاً

عن «ازمة المجتمع والازدواجية الثقافية العربية».. ولقد قدم ملخصاً لافكاره حين اعاد شريط التاريخ رجوعاً الى زمن محمد علي مقدماً وصفاً طبقياً للمجتمع المصري في تلك الفترة، فقال بأن النظام المملوكي كان يبشر بازدهار نظام رأسمالي وذلك من خلال بروز برجوازية مصرية ناشئة.. ولقد عرفت تلك الفترة صراع فكري حاد بين مريدي الاصلاح الديني والدنيوي ومعارضيه.

وعلى صعيد آخر قارن امين تجربة محمد علي بتجربة عبدالناصر، وقال بأوجه الشبه بين التجربتين حين اعتمد الاثنين على نخبة تكنوقراطية وليس على الجماهير.. حدث ذلك دون ادراك لما قد يترتب عليه.. ومنذ ذلك الحين لم يحسم الامر.. وربما كان تصاعد التيار السلفي الحالي دليل على ان المجتمع المصري لم يتجاوز بعد ازدواجية ثقافته، فلم يحدث تجديد للتيار الديني، ولم يحدث تحديث للدولة والاقتصاد انطلاقاً من الجذور.. وبقي النزاع سائداً بين اهل الحديث واهل الكلام على الرغم من حسمه رسمياً لصالح اهل الحديث.

عقّب على دراسة الباحث د. مصطفى حجازي فأشار الى ان المقارنة بين محمد علي وعبدالناصر اصبحت سائدة اليوم وتتردد كثيراً، وهناك اغفال عام للعامل التاريخي.. اما الازدواجية التي يتحدث عنها الباحث فإننا عملياً لا نجدها سوى في الملامح فقط.. ومن ناحية اخرى لا بد من نقد النظرية التي تقول بأن النهضة العربية بدأت بدخول الحملة النابليونية.. واخيراً فأنا استغرب قول الباحث بأن عبدالناصر لم يعتمد على الجماهير. تحدث بعد ذلك د. حافظ الجمالي فأشار الى ان الباحث يستخدم قوالب ماركسية جاهزة يدخل فيها اي فترة تاريخية فهي في نظره صالحة لكل زمان ومكان.. ذلك ان طريقة تقسيم المجتمع المصري ابان حكم محمد علي الى برجوازية وارستقراطية وكمبرادورية ورأسمالية. هذه الطريقة تناقض الماركسية نفسها.. فلقد اعترف ماركس بخصوصية هذه المجتمعات، وقال بنمط الانتاج الآسيوي..

كان رد د. سمير امين مقتضباً اكد فيه بأنه ليس من انصار القوالب الماركسية هذه وان كل اعماله ودراساته مخالفة لذلك ـ وهو يساري مجدد لا يهمل المسألة الثقافية ودورها في المجتمعات ـ لذلك فهو يؤكد بأن حسم النزاع بين اهل الحديث واهل الكلام في القرن التاسع عشر لم يحسم لصالح اهل الكلام ـ او اهل العقل الذين يؤمنون بتعدد الحقائق وبالمذهب العلمي بل حسم لصالح اهل الحديث ومن هنا بدأت الازدواجية الثقافية.

٤ ـ الفرص الضائعة

البحث الرابع كان حول «مجتمع بلا انتظارات» القاه الباحث التربوي محمد الدوكالي، واكد فيه على انفصال الفكر العربي عن الواقع.. فالبرامج الدراسية للمعارضة وللسلطة تتفق في خطها العام.. فإنها تعد بأشياء كثيرة، لكن المواطن لم يعد ينتظر.. انه يعمل منفصلاً عن هذه البرامج.. يعمل ليومه.. لحاجته التي لا تقبل الانتظار..وفي زحمة المشاريع والوعود يردد الجميع بأن فرصاً قد ضاعت.. حتى تعاظمت الفرص الضائعة مع الزمن وبدت الاتجاهات الاجتماعية عموماً وقد ضلت طريقها. وتتوحّد على ارض الواقع كل البرامج السياسية لتصبح فرصاً ضائعة مع الوقت. فما هو الفرق بين حركة التحرر العربية والاستعمار.. اي صراع خاضه الاثنان معاً ولماذا كان الصراع؟ ألم يكن من اجل الحصول على السلطة؟.. وهل تقدمنا منذ طرد الاستعمار؟ وحين تغيرت القوى التي تدير السلطة من قوى خارجية الى قوى وطنية لم تتغير طريقة الحكم وبقيت السلطة فوق الجميع، ولم يشبع الجائع ولم يتطور المجتمع.. إن الجماهير التي نطالبها بدعم مشاريعنا او الذود عن الوطن لم تعد تستمع لنا فقد انشغلت بتوفير قوتها اليومي وطلقت كل البرامج.. لأنها تتشابه في كونها وعود... والمجتمع لم يعد ينتظر..!

لم يعقّب على هذا البحث احد سوى بعض المناقشات التي دارت اساساً حول البحث ولم

تناقش مادته وافكاره، وهو ما لاحظه الباحث وتأسف له.

البحث التالي القاه د. محمد جسوس حول «ازمة المجتمع العربي وازمة اليسار العربي» فأكد على انه ليست هناك مجتمعات متخلفة، بل هناك مجتمعات ناقصة التحليل.. فنحن لم نحلل ازمة مجتمعنا بل بقينا على تردد ونتحدث عن الازمة حتى شملت الازمة كل مجالات الحياة، بل انها توالدت وتكاثرت فأنتجت علوم ازموية، واصبح لدينا مثقفين ازمويين.. وبالتالي فأزمة الثقافة انتقلت الى ثقافة الازمة، وعم بذلك الخطاب الازموي وتعطش الناس اليه، وعلى هذا هل يمكن التعامل مع هذه الازمة على انها ظاهرة اثنولوجية؟ وكجزء من الحياة العربية فاليسار العربي هو الآخر متأزم ومأزوم بسبب من قصر نظره وعدم تحليله الواقع العربي ومشكلاته التي تعامل معها بتجاوزها، عليه اليوم ان يواجه حقائق كبيرة عربياً، عليه ان يواجه قارة كانت حتى الآن محرمة عليه.. عليه ان يحلل الواقع العربي الذي اهمله المفكرين والسياسيين والاكاديميين، وبذلك اصبح مجتمعاً متخلفاً وما نفعله اليوم في مؤتمراتنا الفكرية هو الخطوة الايجابية للتغيير. فالتراكم المعرفي في دراسة واقع ما يؤدي الى تحول نوعي للمجتمع نفسه وذلك ما ننتظره.. هذا البحث هو الآخر لم يناقش او يعقب عليه بشكل جدي على الرغم من اهميته.

٥ ـ النخب المغربية والنخب المضادة

في بحث د. عبدالله السعاف حول النخب والنخب المضادة الكثير مما يقال.. فالنخب المغربية حسب رأي الباحث لا يهمها غير مصالحها وفوائد التحالف مع السلطة. انها نخب مغلقة سابقاً بدأت بالتفتح حديثاً، وذلك لاتساع الحياة السياسية من خلال المشاركة في السلطة، ولقد ظهرت اتساع هذه الدائرة من خلال اعادة انتاج النخب.. فلقد دخل الحياة الوزارية والبرلمانية والوظائف العليا والادارات العامة نخب جديدة وعديدة.. إن الدراسات الميدانية تؤكد على ان ٧٠ بالمائة من اعضاء الحكومة من الاستقلال حتى عام ١٩٧٣ هم من النخب الاجتماعية العليا وان ٧٠ بالمائة من اعضاء المكاتب السياسية للاحزاب هم من طبقة الاعيان.. والآن وبعد ان دخلت الطبقة المتوسطة الى دواوين الوزارات ورؤساء المكاتب والمدراء العامون، نلاحظ بأن هناك تغييراً في طبيعة جهاز الدولة.. فلم يعد كما كان سابقاً، بل انه الآن مسكون بعناصر قد تعطي التغيير في الوقت المناسب.

ويضيف الباحث: نلاحظ بعض اوجه التغيير على مستوى الاضراب مثلاً.. فمنذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٨١ هناك تجذر للحركة الاجتماعية ملحوظ جداً ودراسة الاحزاب تشير الى ان المطالبة الاجتماعية شملت المجتمع بكامله.. ولقد اتسعت المجالات التي مسها الاضراب وزاد عدد المضربين من ٦٧ الفاً عام ١٩٧٢ الى ان وصل الى ٧٣ الفاً في السنوات التالية. وهناك ازدياد ايضاً في عدد ايام الاضرابات... وهكذا فإن هناك ارتباطاً بين الحركة الاجتماعية والحياة السياسية.. واخيراً يقول الباحث فعلى الرغم من الجمود الذي يظهر على المجتمع المغربي بشكل عام فإن مؤشرات التغيير الاجتماعي ظاهرة وواضحة عليه ايضاً.

بعد هذا البحث استمع الحاضرون لتحليل سياسي للعلاقات بين الطوائف اللبنانية والاحزاب السياسية قدمه الاستاذ طلال سلمان.

٥ ـ خاتمة

اختتم الندوة د. محمد عابد الجابري بالتساؤل الى اين تسير الندوة؟ فالندوة عكست بأمانة صورة المجتمع العربي، فالقاعة كالمنصة عرفت اتجاهات سياسية متعددة لكن الايجابية الملحوظة هي ان الجميع استمعوا لبعضهم بألفة وتفهّم.. ان صورة المجتمع العربي لم تتغير منذ ان انبهر العالم الاسلامي بحرب الريف عام ١٩٢٦، فهذا العالم اليوم منبهر بحرب لبنان

ايضاً.. وبالامس حين قامت حرب الاستقلال في المغرب والجزائر، كانت الثورة الجزائرية بالنسبة للمشرقيين مفاجأة العروبة لنفسها. وفي عام ١٩٥٦ خاض عبدالناصر حربه ضد العدوان الثلاثي وانتصر.. لكن هذا العادل المستبد غاب ليترك السادات الذي زار القدس ولم تخرج ولا حتى تظاهرة واحدة في الوطن العربي.

هذه هي صورة المجتمع العربي.. التاريخ يسير ونحن واقفون.. او نسير سيراً معاكساً.. فالعرب لا زالوا مشروعاً للمستقبل.. حتى ليمكن القول بأنه لا يوجد الآن عرب بل هناك اقطار عربية.. فالعرب هم مشروع مستقبلي حضاري.. انهم جزء من المستقبليات.. والتاريخ اكبر من مشاعرنا واعظم من همومنا.. ان التاريخ يصنعه الرجال والرجال يصنعهم التاريخ والتقاء ارادة التاريخ وارادة الرجال هي التطور.. ان القوى الدولية لا تسمح اليوم بوحدة العرب لأنهم قوة اقتصادية ونفطية وجيوستراتيجية، انهم يضعون عوائق دون التقاء ارادتنا بإرادة التاريخ.. ولا يمكن حل هذه العقد دون النضال المستمر وسيادة العقل العربي لذلك فإن السؤال الى اين؟ وما العمل؟ ولماذا تقدم غيرنا؟ كل تمثل عنوان حياة بالنسبة لنا نحن العرب.

انتهت الندوة ويجب القول بأن جلساتها شهدت حيوية سياسية عالية جداً قد لا تتوفر في قطر عربي ولو توفرت فسينتج عنها مترتبات سياسية وقمعية بالقطع.. والملاحظة الاخرى هي ان بعض البحوث قد تميزت بخطابيتها الحماسية اكثر من علميتها وجديتها، والسبب يعود الى كونها القيت من احزاب سياسية، فهي خطابات اطلق عليها كلمات بحوث تجاوزاً. ويبدو انه من الافضل لمنتدى الفكر والحوار ان يقلع عن عادة السماح بتقديم خطابات من الاحزاب المشاركة فإنها مضيعة للوقت وتكرار لما يسمع يومياً في الصحف والبيانات □

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة كتب المستقبل العربي (٥)

دراسات

في القومية العربية والوحدة

سعدون حمادي — حسن نافعة — محمد عرب

عفيف البوني — ابو سيف يوسف — مصطفى الفيلالي

عبد العزيز الدوري — نديم البيطار — سيد سعيد

عوني فرسخ — وليد قزيحا — حيدر ابراهيم علي

وميض نظمي — فلدون العمري — علي محافظة

موجز يوميات الوحدة العربية
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤

اعداد: قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

١ ـ جامعة الدول العربية والمنظمات المتخصصة في اطارها

أ ـ القمة العربية

ـ استقبل الملك فهد بن عبد العزيز العاهل السعودي في المدينة المنورة، الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية (**الشرق الاوسط**، لندن). وذكرت مصادر مطلعة ان البحث تناول مؤتمر القمة العربي المقرر عقده في الرياض والوضع العربي والاتصالات الجارية في اطار التنسيق والتشاور بين الاقطار العربية (**النهار**، بيروت، ١٢/ ١١/ ١٩٨٤). وزار القليبي ايضاً ليبيا بناء على دعوة رسمية من معمر القذافي الرئيس الليبي حيث [اجرى معه محادثات حول تدهور الموقف في العالم العربي والعقبات التي تحول دون اجتماع قمة عربية] (**الصباح**، تونس، ١٤/ ١١/ ١٩٨٤).

ب ـ مجالس الوزراء

ـ اختتمت في تونس، اعمال الدورة الثالثة لمجلس وزراء الاسكان والتعمير العرب، واقرّ المجلس عدداً من التوصيات والقرارات حول تدعيم العمل العربي المشترك في ميدان الاسكان والتعمير وتنسيق المواقف العربية داخل الهيئات الدولية ومساندة نشاط المنظمات العربية ومن بينها مركز القدس الشريف الهادف الى ترميم وصيانة المعالم الحضارية الاسلامية في مدينة القدس المحتلة، ووافق المجلس على عقد ندوات علمية حول ظاهرة السكن العشوائي واحياء الصفيح في الوطن العربي واوصى بدعم البرامج المقررة في نطاق جامعة الدول العربية كاصدار كتاب عن السكن في الوطن العربي ومصنف للتشريعات العربية في هذا المجال. وتبنى المجلس عدة اقتراحات تقدمت بها اقطار عربية حول اعداد دليل عن مكاتب الدراسات والمكاتب الاستشارية الوطنية وتنظيم معارض للهندسة المعمارية العربية الاسلامية بالتعاون مع منظمة المدن العربية (**تشرين**، دمشق، ١٣/ ١١/ ١٩٨٤).

ج ـ الامانة العامة

ـ دعا الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية في كلمة القاها في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر السنوي العاشر للحوار البرلماني العربي ـ الاوروبي في مدريد دول اوروبا الغربية الى انهاء دعمها لاسرائيل. وقال ان هذه الدول بالرغم من اعترافها بحقوق الشعب اللبناني والفلسطيني فإنها لم تبذل اي جهد لترجمة هذه المبادىء الى واقع (**النهار**، بيروت، ٧/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار خاص بالتعاون مع جامعة الدول العربية، وطلبت من الامين العام للمنظمة الدولية تعزيز التعاون مع الامانة العامة للجامعة حتى يمكن تنفيذ القرارات الخاصة بالقضية الفلسطينية والموقف العام في الشرق الاوسط، ودعت الجانبين الى تنسيق التعاون بينهما بما يخدم الاهداف المشتركة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (**الثورة**، بغداد، ١٠/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اختتمت في مقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية في تونس اجتماعات اللجنة الثلاثية الخاصة بالحوار العربي ـ الاوروبي التي استمرت ثلاثة ايام. وبحثت

اللجنة التي ضمت مندوبين عن الجامعة وعن المجموعة الاقتصادية الاوروبية ولجنة المجموعة الاوروبية، مختلف المواضيع السياسية والفنية المتعلقة بأوجه التعاون العربي - الاوروبي. وتركزت المباحثات على الحرب العراقية - الايرانية والقضية الفلسطينية والوضع في لبنان (**الثورة**، بغداد، ١٥/ ١١/ ١٩٨٤).

- بحث الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية في عمان امس الاول مع محمد الزبن رئيس الجمعية العمومية للمؤسسة العربية للاتصالات الفضائية الامور المتعلقة بمشروع القمر الصناعي العربي (**الدستور**، عمان، ٢٥/ ١١/ ١٩٨٤).

- عاد الى تونس الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية بعد زيارة لموريتانيا اجرى خلالها محادثات مع محمد خونا ولد هيداله الرئيس الموريتاني (**العمل**، تونس، ٣٠/ ١١/ ١٩٨٤).

د - المنظمات والمؤسسات والاتحادات واللجـــان المتخصصـــة

- انتخب مهدي حسين حنتوش من العراق اميناً عاماً للمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس لفترة خمس سنوات خلفاً لظافر الصواف (**التقييس**، عمان، العدد ٩، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٤).

- اختتمت في تونس امس الاول الدورة العادية الثامنة للجنة العربية الرياضية المنبثقة عن مجلس وزراء الشباب العرب، واكدت اللجنة على ضرورة ايجاد مركز للبحوث والمعلومات والتنسيق الرياضي والشبابي بهدف دعم وتطوير الحركة الشبابية العربية على اساس علمي، واوصت بأن ينظر المكتب التنفيذي للمجلس في الموافقة على البدء في اجراءات التعاون مع المنظمات الاقليمية والدولية المعنية والعمل على ابرام اتفاقية تعاون بين المجلس والمجلس الاعلى للرياضة في افريقيا، ودعت اللجنة الدائمة للرياضة للجميع الى اعداد برنامج تفصيلي للندوات الخمس المقرر اقامتها خلال الاعوام ١٩٨٤ - ١٩٨٨ (**الصباح**، تونس، ٢/ ١١/ ١٩٨٤).

- اختتمت في الدوحة امس الاول دورة تدريبية لصيانة الاجهزة التعليمية، نظمها المركز العربي للتقنيات التربوية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وشارك فيها ٢٥ متدرباً من ١٦ دولة عربية (**العرب**، الدوحة، ٣/ ١١/ ١٩٨٤).

- اختتمت في تونس قبل يومين اجتماعات ملتقى اتجاهات التنمية الادارية والتعريب في اقطار المغرب العربي والصومال الذي نظمته المنظمة العربية للعلوم الادارية. واوصى المجتمعون المنظمة بتنظيم دورات تدريبية وزيارات استطلاعية متبادلة وتقديم منح تدريبية للمتخرجين واعداد معجم اداري يتضمن المصطلحات الادارية معرّبة. ودعا المجتمعون الى التنسيق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التعريب ومركز المغرب العربي للدراسات والبحوث الادارية (**الصباح**، تونس، ٤/ ١١/ ١٩٨٤).

- صّرح جمال مختار، مدير عام الاكاديمية العربية للنقل البحري، ان اليابان وافقت على منح الاكاديمية معونة فنية تقدر بثلاثة ملايين دولار، وعلى عقد الدورات التدريبية التي تنظمها للعاملين في المنطقة العربية والافريقية بمقر الاكاديمية بالاسكندرية بدلاً من طوكيو (**الرياض**، الرياض، ١٢/ ١١/ ١٩٨٤).

- قررت لجنة النقل بالعبور في الاقطار العربية في ختام اعمالها التي استمرت اربعة ايام في تونس انشاء مؤسسة عربية مشتركة للضمان وتشكيل لجنة فنية من المختصين الماليين والقانونيين لوضع الاطار القانوني لها، واوصت بتحديد اجور النقل طبقاً لحسابات الكلفة وابلاغها الى جامعة الدول العربية تمهيداً للخروج بتصور عام حول هذا الموضوع. واكدت اللجنة ضرورة التقيّد بقرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي بشأن معالجة المعوقات الخاصة بنقل المواد الزراعية والغذائية القابلة للتلف بين الاقطار العربية، وشارك في اجتماعات اللجنة، الاردن وتونس والسودان وسورية والعراق والكويت ولبنان وليبيا والجمهورية العربية اليمنية (**الدستور**، عمان، ١٦/ ١١/ ١٩٨٤).

- وافق وكلاء الوزارات العربية المعنية بمشروع المشاركة العربية في استثمار قيعان البحار في ختام اجتماعاتهم التي استمرت ثلاثة ايام في تونس، على تقديم الطلب العربي للاستثمار في هذا المجال عن طريق الهيئة السعودية - السودانية لاستثمار ثروات البحر الاحمر. وطلبوا من الامانة العامة لجامعة الدول العربية اعداد مشروع اتفاق يحدد التفاصيل الفنية والقانونية للعلاقة بين الاقطار العربية والهيئة المذكورة. كما قرروا تشكيل لجنة استثمار موارد قاع البحر منبثقة عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي مهمتها متابعة تنفيذ المشروع (**الثورة**، بغداد، ١٧/ ١١/ ١٩٨٤).

- اختتمت في تونس امس الاول، ندوة الخصائص الديمغرافية للشعب الفلسطيني التي نظمها المعهد العربي للتدريب والبحوث الاحصائية بالتعاون مع وحدة البحوث والدراسات السكانية التابعة لجامعة الدول العربية . وبحثت الندوة التي استمرت ثلاثة ايام في الخصائص الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطيني وحركة السكان الفلسطينيين (**العرب**، الدوحة، ١٧/ ١١/ ١٩٨٤).

- تم وضع برنامج للتعاون بين المنظمة العربية للتنمية

الصناعية واللجنة الاقتصادية لغرب آسيا (الاكوا) يرمي الى تزويد المنظمة بالتكنولوجيا الحديثة في حقول الصناعات الهندسية والبتروكيمياويات والصناعات العربية المشتركة (**الدستور**، عمان، ١٨/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ منح الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي تونس قرضاً قيمته ستة ملايين دينار كويتي لتمويل مشاريع ري في تونس (**الصباح**، تونس، ١٨/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ وقعت في بغداد اتفاقية للتعاون الفني بين منظمة العمل العربية ومنظمة الوحدة الافريقية تهدف الى تنظيم التعاون الثنائي في مجال الثقافة العمالية وبرامج البحوث النقابية والامن الصناعي (**الثورة**، بغداد، ٢١/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ وقعت البحرين مع الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بالكويت على اتفاقية قرض يقدم الصندوق بموجبها ثلاثة ملايين دينار كويتي لتمويل جزء من مساهمة البحرين في مشروع كابل الخليج البحري بينها وبين الكويت. ووقع الاتفاقية عن الجانب البحريني ابراهيم عبد الكريم وزير المالية والاقتصاد الوطني، وعن الصندوق رئيسه محمد العمادي (**الوطن**، الكويت، ٢٢/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اجتمع في عمان عبد الرحمن ابو رباح امين عام المنظمة العربية للسياحة مع مهدي العبيدي امين عام مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، وبحث الجانبان في انشاء الشركة العربية للسياحة والتعاون في مجال الاحصاء السياحي ودراسة شبكة المواصلات العربية وموضوع البطاقة الشخصية الموحدة والتسهيلات المطلوبة في نقاط الحدود. وتم الاتفاق بشكل مبدئي على توقيع اتفاقية تعاون وتنسيق بين المنظمتين. كما اجتمع ابو رباح مع عبدالله الضمور الامين العام للاتحاد العربي للنقل البري وبحث معه موضوع اصدار خارطة سياحية ودليل سياحي عربي، والتقى ابو رباح من ناحية اخرى عبد الكريم يعقوب المدير العام للمنظمة العربية للعلوم الادارية وعرض معه خطة العمل المشتركة في مجال الدورات الدراسية والندوات والتنظيمات الادارية والهيكلية في مجال السياحة (**الدستور**، عمان، ٢٢/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ وقّع العراق والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اتفاقية مشروع الموسوعة العربية الشاملة التي ستتخذ من بغداد مقراً لها. ووقع الاتفاقية عبد القادر عز الدين وزير التربية والتعليم العراقي ومحيي الدين صابر المدير العام للمنظمة (**الوطن**، الكويت، ٢٦/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ وقّعت الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (اكديما) مع شركة اردنية اتفاقية لبناء مقر للشركة بكلفة مليون و٢٥ الف دينار (**الدستور**، عمان، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اختتم في الرباط المؤتمر العلمي الثالث للتنمية الادارية بالوطن العربي الذي نظمته المنظمة العربية للعلوم الادارية، وصدرت توصيات دعت الى متابعة جهود تحقيق التنمية الادارية في الاقطار الاعضاء والقيام بدراسات ميدانية لايجاد معايير لتقييم الاداء الاداري والى ضرورة الاهتمام بالقوى العاملة العربية (**العلم**، الرباط، ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ وقّعت في الرباط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة اتفاق تعاون مشترك بينهما يهدف الى تنسيق النشاطات بينهما في المجالات ذات الاهتمام المشترك. ووقع الاتفاق محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية وعبد الهادي بو طالب مدير عام المنظمة الاسلامية (**الشرق الاوسط**، لندن، ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ صادق مجلس ادارة المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا في اجتماعه الثلاثين على مشروعات انمائية ومعونات فنية لبعض الدول الافريقية قيمتها ١٤ مليون و٤٩٥ الف دولار (**الوطن**، مسقط، ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤).

٢ ـ قضايا عربية

ـ بدأت في الناقورة في جنوب لبنان المفاوضات العسكرية اللبنانية ـ الاسرائيلية برعاية الامم المتحدة لتحقيق الانسحاب الاسرائيلي الشامل من لبنان. واكد رئيس الوفد اللبناني العميد محمد الحاج في كلمة القاها على ان المفاوضات تجري في اطار اتفاق الهدنة الموقع بين لبنان واسرائيل في العام ١٩٤٩ ووفقاً لقرارات الامم المتحدة. فيما قال رئيس الوفد الاسرائيلي آموس غيلبوا على ان اتفاق الهدنة «بات لاغياً»، واصرّ على اعطاء «جيش لبنان الجنوبي» المتعامل مع اسرائيل دوراً امنياً الا ان الجانب اللبناني رفض ذلك (**النهار**، بيروت، ٩/ ١١/ ١٩٨٤). وقد علّقت الحكومة اللبنانية لاحقاً المفاوضات بسبب اقدام قوات الاحتلال على اعتقال ١٣ مواطناً من بلدة حارة صيدا من بينهم اربعة قياديين من حركة «امل» (**السفير**، بيروت، ١١/ ١١/ ١٩٨٤). [وقد استمرت المفاوضات بعد ان افرجت قوات الاحتلال عن المعتقلين وقد عقد حتى الآن تسع جولات] طالب خلالها لبنان بدفع تعويضات اضرار الاجتياح الاسرائيلي للبنان وبفتح المعابر الى الجنوب فيما طالبت اسرائيل بتولي قوات الطوارىء الدولية الامن من الزهراني حتى الاولي وحول المخيمات الفلسطينية في المنطقة ويكون دور الجيش اللبناني دوراً مساندا (**السفير**، بيروت، ٢٠/ ١١/

١٩٨٤). وقد اتهم لبنان اسرائيل بعرقلة المحادثات عن طريق مطالبتها بترتيبات امنية تعجيزية لا يمكن ان يقبل بها لبنان وايجاد تنظيمات مسلحة محلية لابقائها في الجنوب في حال انسحابها، كما انها لا تعترف بالسيادة اللبنانية الا قولاً ولا تترك فرصة الا وتشكك في قدرة الجيش اللبناني على تسلم مهام الامن في الجنوب، وترفض وجود الجيش في بلدتي شبعا وحاصبيا بحجة قربهما الى الحدود، وتشدد على مطالبها بمنطقة عازلة بين الزهراني وخط الاولي باسناد الامن فيها الى القوات الدولية (**العمل**، بيروت، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٤).

- اختتمت في مدريد اعمال الاجتماع العاشر للحوار البرلماني العربي - الاوروبي التي استمرت ثلاثة ايام، وصدر بيان ختامي اكد على ضرورة تطبيق قرارات الامم المتحدة بشأن الشرق الاوسط وعقد مؤتمر دولي تشارك فيه جميع الاطراف المعنية لحل ازمة الشرق الاوسط، وطالب البيان اسرائيل بالانسحاب الفوري واللامشروط من جميع الاراضي العربية المحتلة، وبتعليق الاتفاقيات الاقتصادية بين المجموعة واسرائيل. ودعا الى مضاعفة المساعي والوساطات الدولية لانهاء الحرب بين ايران والعراق. وحضر الاجتماع ممثلون عن ١٣ برلماناً اوروبياً و١٤ برلماناً عربياً كما حضره الامين العام لجامعة الدول العربية الشاذلي القليبي (**الثورة**، صنعاء، ١٠/ ١١/ ١٩٨٤).

- قالت وكالة «الاونروا» في تقرير اعدته في جينيف، ان سلطات الاحتلال الاسرائيلية دمرت ٣٥٣ مخيماً للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة المحتل منذ العام ١٩٦٧، اشتملت على حوالى عشرة آلاف منزل (**الرياض**، الرياض). ومن جهة اخرى هدم الاسرائيليون امس الاول ثلاثين منزلاً اقامها مواطنون عرب بالقرب من عيبليت في الضفة الغربية المحتلة بدعوى «الاعتبارات الامنية» (**السفير**، بيروت، ١٢/ ١١/ ١٩٨٤). كما صادرت سلطات الاحتلال ١٥٠٠ دونم من اراضي بلدة دير قديس في الضفة الغربية المحتلة (**الاتحاد**، ابو ظبي). وفرضت حظر التجول على سكان مخيم الدهيشة بالقرب من بيت لحم واعلنت المنطقة التي تضم المخيم منطقة عسكرية وذلك بعد صدامات بين المواطنين العرب والشرطة الاسرائيلية (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٤/ ١١/ ١٩٨٤).

- افتتحت في عمان الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني [بغياب عدد من الفصائل الفلسطينية الاساسية] والقى الملك حسين العاهل الاردني كلمة دعا فيها منظمة التحرير الفلسطينية الى الموافقة على صيغة اردنية فلسطينية مشتركة للوصول الى مبادرة مشتركة حول التسوية السلمية، مؤكداً تمسكه بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كأساس لتسوية سلمية عادلة وعلى ضرورة اجراء مفاوضات في اطار مؤتمر دولي للسلام. والقى الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية كلمة قال فيها «ان من واجب الثورة الفلسطينية ان تبقى على مصداقيتها الدولية بأن تلتزم بالمشروع العربي للسلام الذي اجمعت عليه قمة فاس» موضحاً ان من مصلحتها «ان تبقى بمعزل عن الخلافات داخل الاسرة العربية» واكد القليبي على «الاهمية القصوى لوحدة التلاحم النضالي بين سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية» واضاف انه «مهما بلغت خصوصية العمل الفلسطيني فلا بد ان يظل متفاعلاً مع العمل العربي القومي الاشمل» واكد القليبي على ضرورة عودة مصر الى صفوف الاسرة العربية. اما ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير فتحدث في كلمته عن «العلاقة المميزة» الاردنية - الفلسطينية التي انطلقت المنظمة الى تدعيمها تجسيداً لقرارات المجلس الوطني في دورته السابقة في الجزائر. واكد على «اهمية تصحيح العلاقة مع اخوتنا في سوريا». وركّز على «تمسك المنظمة بالقرارات الدولية والشرعية كأرضية لأي تحرك سياسي عبر مؤتمر دولي تحضره الاطراف كافة» (**الدستور**، عمان، ٢٣/ ١١/ ١٩٨٤). وقد اختتمت الدورة باعادة انتخاب ياسر عرفات رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية، وصدر بيان اكد على ان حق تقرير المصير والعودة واقامة الدولة الفلسطينية هي المدخل والاساس لأي تحرك سياسي عادل، واكد موقفه من القرار ٢٤٢ الذي لا يتعامل مع القضية الفلسطينية كقضية شعب بل كقضية لاجئين وتنكر للحقوق الوطنية الفلسطينية، رافضاً جميع المشاريع التي لا تتضمن هذه الحقوق خصوصاً اتفاقيتي كامب ديفيد ومشاريع الحكم الذاتي ومشروع ريغان. ورأى المجلس ان قراره الوطني المستقل مرتبط بالبعد القومي وان اي حل لقضية فلسطين لا يتحقق الا وفقاً للشرعية الدولية. وقرر مواصلة السعي لتطوير العلاقات مع الاردن بهدف تنسيق الجهد المشترك من «اجل تحقيق اهدافنا الواحدة بتحرير الارض والانسان الفلسطيني استناداً الى القناعة الثابتة بالمصير الواحد وعلى قاعدة ما اتفق عليه العرب في فاس وبالتعاون مع جامعة الدول العربية». واوصى المجلس بضرورة تجاوز ما اصاب العلاقات الفلسطينية - السورية من توتر بهدف تصحيح العلاقة على اسس واضحة وصريحة تضمن حرية الارادة والقرار الفلسطيني الوطني. وعلى صعيد اللجنة التنفيذية انتخب المجلس ١١ عضواً وابقى ثلاثة مقاعد شاغرة (**الدستور**، عمان، ٣٠/ ١١/ ١٩٨٤).

- انسحب المغرب رسمياً من منظمة الوحدة الافريقية بعد قبول تمثيل الجمهورية العربية الصحراوية، عضواً في المنظمة واشتراكها في مؤتمر القمة. كما علقت زائير عضويتها في المنظمة تضامناً مع المغرب (**العلم**، الرباط، ١٣/ ١١/ ١٩٨٤).

- قررت الولايات المتحدة الامريكية والعراق اعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بينهما منذ العام ١٩٦٧.

وجاء ذلك اثر اجتماع رونالد ريغان الرئيس الاميركي بوزير خارجية العراق طارق عزيز (**الاتحاد**، ابو ظبي، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ قال الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الامارات العربية المتحدة في حديث ادلى به الى صحيفة «الشرق الاوسط»، ان قيام دولة الامارات يشكل تحولاً تاريخياً في منطقة الخليج والامة العربية حيث جسدت طموحاتها في قيام نموذج اتحادي تتضافر في اطاره كافة الجهود الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما كان نواة لقيام اتحاد وتعاون وتكامل اوسع بين اقطار الخليج في مختلف المجالات، واكد ان نجاح المسيرة الاتحادية كان حافزاً لبلورة فكرة مجلس التعاون الخليجي. وحول الحرب العراقية ـ الايرانية قال، ان الامارات لن تدخر اي مسعى يطلب منها القيام به لما فيه مصلحة الاشقاء اذا وجدت الرغبة المتبادلة من الطرفين، واعرب عن استعداده لتقريب وجهات النظر بين المغرب والجزائر لحل خلافاتهما، واكد حرص الامارات على مبدأ التشاور بين القادة العرب بكل ما يخص القضايا العربية والمصيرية ضماناً لوحدة الصف العربي (**الاتحاد**، ابو ظبي، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اطلق رجال المقاومة الوطنية اللبنانية، صاروخي «كاتيوشا» من جنوب لبنان على منطقة «اصبع الجليل» على الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية. وشن رجال المقاومة ست هجمات ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي والميليشيات المتعاملة معه اسفرت عن وقوع عدة اصابات بين جنود العدو واستشهاد مقاتل. ومن جهة اخرى اعلن في اسرائيل ان عدد القتلى الاسرائيليين في لبنان ارتفع امس الى ٦٠٤ قتلى بعد موت جندي كان قد اصيب في هجوم على دورية للعدو في جنوب لبنان (**السفير**، بيروت، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٤). ولاحقاً اعلنت «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» انها نفذت ٧٩ عملية ضد جيش الاحتلال الاسرائيلي والميليشيات المتعاونة معه مما يسمى بـ «جيش لبنان الجنوبي» خلال الفترة من ٢٤/ ١٠ ـ ٢٣/ ١١/ ١٩٨٤، وذلك في الجنوب والبقاع الغربي وراشيا، واوقعت عشرات الاصابات بين جنود الاحتلال ودمرت ١٨ آلية عسكرية (**السفير**، بيروت، ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ وافق مجلس الامن الدولي على تمديد فترة بقاء قوات الامم المتحدة في هضبة الجولان لمدة ستة اشهر اخرى تنتهي في ٣١/ ٥/ ١٩٨٥ (**الاتحاد الاسبوعي**، ابو ظبي، ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤).

٣ ـ العلاقات العربية

أ ـ التكتلات العربية

ـ اختتمت في الدوحة اعمال المؤتمر الاول لوزراء الكهرباء والماء بأقطار مجلس التعاون الخليجي والتي استمرت يومين، وتم الاتفاق على وضع حد ادنى موحد للتعرفة الكهربائية يبدأ العمل به من اول شهر آذار/ مارس القادم (**الشرق الاوسط**، لندن، ١/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اختتم في الرياض المؤتمر الثاني لوزراء الاسكان في اقطار مجلس التعاون الخليجي والذي استمر يومين، وقرر الوزراء اعطاء الصناعات الوطنية في مواد البناء الافضلية في مختلف قطاعات التشييد وتصنيف المقاولين في اطار موحد بين الاقطار الاعضاء. وتم تشكيل لجنة لدراسة موضوع وضع مواصفات موحدة لمواد البناء بالتنسيق مع هيئة المواصفات والمقاييس الخليجية (**الرياض**، الرياض، ٦/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اعلن عبدالله القويز الامين العام المساعد للشؤون الاقتصادية لمجلس التعاون الخليجي ان الدراسة المتعلقة بشبكة توزيع الغاز بين اقطار المجلس قد انتهت وسيتخذ قرار بشأنها، وتم تشكيل اللجنة التأسيسية لتنفيذ مشروع مصنع اطارات السيارات، كما رخص لمشروع الطوب الحراري ومشروع اصول الدواجن، واكد القويز ان ازالة الحواجز الجمركية بين اقطار مجلس التعاون سوف يزيد من حركة اقامة المشاريع الانتاجية باقطار المجلس وبالتالي يزداد حجم التبادل التجاري (**الوطن**، مسقط، ٢٠/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اختتمت في الكويت اجتماعات المجلس الوزاري لاقطار مجلس التعاون الخليجي التي استمرت يومين (**الوطن**، الكويت، ٢٢/ ١١/ ١٩٨٤). وعقد الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح وزير الخارجية وزير الاعلام الكويتي ورئيس الدورة الحالية للمجلس مؤتمراً صحافياً اكد فيه ان اقطار المجلس تعمل من اجل تخفيف التوتر في المنطقة وابعادها عن التدخلات الخارجية، وحذر من ان استمرار الحرب بين العراق وايران يهدد دول المنطقة فضلاً عن الخسائر التي ستلحق بالبلدين. ونفى وجود «بادرة معينة» من اقطار المجلس لانهاء الحرب. وقال ان المجلس ناقش الشؤون الدفاعية والتعاون والتنسيق العسكري والشؤون الاقتصادية ومراحل تطبيق الاتفاقية الاقتصادية الموحدة. واعرب عن اسفه للوضع العربي المتدهور، مشيراً الى ان عدم انعقاد مؤتمر القمة العربي يعود بالدرجة الاولى الى التباين في وجهات النظر السياسية للاقطار العربية والخلافات فيما بينها، وحول القضية الفلسطينية قال ان اقطار المجلس لا تعترض على اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني معرباً عن امله في ان توافق المنظمة في جمع شملها وتوحيد صفوفها. وعن مبادرة الملك حسين الاخيرة قال، ان «الامر بالدرجة الاولى يخص منظمة التحرير الفلسطينية فإذا هي قبلت بها فإننا نقبل ما يرونه». واكد الوزير الكويتي التزام اقطار المجلس بالمساعدات الاقتصادية المقررة للبنان. كما اعرب عن امله بعقد مؤتمر قمة عربي آخر يعيد مصر الى الصف العربي (**الوطن**، الكويت، ٢٧/ ١١ / ١٩٨٤).

- اوصى المؤتمر الاول للجهاز الدائم لتنمية منطقة التكامل بين محافظة اسوان - جنوب مصر والمديرية الشمالية بالسودان في ختام اعماله امس الاول في القاهرة، بتنفيذ مشروع الامن الغذائي على مساحة ٢٠ الف فدان مناصفة بين المحافظتين. وقرر المؤتمر بأن يقوم وفد مشترك بزيارة (وادي حلفا) لاجراء مسح للمناطق التي يمكن استغلالها في تنمية الثروة السمكية واوصى بقيام لجنة مشتركة بحصر المخزون السمكي في بحيرة السد العالي تمهيداً لاقامة شركة مشتركة يمولها صندوق التكامل واقامة مركز اعلامي ثقافي ومركز رعاية اجتماعية واصدار جريدة شهرية لمنطقة التكامل (**الشرق الاوسط**، لندن، ٢٤/ ١١/ ١٩٨٤).

- بدأت في الكويت اجتماعات القمة الخامسة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون الخليجي بحضور الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح امير الكويت والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الامارات العربية المتحدة والملك فهد بن عبد العزيز العاهل السعودي والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة امير البحرين والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير قطر والسلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان. وقد افتتح امير الكويت الاجتماعات بكلمة اكد فيها ان المسؤولية الرئيسية التي يحملها مجلس التعاون «في يومه وغده هي بذل المزيد من الجهد ليقطع المسافة بين ما يحققه من انجازات وما تتطلع اليه شعوبنا... وان يكون العمل المشترك ارض لقاء بين الاجيال المتعاقبة». واضاف «لندخر طاقاتنا لما هو اجدى واقوى، فأمامنا تحرير القدس الشريف وفلسطين المجاهدة الصامدة وعودة السلام الى لبنان والاخاء الاسلامي بين العراق وايران» (**الوطن**، الكويت، ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤). وقد اختتم المجلس اجتماعاته التي استمرت من ٢٧ الى ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤، وصدر بيان ختامي اعتبر ان الانجازات التي تمت تنفيذاً للاتفاقية الاقتصادية الموحدة تشكل اللبنة الاولى على طريق التكامل الاقتصادي. وأقر اعطاء الاولوية للمنتجات الوطنية بالمشاريع الحكومية وفوّض المجلس الوزاري اقرار استراتيجية التنمية والتكامل لاقطار المجلس في دورته القادمة، وجدّد تعيين عبدالله بشارة اميناً عاماً للمجلس. وفي المجال السياسي اعرب المجلس عن استعداده للمشاركة في جهد عربي جماعي من اجل ازالة التوتر وتضييق الخلافات العربية والسعي للوصول الى اتفاق عربي يضع المصالح العربية فوق كل اعتبار، واكد دعمه للشرعية في منظمة التحرير الفلسطينية ومساندتها باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين، كما اكد دعمه لوحدة لبنان، ودعا المجلس ايران الى المساهمة في الجهود التي ترمي الى ايجاد حل يقوم على مراعاة حقوق الطرفين وانهاء حربها مع العراق. وفي مؤتمر صحافي عقده اعلن الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح وزير الخارجية الكويتي، تشكيل قوة عسكرية خليجية بقيادة موحدة تكون جاهزة للتدخل في حالة تعرّض اية دولة لاي اعتداء (**الوطن**، الكويت، ٣٠/ ١١/ ١٩٨٤).

ب - العلاقات بين قطرين عربيين او اكثر

- قام عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري بزيارة الى لبنان بحث خلالها في بكفيا مع الرئيس اللبناني امين الجميل ورئيس الحكومة رشيد كرامي وعدد من المسؤولين على مدى تسع ساعات الوضع في لبنان من كافة جوانبه خصوصاً الوضع الامني. وصرح خدام ان المحادثات اثمرت نتائج جيدة، واعلن موافقة سورية على المفاوضات العسكرية التي ستجري بين لبنان واسرائيل في الناقورة «لأنها برعاية الامم المتحدة، كما نفهمها، ستكون في ظل لجنة الهدنة». مؤكداً ان سورية غير مستعدة لاعطاء «اي ضمان او اي التزام او اي اشتراط لا للاسرائيليين ولا لغيرهم» لحماية حدودهم مشيراً الى ان ما رفضته سورية «فوق الاراضي السورية لا يمكن ان نقبل به فوق الاراضي اللبنانية» (**النهار**، بيروت، ٢/ ١١/ ١٩٨٤).

- أسست تونس وليبيا مصرفاً باسم البنك العربي لشمال افريقيا برأسمال قدره ٣٠ مليون دولار، وهو فرع من البنك العربي التونسي الليبي للتنمية والتجارة الخارجية، وستكون تونس مقراً للبنك (**العلم**، الرباط، ٣/ ١١/ ١٩٨٤).

- اختتمت في طنجة اعمال الاجتماع الثاني للجنة الاستشارية لشؤون العمال العرب المهاجرين بأوروبا الذي استمر خمسة ايام بمشاركة ممثلين عن الاقطار العربية والاجهزة العربية المعنية في مجال العمل والعمال. ودعت اللجنة الى تحرك عربي على ارفع المستويات ممثلاً بالامانة العامة لجامعة الدول العربية وادارة منظمة العمل العربية بهدف الدفاع عن الحقوق المشروعة للعمال العرب المهاجرين، والى عقد اجتماعات تنسيقية بين اقطار المغرب العربي للاجهزة المعنية بالهجرة، كما دعت منظمة العمل العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى تقديم مساعدات عاجلة للعمال العرب المهاجرين تتمثل بتزويد تجمعاتهم بالكتب العربية والمناهج الدراسية، واوصت اللجنة، المنظمة بالسعي لاقرار برنامج خاص لمساعدة العمال العرب المهاجرين وتوفير امكانات مالية هامة له والحرص على اعطائه اولوية في التنفيذ (**العلم**، الرباط، ٣/ ١١/ ١٩٨٤).

- استقبل الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد وزير الدفاع القطري، عبد العزيز عبد الغني رئيس الوزراء في الجمهورية العربية اليمنية وبحث معه العلاقات الثنائية والتطورات المستجدة على الساحتين الخليجية والعربية (**العرب** الدوحة، ٥/ ١١/ ١٩٨٤).

- قام امين الجميل الرئيس اللبناني بزيارة رسمية الى

الجزائر استغرقت يومين اجرى خلالها محادثات مع الشاذلي بن جديد الرئيس الجزائري تركزت على الوضع في لبنان والتطورات في المنطقة العربية والعلاقات الثنائية بين القطرين. وقد تم الاتفاق بين الجانبين على تشكيل لجنة لبنانية ـ جزائرية لاعادة النظر في البروتوكولات المعقودة بينهما في المجالات التجارية والثقافية ومجال الطيران (**السفير**، بيروت، ٦/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ تم في صنعاء توقيع اتفاقية تعاون ثقافي بين تونس والجمهورية العربية اليمنية للسنوات الثلاث المقبلة ووقع الاتفاقية عن الجانب التونسي البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية وعن الجانب اليمني عبد العزيز عبد الغني رئيس مجلس الوزراء (**العمل**، تونس، ٢٢/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ منح البنك الاسلامي للتنمية في جدة المغرب قرضاً قيمته ٢٠ مليون دولار لتمويل استيراد نفط خام لصالح المغرب (**العلم**، الرباط، ٢٢/ ١١ / ١٩٨٤).

ـ ختم المنصوري بن علي وزير النقل المغربي زيارة الى ليبيا وقع خلالها اتفاقاً للتعاون بين ليبيا والمغرب في مجال النقل الجوي. وصرح المنصوري انه اتفق على زيادة الرحلات المنتظمة بين البلدين بمعدل رحلة كل يوم، واكد استعداد المغرب لاستقبال الطلبة الليبيين وبعض الكوادر للتدريب في المغرب، كما تمت دراسة بعض المشاريع كإنشاء مطار بمدينة الناضور المغربية وانجاز خطوط للسكك الحديدية بين البلدين (**العرب**، لندن، ٢٦/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اجتمع الملك الحسن الثاني العاهل المغربي في فاس مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الامارات العربية المتحدة الذي يزور المغرب حالياً. وتم خلال الاجتماع تبادل الرأي والتشاور حول الاوضاع العربية الراهنة والتطورات المستجدة والسبل الكفيلة بتعزيز العلاقات الثنائية (**الرياض**، الرياض، ٢٦/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اختتم المؤتمر الطبي العربي الحادي والعشرون اعماله في دمشق بقبول جمهورية اليمن الديمقراطية في عضوية الاتحاد وبتخصيص عدد من الجوائز التقديرية لأحسن بحث علمي، وقرر المؤتمر زيادة الاهتمام وتقديم الدعم الكافي للمواطنين العرب في الاراضي المحتلة، وناشد الهيئات الدولية الصحية التدخل من اجل رفع مستوى الخدمات الصحية في الاراضي المحتلة واستنكار اجراءات العدو الهادفة الى حرمان المواطنين العرب من الخدمات الطبية والصحية (**الثورة**، دمشق، ٢٧/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ صادق مجلس قيادة الثورة العراقي على عقد التأسيس والنظام الاساسي لشركة الخليج للصناعات الدوائية في رأس الخيمة وقرر المساهمة بنسبة ١٨ بالمائة من رأسمال الشركة (**الرياض**، الرياض، ٢٨/١١/ ١٩٨٤).

ـ وقع العراق ومصر على محضر مشترك للتعاون الاقتصادي والتجاري والفني ينص على زيادة الصفقة المتكافئة بين القطرين من ٣٥ مليون دولار الى ٥٠ مليون دولار، وعلى تنظيم التعاون بين الجانبين في المجالات الاقتصادية والتجارية والاعلامية والمصرفية. وقد وقع المحضر حسن علي وزير التجارة العراقي ومصطفى السعيد وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية المصري (**الثورة**، بغداد، ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ استقبل حافظ الاسد الرئيس السوري في دمشق احمد طالب الابراهيمي وزير خارجية الجزائر وعرض معه الاوضاع في المنطقة العربية ومسائل ذات اهتمام مشترك. وتلقى الاسد اتصالاً هاتفياً من معمر القذافي الرئيس الليبي جرى خلاله بحث التطورات العربية الراهنة (**الثورة**، دمشق، ٣٠/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اكد محمد خونا ولد هيداله الرئيس الموريتاني في كلمة القاها بمناسبة العيد الوطني لبلاده، تمسك موريتانيا بالمغرب العربي الكبير مؤكداً ان معاهدة الاخاء والوفاق التي تربط بين موريتانيا وتونس والجزائر تشكل الاطار الملائم لذلك (**العمل**، تونس، ٣٠/ ١١/ ١٩٨٤).

٤ ـ اتحادات عربية ومنظمات شعبية

ـ اوصى المؤتمر العام الخامس عشر لاتحاد المحامين العرب في ختام اعماله امس الاول في مدينة سوسة التونسية بانشاء اتحاد للقضاة العرب وتوحيد النظام القضائي العربي (**العمل**، تونس، ٧/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ اختتم مجلس ادارة اتحاد المصارف العربية، اجتماعه في الدوحة الذي بدأ امس الاول. وأقر المجلس تعديل النظام الاساسي والاداري للاتحاد على ان تعرض التعديلات على الجمعية العمومية المقرر عقدها في ايار/ مايو ١٩٨٥. ووافق المجلس بصورة نهائية على مشروع اقامة المعهد العربي للدراسات المصرفية، واقر برنامج الدورات التدريبية للعاملين في المصارف الاعضاء خلال عام ١٩٨٥، وعقد المؤتمر المصرفي والمالي العربي الاول في نيسان/ ابريل ١٩٨٥ وانشاء بنك المعلومات العربي ويكون مقره بيروت وينفذ على مراحل (**الدوحة**، ١٢/ ١١/ ١٩٨٤).

ـ انتخب اتحاد الموزعين والناشرين العرب في ختام اجتماعاته التي استمرت ثلاثة ايام في الدار البيضاء، عبدالله الحريزي من المغرب اميناً عاماً للاتحاد لمدة ثلاث سنوات، ومحمد كامل اليوسف من سورية نائباً للامين العام. وصرح الحريزي، ان الاتحاد بصدد اصدار مجلة دورية مهنية تهتم بقضايا التوزيع والنشر في الاقطار العربية (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٨/ ١١/ ١٩٨٤).

* ببليوغرافيا

ببليوغرافيا الوحدة العربية

اعداد: قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

اولاً: المصادر العربية

مصنفات عامة، مراجع ووثائق

كتب

١ ـ المكتب الاقليمي للجنة الشرق الاوسط لشؤون المكفوفين. **دليل المؤسسات والجمعيات العاملة في مجال المعوقين بالدول العربية**. الرياض: المكتب، [١٩٨٤]. ١٤٠ ص.

دوريات

٢ ـ عبيد، عاطف عدلي العبد. «حول الدليل الببليوغرافي للانتاج الفكري العربي المطبوع في مجال الاذاعة والتلفزيون حتى عام ١٩٨٣.» **البحوث**: العدد ١٢، آب/ اغسطس ١٩٨٤. ص ١٨٠ ـ ١٨٥.

٣ ـ مجلس التعاون لدول الخليج العربية. «[النظام الاساسي، النظام الداخلي، النظام الداخلي للمجلس الوزاري، والنظام الاساسي لهيئة تسوية النزاعات].» **دراسات دولية** (تونس): العدد ١٢، تموز ـ ايلول/ يوليو ـ سبتمبر ١٩٨٤. ص ٥٣ ـ ٧١.

جغرافيا وتاريخ

دوريات

٤ ـ الجابري، علي حسين. «فلسفة الاستشهاد وبطولة المرأة العربية في العصور القديمة وصدر الاسلام.» **آفاق عربية**: السنة ١٠، العدد ٤، كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٢٠ ـ ٢٦.

مراجعة كتب

٥ ـ السعدون، خالد محمود. «العلاقات بين نجد والكويت، ١٣١٩ ـ ١٣٤١.» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**: السنة ١٠، العدد ٤٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٢٦٥ ـ ٢٧٢. (احمد عبد الرحيم مصطفى)

فكر وسياسة

كتب

٦ ـ ابراهيم، عبدالله. **جدلية السلام والحرب في المغرب العربي**. الدار البيضاء: الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، [د. ت.]. ٣١ ص.

٧ ـ الحسان، بوقنطار. «السياسة الخارجية الفرنسية ازاء العالم العربي منذ سنة ١٩٦٧.» (اطروحة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس ـ الرباط، ١٩٨٤). ٣٧٠ ص.

٨ ـ الحصري، ساطع، ابو خلدون. **آراء واحاديث في الوطنية والقومية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة

العربية، ١٩٨٤. ١٠٦ ص. (سلسلة التراث القومي، الاعمال القومية لساطع الحصري، ١)

٩ ـ ـــ . **صفحات من الماضي القريب**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤، ٧٩ ص. (سلسلة التراث القومي، الاعمال القومية لساطع الحصري، ٣)

١٠ ـ ـــ . **العروبة بين دعاتها ومعارضيها** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤. ١٣٤ ص. (سلسلة التراث القومي، الاعمال القومية لساطع الحصري، ٤)

١١ ـ حلاق، حسان. **التيارات السياسية في لبنان، ١٩٤٣ ـ ١٩٥٣ مع دراسة للعلاقات اللبنانية العربية والعلاقات اللبنانية الدولية**. بيروت: معهد الانماء العربي، [د.ت.]. ٧٥٠ ص (الدراسات التاريخية)

١٢ ـ شيف، زئيف واهود يعاري. **الحرب المضللة**. ترجمة حسان يوسف. بيروت: دار المروج، ١٩٨٥. ١٥٩ ص.

١٣ ـ فارس، مروان. **في التبعية**. بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٤. ١٧٤ ص. (الدراسات السياسية)

١٤ ـ كنعان، جورجي. **العنصرية اليهودية، ملحق رسالة الى يهود العالم**. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٣. ٣٥١ ص.

١٥ ـ المؤتمر الوطني للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ٤، الدار البيضاء، ٢٢ ـ ٢٤ نيسان/ ابريل ١٩٨٣. **التقرير المذهبي**. الدار البيضاء: الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، [د.ت.]. ٧٠ ص.

دوريات

١٦ ـ ابو المجد، احمد كمال. «المسألة السياسية: وصل التراث بالعصر والنظام السياسي للدولة.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ٢٨ ـ ٤٧.

١٧ ـ بسيسو، فؤاد. «انعكاسات حلف التعاون الاستراتيجي الامريكي ـ الاسرائيلي على الاوضاع العربية.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٩٦ ـ ١٠٤.

١٨ ـ بطرس، سمير. «المحنة العربية منذ ١٩٦٧: رد على آراء فؤاد عجمي.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ١٤١ ـ ١٥٦.

١٩ ـ بوعشبة، توفيق. «تنظيم مجلس التعاون لدول الخليج العربية.» **دراسات دولية** (تونس): العدد ١٢، تموز ـ ايلول/ يوليو ـ سبتمبر ١٩٨٤. ص ٣٣ ـ ٥١.

٢٠ ـ الخطيب، عمر. «ندوة الخليج العربي والعالم الخارجي، بغداد، ٢٩ ـ ١/ ٥/ ١٩٨٤.» **المجلة العربية للعلوم الانسانية**: السنة ٤، العدد ١٥، صيف ١٩٨٤. ص ٢١٩ ـ ٢٢٢.

٢١ ـ ـــ . «الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠.» **الباحث**: السنة ٦، العددان ٥ و٦ (٣٥ و٣٦)، ايلول ـ كانون الاول/ سبتمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٣٩ ـ ٥٨.

٢٢ ـ المحمدي، محمد الحبيب. «مشكلية الوحدة العربية.» **دراسات دولية** (تونس): العدد ١٢، تموز ـ ايلول/ يوليو ـ سبتمبر ١٩٨٤. ص ٢٤ ـ ٢٨.

٢٣ ـ مكي، حسن ابراهيم. «ندوة الخليج والغرب.» اكستر، ٦ ـ ٨/ ٥/ ١٩٨٤. **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**: السنة ١٠، العدد ٤٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٣١٩ ـ ٣٢٢.

٢٤ ـ النفيسي، عبدالله فهد. «حول امكانية الانزال الامريكي في الخليج.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ١٣٤ ـ ١٤٠.

مراجعة كتب

٢٥ ـ الجابري، محمد عابد. «تكوين العقل العربي.» **آفاق عربية**: السنة ١٠، العدد ٤، كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٤. ص ١٤٨ ـ ١٤٩. (ج. ف.)

٢٦ ـ Patay, Raphael. «The Arab Mind.» **المجلة العربية للعلوم الانسانية**: السنة ٤، العدد ١٥، صيف ١٩٨٤. ص ١٩٥ ـ ٢٠٧. (حسن احمد عيسى)

اقتصاد

كتب

٢٧ ـ رشيد، عبد الوهاب حميد. **التجارة الخارجية وتفاقم التبعية العربية**. بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٤. ٢٠٨ ص. (الدراسات الاقتصادية)

دوريات

٢٨ ـ احمد، عبد القادر. «قراءة في اوراق ندوة اسرائيل والمياه العربية.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٧٣ ـ ٨٧.

٢٩ ـ حسن، جواد عبد الكريم. «النخيل والتمور: مصدر استراتيجي للامن الغذائي العربي المنشود يستلزم

الدعم والحماية.» **آفاق اقتصادية**: السنة ٥، العدد ٢٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٧٧ ـ ٨٩.

٣٠ ـ خليل، فتحي الحسيني. «السوق العربية وآفاق تطورها.» **آفاق اقتصادية**: السنة ٥، العدد ٢٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٧ ـ ١٨.

٣١ ـ ديفز، اوري. «الموارد المائية العربية والسياسات المائية الاسرائيلية.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٢٤ ـ ٤٤.

٣٢ ـ سعد الدين، مرفت. «ندوة التنمية الصناعية الخليجية.» المنامة، ٢٢/ ٥/ ١٩٨٤. **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**: السنة ١٠، العدد ٤٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٣١٥ ـ ٣١٧.

٣٣ ـ صامد الاقتصادي . «الاوضاع المائية في الضفة الغربية قبل الاحتلال الاسرائيلي.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٤٥ ـ ٥٥.

٣٤ ـ ـــ . «مشروع قناة البحرين.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٨٨ ـ ٩٥.

٣٥ ـ ـــ . «مياه الضفة في ظل الاحتلال الاسرائيلي.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٥٦ ـ ٦٤.

٣٦ ـ فرجاني، نادر. «المهاجرون العرب في اوروبا: القضية والموقف العربي.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ١١٥ ـ ١٣٣.

٣٧ ـ محمود، شوكت. «الزراعة والمياه في الضفة الغربية تحت الاحتلال الاسرائيلي.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٨ ـ ٣٤.

٣٨ ـ الموسى، طارق. «مياه الجنوب اللبناني في دائرة الاطماع الصهيونية.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٦٥ ـ ٧٢.

٣٩ ـ النجار، مصطفى عبد القادر. «الملاحة البحرية في الخليج العربي.» **آفاق اقتصادية**: السنة ٥، العدد ٢٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٩١ ـ ٩٥.

مراجعة كتب

٤٠ ـ بسيسو، فؤاد حمدي. «التعاون الانمائي بين اقطار مجلس التعاون العربي الخليجي.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ١٦٣ ـ ١٦٩. (عبد الوهاب حميد رشيد)

٤١ ـ جامعة الدول العربية، الامانة العامة، الادارة العامة للشؤون الاقتصادية. «كتاب ابيض حول تزويد اسرائيل بمياه النيل.» **صامد الاقتصادي**: السنة ٦، العدد ٥٢، تشرين الثاني ـ كانون الاول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤. ص ١٣٦ ـ ١٣٩. (محمد سمعان)

٤٢ ـ الرميحي، محمد. «الخليج ليس نفطاً: دراسة في اشكالية التنمية والوحدة.» **شؤون اجتماعية**: السنة ١، العدد ٣، ايلول/ سبتمبر ١٩٨٤. ص ٤١ ـ ٤٣. (محمد المطوع)

٤٣ ـ الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية. «التقرير السنوي الحادي والعشرون، ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣.» **المصارف العربية**: السنة ٤، العدد ٤٦، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٥٧.

٤٤ ـ محرم، محمد رضا. «الثروة المعدنية العربية: امكانات التنمية في اطار وحدوي.» **آفاق عربية**: السنة ١٠، العدد ٤، كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٤. ص ١٣٠ ـ ١٣١.

قانون وادارة عامة

كتب

٤٥ ـ الياس، يوسف. **تشريعات العمل في الدول العربية الخليجية . دراسة مقارنة** . المنامة: مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، مكتب المتابعة، ١٩٨٤. ١٨١ ص. (سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، ٢)

دوريات

٤٦ ـ البشري، طارق. «المسألة القانونية بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ٩٠ ـ ١١٤.

٤٧ ـ العوضي، بدرية. «النصوص المقيدة لحقوق الانسان الاساسية في العهد الدولي وفي دساتير دول مجلس التعاون الخليجي.» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**: السنة ١٠، العدد ٤٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٤٣ ـ ١٢٧.

٤٨ ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية. «دليل خطة عمل

المنظمة العربية للعلوم الادارية لعام ١٩٨٤.» **المصارف العربية**: السنة ٤، العدد ٤٦، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٥٥ ـ ٥٦.

اجتماع

دوريات

٤٩ ـ ابراهيم، سعد الدين. «المسألة الاجتماعية بين التراث وتحديات العصر.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ٤٨ ـ ٨٩.

٥٠ ـ احمد، ادريس يوسف. «اضواء على مشروع شبكة الاتصالات الفضائية العربية «عربسات».» **اتصالات عربية**: العدد ٥٧، ايلول/ سبتمبر ١٩٨٤. ص ١١ ـ ٣٨.

٥١ ـ بويد، دوغلاس اي. «الاذاعات التي تبث بالعربية الى الشرق الاوسط وشمال افريقيا.» ترجمة هادي العباسي. **آفاق عربية**: السنة ١٠، العدد ٣، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٤. ص ٤٣ ـ ٤٧.

٥٢ ـ التليلي، حسان. «الاذاعات الحرة الموجهة للجالية العربية في باريس.» **البحوث**: العدد ١٢، آب/ اغسطس ١٩٨٤. ص ٥٨ ـ ٧٦.

٥٣ ـ راشد، راشد محمد. «التحولات الاجتماعية في اقطار مجلس التعاون الخليجي.» **شؤون اجتماعية**: السنة ١، العدد ٣، ايلول/ سبتمبر ١٩٨٤. ص ٣١ ـ ٣٧.

٥٤ ـ عطيات، عبد الكريم. «اضواء على مؤتمر المندوبين المفوضين الرابع عشر للاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية، بغداد، ٦ ـ ١٥ مايو/ ايار ١٩٨٤.» **اتصالات عربية**: العدد ٥٧، ايلول/ سبتمبر ١٩٨٤. ص ٤ ـ ١٠.

٥٥ ـ مؤتمر المندوبين المفوضين، ١٤، بغداد، ٦ ـ ١٥/ ٥/ ١٩٨٤. «اهم القرارات التي اتخذها الاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية.» **البحوث**: العدد ١٢، آب/ اغسطس ١٩٨٤. ص ١٧٠ ـ ١٧٩.

٥٦ ـ «ندوة الاذاعات الموجهة في الوطن العربي.» تونس، ١٥ ـ ١٧/ ٥/ ١٩٨٤. **البحوث**: العدد ١٢، آب/ اغسطس ١٩٨٤. ص ٨٥ ـ ١٤٨.

مراجعة كتب

٥٧ ـ بركات، حليم. «المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ١٥٧ ـ ١٦٢. (فؤاد اسحق الخوري)

ثقافة

كتب

٥٨ ـ خوري، يوسف ق. (معد). **المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت**. بيروت: الجامعة الامريكية في بيروت، مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الاوسط، ١٩٨٤، ٧٣٩ ص.

دوريات

٥٩ ـ جودي، محمد حسين. «جمالية الفن العربي الاسلامي في الخط والزخرفة.» **آفاق عربية**: السنة ١٠، العدد ٣، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٤. ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

٦٠ ـ حسن، رزاق ابراهيم. «شعر الحرب عند العرب: قراءة في دراسات نقدية.» **آفاق عربية**: السنة ١٠، العدد ٤، كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٤. ص ٢٦ ـ ٣٢.

٦١ ـ عبد الدائم، عبدالله. «المسألة الثقافية بين الاصالة والمعاصرة.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧١، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥. ص ٤ ـ ٢٧.

مراجعة كتب

٦٢ ـ صالح، ليلى محمد. «ادب المرأة في الجزيرة والخليج العربي.» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**: السنة ١٠، العدد ٤٠، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٢٧٣ ـ ٢٨٠. (محمد حسن عبدالله)

تربية وتعليم

كتب

٦٣ ـ الحصري، ساطع، ابو خلدون. **احاديث في التربية والاجتماع**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤. ٣٠٧ ص. (سلسلة التراث القومي، الاعمال القومية لساطع الحصري، ٢)

دوريات

٦٤ ـ حمدان، محمد زياد. «ثقافة المجتمع ومظاهر نموها وتضميناتها للمدرسة والمنهج.» **المجلة العربية للتربية**: السنة ٣، العدد ٢، ايلول/ سبتمبر ١٩٨٤. ص ٨١ ـ ٩٢.

٦٥ ـ عبد المعطي، يوسف. «الاتجاهات الحديثة نحو تكامل التعليم العام والتعليم الفني.» **المجلة العربية للتربية**: السنة ٤، العدد ١، آذار/ مارس ١٩٨٤. ص ٨ ـ ٣٥.

٦٦ ـ عبد الوهاب، هاشم محمد سعيد. «اعداد معلم التعليم التقني في ضوء الاتجاهات الجديدة في الوطن العربي.» **المجلة العربية للتربية**: السنة ٤، العدد ١، آذار/ مارس ١٩٨٤. ص ٤٩ ـ ٥٩.

٦٧ ـ المجلة العربية للتربية. «واقع التعليم المهني والتقني في بعض الدول العربية والمنجزات التي تمت في ميادينه المختلفة.» **المجلة العربية للتربية**: السنة ٤، العدد ١، آذار/ مارس ١٩٨٤. ص ٦٠ ـ ١٠٩.

٦٨ ـ المصري، منذر. «التعليم الفني كتعليم مستمر.» **المجلة العربية للتربية**: السنة ٤، العدد ١، آذار/ مارس ١٩٨٤. ص ٣٦ ـ ٤٨.

٦٩ ـ «ندوة: استراتيجية تطوير التربية العربية.» **المجلة العربية للتربية**: السنة ٣، العدد ٢، ايلول/ سبتمبر ١٩٨٣. ص ٩ ـ ٤٣.

مراجعة كتب

٧٠ ـ بوبطانة، عبدالله. «الاتجاهات السائدة في العالم حول سياسة الالتحاق بالتعليم العالي.» **المجلة العربية للتربية**: السنة ٤، العدد ١، آذار/ مارس ١٩٨٤. ص ١١٢ ـ ١٤٣. (هدى معوض)

علوم وتكنولوجيا

دوريات

٧١ ـ الخليل، انور. «الندوة التدريبية للتصميم المحاسبي، لارنكا، ٢٩/ ١٠/ ١٩٨٤.» **المصارف العربية**: السنة ٤، العدد ٤٦، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤. ص ٨ ـ ٩.

ثانياً: المصادر الاجنبية

Reference, General and Bibliography

Books

1 - Kubursi, Atif. *The Economies of the Arabian Gulf: A Statistical Source Book.* London: Croom Helm, 1984. 206 p.

2 - Middle East Economic Digest. *Middle East Contract Directory and Analysis, 1983.* London: MEED, 1984.

History and Geography

Books

3 - Avneri, Arieh L. *The Claim of Dispossession: Jewish Land Settlement and the Arabs, 1878-1948.* New Brunsweick, N.J.: Transaction Books, 1984. 303p.

Periodicals

4 - Baldry, John. "Soviet Relations with Saudi Arabia and the Yemen, 1917-1938." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 1, January 1984. pp. 53-80.

5 - Kolinsky, M. "The Efforts of the Truman Administration to Resolve the Arab-Israeli Conflict." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 1, January 1984. pp. 81-94.

6 - Maltan, Philip. "Amin Al-Husayni and Iraq's Quest for Independence, 1939-41." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 267-281.

7 - Wright, John. "Chad and Libya: Some Historical Connections." *The Maghreb Review:* vol. 8, nos. 3-4, May-August 1983. pp. 91-95.

Book Reviews

8 - Ayache, Germain. "Les Origines de la guerre du Rif." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 60-61. (Kenneth J. Perkins)

9 - Caplan, Neil. "Futile Diplomacy, 1: Early

Arab-Zionist Negotiation Attempts, 1913-1931." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 61-63. (Philip S. Khoury)

10 - Shamir, Shimon (ed.). "Self-Views in Historical Perspective in Egypt and Israel." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 92-93. (Charles D. Smith)

Politics and National Thought

Books

11 - Bar-Siman-Tov, Yaacov. *Linkage Politics in the Middle East: Syria between Domestic and External Conflict.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1983. 172 p.

12 - Heper, Metin and Raphael Israeli (eds.). *Islam and Politics in the Modern Middle East.* London: Croom Helm, 1984. 131p.

13 - Lawless, Richard and Allan Findlay (eds.). *North Africa.* London: Croom Helm; New York: St. Martin's Press, 1984. 283 p.

14 - Peters, Joan. *From Time Immemorial: The Origins of the Arab-Jewish Conflict over Palestine.* New York: Harper, 1984. 601 p.

15 - Schiff, Ze'ev and Ehud Ya'ari. *Israel's Lebanon War.* edited and translated by Ina Friedman. New York: Simon and Schuster, 1984. 320 p.

16 - Symposium: Toward a Viable Lebanon, Washington, April 1984. *Lebanon 1984: 21 Experts Give Their Views.* Washington, D.C.: Center for Contemporary Arab Studies, 1984.

17 - Yoshitsu, Michael M. *Caught in the Middle East: Japan's Diplomacy in Transition.* Lexington, Mass.: Lexington Books, 1984. 113p.

Periodicals

18 - Awad, Louis. "Freedoms and Ideology: The Current State of Political Thought in the Middle East." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 11-21.

19 - Bill, James A. "The Persian Gulf: Resurgent Islam." *Foreign Affairs:* vol. 63, no. 1, Fall 1984. pp. 108-127.

20 - Chevallier, Dominique. "Palestiniens sans Etat: L'espoir et la lutte." *Le Monde diplomatique:* vol. 31, no. 369, Décembre 1984. p. 2.

21 - International Affairs. "United States Military Expansion in the Middle East." *International Affairs* (Moscow): no. 7, July 1984. pp. 50-55.

22 - Khader, Bichara. "L'Europe et le conflict israélo-arabe: Bilan d'une décennie (1973-1983)." *Etudes internationales:* no. 12, Juillet-Septembre 1984. pp. 7-37.

23 - Khalidi, Rashid. "The Asad Regime and the Palestinian Resistance." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 259-266.

24 - Klich, Ignacio. "En Amérique Latine: L'OLP resserre ses liens avec les émigrés." *Le Monde diplomatique:* vol. 31, no. 369, Décembre 1984. p. 2.

25 - Mansour, Ali. ' Le Conflit Irak-Iran ou une rivalité séculaire." *Etudes Internationales:* no. 12, Juillet-Septembre 1984. pp. 104-119.

26 - Mikhin, V. "Lebanon: The Difficult Road to Peace." *International Affairs* (Moscow): no. 6, June 1984. pp. 86-88, 144.

27 - Morsy, Magali. "Maghreb Unity in the Context of the Nation State: A Historian's Point of View." *The Maghreb Review:* vol. 8, nos. 3-4, May-August 1984. pp. 70-76.

28 - St. John, Ronald Bruce. "The Determinants of Libyan Foreign Policy, 1969-1983." *The Maghreb Review:* vol. 8, nos. 3-4, May-August 1984. pp. 96-103.

29 - Schocken, Gershom. "Israel in Election

Year 1984." *Foreign Affairs:* vol. 63, no. 1, Fall 1984. pp. 77-92.

30 - Shemesh, Moshe. "The West Bank: Rise and Decline of Traditional Leadership, June 1967 to October 1973." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 3, July 1984. pp. 290-323.

31 - Sid-Ahmed, Mohamed. "Realités et illusions de l'ère Moubarak: Qu'attendre de l'Egypte dans la relance des négociations au Proche-Orient?." *Le Monde diplomatique:* vol. 31, no. 369, Décembre 1984. p. 3.

32 - Sterner, Michael. "The Iran-Iraq War." *Foreign Affairs:* vol. 63, no. 1, Fall 1984. pp. 128-143.

33 - Viktorov, V. "Lebanon Adventure: Fiasco of Washington's Imperial Ambitions." *International Affairs* (Moscow): no. 7, July 1984. pp. 120-122.

34 - Volgin, V. "The Failure of U.S. Policy in the Middle East." *International Affairs* (Moscow): no. 5, May 1984. pp. 92-95, 142.

Book Reviews

35 - Abadi, Jacob. "Britain's Withdrawal from the Middle East: The Economic and Strategic Imperatives (1947-1971)." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, 1984. pp. 57-58. (Joseph Nevo)

36 - Abd-Allah, Umar. «The Islamic Struggle in Syria.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 58-59.

37 - Abraham, Sameer Y. and Nabeel Abraham (eds.). "Arabs in the New World: Studies on Arab-American Communities." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 35-36. (Louise E. Sweet)

38- Bar-Siman-Tov, Yaacov. "Linkage Politics in the Middle East: Syria between Domestic and External Conflict." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 332-340. (Elias Sam'o)

39 - Cudsi, A.S. and A.E.H. Dessouki (eds.). "Islam and Power." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 1, January 1984. pp. 107-109. (Thomas Philipp)

40 - Curtiss, Richard H. "A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 63-64. (Arther B. Allen)

41 - Damis, John. "Conflict in Northwest Africa: The Western Sahara Dispute." *The Maghreb Review:* vol. 8, nos. 3-4, May-August 1983. pp. 104-106. (John G. Merriam); *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 64-65. (Lisa Anderson)

42 - Farah, Tawfic E. (ed.). "Political Behavior in the Arab States." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 348-349. (Ibrahim Abu-Lughod)

43 - Friedlander, Melvin A. "Sadat and Begin: The Domestic Politics of Peace Making." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 66-68. (Hamied Ansari)

44 - Gordon, David C. "The Republic of Lebanon: Nation in Jeopardy." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1,July 1984. pp. 68-69. (Lewis W. Snider)

45 - Gubser, Peter. "Jordan: Crossroads of Middle Eastern Events." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 349-351. (Jamil Jreisat)

46 - Haim, Yehoyada. "Abandonment of Illusions: Zionist Political Attitudes Toward Palestinian Arab Nationalism, 1936-1939." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 70-72. (Mary C. Wilson)

47 - Heikal, Mohamed. "Autumn of Fury: The Assassination of Sadat." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 345-347. (Tareq Y. Ismael)

48 - Herzog, Chaim. "The Arab-Israeli Wars:

War and Peace in the Middle East from the War of Independence Through Lebanon." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 341-343. (Tareq Y. Ismael)

49 - Hopwood, Derek. "Egypt: Politics and Society, 1945-1981." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol 18, no. 1, July 1984. pp. 74-75. (Tareq Y. Ismael)

50 - Jackson, Elmore. "Middle East Mission: The Story of a Major Bid for Peace in the Time of Nasser and Ben-Gurion." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 75-76. (Ahmad H. Joudah)

51 - Joseph, John. "Muslim-Christian Relations and Inter-Christian Rivalries in the Middle East." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 77-79. (Thomas Philipp)

52 - Kimmerling, Baruch. "Zionism and the Economy." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 79-80. (Ian Lustick)

53 - McLaurin, Ronald D., Don Perez, and Lewis W. Sinder. "Middle East Foreign Policy: Issues and Progresses." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 82-83. (Abbass Navabi)

54 - Neff, Donald. "Warriors at Suez: Eisenhower Takes America into the Middle East." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 83-85. (William A. Rugh)

55 - Olson, Robert W. "The Ba'th and Syria, 1947 to 1982: The Evolution of Ideology, Party, and State." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 86-87. (Alasdair Drysdale)

56 - Peterson, J.E. "The Politics of Middle Eastern Oil." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 87-88. (Jere L. Bacharach)

57 - Touval, Saadia. "The Peace Brokers: Mediators in the Arab-Israeli Conflict, 1948-1979." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 1, January 1984. pp. 112-114. (J.C. Hurewitz)

58 - Wilson, Keith M. (eds.). "Imperialism and Nationalism in the Middle East: The Anglo-Egyptian Experience, 1882-1982." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 3, July 1984. pp. 400-402. (M.E. Yapp)

Economics

Books

59 - *Arab Banking and Finance Handbook, 1984.* Bahrain: Falcon Publishing, 1984. 482 p.

60 - Arab Banking Corporation. *The Arab Economies: Structure and Outlook.* revised ed. Bahrain: ABC, 1984.

61 - Arab British Chamber of Commerce. *Agency Procedure in the Gulf Cooperation Council States.* London: The Chamber, 1984. 102p.

62 - Beblawi, Hazem. *The Arab Gulf Economy in a Turbulent Age.* London: Croom Helm, 1984. 241 p.

63 - Faris, Basim. *Insurance and Reinsurance in the Arab World.* London: Kluwer Pub., 1983. 330p.

64 - Luciani, Giacomo. *The Oil Companies and the Arab World.* London: Croom Helm; New York: St. Martin's Press, 1984. 197 p.

65 - Wilson, Rodney A. *Banking and Finance in the Arab Middle East.* London: MacMillan Pub., 1983. 179 p.

Periodicals

66 - Kavoussi, Rostam M. "Oil Exports and the Changing Occupational Structure in Saudi Arabia." *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 282-295.

Book Reviews

67 - Ali, Taleb A. *Regional Industrial Cooperation: Further Considerations*. Kuwait: The Industrial Bank of Kuwait, 1984. 46 p. (The IBK papers, 15)

68 - Kerr, Malcolm H. and El-Sayed Yassin (eds.). "Rich and Poor States in the Middle East: Egypt and the New Arab Order." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 1, January 1984. pp. 117-120. (John Waterbury)

69 - Sayigh, Yousif. "Arab Oil Policies in 1970s: Opportunity and Responsibility." *OPEC Bulletin :* vol. 15, no. 8, October 1984. pp. 72-73. (Shaabab El-Azhary)

70 - Sylvester, Anthony. "Arabs and Africans: Co-operation for Development." *The Maghreb Review:* vol. 8, nos. 3-4, May-August 1983. pp. 108-109. (Maurice Flory)

71 - Waterbury, John. "The Egypt of Nasser and Sadat: The Political Economy of Two Regimes." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 95-96. (Charles D. Smith)

72 - Weinbaum, Marvin G. "Food Development and Politics in the Middle East." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 1, January 1984. pp. 117-120. (John Waterbury)

Sociology

Book Reviews

73 - Gadant, Monique (ed.). "Femmes de la Méditerranée." [article]. *Arab Studies Quarterly:* vol. 6, no. 4, Fall 1984. pp. 325-332. (Rosemary sayigh)

74 - Ibrahim, Saad Eddin. "The New Arab Social Order: A Study of the Social Impact of Oil Wealth." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 1, January 1984. pp. 117-120. (John Waterbury)

Culture

Periodicals

75 - Landau, Jacob M. "Soviet Work on the Arabian Peninsula." *Middle Eastern Studies:* vol. 20, no. 3, July 1984. pp. 391-395.

Book Reviews

76 - Awwad, Hanan. "Arab Causes in the Fiction of Ghadah al-Samman, 1961-1975." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. p. 98. (Roger Allen)

77 - Norris, H. T. "The Berbers in Arabic Literature." *The Maghreb Review:* vol. 8, nos. 5-6, September-October 1983. pp. 147-148. (Robin Bidwell)

Science and Technology

Periodicals

78 - Parkinson, Dilworth B. "Do-It-Yourself Arabic World Processing." *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 18, no. 1, July 1984. pp. 22-30.

(٥٤) احصاءات الاتصال في الوطن العربي

اعداد: قسم الدراسات
في مركز دراسات الوحدة العربية

- البث التلفزيوني في الوطن العربي: عدد اجهزة الارسال وقوة الارسال
- البث التلفزيوني في الوطن العربي: عدد اجهزة التلفزيون واجهزة التلفزيون لكل الف من السكان
- البث الاذاعي في الوطن العربي: عدد اجهزة الارسال وقوة الارسال حسب موجة الذبذبات
- البث الاذاعي في الوطن العربي: عدد اجهزة الراديو واجهزة الراديو لكل الف من السكان

جدول رقم (١)

البث التلفزيوني في الوطن العربي:
عدد اجهزة الارسال وقوة الارسال

البلد	السنة	الملكية[1]	المجموع		الذبذبات العالية جدا[2]		الذبذبات العالية للغاية[3]		عدد اجهزة الارسال الملونة
			عدد اجهزة الارسال	قوة الارسال[4]	عدد اجهزة الارسال	قوة الارسال[4]	عدد اجهزة الارسال	قوة الارسال[4]	
الاردن	١٩٧٧	ح	٥	٢٠٠	٥	٢٠٠	—	—	—
الامارات العربية المتحدة	١٩٧٩	ح	١٠	٩٢٠٤	٨	٤٥٤٧	٢	٤٦٥٧	٨
البحرين	١٩٧٩	ح	١	٧٠	١	٧٠	صفر	صفر	١
تونس	١٩٧٩	ح	١٠	١٨٢١	١٠	١٨٢١	صفر	صفر	—
الجزائر	١٩٨١	ع	٤٤	٢٦٦٥	٤٤	٢٦٦٥	صفر	صفر	—
الجماهيرية الليبية	١٩٧٧	ح	١٣	٩٧	١٣	٩٧	صفر	صفر	—
السعودية	١٩٧٧	ح	٦	٩	٥	٨	١	١	٦
السودان	١٩٧٩	ح	٣	١٣	٣	١٣	صفر	صفر	١
العراق	١٩٧٩	ح	٢١	٢٧٧٥	٢١	٢٧٧٥	صفر	صفر	٢١
قطر	١٩٨١	ح	٤	١٤٩٥	٣	١٤٩٥	١	٦٩٥	—
الكويت	١٩٨١	ح	١٠	٥٥	١٠	٥٥	صفر	صفر	١٠
لبنان	١٩٧٧	ح	٥	٧٢	٥	٧٢	—	—	—
مصر	١٩٧٩	ح	٣٦	—	—	—	—	—	—
المغرب	١٩٧٩	ح	٢٠	١٣٤٠	٢٠	١٣٤٠	صفر	صفر	٢٠

(١) ح = حكومية ، ع = عامة.

(٢) Very high frequency

(٣) Ultra high frequency

(٤) قوة الارسال (in Effective Radiated Power)

ملاحظات عامة: ـ تشير العلامة « ـ » الى ان البيانات غير متوفرة.

ـ البيانات تتناول اجهزة الارسال التي تعمل بشكل طبيعي وتبث للجمهور العام.

المصدر: احتسبت من: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization [UNESCO], *Statistical Yearbook, 1983* (Paris: UNESCO, 1983) table 9.3, pp. IX-20 - IX-23.

جدول رقم (٢)
البث التلفزيوني في الوطن العربي:
عدد اجهزة التلفزيون واجهزة التلفزيون لكل الف من السكان

البلد	تعريف المعلومات[١]	عدد اجهزة التلفزيون المستعملة والرخص الممنوحة (بالآلاف)					عدد اجهزة التلفزيون المستعملة والرخص الممنوحة لكل الف من السكان				
		١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨١
الاردن[٢]	ا	صفر	٤٦	١٢٠	١٧١	١٩٠	صفر	٢٠	٤٤	٥٤	٥٦
الامارات العربية المتحدة	ا	صفر	صفر	٢٥	٩٣	١٠٠	صفر	صفر	٤٥	١١٧	١٣١
البحرين[٢]	ا	—	١٣	٣٠	٩٠	١٠٠	—	٦٠	١١٧	٢٩٣	٣١١
تونس[٢]	ا	—	٧٢	١٩١	٣٠٠	٣٣٠	—	١٤	٣٤	٤٧	٥١
الجزائر	ا	—	—	٥٠٠	٩٧٥	١١٩٠	—	—	٣٠	٥٢	٦١
الجماهيرية الليبية	ا	صفر	١	١٠	١٦٥	٢٠٠	صفر	٠,٥	٤,١	٥٥	٦٤
جيبوتي[٢]	ا	—	١	٣,١	٥	٥,٢	—	١١	٢٩	٤٢	٤٣
السعودية	ا	—	—	—	٢١٠٠	٢٣١٠	—	—	—	٢٥١	٢٤٨
السودان	ا	١٠	٤٥	١٠٠	١٠٥	١٠٧	٠,٨	٣,٢	٦	٦	٦
سورية[٢]	ا	٦٥	١١٦	٢٢٤	٣٨٥	٤٠٠	١٢	١٩	٣٠	٤٣	٤٣
العراق	ا	١٧١	٣٥٠	٤١٠	٦٥٠	٧٠٠	٢١	٣٧	٣٧	٥٠	٥١
عمان	ا	—	—	٣	٣٥	٣٨	—	—	٣,٣	٣٩	٤١
قطر[٢]	ا	—	—	٢٠	—	١٢٠	—	—	١١٨	—	٤٨٤
الكويت[٢]	ا	—	١٠٠	—	٣٥٣	٣٧٧	—	١٣٤	—	٢٦٠	٢٥٧
لبنان	ا	١٣٥	٢٦٠	٤١٠	٧٥٠	٧٥٠	٦٣	١٠٥	١٤٦	٢٣٧	٢٧٩
مصر[٢]	ا	٣٢٣	٥٢٩	٦٢٠	١٤٠٠	١٧٥٠	١١	١٦	١٧	٣٣	٤٠
المغرب	ا ر	— ٣٣	— ١٧٤	— ٤٤٨	— ٧٤٩	٨٢٣ —	— ٢	— ١١	— ٢٦	— ٣٧	٤٠ —
اليمن العربية	ا	صفر	صفر	صفر	٥	١٠	صفر	صفر	صفر	٠,٨	١,٧
اليمن الديمقراطية	ا	١٣	٢١	٣١	٣٥	٣٧	١٠	١٥	١٨	١٨	١٨

(١) ا = عدد اجهزة التلفزيون المستعملة ، ر = عدد الرخص الممنوحة.

(٢) تشمل البيانات عدد اجهزة التلفزيون المستعملة وليس عدد الرخص الممنوحة مع العلم ان نظام الترخيص مطبّق بين البلدين.

ملاحظة عامة: تشير العلامة « ـ » الى ان البيانات غير متوفرة.

المصدر: احتسبت من:

UNESCO, Ibid., table 9.4, pp. IX-24- IX-28.

جدول رقم (٣)

البث الاذاعي في الوطن العربي:
عدد اجهزة الارسال وقوة الارسال حسب موجة الذبذبات

البلد	السنة	الملكية[1]	الذبذبات (الموجة)									
			منخفضة		متوسطة		مرتفعة		مرتفعة وشديدة الارتفاع		جدا	
			عدد اجهزة الارسال	قوة الارسال[2]	عدد اجهزة الارسال	قوة الارسال[2]	عدد اجهزة الارسال	قوة الارسال[2]	عدد اجهزة الارسال	قوة الارسال[2]		
الاردن	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٧	٢,٢٢١	٢	٢٠٠	٤	٢٢		
الامارات العربية المتحدة	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٩	٢,٩٣١	٥	١,٣٠٠	٣	٤		
البحرين	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٢	٢١	صفر	صفر	١	٣		
تونس	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٦	٢,٥٦٠	٣	٣٠٠	٣	—		
الجزائر	١٩٨١	ع	٢	١,٥٠٠	٣٩	٢,٦١٠	١٤	١,٠٥٠	صفر	صفر		
الجماهيرية الليبية	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	١٢	٢,١٤١	٥	٢,١٠٠	٣	—		
جيبوتي	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٢	٨	١	٤	صفر	صفر		
السعودية	١٩٧٩	م	—	—	٣	٦٠٠	٩	١,٢٠٠	—	—		
السودان	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٤	١,٧٥٠	٤	٣٣٠	صفر	صفر		
سورية	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٩	١,٨٠٠	صفر	صفر	صفر	صفر		
الصومال	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٢	١٦٠	٢	١٠٠	صفر	صفر		
العراق	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	١٠	٣,٥٤٥	١٦	٣,١٠٠	صفر	صفر		
عمان[3]	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٣	٢٢٠	٣	٧٠	صفر	صفر		
قطر	١٩٨١	ح	صفر	صفر	٨	١,٨١٢	١	٢٥٠	٢	٢٠		
الكويت	١٩٨١	ح	صفر	صفر	٣	٣,٢٠٠	٨	٣,٠٠٠	٣	٢٥		
لبنان	١٩٧٩	م	صفر	صفر	٤	١٦٥	٣	٢١٥	٣	٣٤		
		ح	صفر	صفر	٢	١١٠	٢	٢٠٠	٣	٣٤		
		ع	صفر	صفر	٢	٥٥	١	١٥	صفر	صفر		
مصر	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٦٢	٣,١٠٧	٢٠*	٢,٧٥٠	صفر	صفر		

يتبع

تابع جدول رقم (٣)

المغـــرب	١٩٧٩	ح	١	٨٠٠	٢٧	٢,٦٥٦	٤	٢٥٠	٤	١٢
موريتانيـــا	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	١	٢٠	٣	٣٠٠	صفر	صفر
اليمـــن العربية	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٣	١٣٠	٣	١٢٥	صفر	صفر
اليمن الديمقراطية	١٩٧٩	ح	صفر	صفر	٢	٢٥٠	٤	٣٠٨	صفر	صفر

(١) ح = حكومية؛ ع = عامة ؛ م = المجموع.

(٢) قوة الارسال هي بالكيلوات للمرسلات ذات الذبذبات المنخفضة والمتوسطة والعالية، وقوة البث الحقيقية للمرسلات ذات الذبذبات المرتفعة جدا وشديدة الارتفاع.

(٣) البيانات لا تتناول اجهزة اعادة الارسال للاذاعة البريطانية.

ملاحظات عامة: ـ تشير العلامة «ـ» الى ان البيانات غير متوفرة.

ـ البيانات تتناول اجهزة الارسال المستخدمة للبث الاذاعي المحلي للجمهور العام.

المصدر: احتسبت من:

UNESCO, Ibid., table 9.1, p. IX-5 - IX-12.

جدول رقم (٤)
البث الاذاعي في الوطن العربي:
عدد اجهزة الراديو واجهزة الراديو لكل الف من السكان

البلـــد	تعريف المعلومات[1]	عدد اجهزة الراديو المستعملة والرخص الممنوحة (بالآلاف)					عدد اجهزة الراديو المستعملة والرخص الممنوحة لكل الف من السكان				
		١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨١
الاردن	ا	٢٦٩	٣٧٠	٤٥٠	٥٣٦	٥٧٢	١٤١	١٦١	١٦٧	١٦٨	١٧٠
الامارات العربية المتحدة	ا	ـ	ـ	٥٢	٢٤٠	٢٦٠	ـ	ـ	٩٣	٣٠٢	٣٤١
البحريـــن	ا	ـ	٥٦	٨٥	١٢٥	١٥٠	ـ	٢٦٠	٣٣٢	٣٤٣	٤٦٥
تونـــس	ا	ـ	٣٨٨	٨٠٨	١٠٠٠	١٠٥٠	ـ	٧٦	١٤٤	١٥٧	١٦١
الجزائـــر	ا ر	ـ ٤٨٠	ـ ٨٧٠	٣٠٠٠ صفر	٣٧٠٠ صفر	٤٠٠٠ صفر	ـ ٤٠	ـ ٦١	١٧٩ صفر	١٩٩ صفر	٢٠٤ صفر
الجماهيرية الليبية	ا	٥٠	٨٥	١٠٦	١٣٥	١٥٠	٣١	٤٣	٤٤	٤٥	٤٨
جيبوتـــي[1]	ا	٨	١٠	١٣	١٧	١٧	٩٤	١٠٧	١٢٣	١٤٣	١٤٥
السعوديـــة	ا	ـ	ـ	٩٥٠	٢٥٠٠	٢٧٥٠	ـ	ـ	١٣٢	٢٩٩	٢٩٥

يتبع

تابع جدول رقم (٤)

السودان	ا	—	—	١١٥٠	١٣٨٠	١٤٠٠	—	—	٧٣	٧٤
سورية	ا	—	١١٦٧	—	—	١٧٩٥	—	١٨٦	—	١٩٣
الصومال	ا	٣٥	٥٠	٦٨	٨٧	١٢٠	١٤	١٨	٢١	٢٤	٢٥
العراق	ا	٧٩٣	١٠٢٦	١٢٥٢	٢٠٠٠	٢٢٥٠	٩٩	١٠٩	١١٣	١٥٣	١٦٦
عمان	ا	—	—	١٥	١٠٠	١٥٠	—	—	٢٠	١١٢	١٦٣
قطر	ا	—	٢٥	٣٨	١١٠	١١٤	—	٢٢٥	٢٢٤	٤٥٥	٤٦٠
الكويت	ا	—	١٠٥	—	٣٨٧	٤١٨	—	١٤١	—	٢٨٥	٢٨٦
لبنان	ا	—	٦٠٠	١٣٢١	٢٠٠٠	٢٠٠٠	—	٢٤٣	٤٧٢	٦٣٣	٧٤٤
مصر	ا	٢٧٠٠	٤٤٠٠	٥١٢٠	٦٠٠٣	٦٥٠٠	٩٢	١٣٢	١٣٨	١٤٣	١٥٠
المغرب	ا	٧٠٠	٩٣٥	١٤٠٠	٣٠٠٠	٣٢٠٠	٥٣	٦٠	٨١	١٤٨	١٥٥
موريتانيا(٢)	ا	—	٥٥	٨٢	١٥٠	١٦٠	—	٤٤	٥٨	٩٢	٩٥
اليمن العربية	ا	—	—	٨٧	١١٠	١١٥	—	—	١٦	١٩	١٩
اليمن الديمقراطية	ا	—	—	٩٦	١٠٠	١١٠	—	—	٥٧	٥١	٥٤

(١) ا = عدد اجهزة الراديو المستعملة ، ر = عدد الرخص الممنوحة.

(٢) تشمل البيانات عدد اجهزة الراديو المستعملة فقط وليس عدد الرخص الممنوحة مع العلم ان نظام الترخيص مطبق في البلدين.

ملاحظة عامة: تشير العلامة « ـ » الى ان البيانات غير متوفرة.

المصدر: احتسبت من:

UNESCO, Ibid., table 9.2, pp. IX-13 - IX-19.

منشورات
مركز دراسات الوحدة العربية

- **ازمة الديمقراطية في الوطن العربي** ..... ندوة فكرية
  (٩٢٨ ص ـ ١١٢ ل.ل./ ٢٨ $)
- **التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل** ..... مجموعة من الباحثين
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٦)) (٣٦٠ ص ـ ٤٠ ل.ل./ ١٠$)
- **التكوين التاريخي للامة العربية: دراسة في الهوية والوعي** ..... د. عبد العزيز الدوري
  (٣٣٦ ص ـ ٣٦ ل.ل./ ٩ $)
- **دراسات في القومية العربية والوحدة** ..... مجموعة من الباحثين
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٥)) (٣٨٤ ص ـ ٤٢ ل.ل./ ١٠ $)
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٣** ..... مركز دراسات الوحدة العربية
  (٦١٦ ص ـ ٨٠ ل.ل./ ٢٠ $ للافراد ـ ١٢٠ ل.ل. ٣٠ $ للمؤسسات)
- **الثروة المعدنية العربية (امكانات التنمية في اطار وحدوي)** ..... د. محمد رضا محرم
  (١٥٢ ص ـ ١٨ ل.ل./ ٥ $)
- **البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي (التنافس بين استراتيجيتين)** ..... د. عبدالله عبد المحسن السلطان
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٧)) (٣٦٠ ص ـ ٤٠ ل.ل./ ١٠ $)
- **التعاون الانمائي بين اقطار مجلس التعاون العربي الخليجي**
  (المنهاج المقترح والاسس المضمونية والعملية) ..... **د. فؤاد حمدي بسيسو**
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٦)) (٤٩٢ ص ـ ٥٦ ل.ل./ ١٤ $) ..... د. حليم بركات
- **المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي**(٥١٦ ص ـ ٥٦ ل.ل./ ١٤ $)
- **مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: من الصراع المحتوم... الى التسوية المستحيلة** (٢٥٦ ص ـ ٢٨ ل.ل./ ٧ $) ..... د. حسن نافعة
- **اللغة العربية والوعي القومي** (٤٨٤ ص ـ ٥٠ ل.ل./ ١٣ $) ..... ندوة فكرية
- **الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق** ..... د. وميض جمال عمر نظمي
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٥)) (٤٨٦ ص ـ ٤٨ ل.ل./ ١٢ $)
- **السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣** ..... د. هالة ابو بكر سعودي
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٤)) (٣٤٤ ص ـ ٣٨ ل.ل./ ١٠ $)
- **الهجرة الى النفط ... طبعة ثالثة** (٢٤٠ ص ـ ٢٤ ل.ل./ ٦ $) ..... د. نادر فرجاني
- **العرب وافريقيا** (٨٢٤ ص ـ ٨٥ ل.ل./ ٢١ $) ..... ندوة فكرية
- **الطاقة النووية العربية: عامل بقاء جديد** (١٥٦ ص ـ ١٦ ل.ل./ ٤ $) ..... د. عدنان مصطفى
- **الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي** ..... مجموعة من الباحثين
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٤)) (٣٥٢ ص ـ ٣٢ ل.ل./ ٨ $)
- **الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠ ـ ١٩٣٩** ..... اعداد مروان بحيري
  (٢٣٦ ص ـ ٢٤ ل.ل./ ٦ $)
- **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية** ..... د. محمد السيد سليم
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣)) (٣٩٦ ص ـ ٣٦ ل.ل. / ٩ $)
- **العمالة الاجنبية في اقطار الخليج العربي** ..... ندوة فكرية
  (٧١٢ ص ـ ٦٤ ل.ل./ ١٦ $)
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٢** (٧٣٢ ص ـ ٩٥ ل.ل./ ٢٤ $ للافراد ـ ١٥٠ ل.ل./ ٤٣ $ للمؤسسات) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **انتقال العمالة العربية: المشاكل ـ الآثار ـ السياسات** ..... د. ابراهيم سعد الدين ود. محمود عبد الفضيل
  (٣١٢ ص ـ ٢٦ ل.ل./ ٧ $)
- **جامعة الدول العربية: الواقع والطموح** ..... ندوة فكرية
  (١٠٠٤ ص ـ ٩٠ ل.ل./ ٢٣ $)
- **الصراع العربي ـ الاسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي** ..... امين حامد هويدي
  ٢٤٨ ص ـ ٢٤ ل.ل/ ٦ $)
- **ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الاول: المؤلفون ـ القسم الاول: بالعربية** ..... مركز دراسات الوحدة العربية
  (١٠٦٠ ص ـ ١٢٠ ل.ل./ ٣٠ $ للافراد ـ ١٥٠ ل.ل./ ٤٣ $ للمؤسسات)
- **ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠**
  ـ المجلد الاول: المؤلفون ـ القسم الثاني: بالانكليزية والافرنسية ..... **مركز دراسات الوحدة العربية**
  (١٠٩٦ص ـ ١٥٠ ل.ل./ ٤٣ $ للافراد ـ ٢٠٠ ل.ل./ ٥٧ $ للمؤسسات)
- **ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠**
  ـ المجلد الثاني: العناوين ـ القسم الاول: بالعربية (٤٠٠ ص ـ ٥٠ ل.ل./ ١٣ $ للافراد ـ ٦٠ ل.ل./ ١٥ $ للمؤسسات) ..... **مركز دراسات الوحدة العربية**

- **بيليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠**
  ـ المجلد الثاني: العناوين ـ القسم الثاني: بالانكليزية والافرنسية
  (٣٦٨ ص ـ ٦٠ ل.ل. / ١٧ $ للافراد ـ ٨٠ ل.ل. / ٢٣ $ للمؤسسات) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **النظام الاقليمي العربي** ... طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة (٢٧٢ ص ـ ٢٤ ل.ل. / ٦ $) ..... جميل مطر ود. علي الدين هلال
- **التطور التاريخي للانظمة النقدية في الاقطار العربية**
  (٤٧٢ ص ـ ٤٠ ل.ل / ١٠ $) .....
- **مصر والعروبة وثورة يوليو** ..... د. عبد المنعم السيد علي
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٣)) (٤٠٠ ص ـ ٣٢ ل.ل. / ٨ $) ..... مجموعة من الباحثين
- **الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة**
  (٢٤٨ ص ـ ٢٠ ل.ل. / ٥ $) ..... د. محمود عبد الفضيل
- **المواصلات في الوطن العربي** (٤٠٤ ص ـ ٣٢ ل.ل. / ٨ $) ..... ندوة فكرية
- **دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي** ... طبعة ثانية
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (١)) (٤٧٦ ص ـ ٤٢ ل.ل. / ١١ $) ..... مجموعة من الباحثين
- **السياسة الامريكية والعرب**
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٢)) (٣٠٨ ص ـ ٢٤ ل.ل. / ٦ $) ..... مجموعة من الباحثين
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨١**
  (١٠٧٨ ص ـ ٩٥ ل.ل./ ٢٤ $ للافراد ـ ١٥٠ ل.ل./ ٤٣ $ للمؤسسات) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية**
  (٥٢٨ ص ـ ٤٤ ل.ل./ ١١ $) ..... ندوة فكرية
- **المراة ودورها في حركة الوحدة العربية** (٥٥٦ ص ـ ٤٥ ل.ل./ ١١ $) ..... ندوة فكرية
- **الامكانات العربية** (١٣٦ ص ـ ١٢ ل.ل./ ٣ $) ..... ندوة فكرية
- **صور المستقبل العربي** ... طبعة ثانية (٢١٢ ص ـ ٢٦ ل.ل./ ٦ $) ..... د. علي نصار
- **النظام الاجتماعي العربي الجديد** (٣٠٤ ص ـ ٢٤ ل.ل./ ٦ $) ..... د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
- **تجربة دولة الامارات العربية المتحدة** ... طبعة ثانية
  (٨١٦ ص ـ ٩٨ ل.ل / ٢٥ $) ..... د. سعد الدين ابراهيم
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٠**
  (١٠٦٤ ص ـ ٩٠ ل.ل. / ٢٣ $ للافراد ـ ١٥٠ ل.ل. / ٤٣ $ للمؤسسات) ..... ندوة فكرية*
- **التصور القومي العربي في فكر جمال عبدالناصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠** ... طبعة ثالثة
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٢)) (٤١٦ ص ـ ٤٢ ل.ل. / ١١ $) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **البعد التكنولوجي للوحدة العربية** .. طبعة ثانية (١١٦ ص ـ ١٠ ل.ل. / ٣ $) ..... د. مارلين نصر
- **القومية العربية والاسلام** ... طبعة ثانية
  (٧٨٠ ص ـ ٦٠ ل.ل./ ١٥ $) ..... د. انطوان زحلان
- **التكامل النقدي العربي: المبررات ـ المشاكل ـ الوسائل**
  طبعة ثانية (٧٤٠ ص ـ ٦٠ ل.ل./ ١٥ $) ..... ندوة فكرية
- **هجرة الكفاءات العربية** ... طبعة ثالثة (٤٢٢ ص ـ ٥٢ ل.ل./ ١٣ $) ..... ندوة فكرية
- **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي** ..... ندوة فكرية
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (١)) طبعة ثالثة (٦٦٨ ص ـ ٦٤ ل.ل./ ١٦ $) ..... د. محمد المنجي الصيادي
- **هدر الامكانية** ... طبعة ثالثة (١٤٠ ص ـ ١٤ ل.ل./ ٤ $) ..... د. نادر فرجاني
- **تحليل مضمون الفكر القومي العربي**
  طبعة ثانية (٢٠٠ ص ـ ١٦ ل.ل./ ٤ $) ..... السيد يسين
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٧٩** ... طبعة ثانية
  (٧٣٦ ص ـ ٦٠ ل.ل./ ١٥ $ للافراد ـ ١٠٠ ل.ل./ ٢٥ $) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **القومية العربية في الفكر والممارسة**
  طبعة ثالثة (٦٤٠ ص ـ ٦٤ ل.ل./ ١٦ $) ..... ندوة فكرية
- **اتجاهات الراي العام العربي نحو مسالة الوحدة:**
  دراسة ميدانية ... طبعة ثالثة (٣٧٦ ص ـ ٤٨ ل.ل./ ١٢ $) ..... د. سعد الدين ابراهيم
- **النفط والوحدة العربية** ... طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة (٢٢٤ ص ـ ١٦ ل.ل./ ٤ $) ..... د. محمود عبد الفضيل
- **ابعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل**
  طبعة ثالثة (٤٤٨ ص ـ ٤٠ ل.ل./ ١٠ $) ..... د. عبد الحميد براهيمي
- **دور الادب في الوعي القومي العربي** ... طبعة ثالثة (٤٣٦ ص ـ ٤٢ ل.ل / ١١ $) ..... ندوة فكرية
- **خطط التنمية العربية واتجاهاتها التكاملية والتنافرية**
  طبعة ثالثة (٢٦٨ ص ـ ٢٦ ل.ل / ٧ $) ..... د. محمود الحمصي
- **دور التعليم في الوحدة العربية** ... طبعة ثالثة (٢٨٠ ص ـ ٢٤ ل.ل./ ٦ $) ..... ندوة فكرية
- **من التجزئة الى الوحدة** ... طبعة رابعة (٤٤٨ ص ـ ٣٨ ل.ل./ ١٠ $) ..... د. نديم البيطار
- **المشرق العربي والغرب** ... طبعة رابعة (١٧٦ ص ـ ١٦ ل.ل./ ٤ $) ..... د. جلال احمد امين
- **العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي** ... طبعة رابعة (٢٨٢ ص ـ ٢٨ ل.ل./ ٧ $) ..... د. انطوان زحلان

* الاسعار بالدولار وتشمل اجور البريد الجوي.

مركز دراسات الوحدة العربية

وكلاء توزيع مطبوعات المركز في الاقطار العربية والدول الاجنبية*

الاردن

المجلة والكتب
وكالة التوزيع الاردنية ص.ب ـ ٣٧٥
عمان ـ الاردن / ت ٣٠١٩١١ ـ ٣٠١٩١٢

الامارات العربية المتحدة

ابو ظبي (باستثناء العين)
المجلة
شركة اوكسفورد للفرطاسية والكتب
شارع حمدان ـ ص.ب ـ ٧١٢٩
ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ٨١٠٩١٤ / ٨٢٠٩٣٦

الكتب
ـ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
بناية عبد الله الحميري
شارع حمدان / ص.ب ـ ٨٥٧
ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ٨٢١٠٤٢ ـ ٨٢١٠٤٣
ـ مكتبة دار الثقافة الجديدة
ص.ب ـ ٣٥٧٠
ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ٢٧٥٣٩٩

ابو ظبي (العين)
المجلة والكتب
ـ مكتبة الامارات للخدمات الثقافية والفنية
ص.ب ـ ١٥٩٨٨ العين ـ ابو ظبي
دولة الامارات العربية المتحدة
ت ٦٤١٦٤٥

دبي
المجلة والكتب
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
ص.ب ـ ٢٤٤٦
دبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ٢٨٢٦٦٦ ـ ٢٢٤١١١

الشارقة
كتب
مكتبة دار الآداب
شارع العروبة ـ بناية محمد عبيد الشامسي
صندوق البريد ٥٦٩
الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ٢٥٩٢٠٩ ـ ٢٢٩٥٣

البحرين

المجلة والكتب
الشركة العربية للوكالات والتوزيع
شارع الخليفة ـ ص.ب ـ ١٥٦
المنامة ـ البحرين / ت ٢٥٥٧٠٦

تونس

المجلة والكتب
الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج ـ ص.ب ـ 440
تونس / ت 255000
المجلة
الشركة التونسية للصحافة
3 نهج المغرب
تونس ت 242499

الجزائر

المجلة
المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة
20 شارع الحرية
الجزائر
ت: 63.94.40-63.94.70

الكتب
المؤسسة الوطنية للكتاب
11 مكرر شارع العربي بن مهيدي
الجزائر ت 64.96.12

المجلة والكتب
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
ـ فرع طرابلس
شارع سوق الحمدوني / ص.ب ـ ٩٥٩
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية
ت ٣ / ٤ / ٥ / ٦ / ٤٥٧٧٧
ـ فرع بنغازي
ص.ب ٣٢١
بنغازي ـ الجماهيرية العربية الليبية
ت ٩٢١٣٣ ـ ٩١٩٠٣

سلطنة عمان

المجلة والكتب
مكتبة العلوم ص.ب ـ ٣١٧١ روي
سلطنة عمان
ت ٦٢٠١٠ السيب ت ٧٠٣٢١٤ روي

السودان

المجلة
دار التوزيع
ص.ب ـ ٣٥٨ الخرطوم
السودان ت ٧٨١٦٠ / ٧٥٥٨٥ / ٨٠٥٨٨

كتب
دار الثقافة العربية
شارع البرلمان ـ عمارة البرلمان ـ الطابق الارضي
ص.ب ٤٠٣
الخرطوم ـ جمهورية السودان الديمقراطية
ت ٧١٥٦٢

سوريا

المجلة والكتب
المؤسسة العربية السورية للتوزيع المطبوعات
برامكة ـ تجاه ثانوية التجارة
دمشق ـ سوريا / ت ٢٢٨٨٣١

العراق

المجلة والكتب
الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
شرع الجمهورية / ص.ب ـ ٦٢٤
بغداد ـ العراق / ت ٨٨٨٩٥٧١

قطر

المجلة
دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر
ص.ب ـ ٦٢٣ / ال ـ ٥٠ ـ قطر
ت ٤٢١٦١٢

الكتب
دار المثقفي للنشر والتوزيع
ص.ب ـ ٢٧٠٦ / الدوحة ـ قطر
ت ٤١٢١٤٠ ـ ٤١٢١٤١

الكويت

مجلة
الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات
شارع فهد السالم ص.ب ـ ٦٥٨٨
دولة الكويت / ت ٤٢١٤٦٨ ـ ٤١٢٨٢٠

الكتب
شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع
ص.ب ـ ٢١٠٦٢ الصفاة / الكويت
ت ٨٤٤٧٥٢ ـ ٨٤٠٩٥٠

لبنان

المجلة
الشركة العربية للتوزيع
بناية رزق وحلو ـ القنطاري / ص.ب ـ ٤٢٢٨
بيروت ـ لبنان / ت ٢٧٠٦٢٣ ـ ٢٤٧٩٠٠

الكتب
بيروت ـ المكتبات الرئيسية
طرابلس والشمال
جرّوس برس
شارع عز الدين / طرابلس ـ لبنان
ت ٦٢٧٧٢٤ ـ ٦٢٣٦٢٦

مصر

المجلة والكتب
مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب
القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
ت ٧٥٦٤٢١

المغرب

المجلة
الشركة العربية الافريقية للتوزيع
والنشر والصحافة
70 زنقة سجلماسة ـ ص.ب 8
الدار البيضاء ـ المملكة المغربية
ت 24.92.14-24.92.00

الكتب
ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة ديدان وزنقة سان سانس
ص.ب
683
الدار البيضاء 05 ـ المملكة المغربية
ت 24.57.45
ـ الشركة الجديدة دار الثقافة
34-32 شارع فيكتور هيجو
الدار البيضاء 03 ـ المملكة المغربية
ت 30.76.44.30.23.75
ـ الشركة المغربية للناشرين المتحدين (SMER)
● فرع الرباط
3 زنقة غزة
الرباط ـ المملكة المغربية / ت 237.25
● فرع الدار البيضاء
73 RUE PIERRE PARENT
CASABLANCA - MAROC
TEL. 262072

المملكة العربية السعودية

مجلة
جدة
تهامة للتوزيع
شارع الامير فهد ـ خلف اسواق النويصر
ص.ب ـ ٩٤٠٩ جدة ـ المملكة العربية السعودية
ت ٦٨٢٣١٠٨ ـ ٦٨٢٢٢٥٢
الرياض
تهامة للتوزيع
شارع المطار ـ خلف البعثة الامريكية
ص.ب ـ ٦٩٣٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية
ت ٤٧٨٢٠٧ ـ ٤٧٨٠٣٩٤
الدمام
تهامة للتوزيع
مدينة العمال ـ امام المعهد الصحي
ص.ب ـ ٥٧٢٦
الدمام ـ المملكة العربية السعودية
ت ٨٢٦٢٠٠ ـ ٨٢٧١٢٢٧
الكتب
الرياض
مكتبة مكة
ص.ب ـ ١٧٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية
ت ٤٠٢٣١٨
جدة
مكتبة مكة
شارع المنتبي ص.ب ـ ١٧٧
جدة ـ المملكة العربية السعودية
ت ٦٧٢٠٤٢ ـ ٦٧٢٢٩٠٢
الخبر
مكتبة مكة
ص.ب ـ ٦٠
الخبر ـ المملكة العربية السعودية ت: ٨٦٤٧٥٢٩

اليمن الشمالي

المجلة
دار القلم للنشر والتوزيع
شارع علي عبد المغني
ص.ب ـ ١١٠٧
صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية
ت ٧٧٨١٢ ـ ٢ / ٢٧٢٥٦٢
الكتب
مكتبة الانوار
قاع العلفي ـ شارع توفيق
ص.ب ـ ٨٠٧
صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية ت ٧١٠١٥

اليمن الديمقراطي

المجلة والكتب
مؤسسة ١٤ اكتوبر لاستيراد وتوزيع المطبوعات
ص.ب ـ ٤٢٧ ـ كريتر
عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
ت ٢٢٧٨١

انكلترا

المجلة والكتب
AL SAQI BOOKS
26 WESTBOURNE GROVE
LONDON W2 5RH - ENGLAND
Tel. (01) 229 8543

سويسرا

المجلة والكتب
LIBRAIRIE ARABE L'OLIVIER
5 RUE DE FRIBOURG
CH. 1201 GENEVE - SUISSE
Tel. (022) 318440

فرنسا

المجلة والكتب
ALPHABETA
6 RUE MONSIGNY
75002 - PARIS
FRANCE

قبرص

المجلة والكتب
AL-BAYAN PUBLISHING LTD.
7 ARNALDAS STREET (FLAT 18)
P.O. BOX 55
NICOSIA - CYPRUS
Tel. 21-52994

اليونان

المجلة والكتب
AL MANARA COMPANY
28 ASKLIPIOU STREET
ACADEMY
106 80 ATHENS - GREECE
Tel. 3612584

* لغير الدول الواردة اعلاه ، تطلب المطبوعات من مركز دراسات الوحدة العربية مباشرة .